موسوعة
الجامع الصحيح
للأحاديث القدسية

مع شرحها
وما صح من أحاديث الملائكة الكرام والجان

جمع وإعداد

الشيخ عبد القادر عرفان العشا حسونة

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م


Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb

دار الفكر

حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١
تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣
فاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٩٩٠٤

بيروت
لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الأحاديث القدسية

تعريف: كل حديث يضيف فيه الرسول ﷺ قولاً إلى الله عز وجل يسمى بالحديث القدسي أو الإلهي، ونسبة الحديث إلى القدس وهو الطهارة والتنزيه، وإلى الإله أو الرب لأنه صادر عن الله عز وجل من حيث أنه المتكلم به أولاً والمنشىء له، وأما كونه حديثاً فلأن الرسول ﷺ هو الحاكي له عن الله تعالى، بخلاف القرآن الكريم فإنه لا يضاف إلا إلى الله عز وجل، فيقال فيه:

قال الله تعالى:

ويقال في الأحاديث القدسية: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى.

والفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم أن القرآن معجزة باقية على مر الدهور محفوظة من التغيير والتبديل. وحرمة رواية القرآن بالمعنى وحرمة مس القرآن للمحدث وتلاوته لنحو الجنب.

وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند رسول الله ﷺ، ومعناه من عند الله تبارك وتعالى بالإلهام أو بالمنام، ولا يجوز قراءة الحديث القدسي أثناء الصلاة بل يبطل الصلاة.

هذا كتاب يشتمل على الأحاديث القدسية الموجودة في كتب الحديث المعتمدة وشرح هذه الأحاديث مأخوذاً من شرح كتب الأحاديث والسنن المعروفة والموثوقة وقد دعت الحاجة إلى الرجوع في شرح بعض الأحاديث إلى كتب التفسير وكتب اللغة.

والخلاصة: أن الحديث القدسي هو حديث نبوي ولكنه بوحي من الله تعالى وليس قرآناً ويبلغ عدد الأحاديث القدسية في هذا الكتاب (٤٣٧) حديثاً.

محمد خالد العطار

بيروت: ٣ شباط ٢٠٠١م

الموافق: ٩ ذو القعدة ١٤٢١هـ

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
اللهم أعن ويسر يا كريم

إنَّ الحمدَ لله، نحمدهُ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وشرُّ الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النَّارِ.

وبعد، فإن للحديث القُدْسي وقعٌ في القلبِ مُختلف، وتأثيرٌ في النفس مُؤتلف، فكأنه يذوب في وجدان المرء، ليتجلى على جوارحه وأقواله وأفعاله نوراً في القلب، وسَعْداً بين الخَلْقِ، ورِفْعَةً يوم العرض، ورضىً عند الرَّبِّ.

وهذا، أخي الكريم «مختصر لموسوعة الأحاديث القدسية» اختصره الناشر لكبر حجمه، مؤملاً بأن يلحقهُ إن شاء الله تعالى، كاملاً تاماً، من غير حَذْفٍ ولا اختصار، لِتَكْمُلَ الفائدة، وتعمَّ المنفعة.

وقد رتّبتهُ فُصُولاً وأبواباً. على حَسَبِ ما دَرَجَ عليه أسْلافُنَا من جَهَابِذَةِ أَهْلِ العِلم والحَديثِ، أمثال الإمام البخاري والإمام مسلم، وغيرهما من أهل السَبْقِ والفَضْلِ بَدْأً بكتابِ الإيمان، ونهايةً بأحوال يوم المعادِ.

وقد اعتمدت في تصنيفي للكتاب على ما صحَّ أو حَسُنَ من الأحاديث، ليكون خالياً من الضعيف أو الموضوع، كما هو الحال في كثيرٍ من كتبِ الأحاديث القُدسيةِ المتداولةِ بين النَّاسِ. وبَعْدَ ذِكْرِ كل حديث، قمتُ بتخريجه، وبيان حاله من صحة أو تحسين، وأوردت أقوال بعض أهل العلم فيه. وأما إن دعتني الضرورة أثناء الشرح للاستشهاد بما هو ضعيف، فقد بيّنت ذلك وأوضحته، حتى لا يختلط الأمر، وتلتبس الأمور.

وأخيراً أسأل السميع المجيب، أن يتقبله مني بأحسن قبول وأن يجعله زاداً ليوم لا ريب فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عرفان

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ كتاب الإيمان

قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

١ ـ باب في خلق آدم ـ عليه السلام ـ

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ إلى قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٧١ ـ ٨٥].

١ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ. اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ المَلَائِكَةِ، إِلَى مَلأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُم. قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فقال: إِنَّ هَٰذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ.**

فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ! قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ.

فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ ـ أو ـ مِنْ أَضْوَئِهِمْ. قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَٰذَا؟ قَالَ: هَٰذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْهُ فِي عُمْرِهِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ. قَالَ: أَيْ رَبِّ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً! قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

قَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الجَنَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ. قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجَّلْتَ؟ قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ. قَالَ: فَمِنْ يَوْمَئِذٍ أُمِرَ بِالكِتَابِ وَالشُّهُودِ». (رواه الترمذي).

الشرح: **قوله ﷺ: «فجحد، فجحدت ذريته»** أي أنكر فأنكرت ذريته من بعده، على بناء أن الولد من سر أبيه. **«ونسي فنسيت ذريته»** قال ابن العربي: ذلك أن الولد من طينة أبيه، والظاهر أن معناه: أن آدم نسي هذه القضية فجحد، فيكون اعتذاراً له، إذ يبعد منه عليه السلام أن يُنكر مع

---

١ ـ [رواه الترمذي (٣٣٦٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص/٦٧) وابن حبان (٦١٦٧) والنسائي في «الكبرى» (٦/١٠٠٤٦) وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٢٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) وابن سعد في «الطبقات» (٢٧ ـ ١/٢٨) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

التذكر. «قال» أي النبي ﷺ: «فمن يومئذ أُمِرَ» بصيغة المجهول، أي أُمرَ الناس «بالكتاب والشهود» بكتابة القضايا والشهود فيها.

٢ ـ باب سبب الهداية، وأنها من الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨].

٢ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيهِم مِن نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْم اللهِ»**. (رواه الترمذي).

وفي لفظ عند ابن حبان من طريق ربيعة بن يزيد، عن عبد اللّه بن الديلمي، قال: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو، فَقُلْتُ: إِنَّهُم يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِي في بَطْنِ أُمِهِ! فَقَالَ: لاَ أُحِلُّ لأَحِدٍ يَكْذِبُ عَلَيّ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمَةٍ، وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذُلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَ ضَلَّ، فَلذلكَ أَقُولُ: جَفَّ القَلَمُ عَنْ عِلْمِ اللهِ جلَّ وَعلا»**.

وفي لَفْظٍ لَهُ أَيضاً: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ: إِنَّ القَلَمَ قَدْ جَفَّ، قَالَ: فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ خَلَقَ النَّاسَ في ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَخَذَ نُوراً مِنْ نُورِهِ، فَأَلْقَاهُ عَلَيهِمْ، فَأَصَابَ مَنْ شَاءَ، وأَخطَأَ مَنْ شَاءَ، وَقَدْ عَلِمَ مَنْ يُخطِئهُ مِمَّنْ يُصِيبُهُ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ شَيءٌ، اهْتَدَى، وَمَنْ أَخطَأَهُ، فَقَدْ ضَلَّ، فَفِي ذلكَ ما أقولُ: إنَّ القَلم قَدْ جَفَّ»**.

وفي لفظ لأحمد أيضاً: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ في ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ نُورِهِ مَا شَاءَ فَأَلْقَاهُ عَلَيهِم، فَأَصَابَ النُّورُ مَنْ شَاءَ أَنْ يُصِيبَهُ، وَأَخطَأَ مَنْ شَاءَ، فَمَنْ أَصَابَهُ النُّورُ يَوْمَئِذٍ، فَقَدْ اهْتَدىٰ، وَمَنْ أَخطَأَهُ يَوْمَئِذٍ ضَلَّ، فَلِذلِك قلتُ: جَفَّ القَلَمُ بِما هُوَ كائنٌ»**.

ورواه البزار بلفظ: **«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ نُوراً مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورُ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخطَأَهُ ضَلَّ»**.

الشرح: **قوله ﷺ: «ثم أخذ نوراً من نوره»** أي أخذ قبساً من هدايته **«فألقاه عليهم، فأصاب من شاء، وأخطأ من شاء، وقد علم من يخطئه ممن يصيبه»** وذلك أن الله عليم بما سيؤول إليه العباد من هداية أو ضلال.

---

٢ ـ [رواه أحمد (٦٦٥٥ و٢/٦٨٧١) والترمذي (٢٦٤٢) وابن حبان (٦١٦٩) و(٦١٧٠) والبزار (٢١٤٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤٣) و(٢٤٤) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٠٧٧) و(١٠٧٩) والآجري في «الشريعة» (١٧٥) وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٨١٢ ـ ٧/١١٨١٣) وقال: رواه أحمد بإسنادين والبزار والطبراني، ورجال إسنادي أحمد ثقات].

٣ ـ باب في مقادير كل شيء، وأن القلم جف بما هو كائن

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وقال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

٣ ـ عن أَبي حَفْصَةَ، قَالَ: قَالَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ لابْنِهِ، يَا بُنَيَّ: إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»** يا بُنَي: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هٰذا فَلَيْسَ مِنِّي»** (رواه أبو داود).

ورواهُ أَحمد من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريضٌ أَتَخَايَلُ فيهِ الموتَ، فقلتُ: يَا أَبَتَاهُ، أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لي. فَقَالَ: أَجْلِسُوني. قَالَ: يَا بُنيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الإِيمانِ، وَلَمْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ العِلْمِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ القَدْرِ وَشرهِ؟ قَالَ: تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَكَ. يَا بُنَي، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرى القَلَمُ في تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُو كَائِنٌ إِلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ»** يَابُنيَّ، إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذٰلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ.

وفي لفظ لأحمد أيضاً: أن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: أوصاني أبي رحمهُ اللَّهُ تَعالَى، فَقَالَ: يا بُنيَّ، أُوصِيكَ أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنْ أَدخَلَكَ اللَّهُ النَّارَ.

قَالَ: وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«أَوَّل مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: فَاكْتُبْ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»**.

٤ ـ وَعَنْ ابْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، قَالَ لَهُ اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ»**. (رواه الطبراني).

ورواه أبو يعلى بلفظ: **«إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ القَلَمَ، وَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ»**.

---

٣ ـ [رواه أحمد (٢٢٧٦٨ ـ ٨/٢٢٧٧٠) وأبو داود (٤٧٠٠) وإسناده حسن].

٤ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/١٢٥٠٠) وأبو يعلى (٢٣٢٩) والبيهقي (٣/٩) وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٧٩٦ ـ ٧/١١٧٩٧) باللفظين، وعزاه لأبي يعلى والطبراني وقال: ورجاله ثقات].

ورواه البيهقي بلفظ: «**إِنَّ أَوَّلَ شَيءٍ خَلَقَ اللَّهُ ـ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ـ القَلَمَ، وَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيءٍ يَكُونُ**».

وقد جاء في بعض ألفاظ الحديث عند أحمد[١]: «**يا غلام! إني محدثك حديثاً: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، فقد رفعت الأقلام، وجفت الكتب، فلو جاءت الأمة ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك، لما استطاعت، ولو أرادت أن تضرك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك، ما استطاعت**».

الشرح: قوله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

في «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»[٢].

وفي «صحيح البخاري» من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره. وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض**»[٣] والمراد بالذكر هنا: اللوح المحفوظ.

قال الحافظ في «**الفتح**»: والمراد ـ بكان ـ **في الأول**: **الأزلية، وفي الثاني**: **الحدوث بعد العدم**. قال: وحكى أبو العلاء الهمداني، أن للعلماء قولين في أيهما خلق أولاً، العرش أو القلم؟ قال: والأكثر على سبق خلق العرش. واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني.

قال: وفي الحديث، أن جنس الزمان ونوعه حادث، وأن الله تعالى أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن، لا عن عجز عن ذلك، بل مع القدرة.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام «**إن أول ما خلق الله القلم**..» إشارة إلى أن هذا القلم هو أفضل الأقلام وأجلُّها، وقد قال غير واحد من أهل التفسير؛ أنه القلم الذي أقسم الله عزَّ وجلَّ به في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

وأما ما جاء في قوله ﷺ «**رفعت الأقلام**..» ففيه إشارة إلى أن هناك أقلاماً غير القلم المذكور في حديث الباب.

وقد جاء في حديث الإسراء أن النبي ليلة أسرى به، رُفع إلىَ مستوىٍ يسمع فيه صريف الأقلام.

---

(١) في مسنده (٢٧٦٣/١).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) رواه البخاري (٣١٩١).

قال الإمام ابن أبي العز: **والذي دلت عليه السُّنة أن الأقلام أربعة**:

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي قال فيه ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم..**».

القلم الثاني: حين خلق آدم عليه السلام، وهو قلم عام أيضاً، لكن لبني آدم، ورد في هذا آياتٌ تدل على أن الله قدَّر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم.

القلم الثالث: حين يُرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويُؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجلِه، وعملِه، وشقيٌّ أو سعيدٌ. كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعلُه بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة.

قال: وإذا علم العبدُ أن كلاً من عند الله، فالواجبُ إفرادُه سبحانه بالخشية والتقوى. قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]. ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] وغيرها.

ولا بد لكل عبد أن يتقي أشياء، فإنه لا يعيش وحدَه، ولو كان ملكاً مطاعاً، فلا بد أن يَتَّقِي أشياء يراعي بها رعيته، فحينئذ فلا بد لكل إنسان أن يتقي، فإن لم يتَّق الله اتقى المخلوق، والخلق لا يتفق حُبُّهم كُلُّهم وبغضُهم، بل الذي يُريده هذا يُبغضه هذا، فلا يُمكن إرضاؤهم كُلُّهم، كما قال الشافعي رضي الله عنه: رِضَى الناسِ غايَةٌ لا تُدرَك، فعليك بالأمرِ الذي يُصْلِحُك فالزمه، ودع ما سواه، فلا تُعَانِه. فإرضاءُ الخلق لا مقدور ولا مأمور، وإرضاء الخالق فمقدورٌ ومأمور.

وأيضاً فالمخلوقُ لا يُغني عنه من الله شيئاً، فإذا اتقى العبدُ ربَّه كفاه مؤونة الناس، كما كتبت عائشة إلى معاوية رضي الله عنهما، روي مرفوعاً، وروي موقوفاً عليها: «**مَنْ أَرْضَى الله بِسُخْطِ النَّاسِ، رَضِيَ الله عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسُخْطِ الله، عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا**». فمن أرضى الله، كفاه مؤونة الناسِ ورضي عنه، ثم فيما بعد يَرْضَوْنَ، إذ العاقِبَةُ للتقوى، ويحبه الله، فيُحبُّه الناسُ، كما في «الصحيحين» عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «**إذا أَحَبَّ الله العَبْدَ نَادَى: يا جِبْرِيلُ، إنِّي أُحِبُّ فُلَاناً فأحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ في السَّماءِ: إنَّ الله يُحِبُّ فُلَاناً فأحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأَرْضِ**»، وقال في البغض مثل ذلك.

فقد بين أنه لا بد لكل مخلوق من أن يتقي إما المخلوق، وإما الخالقَ، وتقوى المخلوق ضررُها راجح على نفعها من وجوه كثيرة، وتقوى الله هي التي تحصُلُ بها سعادةُ الدنيا والآخرة، فهو سبحانه أهلُ التقوَى، وهو أيضاً أهلُ المغفرة، فإنه هو الذي يغفِرُ الذنوبَ، لا يقدر مخلوق على أن يغفِرَ الذنوبَ ويُجيرَ من عذابها غيرُه، وهو الذي يجيرُ ولا يُجار عليه.

خاتمة: روى الحاكم من طريق عطاء بن السائب، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أول ما خلق الله القلم، خلقه من هجا قبل الألف واللام. فتصور قلماً من نور، فقيل له: إجر في اللوح المحفوظ! قال: يا رب بماذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة. فلما خلق الله الخلق، وكَّل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم. فلما قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم، وقيل: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، عرض بالكتابين فكانا سواء. قال ابن عباس: ألستم عرباً؟ هل تكون النسخة إلا من كتاب[(١)].

٤ ـ باب فيما سبق في علم الله جل وعلا في عباده، وبيان أهل الجنة وأهل النار.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٥ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«خَلَقَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ. وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَىٰ، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ. فَقَالَ: هٰؤُلاءِ ـ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ ـ إِلَى الْجَنَّةِ وَلاَ أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ: إِلَى النَّارِ، وَلاَ أُبَالِي»**. (رواه البزار).

ورواه أحمد بلفظ: **«خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ. وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الحُمَمُ. فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَى الْجَنَّةِ، وَلاَ أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى إِلَى النَّارِ، وَلاَ أُبَالِي»**.

٦ ـ وعن أبي نضرة العبدي قَالَ: مَرِضَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٣٦٩٣).

٥ ـ [رواه البزار (٢١٤٤) وأحمد (١٠/٢٧٥٥٨) ورجال إسناده رجال الصحيح غير أبو الربيع الداراني وهو سليمان بن عتبة. وثقه دحيم. وقال: روى عنه المشائخ. وقال أبو حاتم: ليس به بأس. وهو محمود عند الدمشقيين. وقال أبو زرعة عن أبي مسهر: ثقة. وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال أحمد: لا أعرفه. وقال ابن معين: لا شيء. «التهذيب» (٣/٢٦٦٨). وقال البزار: لا نعلمه يروى بهذا اللفظ، إلا بهذا الإسناد، وإسناده حسن اهـ. وهو كما قال. وللحديث شواهد في «الصحيح» وغيره، وانظر ما سيأتي. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١٧٧٧) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجاله رجال الصحيح. اهـ. وقد بحثت عنه عند الطبراني في الثلاثة ولم أجده].

٦ ـ [رواه أحمد (١٧٦٠٤ ـ ٦/١٧٦٠٥) وإسناده حسن. رجاله ثقات. وأبو نضرة العبدي، هو المنذر بن مالك بن قطعة تابعي من فصحاء الناس، وثقه ابن معين وغيره، فلج في آخر عمره. «التهذيب» (٨/٧١٦٩). «ميزان الاعتدال» (٨٧٦٢ ـ ٤/١٠٦٦٦). والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١٧٧٨) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح].

أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ، فَبَكَى. فَقِيلَ لَهُ: ما يُبْكِيكَ يَا أَبا عبدِ اللَّهِ! أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي» قَالَ: بَلَى، وَلكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَضَ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ، وَقَالَ: هٰذِهِ لِهٰذِهِ، وَلاَ أُبَالِي. وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخرَى بِيَدِهِ الأُخرَى، فَقَالَ: هٰذِهِ لِهٰذِهِ وَلاَ أُبَالِي». فلا أدري في أي القبضتين أنا! (رواه أحمد).

وفي لفظ له: «إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً وَأُخرَى بِالْيَدِ الأُخرَى، وَقَالَ: هٰذِهِ لِهٰذِهِ، وَهٰذِهِ لِهٰذِهِ، وَلاَ أُبَالِي».

٧ ـ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ أَخَذَ الخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ وَقَالَ: هٰؤُلاءِ في الجَنَّةِ وَلاَ أُبَالِي، وَهٰؤُلاءِ في النَّارِ، وَلاَ أُبالِي». قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: «عَلَى مَوَاقِعِ القَدَرِ». (رواه احمد).

ورواه الحاكم بلفظ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، ثُمَّ خَلَقَ الخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: هٰؤُلاءِ لِلجَنَّةِ وَلاَ أُبالي، وَهٰؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلاَ أُبَالِي» قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: «عَلَى مُوافَقَةِ القَدَرِ».

٨ ـ وعن هِشَام بْنِ حَكِيم بْنِ حِزَام ـ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنبَتَدِىءُ الأَعْمَالَ، أَمْ قَدْ قُضِيَ القَضَاء؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ، ثُمَّ أَشْهَدَهُم عَلَى أَنفُسِهِم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ثُمَّ أَفَاضَ في كَفِّهِ فَقَالَ: هٰؤُلاءِ في الجَنَّةِ، وَهٰؤُلاءِ في النَّارِ. أَمَّا أَهْلُ الجَنَّةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَمَّا أَهْلِ النَّارِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَملِ أَهْلِ النَّارِ» (رواه الطبراني).

ورواهُ البزار بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ، ثُمَّ أَشْهَدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم، ثُمَّ نَثَرَهُمْ في كَفَّيهِ ـ أَوْ ـ كَفِّهِ. فَقَالَ: هٰؤُلاءِ في الجَنَّةِ وَهٰؤُلاء في النَّارِ، فَأَمَّا أَهْلُ الجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَهلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ».

---

٧ ـ [رواه أحمد (٦/١٧٦٧٦) وابن حبان (٣٣٨) والحاكم (١/٨٤) ورجال إسناده ثقات. وصححه الحاكم وأقره الذهبي في «التلخيص» وقال على شرطهما إلى الصحابي. والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١٧٧٩) وعزاه لأحمد، وقال: ورجاله ثقات. وهو كما قال اهـ].

٨ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/٤٣٥) وفي «مسند الشاميين» (١٨٥٤) والبزار (٢١٤٠) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٩١ ـ ٢/١٩٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٦) وهو حديث حسن، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١٧٨٤) وقال: رواه البزار والطبراني، وفيه بقية بن الوليد، وهو ضعيف، ويحسن حديثه بكثرة الشواهد. وإسناد الطبراني حسن].

٩ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ في القَبْضَتَيْنِ: «**هٰؤُلاَءِ لِهٰذِهِ، وَهٰؤُلاَءِ لِهٰذِهِ**» قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَهُمْ لاَ يَخْتَلِفُونَ في القَدَرِ. (رواه البزار).

١٠ ـ ورواهُ البزار أيضاً من حديثِ أَبي سَعِيدِ الخُدَرِيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ في القَبْضَتَيْنِ: «**هٰذِهِ في الجَنَّةِ وَلاَ أُبَالِي، وَهٰذِهِ في النَّارِ وَلاَ أُبَالِي**».

الشرح: قوله ﷺ: «خلق اللّه ـ تبارك وتعالى ـ آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر» أي ولد النمل «**وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم**» أي اسودُوا حتى أصبحوا كالفحم «**فقال: هؤلاء ـ للذي في يمينه ـ إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في يساره، إلى النار، ولا أبالي**».

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «**فقال هؤلاء ـ للذي في يمينه ـ إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في يساره إلى النار ولا أبالي فإنما هو من علم الله جل وعلا المسبق. فقد سبق علمه بأهل الجنة وأهل النار. فكلتا القبضتين بعلمه وعدله وحكمته**» ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]. فمن كان من أهل القبضة اليمنى كان في علم الله الأزلي أنه من أهل طاعته، ومن كان من أهل القبضة اليسرى، كان في علم الله الأزلي أنه من أهل معصيته.

وليس في هذا الأمر إجباراً لكلا الفريقين بالطاعة أم بالمعصية. بل هو من حكم الله جل وعلا عليهم لما سيكون منهم من إيمان يستوجب الجنة أو كفر يستوجب العذاب.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سبا: ٤٨].

ثم إن كلا الصفتين من إيمان أو كفر، إنما هي صفة اختيارية لا إجبارية، بل الأمر فيهما إنما يرجع إلى العبد نفسه، وإن الله تعالى لا يكره أحداً على طاعته أو على معصيته. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وهذا أمر معلوم معروف يعيشه كل واحد من بني البشر! ولو كان الأمر خلاف ذلك لانتفت صفة العدل عن الواحد الأحد المنزه عن الظلم. وفي التنزيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، [يونس: ٤٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

١١ ـ وعن مسلم بن يسار الجُهني، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سُئل عن هذه الآية:

---

٩ ـ [رواه البزار (٢١٤١) والطبراني في «الصغير» (٣٦٢) وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١٧٨٣) وقال: رواه البزار والطبراني في «الصغير»، ورجال البزار رجال الصحيح].

١٠ ـ [رواه البزار (٢١٤٢) وإسناده حسن. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١٧٨٢) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، غير نمر بن هلال، وثقه أبو حاتم].

١١ ـ [رواه أحمد (١/٣١١) ومالك في «موطئه» (١٦٦١) في أول كتاب القدر. وأبو داود (٤٧٠٣) والترمذي (٣٠٧٥) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١١٩٠) والآجري في «الشريعة» (ص/١٧٠/ ١٧١) وغيرهم. وقد =

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سُئل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، واستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون**».

فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل، إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل النار فيدخله به النار**».

١٢ ـ ومن طريق سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، العمل في شيء نأتنفه، أو في شيء قد فُرغ منه؟ قال ﷺ: «**بل في شيء قد فرغ منه**» قال: ففيم العمل؟ قال: «**يا عمر، لا يدرك ذلك إلا بالعمل**» قال: إذاً نجتهد يا رسول الله.

الشرح: قال الإمام ابن أبي العز: وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة مسألة القدر. وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع.

قال: واعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله ـ على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحِكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يَحْكِ الله سبحانه عن أمة نبيٍّ صدَّقت نبيها، وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيلِ الحِكمة فيما أمرها به، ونهاها عنه، وبلَّغها عن ربها، ولو فعلتْ ذلك، لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت، وما عرفتْ من الحكمة عرفته، وما خفي عنها، لم تتوقف في انقيادها وتسليمِها على معرفته، ولا جعلتْ ذلك من شأنها، وكان رسولُها أعظَمَ عندها من أن تسألهَ عن ذلك، كما في الإنجيل: «يا بني إسرائيل لا تقولُوا: لم أمر ربُّنا؟ ولكن قولُوا: بم أمر ربنا».

ولهذا كان سلفُ هذه الأمة، التي هي أكملُ الأمم عقولاً ومعارفَ وعلوماً ـ لا تسأل نبيَّها: لِمَ أمر الله بكذا؟ ولِمَ نهى عن كذا؟ ولِمَ قدَّر كذا؟ ولِمَ فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضادٌ للإيمان والاستسلام، وأن قدَم الإسلام لا تثبُتُ إلا على درجة التسليم.

فأول مراتب تعظيم الأمر التصديقُ به، ثم العزمُ الجازمُ على امتثاله، ثم المسارعةُ إليه والمبادرة به، والحذرُ عن القواطع والموانع، ثم بذلُ الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأموراً به، بحيث لا يتوقف الإتيانُ به على معرفة حِكمته ـ فإن ظهرتْ له

= تكلم أهل العلم على إسناده وخلص ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٣) بعدما أورده بخلاصة مفادها: أن هذا الحديث قد صحّ عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها. اهـ. وهو كما قال].

١٢ ـ [أورده الآجري في الشريعة (ص/ ١٧٠)].

فَعَلَه وإلا عطَّله، فإن هذا يُنافي الانقيادَ، ويَقْدَحُ في الامتثال.

قال القرطبي ناقلاً عن ابن عبد البر: فمن سأل مستفهماً راغباً في العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشِفاءُ العِيِّ السؤالُ، ومن سأل متعنّتاً غيرَ متفقه ولا متعلم، فهو الذي لا يَحِلُّ قليل سؤاله ولا كثيره.

قال ابن العربي: الذي ينبغي للعالم أن يشتغِلَ به هو بسطُ الأدلة، وإيضاحُ سبل النظر وتحصيلُ مقدمات الاجتهاد، وإعدادُ الآلة المعينة على الاستمداد، قال: فإذا عرضتْ نازلة، أتيتْ من بابها، ونُشِدَت مِن مظانها، والله يفتحُ وجه الصواب فيها. انتهى.

وقال ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ». رواه الترمذي وغيرُه.

ولا شك في تكفير من ردَّ حكم الكتاب، ولكن من تأول حُكمَ الكتاب لشبهة عرضت له، بُيّنَ له ليرجع إليه، فالله سبحانه وتعالى، لا يسأل عما يفعل، لكمال حكمته ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره وقدرته. والله تعالى أعلم. انتهى مختصراً.

٥ ـ باب في أخذ الميثاق على بني آدم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٤].

١٣ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَخَذَ اللَّهُ المِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمانَ ـ يَعني عَرَفَةَ ـ فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرأَهَا، فَنَثَرَهُم بَيْنَ يَدَيْهِ كالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُم قِبَلاً. قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾**» [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣] (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: «من ظهر آدم» أي من ذريته، سمي ظهراً لخروجهم منه. ذرأها ـ بهمزة ـ أي خلقها وقوله عليه الصلاة والسلام: «**فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها**» ذرأها بهمزة ـ أي خلقها. والمعنى: أن الله تعالى أخرج من صلب آدم ـ عليه السلام ـ ذريته «**فنثرهم بين يديه كالذر**» قال أهل اللغة: نثر الشيء ينثُره ـ بالضم ـ وينثِره ـ بالكسر ـ نَثْراً ـ بالفتح ـ ونِثاراً ـ بالكسر ـ: رماه بيده متفرقاً. مثل نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحَبّ إذا بُذر. والذر: النمل.

---

١٣ ـ [رواه أحمد (١/٢٤٥٥) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١١٩١) والحاكم (٢/٤٠٠٠) وصححه وأقره الذهبي. والطبري (٦/١١٩١٥) وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٢٠٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٦/٣٢٧) وإسناده صحيح. وأورده ابن كثير في تفسيره في «سورة الأعراف» (الآية ـ ١٧٢/١٧٤) ورجح وقفه على ابن عباس. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١٧٩٣) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وهو كما قال].

وقوله ﷺ: «ثم كلمهم قِبَلاً» ضبط: بكسر ففتح ـ أي عياناً ومقابلة، لا من وراء حجاب.

ومعنى قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا﴾ علة للإخبار بما ذُكر، أي: أخبرناكم بذلك كراهية أن تقولوا. قاله السندي.

٦ ـ باب في بيان أركان الإسلام والإيمان. ووجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وأنهما صفتان متلازمتان لإيمان المرء

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

١٤ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلُونِي» فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ. فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «لاَ تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً. وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ. وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ. وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ: صَدَقْتَ. . قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا. إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الأَرْضِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا. وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا. فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]. قَالَ ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُدُّوهُ عَلَيَّ» فَالْتُمِسَ فَلَمْ يَجِدُوهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هٰذَا جِبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا. إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا». (متفق عليه).

١٥ ـ وَعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هٰؤُلاَءِ فِي الْقَدَرِ. فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ. فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي. أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ. فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلاَمَ إِلَيَّ.

---

١٤ ـ [أخرجه البخاري (٥٠) و(٤٧٧٧) ومسلم (٩) و(١٠) وابن ماجه (٦٤) و(٤٠٤٤) وابن منده في «الإيمان» (١٥) و(١٦) و(١٥٩) وأبو داود (٤٦٩٨) والنسائي (٥٠٠٦) وغيرهم. بألفاظ متقاربة. واللفظ لمسلم برقم (١٠)].

١٥ ـ [رواه أحمد (١/١٨٤) ومسلم (٨) وأبو داود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٦١٠) والنسائي (٥٠٠٥) وابن ماجه (٦٣) وغيرهم. بألفاظ متقاربة. واللفظ الأول لمسلم].

فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ! إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ (وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ) وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لاَ قَدَرَ. وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ. قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي وَالَذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ! لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ. ثُمَّ قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ. شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ. لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ. وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ. وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ. وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ ﷺ. وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ. وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ. وَتَحُجَّ الْبَيْتَ، إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ. يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»** قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: **«أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: **«مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»** قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: **«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا. وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ، الْعَالَةَ، رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»** قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ. فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ لِي: **«يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟»** قُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ. أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»**. (رواه مسلم).

زاد أحمد في روايته قَالَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ جُهَينَةَ أَوْ مِنْ مُزَيْنَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، فِيمَ نَعمَل، أَفي شَيْءٍ قَدْ خَلاَ، أَوْ قَضِيَ، أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الآنَ؟ قال ﷺ: **«في شَيْءٍ قَدْ خَلاَ أَوْ قَضِيَ»** فَقَالَ رَجُلٌ أَوْ بَعْضَ القَوم: يَا رَسُولَ اللّهِ، فِيمَ نَعْمَلُ؟ قَالَ: **«أَهْلُ الجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»** وإسناد أحمد على شرط الشيخين. وكذا هو عند أبي داود.

فائدة جليلة في الإيمان بالقدر. قال الإمام البغوي: الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وقال الله عز وجل ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال عزّ وجلّ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

فالإيمان والكفر والطاعة والمعصية، كلها بقضاء اللّه وقدره، وإرادته ومشيئته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة، ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية، وأوعد عليهما. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]. وقال عز وجل ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. قال ابن

عباس: الحرج: موضع الشجر الملتف لا تصل الراعية إليه، فقلب الكافر لا تصل إليه الحكمة، وكل ضيق، حَرَجٌ وحَرِجٌ.

٧ ـ باب في وسوسة الشيطان للمرء لإيقاعه بالكفر

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٦].

١٦ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذا؟ مَا كَذا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هٰذا اللَّهُ خَلَقَ الخَلْقَ، فَمنْ خَلَقَ اللَّهَ»**. (رواه مسلم).

ورواه أحمد بلفظ: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِي: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يَزَالُونَ يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُم، حَتَّى يَقُولُوا: هٰذا اللَّهُ خَلَقَ النَّاسَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ»**؟.

١٧ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَأْتِي الشَّيطَانُ أَحَدَكُم فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذا وَكَذا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ»**. (متفق عليه).

وفي رواية بلفظ: **«يَأْتِي الشَّيطَانُ أَحَدَكُم فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّماءَ؟ مَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيئاً، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ»**.

وفي لفظ للبخاري: **«يَأْتِي الشَّيطَانُ أَحَدَكُم، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذا؟ مَنْ خَلَقَ كَذا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ»**.

وفي لفظ عند أحمد: **«إِنَّ الشَّيطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهَ. فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ بِشَيءٍ مِنْ هَذا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ»**.

ورواه أبو داود بلفظ: **«لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ، حَتَّى يُقَالُ: هٰذا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»**.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«يُوشِكُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُم، حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: هٰذا اللَّهُ خَلَقَ الخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّه عَزَّ وَجلَّ، فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ، فَقُولُوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤] ثُمَّ لِيَتْفُلْ أَحَدُكُمْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثاً، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ»**[1]. (رواه ابن السني).

---

١٦ ـ [رواه أحمد (١١٩٩٥/٤) ومسلم (١٣٦) واللفظ الأول له].

١٧ ـ [رواه أحمد (٨٣٨٤/٣) والبخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤) وأبو عوانة (٨١ ـ ٨٢/١) وأبو داود (٤٧٢١). واللفظ الأول والثاني لمسلم].

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٢) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٧) وإسناده حسن. واللفظ له.

١٨ ـ وَعَنِ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيطَانَ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ. فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدَكُم فَلْيَقرَأ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهَبُ عَنْهُ**». (رواه أحمد).

ورواه البزار بلفظ: «**إِنَّ أَحَدَكُم يَأْتِيهِ الشَّيطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُهُ**».

خاتمة: روى الإمام أحمد[1] بإسناد لا يخلو من مقال، من طريق جعفر بن برقان، قال: حدثنا يزيد بن الأصم، عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَسأَلَنَّكُمُ النَّاسُ عَنْ كُلِّ شَيءٍ حَتَى يَقُولُوا: اللّه خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَمَنْ خَلَقَهُ**»؟ قَالَ يَزِيدُ: فحدثني نجمة بن صَبيغ السُّلَمي أَنَّهُ رَأَى رَكْباً أَتوا أَبَا هُرَيْرَةَ فَسَأَلُوهُ عَن ذَلك فقالَ: اللَّهُ أَكْبرُ مَا حَدثني خَليلي بِشَيءٍ إلاَّ وَقَدْ رأيته وأَنَا أنتظرهُ، قالَ جَعْفَرٌ: بَلَغني أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**إذا سَأَلَكُمْ النَّاسُ عَنْ هٰذا فقولوا: اللّهُ كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، واللّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، واللّهُ كائِنٌ بَعْدَ كُلِّ شَيْء**».

الشرح: **قوله ﷺ**: «**قال الله عز وجل: إن أمتك لا يزالون يقولون: ما كذا، ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله**» وقد أخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «**وقد وجدتموه**»؟ قالوا: نعم. قال: «**ذاك صريح الإيمان**».

وروى مسلم أيضاً من حديث عبد اللّه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة؟ قال: «**تلك محض الإيمان**»[2].

قال الإمام النووي: أما معاني الأحاديث وفقهها، فقوله ﷺ: «**ذلك صريح الإيمان**» و«**محض الإيمان**» معناه: استعظامكم الكلام به، هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به، فضلاً عن اعتقاده، إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت عنه الريبة والشكوك.

وأما قوله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا..**» قيل معناه، أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه، فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه. وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد. فعلى هذا معنى الحديث سبب الوسوسة محض الإيمان، أو الوسوسة علامة محض الإيمان. وهذا القول اختيار القاضي عياض.

---

١٨ ـ [رواه أحمد (٢٦٢٦٣/ ١٠) والبزار (٥٠) وابن حبان (١٥٠) وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٢/ ١) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجاله ثقات].

(١) في مسنده (١٠٩٥٧/ ٣).

(٢) رواه مسلم (١٣٢ و١٣٣).

وقوله ﷺ: «فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته» وقد جاء في أحد طرق هذا الحديث عند مسلم بلفظ: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله» أي فليجدد إيمانه وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومن وسوسته، وليعرض عن هذا الخاطر، وليقل: آمنت بالله الواحد الأحد. الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فالالتجاء إلى الله تعالى لرد هذا الوسواس الشيطاني هو السبيل الوحيد لدفعه وإذهابه.

خاتمة: روى الإمام أحمد[1] وغيره، بإسناد صحيح على شرط الشيخين، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، إني أُحَدِّثُ نَفْسِي بالشيءِ لأنْ أخِرَّ مِنَ السَّماءِ أَحَبُّ إليَّ من أنْ أتكلَّم بهِ.

قال: فقال النبي ﷺ: «اللَّهُ أَكبرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الوَسْوَسَةِ».

٨ ـ باب ما جاء في قَدَرِ من ماتَ ولم تَبْلغهُ الدعوة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

١٩ ـ عَنْ الأَسْودِ بْنِ سَرِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَصَمُّ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ في الفَتْرَةِ. فَأَمَّا الأَصَمُّ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَقَدْ جاءَ الإِسْلَامُ، وَمَا أَسْمَعُ شَيْئاً، وَأَمَّا الأَحْمَقُ، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ وَالصِّبْيانُ يَحْذِفُونَنِي بِالبَعَرِ. وَأَمَّا الهَرِمُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَمَا أَعْقِلُ. وَأَمَا الَّذِي مَاتَ في الفَتْرةِ، فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَاني لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُم لِيُطِيعُنَّهُ، فيُرسِلُ إِلَيهِمْ رَسُولاً أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ» قَالَ: «فوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا، كَانَتْ عَلَيهِمْ بَرْداً وَسَلَاماً» (رواه ابن حبان).

ورواه أحمد بلفظ: «أَرْبَعَةٌ ـ يَحْتَجُونَ ـ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَصَمُّ لاَ يَسْمَعُ شَيئاً، وَرَجُلٌ أَحْمَق وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ في فَتْرَةٍ. فَأَمَّا الأَصَمُّ، فيقولُ: رَبِّ لقد جاءَ [الإسلامُ ومَا أَسْمَعُ شَيْئاً، وأما الأحمقُ فيقولُ: رَبِّ لقد جاءَ الإِسْلامَ والصِّبْيانُ يَحْذِفُونني بالبَعَرِ، وَأَمَّا الهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ لقد جاءَ الإسلامُ وما أعْقِلُ شَيئاً، وأمَّا الذي ماتَ في الفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لك رَسُول. فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فيُرسِلُ إليهم أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ. قال: فوالذي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لو دَخَلُوها، لكانَتْ عَلَيهم بَرْداً وَسَلَاماً».

زاد أحمد في رواية له: «فمن دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيهِ بَرداً وَسَلاماً، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلها يُسْحَبُ إِلَيْهَا».

---

(١) في مسنده (١/٢٠٩٧).

١٩ ـ [رواه أحمد (١٦٣٠١ ـ ٥/١٦٣٠٢) والبزار (٢١٧٤) و (٢١٧٥) وابن حبان (٧٣٥٧) والطبراني في «الكبير» (١/٨٤١) وهو حديث صحيح، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١٩٣٦) وعزاه لأحمد والبزار والطبراني. وذكر أن رجال أحمد والبزار رجال الصحيح. وما بين حاصرتين ـ في رواية الطبراني ـ استدراك من رواية ابن حبان].

ورواه البزار بلفظ: «**يُعْرَضُ عَلَى اللهِ الأَصَمُّ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ شَيْئاً، وَالأَحْمَقُ، وَالهَرِمُ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي الفَتْرَةِ، فَيَقُولُ الأَصَمُّ: رَبِّ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئاً. وَيَقُولُ الأَحْمَقُ: رَبِّ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئاً. وَيَقُولُ الَّذِي مَاتَ فِي الفَتْرَةِ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ مِنْ رَسُولٍ**».

قال البزار: وذهب عني ما قال الرابع. قَالَ: «**فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ. فَيُرْسِلُ إِلَيهِم تَبَارَكَ وَتَعَالى: ادْخُلُوا النَّار، فَوالذِي نَفْسُ مُحمدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا، لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَسَلاَماً**».

ورواه الطبراني بلفظ: «**أَرْبَعَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُدْلُونَ بِحُجَّةٍ، أَصَمُّ لاَ يَسْمَعُ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الفَتْرَةِ. فَأَمَّا الأَصَمُّ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، [جَاءَ الإِسْلاَمُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئاً، وَأَمَّا الأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ جَاءَ الإِسْلاَمُ] وَالصِّبْيَانُ يَقْذِفُونِي بِالبَعَرِ. وَأَمَّا الهَرِمُ، فَيَقُولُ: لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَمَا أَعْقِلُ. وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الفَتْرَةِ، فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي رَسُولُكَ. فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ. فَيُرْسِلُ إِلَيْهِم رَسُولاً أَنِ ادْخُلُوا النَّار**». قَالَ ﷺ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَسَلاَماً**».

القدر: اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، كما الهدمُ والقبضُ والنشرُ، أسماء لما صدر عن فعل الهادم والقابض والناشر. يُقال: قَدَرْتُ الشيء وَقَدَّرْتُ: خفيفة وثقيلة بمعنى واحد.

والقضاء في هذا: معناه الخَلْقُ. كقوله عزَّ وجل: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، أي خلقهن، وإذا كان الأمر كذلك، فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم؛ أفعالهم، وأكسابهم، ومباشرتهم تلك الأمور، وملابستهم إياها عن قصد وتعمُّد وتقديم إرادة واختيار. فالحجة إنما تلزمهم بها، واللائمة تلحقهم عليها.

وجماع القول في هذا الباب، أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء. فمن رام الفَصْلَ بينهما فقد رام هَدْمَ البناء ونقضه.

٩ ـ باب ما يُكتب على العبد في بطن أمه

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

٢٠ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكاً يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ. فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ، قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ». (متفق عليه).

وفي لفظ: «وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكاً فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ؟ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ؟ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ؟ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذٰلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

٢١ ـ وَعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ المَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنِ وَاثِلَةَ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ. فَأَتَى رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذٰلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَىٰ رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكاً، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا».

ثُمَّ قَالَ: «يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ. وَيَكْتُبُ المَلَكُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، رِزْقُهُ. فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ المَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلاَ يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلاَ يَنْقُصُ». (رواه مسلم).

وفي لفظ آخر له: «إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا المَلَكُ» ـ قال زُهيرٌ، وَهُوَ أحد رواةُ الحديث: حَسِبْتُهُ قَالَ: «الَّذِي يَخْلُقُهَا» ـ «فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَىٰ؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَراً أَوْ أُنْثَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ سَوِيّاً أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا رِزْقُهُ؟ مَا أَجَلُهُ؟ مَا خُلُقُهُ؟ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللَّهُ شَقِيّاً أَوْ سَعِيداً».

وفي رواية له أيضاً بلفظ: «يَدْخُلُ المَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَىٰ؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلاَ يُزَادُ فِيهَا وَلاَ يُنْقَصُ»[1].

---

٢٠ ـ [أخرجه أحمد (١٢١٥٨/٤). . . والبخاري (٣١٨) و(٣٣٣٣) و(٦٥٩٥) ومسلم (٢٦٤٦) والآجري في «الشريعة» (ص/ ١٨٤) والبيهقي (٤٢١/٧) وغيرهم].

٢١ ـ [رواه مسلم (٢٦٤٥) والآجري في «الشريعة» (ص/ ١٨٣-١٨٤) واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٠٤٧) وابن حبان (٦١٧٧) واللفظ لمسلم].

(١) رواه أحمد (١٦١٤٢/٥) ومسلم (٢٦٤٤) والحميدي (٨٢٦) والآجري في «الشريعة» (ص/ ١٨٢-١٨٣) واللالكائي (١٠٤٥) و(١٠٤٦) والطبراني في «الكبير» (٣٠٣٦) واللفظ لمسلم.

٢٢ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ـ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ ـ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكاً يُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ.**

فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُم لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ». (متفق عليه).

ورواه أحمد بلفظ: «**إِنَّ أَحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقه فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوماً، ثُمَّ يَكُونَ عَلَقَةً مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضغَةً مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبعِ كَلِمَاتٍ؛ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.**

فوالَّذِي لاَ إِلٰهَ غَيرهُ، إِنَّ أَحَدَكم لَيَعْملُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْملُ بِعَملِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَملِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».

ورواه مسلم بلفظ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً. ثُمَّ يَكُونُ فِي ذٰلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذٰلِكَ. ثُمَّ يَكُونُ فِي ذٰلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذٰلِكَ. ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ. وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ.**

فَوَالَّذِي لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ! إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ. فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ. فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إِلاَّ ذِرَاعٌ. فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ. فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَيَدْخُلُهَا».

٢٣ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخلُقَ نَسَمَةً، قَالَ مَلَكُ الأَرْحَامِ معرضاً: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثىٰ؟ فيَقُولُ. فَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرَهُ. ثُمَّ**

---

٢٢ ـ [رواه أحمد (٣٦٢٤/٢) والبخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣) وأبو داود (٤٧٠٨) والنسائي في «الكبرى» (١١٢٤٦) وابن ماجه (٧٦) والطيالسي (٢٩٨) وعبد الرزاق (٢٠٠٩٣) والحميدي (١٢٦) والشاشي (٦٨٠) وغيرهم. واللفظ الأول للبخاري].

٢٣ ـ [رواه أبو يعلى (٥٧٧٥) والبزار (٢١٤٩) وابن حبان (٦١٧٨) وإسناده صحيح على شرط مسلم. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٨٠٨/٧) وقال: رواه أبو يعلى والبزار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح: اهـ. وأورده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٢٩١٨) وعزاه لأبي يعلى].

يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقْضِي اللَّهُ أَمره ثُمَّ يُكْتَبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا هُوَ لاَقٍ حَتَّى النَّكْبَة يُنْكَبُهَا» (رواه أبو يعلى).

ورواه البزار بلفظ: **«إِذَا خُلِقَت النُّطْفَةُ في الرَّحم، قَالَ مَلَكٌ؛ أَيْ رَبِّ، مَا أَكْتُبُ؟ فَيَقْضِي إِلَيْهِ أَمرهُ. فيقولُ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثى؟ فَيَقْضِي إِلَيْهِ أَمرهُ، فَيَكْتُبُ، فَيَقْضِي مَا هُوَ لاَقٍ حَتَّى يَمُوتُ، حَتَّى النَّكْبَة يُنْكَبُهَا»**.

٢٤ ـ وَعَنْ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَخلُقَ الخَلْقَ، يَبْعَثُ مَلَكاً، فَيَدْخُلُ الرَّحِمَ، فَيَقُولُ: يَارَبِّ، مَاذَا؟ فَيَقُولُ: غُلامٌ أَوْ جَارِيَةٌ؟ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهَ أَنْ يَخْلُقَ في الرَّحِمِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَم سَعِيدٌ؟ فَيَقُولُ: شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا أَجَلُهُ مَا خَلاَئِقُهُ؟ فَيَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَيَقولُ: يَا رَبِّ، مَا رِزْقُهُ؟ فَيَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ مَا خُلُقُهُ مَا خلاَئِقُهُ، فَمَا مِنْ شَيءٍ إِلاَّ وَهُوَ يُخْلَقُ مَعَهُ في الرَّحِمِ»** (رواه البزار).

الشرح: قوله ﷺ: «إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكاً، يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة» المراد أن الله تعالى قد أحكم أمر كل شيء، ووكل للأجنة ملائكة تقوم على أمرها. وهو القادر عليها سبحانه من غير ملك ولا معين ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨١ و٨٢]، ولكن لله في خلقه شؤون ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قوله ﷺ: «فإذا أراد أن يقضي خلقه» أي فإذا أراد الله تعالى أن يتمم خلق هذا الجنين **«قال»** أي الملك الموكل بالرحم **«أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه»** أي فيكتب كل ذلك والجنين في بطن أمه. والمراد بالشقاء والسعادة هنا، الكفر والإيمان، فإما أن يطبع كافراً وإما أن يطبع مؤمناً، فالأمر لله العليم الحكيم، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«فرغ الله إلى كل عبد من خمس، من أجله، ورزقه، وأثره وشقي أم سعيد»** وهو حديث صحيح.

وقوله ﷺ: «إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون يوماً، بعث الله إليها ملكاً، فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها. . .» الحديث. وفيه التصريح بمدة نفخ الروح في الجنين، وكذلك ما جاء في الرواية الثانية **«إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتصور عليها الملك الذي يخلقها، فيقول يا رب: أذكر أم أنثى. . .»** الحديث. وكذلك الرواية الثالثة **«يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة** ـ الشك من رواي الحديث ـ **فيقول: يا رب، أشقي أو سعيد، فَيُكْتَبَانِ»** أي فَيُكْتَبُ لَهُ ما قُدِّرَ من شقاءٍ أو سعادةٍ[1].

---

٢٤ ـ [رواه البزار (٢١٥١) وإسناده صحيح، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٨١٠/٧)، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، وهو كما قال].

(١) كذلك فقد أوضحت التقارير الطبية الحديثة، والتي اعتمدت على تصوير عملية التلقيح منذ بدايتها حتى =

١٠ ـ باب في فضل الإيمان
وأنه مهما تضاءل في قلب العبد، فإنه منجي من النار

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

٢٥ ـ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّار، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخرِجُوا مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِن إِيمَانٍ. فَيُخرَجُونَ مِنهَا قَدْ اسْوَدُّوا، فَيُلقَوْنَ في نَهرِ الحَيَاءِ ـ أَوْ ـ الحَيَاةِ. فَيَنبِتُونَ كَما تَنبُتُ الحِبَّةُ في جَانِبِ السَّيلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخرُجُ صَفراءَ مُلتَوِيَةً»**.

ورواه مسلم بلفظ: **«يُدْخِلُ اللَّهُ أَهلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يُدخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ. وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُم في قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِن إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَماً قَدِ امْتَحَشُوا. فَيُلْقَوْنَ في نَهْرِ الحَيَاةِ ـ أَوْ ـ الحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ إِلى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»**.

الشرح: قوله ﷺ: «ثم يقول اللّه تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان» قال الخطابي: هو مَثَلٌ ليكون عِياراً في المعرفة، لا في الوزن، لأن ما يشكل في المعقول يُرَدُّ إلى المحسوس لِيُفْهم اهـ.

وقوله ﷺ: «فيخرجون منها قد اسودوا» وذلك من شدة الاحتراق في نار جهنم ـ أجارنا الله منها ـ وفي الرواية الثانية: **«فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا»** أما الحمم ـ بضم الحاء وفتح الميم المخففة ـ فهو الفحم. وفيه إشارة إلى شدة ما عانوه وتعرضوا له من الاحتراق بالنار، مما جعل السواد يصل إلى داخل أجسامهم. فإنه لا يُطلق على الفحم إلا إذا وصل السواد إلى جميع أجزاء الخشب، ويؤيده قوله ﷺ: **«قد امتحشوا»** أي قد احترقوا تماماً حتى وصل الحرق إلى داخلهم.

= عملية الوضع، أن حركة الجنين إنما تبدأ مباشرة بعد مرور أربعين يوماً بالتمام من عملية التلقيح وهذا مما يدل على أن نفخ الروح بالجنين قد حصل.

وقد قدم أحد الاطباء المتخصصين في علم الأجنة، بحثاً في ذلك مقروناً بتصوير حي لذلك الأمر مما زاده وضوحاً وجلاء قدمه إلى مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي انعقد بموسكو بقاعة «غورباتشوف» للمؤتمرات العالمية. حيث أنه حضر هذا المؤتمر جمعاً غفيراً من علماء الأرض من شتى الديانات والجنسيات.

٢٥ ـ [رواه أحمد (٤/١١٧٤٦) والبخاري (٢٢) ومسلم (١٨٤) وابن ماجه (٤٣٠٩) وابن منده في «الإيمان» (٨٢١) وابن حبان (١٨٢) و(٢٢٢) والترمذي (٢٥٩٨) واللفظ الأول للبخاري].

وقوله ﷺ: **«فيلقون في نهر الحياء ـ أو ـ الحياة»** وعند مسلم: **«في نهر الحياة أو الحيا»** هكذا وقع بالشك. ووقع عند ابن حبان وغيره **«فيلقون في نهر الحياة»** تحديداً. ووقع عند ابن حبان أيضاً بلفظ: **«فيلقون في نهر الجنة»** بإسناد على شرط البخاري. قال النووي: ثم إن «الحيا» هنا مقصور، وهو المطر، سمي حيا، لأنه تحيا به الأرض، ولذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون، وتحدث فيهم النضارة، كما يُحدث ذلك المطر في الأرض.

وقوله ﷺ: **«فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل»** الحبة ـ بكسر الحاء ـ بزور البقول، وحب الرياحين، وقيل: هو نبت صغير ينبت في الحشيش، فإذا استقرت على جانب السيل حِبَّة، فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليها بعد إحراق النار لها.

* * *

٢ ـ كتاب التوحيد

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

١ ـ باب في وجوب الإيمان بوحدانية الله تعالى، وأنه الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

٢٦ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبني ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذٰلِكَ، وَشَتَمني وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَني كَمَا بَدَأَني، وَلَيسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاي، فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لي كُفُواً أَحَدٌ»**. (رواه البخاري).

ورواه النسائي في «الكبرى» بلفظ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كَذَّبني ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يُكَذِّبني، وَشَتَمني ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغي أَنْ يَشْتُمني. أَمَا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لاَ أُعِيدُهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَلَيسَ آخِرُ الخَلْقِ بِأَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ أَوَّلِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً، وَأَنَا اللَّهُ أَحَدٌ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لي كُفُواً أَحَدٌ»**.

ورواه أحمد بلفظ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كَذَّبني عَبْدِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذٰلِكَ. وَشَتَمني وَلَمْ يَكُنْ لَهُ**

---

٢٦ ـ [رواه أحمد (٨٢٢٠ ـ ٩١٢٥/ ٣) والبخاري (٣١٩٣) و(٤٩٧٤) و(٤٩٧٥) والنسائي في «المجتبى» (٢٠٧٧) وفي «الكبرى» (١١٣٣٨/ ٦) و(٢٢٠٥) و(١٧٦٦٧) وابن منده في «الإيمان» (١٠٧٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٩٣) وابن حبان (٢٦٧) و(٨٤٨) والبغوي في «شرح السنة» (٤١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥٠٦). واللفظ الأول للبخاري].

ذٰلِكَ، تَكْذِيبُه إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: فَلَنْ يُعيدُنَا كَما بَدَأَنَا، وَأَمَّا شَتْمُه إِيَّايَ يَقُولُ: اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً، وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُواً أَحَدٌ».

ورواه أحمد أيضاً بلفظ: «يَقُولُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي. أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، قَوْلُه: إِنَّ لِي وَلَداً، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: قَوْلُهُ، لَنْ يُعيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي».

ورواه ابن حبان بلفظ: «قَالَ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي، وَيَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، أَوَلَيْسَ أَوَّلُ خَلْقٍ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً. وَأَنَا اللّٰهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُواً أَحَدٌ».

٢٧ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللّٰهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذٰلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذٰلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ، فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ اتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَداً». (رواه البخاري).

الشرح: قوله جل وعلا: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني» وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩].

وقوله جل وعلا: «وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته» وفي رواية ابن عباس «فأما تكذيبه إياي، فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان» وهو نحو قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣ ـ ٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. قال الربيع بن خُثيم، والحسن البصري رحمهما الله تعالى: كل عليه هين. أي البدء والإعادة والمراد أن لا شيء يعظم على الله تعالى. قال الزجاج رحمه الله تعالى: خُوطب العباد بما يعقلون، لأن عندهم أن البعث أهون من الابتداء فجعله مثلاً، وله المثل الأعلى. اهـ. قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨١ ـ ٨٣].

قوله جلا وعلا: «وأنا الصمد» قال أبو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه، الصمد: هو السيد الذي انتهى سؤدده. اهـ. والعرب تسمي أشرافها: الصمد.

وقوله جل وعلا: «لم ألد» وهو نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي لم يتخذ ولداً، وليس له أبناء وبنات، فكما هو متصف بالكمالات، منزه عن النقائص. قال أهل العلم: في الآية ردٌ على كل من جعل لله ولداً، كاليهود والنصارى، حيث قال الله تعالى إخباراً عنهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ

---

٢٧ ـ [رواه البخاري في «التفسير» (٤٤٨٢)].

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠ ـ ٣١]. وكذلك زعم مشركي العرب بأن الملائكة بنات الله. قال تعالى إخباراً عنهم ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]. فردَّ الله تعالى على الجميع في أنه ليس له ولد، لأن الولد لا بدَّ أن يكون من جنس والده، والله تعالى أزلي قديم، ليس كمثله شيء، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقوله جل وعلا: «ولم أولد» وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي ولم يولد من أب ولا أم. لأن كل مولود حادث، والله تعالى قديم أزلي، فلا يصح أن يكون مولوداً ولا أن يكون له والد. وقد نفت الآية عنه تعالى إحاطة النسب من جميع الوجوه، فهو الأول الذي لا ابتداء لوجوده، القديم، الذي كان ولم يكن معه شيء غيره.

وقوله عز وجل: «ولم يكن لي كفوا أحدا» وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي وليس له جلا وعلا مثيل، ولا نظير، ولا شبيه أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدَّس وتنزه. سبحانه وتعالى عما يقول الضالون علواً كبيراً.

روى الترمذي(١) من طريق الربيع عن أبي العالية، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ، فَقَالُوا: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ. قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِهٰذِهِ السُّورَةِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

٢ ـ باب في فضل ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأنها منجية

قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

٢٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ

---

(١) في جامعه (٣٣٦٥).

٢٨ - [رواه أحمد (٦٩٩٤ ـ ٧٠٦٦/ ٢)والترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) والحاكم (١٩٣٧/ ١) وابن حبان (٢٢٥) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٢١) وإسناده صحيح].

وتِسْعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هٰذا شَيْئاً؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ قَالَ: لاَ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَك عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لاَ ظُلْمَ اليومَ عَلَيْكَ. فتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلا اللَّهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هٰذه البِطَاقَة مَعَ هٰذِهِ السجلَّاتِ؟! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فتُوضَعُ السجلَّاتُ في كِفَّة، قَالَ: فَطَاشَتِ السجلَّاتُ، وثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، وَلاَ يَثْقُلُ شيءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ». (رواه أحمد).

ورواه ابن ماجه بلفظ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي، يَوْمَ القِيَامَةِ عَلى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ. فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلاً. كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البَصَرِ. ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هٰذا شَيْئاً؟ فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عَنْ ذٰلِكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ. فَيَقُولُ: بَلى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ. فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فيها: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هٰذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هٰذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ. فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ في كِفَّةٍ. فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ».

ورواه ابن حبان بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتي عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ. فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ شَيْئاً مِن هٰذا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، وَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ. فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فيها: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هٰذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هٰذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتِ في كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ في كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ. قَالَ: فَلا يَثْقُلُ اسْمَ اللَّهِ شَيْءٌ».

٢٩ ـ وَعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخرجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ ما يَزِنُ شَعِيرَةً، أَخرِجُوا من النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ ما يَزِنُ ذَرَّةً، أخرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قال: لا إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً». (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: «**يستخلص رجلاً..**» أي يخرجه من بينهم ويميزه عن غيره. وفي رواية ابن ماجه «**يصاح برجل من أمتي**» وهذا ليسمع أهل المحشر باسمه وليستبين فضله على غيره وأما رواية ابن حبان: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي**» المراد به أنه سيخلصه من عذاب الموقف وما بعده، إن كان من أهل الشقاوة.

---

٢٩ ـ [رواه أحمد (١٢٧٧٢/ ٤) والترمذي (٢٦٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال. واللفظ لأحمد].

وقوله ﷺ: «فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً» السجل ـ بالكسر ـ بكسر السين، وتشديد اللام مع التشديد ـ الكتاب الكبير.

وقوله ﷺ: «فيبهت الرجل» أي يسكت متحيراً مذهولاً مدهوشاً، لعظم ما هو به أمام رب العزة جل وعلا. يقال: بُهت الخصم: استولت عليه الحجة. وفي التنزيل ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، أي انقطع وسكت متحيراً.

وقوله ﷺ: «فطاشت السجلات» أي ارتفعت لخفتها وقلة وزنها.

وأما قوله جل وعلا: «اخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، من كان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّه» أي ما يزن مقدار حبة القمح. والبرُّ ـ بالضم ـ الحنطة. وتسميته بذلك لكونه أوسع ما يُحتاج إليه من الغذاء. قال ابن الوريد: البُرُّ، أفصح من قولهم: القمح والحنطة، واحدته بُرَّةٌ. وفي الحديث فضل من مات وفي قلبه لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٣ ـ باب في فضل التهليل والتحميد والحوقلة

٣٠ ـ عَنِ الأَغَرِّ، أَبِي مُسْلِمٍ؛ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ. قَالَ صَدَقَ عَبْدِي. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي. وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. قَالَ صَدَقَ عَبْدِي. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا. وَلاَ شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا. لِيَ الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ. وإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِي»**.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الأَغَرُّ شَيْئاً لَمْ أَفْهَمْهُ. قَالَ فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ. (رواه ابن ماجه).

ومعنى «ولا حول» أي: ولا تحول من حال إلى حال. يُقَال: أحال الشيء. تحول من حال إلى حال، أو أحال الرجل، تحول من شيء إلى شيء.

٤ ـ باب في فضل التوحيد، وما جاء في التحذير من الشرك

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١].

---

٣٠ ـ [رواه ابن ماجه في الأدب (٣٧٩٤) وإسناده حسن، وسيأتي مع شرحه].

٣١ ـ وَعَنْ أنس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَرَأَيتَ لَوْ كانَ ما عَلى الأَرْضِ مِن شَيْءٍ أَكُنتَ مُفْتَدِياً بِهِ؟». قال: «فيقولُ نَعَم». قال: «فيقولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذٰلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ في ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً فأَبَيْتَ إلا أَنْ تُشْرِكَ بِي». (متفق عليه).

وفي رواية للبخاري أيضاً بلفظ: «إن الله يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا في الأَرْضِ مِنْ شَيءٍ كُنتَ تَفْتَدي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِن هٰذا وأنتَ في صُلبِ آدمَ: أَنْ لا تُشرِكَ بي، فَأَبَيتَ إِلاَّ الشِّرْكَ».

ورواه مسلم بلفظ: «يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَرَأَيتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذٰلِكَ».

وفي رواية له بمثله. غير أنه قال: «فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ. قَدْ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذٰلِكَ».

وفي رواية: «يُؤتى بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فيقولُ لَهُ: يا ابْنَ آدمَ، كيفَ وَجَدْتَ منزلَكَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، شَرَّ مَنْزِلٍ، فيقولُ: أتفتدي مِنْهُ بِطَلاعِ الأَرْضِ[1] ذَهَباً؟ فيقولُ: نَعَمْ أيْ ربِّ، فيقولُ: كَذَبْتَ، قد سُئِلْتَ مَا هُوَ أهونُ مِن ذٰلكَ فَيُرَدُّ إلى النَّارِ».

وفي رواية عند أحمد وغيره بلفظ: «يُؤتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: يا ابْنَ آدَمَ كَيفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيقُولُ: أَيْ رَبِّ خَيرَ مَنْزِلٍ فَيقولُ لَهُ: سَلْ وَتَمَنَّهْ فيقولُ: ما أسألُ وَأَتَمنَّى إلا أَنْ تَرُدَّني إلى الدُّنيا فَأُقْتَلَ لما رأى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ». قال: «ثُمَّ يُؤْتَى بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيقولُ لَهُ: يا ابْنَ آدَمَ، كَيفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فيقولُ: أيْ رَبِّ شَرَّ مَنْزِلٍ فَيقولُ: أَتَفْتَدِي مِنْهُ بِطلاعِ الأَرْضِ ذَهَباً؟ فَيقولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ فيقولُ: كَذَبْتَ قَدْ سَأَلْتُكَ ما هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ فَيُرَدُّ إِلى النَّارِ»[2].

الشرح: قوله جل وعلا: «فقد سألتك ما هو أهون من هذا» وقوله جل وعلا: **«قد كنت سُئلت ما هو أيسر من ذلك»** أي قد كنت طلبت منك، وأمرتك.. وهو يفسر قوله جل وعلا في الرواية الثانية **«قد أردت منك...»** ذلك أنه يستحيل عند أهل الحق أن يريد الله تعالى شيئاً فلا يقع. قال الإمام النووي: ومذهب أهل الحق؛ أن الله تعالى مريد لجميع الكائنات خيرها وشرها، ومنها الإيمان، والكفر، فهو سبحانه وتعالى، مريد لإيمان المؤمن، ومريد لكفر الكافر، خلافاً للمعتزلة.

---

٣١ ـ [رواه أحمد (١٢٢٩١/ ٤) والبخاري (٣٣٣٤) و(٦٥٣٨) و(٦٥٥٧) ومسلم (٢٨٠٥) وأبو يعلى (٢٩٢٦) و(٢٩٧٦) و(٣٠٢١) و(٤١٨٦) وابن حبان (٧٣٥٠) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣١٥/ ٢) وغيرهم. وسيأتي].

(١) **طلاع الأرض:** ما طلعت عليه الشمس. وقيل: ملؤها حتى يطالع أعلاه أعلاها فيساويه.

(٢) رواه أحمد (١٣٥١١/ ٤) والنسائي (٣١٦٠) والحاكم (٢٤٠٥/ ٢) وصححه على شرط مسلم. وهو كما قال.

وقوله ﷺ: «**فيقال له: كذبت، قد سئلت ما هو أيسر من ذلك**» قال النووي: الظاهر أن معناه، أن يقال له: لو رددناك إلى الدنيا، وكانت لك كلها، أكنت تفتدي بها؟ فيقول: نعم، فيقال له: كذبت، قد سئلت أيسر من ذلك فأبيت، ويكون هذا من معنى قوله تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. ولا بد من هذا التأويل ليجمع بينه، وبين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٤٧]. أي، لو كان لهم يوم القيامة ما في الأرض جميعاً، ومثله معه، وأمكنهم الافتداء، لافتدوا. والله تعالى أعلم. اهـ.

قوله جل وعلا: «**سل وتمنى**». أي اسألني ما يخطر ببالك من المشتهيات أعطك، وتمنى علي أمنياتك التي كنت تتمناها اجعلها بين يديك على الفور.

قوله ﷺ: «فيقول: ما أسأل وأتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأُقتل في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة» وقد جاء عند أحمد في «المسند» بإسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**ما من أهل الجنة أحد يَسُرُّهُ أن يرجع إلى الدنيا وله عشر أمثالها إلا الشهيد، فإنه يود أنه يرجع إلى الدنيا، فيستشهد عشر مرات لما رأى من الفضل**»[1].

وقوله جل وعلا: «**أتفتدي بطلاع الأرض ذهباً**». أي أتفتدي نفسك من النار، بقدر ما كانت تطلع عليه الشمس ذهباً؟ وقيل: طلاع الأرض: ملؤها حتى يطالع أعلاه أعلاها فيساويه.

٥ ـ باب حال أهل التوحيد يوم العرض على الله تعالى، وإخراج من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان من النار

٣٢ ـ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أُناساً في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرى رَبَّنا يَوْمَ الْقِيامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَعَمْ هَلْ تُضارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٍ لَيسَ فِيهَا سَحابٌ؟**» قَالُوا: لاَ. قَالَ: «**وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ الْبَدْرِ ضَوْءٍ لَيسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لاَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا تُضارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ إلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيرَ الله مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصاب إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.**

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ الله، فَيُقالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ الله مِنْ صاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ

(١) مسند أحمد (١٤٠٨٥/٤).

٣٢ ـ [أخرجه أحمد (١١١٢٧/٤) والبخاري (٢٢) و(٤٥٨١) و(٤٩١٩) و(٦٥٦٠) و(٦٥٧٤) و(٧٤٣٨) و(٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) والترمذي (٢٦٠٧) والنسائي (٥٠٢٥) وابن ماجه (١٧٩) وابن منده في «الإيمان» (٨١٦) وأبو يعلى (١٠٠٦) وابن حبان (٧٣٧٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص/١٦٩-١٧٤) وغيرهم].

فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا فَيُشارُ أَلاَ تَرِدونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّها سَرابٌ، يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.

ثُمَ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: ما كُنتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ الله فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ الله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ.

حتَّى إذا لَمْ يَبْقَ إلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لاَ نُشْرِكُ بِالله شَيْئاً» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً. (متفق عليه).

وفي رواية لأحمد من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سَعيدٍ الخُدْري، قَالَ: سَأَلنا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: **«هَلْ تُضارُّون في الشَّمْسِ لَيْسَ دُونها سَحابٌ؟»** قال: قلنا: لا. قال: **«فَهَلْ تُضَارُّونَ في القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سحاب؟»** قال: قلنا: لا. قال: **«فإنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَجْمَعُ الله الناسَ يَوْمَ القِيَامَةِ في صَعِيدٍ واحِدٍ»**. قال: **«فَيُقَالُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ»** قال: **«فَيَتْبَعُ الَّذِينَ كانوا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، فَيَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ، وَيَتْبَعُ الَّذِينَ كانُوا يَعْبُدُونَ القَمَرَ القَمَرَ، فَيَتَسَاقَطُونَ في النارِ، وَيَتْبَعُ الَّذِينَ كانوا يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ الأَوْثَانَ، والَّذِينَ كانوا يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ الأَصْنَامَ، فَيَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ»** قال: **«وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَنْ دُونَ الله حَتَّى يَتَسَاقَطُوا في النَّارِ»**.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«فَيَبْقَى المُؤْمِنُونَ وَمُنَافِقُوهُمْ بَيْنَ ظَهْرَيْهِمْ وَبَقَايَا أَهْلِ الكِتَابِ»**. وقللهم بيده قال: **«فيأتِيهِمُ الله عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: ألا تَتْبَعُونَ ما كُنتُمْ تَعْبُدُونَ»** قال: **«فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الله، وَلَمْ نَرَ الله فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ، فلا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَسْجُدُ لله إلاَّ وَقَعَ ساجداً، ولا يَبْقَى أَحَدٌ كانَ يَسْجُدُ رِيَاءً وَسُمْعَةً، إلاَّ وَقَعَ على قَفَاه»**.

قال: **«ثم يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ والأَنْبِياءُ بناحِيَتَيْهِ، قَوْلُهُمْ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وإِنَّهُ لَدَحْضٌ مَزِلَّةٌ وإنه لَكَلالِيبُ وَخَطاطِيفُ»** قال عبد الرحمن ـ وهو أحد رواة الحديث ـ ولا أدري لعله قد قال: **«تَخْطَفُ النَاسَ وَحَسَكَةٌ تَنْبُتُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَها السَّعْدان»** قال: وَنعتها لهم.

قال: **«فأكُونُ أنا وأُمّتِي لأَوَّلَ مَنْ مَرَّ أَوْ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ»** قال: **«فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ البَرْقِ وَمِثْلَ الرِّيحِ وَمِثْلَ أجاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُكَلَّمٌ وَمَكْدُوسٌ في النَّارِ، فإذا قَطَعُوهُ أَوْ فإذا جَاوَزُوه فما أَحَدُكُمْ في حَقٍّ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ لَهُ بأَشَدَّ مُنَاشَدَةً مِنْهُمْ في إِخْوانِهِمُ الَّذِينَ سَقَطُوا في النَّارِ، يَقُولُونَ: أَيْ رَبِّ كُنَّا نَغْزُو جَمِيعاً وَنَحُجُّ جَمِيعاً وَنَعْتَمِرُ جَمِيعاً فَبِمَ نَجَوْنَا اليَوْمَ وَهَلَكُوا؟»**.

قال: **«فَيقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ زِنَةُ دِينَارٍ من إيمانٍ فأخرجُوه»** قال: **«فَيُخرَجُونَ»** قال: **«ثم يقولُ: «مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ زِنَةُ قِيراطٍ مِن إيمانٍ فَأَخرِجُوهُ»** قَالَ: **«فَيُخرَجُونَ»** قَالَ: **«ثُمَ يَقُولُ: مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ فَأَخْرِجُوهُ»** قَالَ: **«فَيُخْرَجُونَ»**.

قال: ثم يقول أبو سعيد: قال عبد الرحمن وأظنه يعني قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال: **«فَيُخرجُونَ من النَّارِ فَيُطرحونَ في نهرٍ يُقال لَهُ نَهرُ الحَيَوان، فَيَنْبُتُونَ كما تنبتُ الحبُّ في حَميلِ السيل، ألاَ ترون ما يكونُ من النبت إلى الشَّمسِ يكونُ أخضرَ وما يكونُ إلى الظّلّ يكونُ أصفر»** قالوا: **«يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كُنتَ رَعَيتَ الغَنَمَ؟»** قَالَ: **«أَجَلْ قد رعيتُ الغَنَمَ»**.

٣٣ ـ وعن معبد بن هلال العنزي قَالَ: اجْتَمَعْنا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنا إِلى أَنَسِ بْنِ مالِكٍ وَذَهَبْنا مَعَنا بِثَابِتٍ الْبُنَانِيُّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنا عَنْ حَدِيثِ الشَّفاعَةِ: فَإذا هُوَ في قَصْرِهِ فَوافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحى، فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلى فِرَاشِهِ فَقُلْنا لِثَابِتٍ: لاَ تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفاعَةِ فَقالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ هؤلاءِ إِخْوانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاؤُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ؟ فَقالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: **«إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ في بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَها، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبراهيمَ فَإِنَّهُ خليلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبراهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَها وَلَكِنْ عَلَيْكُم بِمُوسى فَإِنَّهُ كليمُ الله، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسى، فإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمتُهُ، فَيَأْتُونَ عيسى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أنا لَهَا. فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لي وَيُلْهِمُنِي مَحامِدَ أَحْمَدُهُ بها لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ ساجِداً فَيُقالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.**

فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعيرَةٍ مِنْ إِيمانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ ساجِداً فَيُقالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتي، فَيُقالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقالَ ذَرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ ساجِداً فَيُقالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ أدنى أدنى مِثْقالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدلٍ مِنْ إِيمانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النارِ، فأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوارٍ في مَنْزِلِ أَبي خَلِيفَةَ بِما حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنا فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ ما حَدَّثَنَا في الشَّفَاعَةِ فَقَالَ: هيهِ فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهى إلى هَذا الْمَوْضِعِ فَقالَ: هيهِ، فَقُلْنا لَمْ يَزِدْ لَنا عَلى هَذا فَقالَ: لَقَدْ حَدَّثَني وَهُوَ جَميعٌ مُنْذُ عِشْرينَ سَنَةً فَلا أَدْري أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا؟ فَقُلْنَا يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدَّثْنَاهُ فَضَحِكَ وَقالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ما ذَكَرْتُهُ إِلاَّ وَأَنَا

---

٣٣ ـ [أخرجه أحمد (١٢١٥٤/٤) والبخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣) والترمذي (٢٦٠٢) وابن ماجه (٤٣١٢) والطيالسي (١٩٦٦) وأبو يعلى (٢٨٨٩) وأبو عوانة (١٨٤/١) وابن حبان (٧٣٧٨) وغيرهم، وسيأتي].

أُرِيدُ أُحدِّثُكُمْ حَدَّثَني كَما حَدَّثْتُكُمْ بِهِ، قَالَ: «ثُمَّ أعُودُ الرابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ ثُمَّ أخِرُّ لَهُ سَاجِداً فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ: يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ الله فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي وَكِبْرِيائي وَعَظَمتي لأخرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ الله». (متفق عليه).

٣٤ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرىٰ رَبَّنا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَضَارُّونَ في القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ»؟ قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ تُضارُّون في الشَّمْسِ لَيسَ دُونَها سَحابٌ»؟ قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّه.

قَالَ: «فَإِنَّكُم تَرَوْنَهُ كَذٰلِكَ. يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ. فَيَتْبَعُ مَنْ كانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ. وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ. وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّواغِيتَ الطَّواغِيتَ. وَتَبْقَى هٰذِهِ الأُمَّةُ فِيها شَافِعُوهَا ـ أَوْ ـ مُنَافِقُوهَا ـ شكّ الراوي ـ فَيَأْتِيهُم اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُم فَيقُولُونَ: هٰذا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهُم اللّهُ في صُورَتِهِ الَّتي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُم فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتْبَعُونَهُ.

وَيُضْرَبُ السِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا. وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ.

وفي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُم السَّعْدانَ»؟ قَالُوا: نَعَمْ، يا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إلاَّ اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمالِهِمْ. فَمِنْهُم المُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ المُخَرْدَلُ، ـ أو ـ المُجَازىٰ» أو نحوه. شك الراوي.

ثُمَّ يَتَجَلَّىٰ حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ اللّه. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابنَ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللّه عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتُحِشُوا. فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَياةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تُنْبُتُ الْحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ.

ثُمَّ يَفْرُغُ اللّه مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، هُو آخِرُ أَهْلِ النَّارُ دُخُولاً الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُها، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا فَيَدْعُو اللّه مَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوه، ثُمَّ يَقُولُ اللّه: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذٰلِكَ أَنْ تَسْأَلَني غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا. وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ما شاءَ.

فَيَصْرِفُ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآها سَكَتَ مَا شاءَ اللّه أَنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ

---

٣٤ ـ [رواه أحمد (٣/٧٩٣٠) والبخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) والنسائي في «الكبرى» (١١٤٨٨) وغيرهم، وسيأتي في صفة القيامة، واللفظ لأحمد].

يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْني إِلى بَابَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّه لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطَيتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَني غَيرَ الَّذي أُعْطَيتَ أَبَداً؟ وَيلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ما أَغْدَرَكَ.

فَيَقُولُ: أَي رَبِّ، وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ أَنْ أُعطيت ذلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ وَيُعْطِي ما شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ فَيُقَدِّمُهُ إِلى باب الجَنَّةِ، فَإِذا قَامَ إِلى بابِ الجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى ما فِيها مِن الحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شاءَ اللَّه أَنْ يَسْكُتَ.

ثُمَ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْني الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللَّه: أَلَسْتَ قَدْ أعطَيتَ عُهُودَكَ وَمَواثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيرَ ما أُعطيتَ؟ فَيَقُولُ: وَيلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَيَقَالُ أَيْ رَبِّ لا أَكُونَ أَشْقىٰ خَلْقِكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتى يَضْحَكَ اللَّه مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ ادْخُلِ الجَنَّةَ فَإِذَا دَخَلَها قَالَ اللَّه لَهُ: تَمَنَّهْ فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنى حَتَّى إنَّ اللَّه لَيُذَكِّرُهُ يَقُولُ: كَذا وكَذا حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمانِيُّ قَالَ الله ذلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». (متفق عليه).

الشرح: **قوله رضي الله عنه:** (أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هل تضارون في القمر ليلة البدر»** معناه، أن أهل الجنة، إذا امتنّ الله عليهم برؤيته سبحانه، تجلى لهم ظاهراً، بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً ولا يضره ولا يزاحمه ولا يجادله، كما يُفعل عند رؤية الأهلة، بل كالحال عند رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه.

وقد حكي: ضاررته مضارة، إذا خالفته. وقد روى **«تضامّون»** والقول فيه رواية ومعنى كالقول في **«تضارون»** غير أن **«تضامّون»** بالتشديد، من المضامّة، وهي الازدحام، أي لا تزدحمون عند رؤيته تعالى، كما لا تزدحمون عند رؤية الأهلة. وأما بالتخفيف، فمن الضيم، وهو الذُل، أي: لا يذلّ بعضكم بعضاً بالمزاحمة والمنافسة والمنازعة. قاله القرطبي في «المفهم». وقال:

وقوله ﷺ: «فإنكم ترونه كذلك» هذا تشبيه للرؤية ولحالة الرائي، لا المرئي. ومعناه: أنكم تستون في رؤية الله تعالى، من غير مُضارّة ولا مزاحمة كما تستون في رؤية الشمس والبدر عياناً. اهـ.

وقوله ﷺ: «فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر» قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: في التنصيص على ذكر الشمس والقمر مع دخولهما فيمن عُبد من دون الله التنويه بذكرهما لعظم خلقهما.

وقوله ﷺ: «ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت» الطواغيت: جمع طاغوت، وهو كل من عُبد من دون الله تعالى، شيطاناً كان أو صنماً أو شخصاً أو رمزاً. قال الطبري: الصواب عندي، أنه كل طاغ طغى على الله يُعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عُبد وإما بطاعة ممن عبد إنساناً كان أو شيطاناً أو حيواناً أو جماداً. قال: فاتباعهم لهم حينئذ باستمرارهم على الاعتقاد فيهم، ويحتمل أن يتبعوهم بأن يساقوا إلى النار قهراً.

وقوله ﷺ: «فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا

عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون. فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه» قال الإمام الخطابي: هذه الرؤية غير التي تقع في الجنة إكراماً لهم، فإن هذه للامتحان، وتلك لزيادة الإكرام، كما جاء عند مسلم، من حديث صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار! قال: فَيَكْشِفُ الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»**(١).

وقوله ﷺ: **«ويضرب السراط بين ظهري جهنم»** أي يُمد الصراط من أرض المحشر فوق جهنم إلى قنطرة الجنة.

وقوله ﷺ: **«فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها»** معناه يكون أول من يمضي عليه ويقطعه. قال الأصمعي: أجزته: قطعته، وجزته: مشيت عليه.

وقوله ﷺ: **«فمنهم الموبق بقي بعمله»** أي أهلكه عمله. **والموبقات**: المهلكات التي توقع صاحبها في النار، والمراد هنا: فمنهم الهالك في النار الذي أُهلك بعمله.

وأما **المخردل**: فهو المرميُّ المصروع، وقيل: المُقَطَّعُ تُقَطِّعهُ كلاليب الصراط، حتى يهوي في النار، يُقال: خردلت اللحم، أي فصَّلت أعضاءه وقطعته. قاله ابن الأثير.

وقوله ﷺ: **«فيخرجون من النار قد امتحشوا»** أي احترقوا واسودوا تماماً حتى أصبحوا كالفحم.

وقوله ﷺ: **«فينبتون تحته»** أي لماء الحياة. وفي رواية أبي سعيد عند مسلم: **«فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة ـ أو ـ الحيا، فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية»**(٢) أي منحنية. والمراد بالحبة، بزر البقول والعشب، تنبت في البراري وجوانب السيول. والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته.

وأما قوله ﷺ: **«فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها»** قشبني معناه: سمَّني وآذاني وأهلكني. وقيل: معناه غير جلدي وصورتي، وأما ذكاؤها، فمعناه لهبها واشتعالها وشدة وهجها.

وقوله ﷺ: **«غبرات أهل الكتاب»** أي بقاياهم.

وقوله ﷺ: **«دحض مزلة»** المدحضة والمزلة، بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر، يقال: دحضت الشمس، أي مالت. ويقال: حجة داحضة، أي لا ثبات لها.

و**«الكلاليب»**: جمع كلوب، وهي حديدة معوجة الرأس يعلق فيها اللحم، وترسل في التنور. و**«الخطاطيف»**: جمع خطاف، وهو حديدة جحناء تعقل بها البكرة من جانبيها فيها المحور، وهي نحو الكلاّب. و**«الحسكة»**: نبات مغروس في الأرض ذو شوك ينشبك به كل من مرَّ به، وربما اتخذ

---

(١) رواه مسلم (١٨١).
(٢) رواه مسلم (١٨٤).

مثله من حديد، وهو من آلات الحرب. و«**السعدان**»: نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب.

وقوله ﷺ: «**مثل أجاويد الخيل والركاب**» قال ابن الأثير: **الأجاويد**: جمع أجود، وهو جمع جواد، وهو الجيد الجري من المطيّ، والركاب، أي الإبل، واحدتها راحلة من غير لفظها، فهو عطف على الخيل، والخيل جمع فرس من غير لفظه اهـ.

وقوله ﷺ: «**فناج مسلم، ومخدوش مكلم، ومكدوس في النار**» معناه أنهم ثلاثة أقسام، قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يُخدش ثم يُرسل فيخلص، وقسم في جهنم، قال ابن الأثير: وتكدس الإنسان: إذا دُفع من ورائه فسقط، ويُروى بالشين المعجمة، من الكدش، وهو السَّوْق الشديد، **والكدش**: الطرد والجرح أيضاً.

٦ ـ باب الأمر بإخلاص العبودية لله تعالى، وتحريم الشرك

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١].

٣٥ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». (رواه مسلم).

وفي رواية عند أحمد بلفظ: «**أَنَا خَيْرُ الشُّرَكَاءِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**».

ورواه الطيالسي بلفظ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ، مَنْ أَشْرَكَ بِي، كَانَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُ لَهُ**».

ورواه ابن ماجه بلفظ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ. فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ. وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**».

ورواه البغوي بلفظ: «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: إِنِّي أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِيكِ. فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ. هُوَ لِلَّذِي عَمِلَهُ**».

٣٦ ـ وَعَنْ أَبي سَعْدِ بْنِ أَبي فُضَالَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

٣٥ ـ [رواه أحمد (٨٠٠٥ ـ ٨٠٠٦ ـ ٩٦٢٥/٣) ومسلم (٢٩٨٥) وأبو داود الطيالسي (٢٥٥٩) وابن ماجه (٤٢٠٢) وابن حبان (٣٩٥) والبغوي في «شرح السنة» (٤١٣٦) و(٤١٣٧) واللفظ الأول لمسلم].

٣٦ ـ [رواه أحمد (١٥٨٣٨/ ٥) والترمذي (٣١٥٤) وابن ماجه (٤٢٠٣) والطبراني في «الكبير» (٧٧٨/ ٢٢) وابن حبان (٤٠٤) وإسناده قوي، واللفظ للترمذي. وأبو سعد بن أبي فضالة رضي الله عنه كان من الصحابة، ويقال: أبو سعيد بن أبي فضالة، ترجم له الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨٦/ ٤)].

يَقُولُ: «إذَا جَمَعَ اللّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ. نَادَ مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ في عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَداً، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ، فَإِنَّ اللّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ». (رواه الترمذي).

الشرح: قوله جل وعلا: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه» أي إن الله تعالى غني عن المشاركة وغيرها. فمن عمل شيئاً لله ولغيره في آن واحد. لم يُتقبل منه بل إن الله تعالى يتركه لذلك الغير. والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به.

خاتمة: روى الإمام أحمد[1] وغيره، بإسناد لا يخلو من مقال، من حديث أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ هٰذِهِ الآيَةَ ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

قَالَ: «قَالَ رَبُّكُم: أَنَا أَهْلُ أَنْ أُتَّقَى، فَلاَ يُجْعَلُ مَعِي إِلٰهٌ، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِيَ إِلٰهاً، كَانَ أَهلاً أَنْ أَغْفِرَ لَهُ».

٧ ـ باب في خطر الشرك الأصغر

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

٣٧ ـ عَنْ مَحمود بْنِ لَبيدٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» قالوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً». (رواه أحمد).

وفي رواية لأحمد أيضاً بلفظ: «إن أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» قالوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرَ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، إِنَّ اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

الشرح: قوله جل وعلا: «اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء» هو على سبيل التهكم والاستهزاء. والمرائي هو من يعمل ليراه الناس، فينال به سمعة وشهرة. ومن كان كذلك كان عمله وبال وإثماً عليه. قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) في مسنده (١٢٤٤٥/٤).

٣٧ ـ [رواه أحمد (٢٣٦٩٢ ـ ٢٣٦٩٧/٩) والبغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥) وسنده قوي. واللفظين لأحمد].

وفي «الصحيحين» من حديث جندب رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من سَمَّعَ، سَمَّعَ اللّهُ بِهِ، وَمَن يُرَائِي يُرائي اللّهُ بِهِ»** أي من عمل عملاً على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعون، فإن الله تعالى يجازيه على ذلك بأن يشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يُسِرُّهُ من ذلك. وعند أحمد [(١)]، من حديث عبد الله بن عمرو يُحدث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللّهُ بِهِ أَسَامِعَ خَلْقِهِ، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ»** فَذَرَفَتْ عَينَا ابن عُمر.

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: يقال: سمعت بالرجل تسميعاً: إذا شهرته. وقوله ﷺ: **«أسامع خلقه»** هي جمع أسمع، يقال سمع وأسمع وأسامع: جمعُ الجمع. يريد أن الله سبحانه وتعالى يُسمِّع أسماع خلقه به يوم القيامة. ويحتمل أن يكون أراد به أن الله سبحانه وتعالى يُظهر للناس سريرته، ويملأ أسماعهم بما ينطوي عليه من خبث السرائر جزاءً لفعله كما قال عليه السلام: **«من تتبع عورات المسلمين، تتبع الله عورته حتى يفضحه»** [(٢)].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: نعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل: ما هو؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعاً، والقلب ليس بخاشع.

٨ ـ باب البشرى بالجنة لمن مات على التوحيد

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

٣٨ ـ عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبيِّ ﷺ في حَرَّةِ الْمَدِينَةِ عِشاءً اَسْتَقْبَلَنا أُحُدٌ فَقَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُداً لِي ذَهَباً تَأْتِي عَلَيَّ لَيلَةٌ أَوْ ثَلاثٌ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلاَّ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللّهِ هٰكَذَا وَهٰكَذَا وَهٰكَذَا»** وَأَرَانَا بِيَدِهِ ـ قاله راوي الحديث ـ.

ثُمَّ قَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ»** قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: **«الأَكْثَرُونَ هُمُ الأَقَلُّونَ إِلاَّ مَنْ قَالَ هٰكَذَا وَهٰكَذَا»** ثُمَّ قَالَ لِي: **«مَكَانَكَ لاَ تَبْرَحْ يَا أَبَا ذَرٍّ حَتَّى أَرْجِعَ»**. فَانْطَلَقَ حَتَّى غَابَ عَنِّي فَسَمِعْتُ صَوْتاً فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عُرِضَ لِرَسُولِ الله ﷺ فَأَرَدْتُ أَنْ أَذْهَبَ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ **«لاَ تَبْرَحْ»** فَمَكِثْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله سَمِعْتُ صَوْتاً خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عُرِضَ لَكَ ثُمَّ ذَكَرْتَ قَوْلَكَ، فَقُمْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ **«ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي: أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً، دَخَلَ الْجَنَّةَ»** قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: **«وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»**. (متفق عليه).

---

(١) في المسند (٦٥٠٩/٢) بإسناد جيد. (٢) أبو داود (٤٨٨٠).

٣٨ ـ [رواه أحمد (٢١٤٨٩ ـ ٢١٤٩٠ ـ ٢١٥٢٠/٨) والبخاري (١٢٣٧) ومسلم (٩٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة» (١١١٦) وابن منده في «الإيمان» (٨٤) وأبو عوانة (١/١٨) وابن حبان (١٦٩) والبغوي في «شرح السنة» (٥١). واللفظ الأول للبخاري].

ورواه مسلم من طريق أبي الأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ؛ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَدَّثَهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذٰلِكَ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»**. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: **«وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»** قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ: **«وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»** ثَلاَثاً. ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: **«عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»** قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ.

وفي رواية لمسلم أيضاً بلفظ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ»** قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ: **«وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»**.

وفي رواية للبخاري أيضاً: **«قَالَ لِي جِبْرِيلُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ـ أَوْ ـ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ»** قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: **«وَإِنْ»**.

خاتمة في الموجبتان: روى الإمام مسلم [١]، من حديث جَابر بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: **«مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ»**.

ومعنى قوله: (ما الموجبتان؟) أي ما هي الخصلة الموجبة للجنة، والخصلة الموجبة للنار.

الشرح:قوله ﷺ «لا تبرح» أي لا تغادر مكانك الذي أنت فيه.

قوله ﷺ «ذاك جبريل أتاني فأخبرني: أنه من مات من أمتي» أي من أمة الإجابة من المسلمين، الذين استجابوا لله تعالى وللرسول ﷺ ويحتمل أن يكون أعم من ذلك، أي أمة الدعوة ويشمل كل من بلغته دعوة الإسلام إلى يوم الدين.

قوله عليه السلام: «لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» وفي الرواية الثانية **«ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»** قال في «الفتح»: الحديث محمول على من وحّد ربه ومات على ذلك تائباً من الذنوب التي أشير إليها في الحديث. فإنه موعود بهذا الحديث بدخول الجنة ابتداء. وهذا في حقوق الله تعالى باتفاق أهل السُّنة. وأما حقوق العباد فيشترط ردها عند الأكثر وقيل: بل هو كالأول، ويثيب الله صاحب الحق بما شاء.

قال: **وخلاصة القول:** أن المراد من الحديث، أن من مات موحداً لا يشرك بالله شيئاً، دخل الجنة، إما ابتداء وإما بعد ذلك.

وقوله ﷺ «على رغم أنف أبي ذر» ـ رغم ـ بفتح الراء وضمها وكسرها. وهو مصدر ـ رَغَم ـ بفتح الغين وكسرها. وهو مأخوذ من الرغام، وهو التراب. يقال: أرغم الله أنفه، أي: **ألصقه** بالتراب.

قال: وقوله ﷺ: **«أتاني جبريل فبشرني: أنه من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»** يدل على شدة تهمُّم النبي ﷺ بأمر أمته، وتعلق قلبه بما ينجّيهم، وخوفه عليهم، ولذلك سكّن جبريلُ

---

(١) مسلم في صحيحه (٩٣).

قلبه بهذه البشرى. وهذا نحو من حديث عمرو بن العاص، الذي قال فيه: إن النبي ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فرفع النبي ﷺ يديه وبكى وقال: «رب، **أمتي أمتي**» فنزل عليه جبريل فقال له مخبراً عن الله تعالى: «**إن الله سيرضيك في أمتك ولا يسوؤك**»[١]. وهذا منه ﷺ مقتضى ما جبله الله تعالى عليه من الخُلق الكريم، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم. اهـ.

٩ ـ باب ما جاء في آية الإسلام

٣٩ ـ عَنْ بُهَزِ بْنِ حَكِيم قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَن جَدِّي قَالَ: أَتَيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أُولاءِ، وَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرى أَنْ لاَ آتِيكَ، وَلا آتي دِينَكَ، وَإِني قَدْ جِئْتُ أَمْراً لاَ أَعْقِلُ شَيْئاً إِلاّ ما عَلَّمني اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولهُ، وإني أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللَّهِ، بِمَ بَعَثَكَ رَبُّنَا إِلينَا؟ قَالَ: «**بالإسلام**» قَالَ: قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا آيَةُ الإِسلام؟

قَالَ: «**أَنْ تَقُولَ: أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَتَخَلَّيتُ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ على مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ أَخَوانِ نَصيرانِ، لا يَقْبَلُ الله عزَّ وَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ يُشْرِكُ بَعْدَما أَسْلَمَ عَمَلاً، أَوْ يُفَارِقَ المُشْرِكِينَ إلى المسلمينَ، ما لي أُمْسِكُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ألا إِنَّ رَبِّي داعِيَّ وَإِنَّهُ سائِلِي هَلْ بَلَّغْتَ عِبادِي وأنا قائلٌ لَهُ: رَبِّ قَدْ بَلَّغْتُهُمْ ألا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الغائِبَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَدْعُوُّونَ وَمُفَدَّمَةٌ أَفْواهُكُمْ بالفِدَام، وَإِنَّ أَوَّلَ ما يُبِينُ**» وقال: ـ بواسِطِ يُتَرْجِمُ ـ قالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ قالَ: قُلْتُ: يَا رَسولَ اللَّهِ، هٰذا دِينُنَا؟ قالَ: «**هٰذا دِينُكُمْ وَأَيْنما تُحْسِنْ يَكْفِكَ**». (رواه أحمد).

الشرح: قوله: «**والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاء**». يريد أكثر من عدد أصابع يديه. وذلك لنفوره من الإسلام. ولكنها الهداية من الله تعالى سبحانه وتعالى.

وقوله: «**وما آية الإسلام**» أي ما علاماته.

وقوله ﷺ «**أن تقول: أسلمت وجهي لله وتخليت**» أي أسلمت وجهتي لأمر الله تعالى واستسلمت لأحكامه. وتخليت عما كنت عليه من كفر وشرك وجاهلية.

وقوله ﷺ «**وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وكل مسلم على مسلم محرم، أخوان نصيران**» وقد جاء عند ابن حبان بلفظ: «**وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة أخوان نصيران**» أي متلازمان ينصر بعضهما بعضاً. ذلك إن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ركنان أساسيان من أركان

---

(١) مسلم في صحيحه (٢٠٢).

٣٩ ـ [رواه أحمد (٢٠٠٥٧/٢) والنسائي (٢٤٣٥) وابن ماجه (٢٥٣٦) والطبراني في «الكبير» (١٠٣٦/١٣) وابن حبان (١٦٠/١) وعبد الرزاق (٢٠١١٥) وابن المبارك في «الزهد» (٩٨٧) مطولاً ومختصراً، وإسناده صحيح، واللفظ لأحمد].

الإسلام. إذا أنكر واحد منهما فقد كفر، ولا يخفى قتال أبو بكر رضي الله عنه، لمن منع الزكاة من قبائل العرب، حيث إنهم سموا بأهل الردة. وأما قوله ﷺ: **«وكل مسلم على مسلم محرم»** وقد جاء مفسراً في رواية «الصحيح»: **«كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه..»**.

قوله ﷺ: **«لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعدما أسلم عملاً، أو يفارق المشركين إلى المسلمين»** وقد جاء عند ابن ماجه بلفظ: **«لا يقبل الله من مشرك. أشرك بعدما أسلم، عملاً حتى يفارق المشركين إلى المسلمين»** وذلك بسبب ما يعانيه من أسْلَمَ في بيئة الكفر من فتنته عن دينه قال الله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقوله ﷺ: **«ما لي أمسك بحجزكم عن النار»** جمع حُجْزة: وهي مقعد الإزار. وفيه حرص النبي ﷺ على أمته. وفيه يتجلى قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقوله ﷺ: **«ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب»** ولهذا سميت هذه الأمة بأمة التبليغ. فكل مسلم مكلف بالغ عاقل ذكراً كان أم أنثى بتبليغ هذا الدين للناس كافة، كل حسب ما أوتي من علم ومعرفة. لقوله ﷺ: **«بلغوا عني ولو آية»** الحديث رواه البخاري. ولقوله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وأقل البصيرة آية، كما جاء مفسراً في الحديث.

وقوله ﷺ: **«ثم إنكم مدعوون»** أي يوم القيامة للسؤال والحساب، **«ومفدمة أفواهكم بالفدام»** قال ابن الأثير: **الفدام**: ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه. أي أنهم يمنعون من الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم، فشبه ذلك بالفدام. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: **«هل تدرون مم أضحك؟»** قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«من مخاطبة العبد ربه. يقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى. قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً. قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي. قال: فتنطق بأعماله. قال: ثم يُخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بُعداً لكُنَّ وسُحقاً، فعنكُنَّ كنتُ أناضل»**[1].

وقوله ﷺ: **«وإن أول ما يُبيِّنُ»** أي وإن أول ما ينطق من الجوارح يوم القيامة ـ الفخذ ـ كما صرحت بذلك إشارة رسول الله ﷺ على فخذه. وقوله: وقال: بواسط يترجم ـ يظهر لي أن سماع الحديث كان: بواسط. وهي بلدة معروفة بالعلم. مترجم يترجم ألفاظ الحديث.

---

(١) رواه مسلم في الزهد (٢٩٦٩).

٣ ـ كتاب الصلاة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

١ ـ باب بيان الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ وكيفية فرض الصلوات الخمس

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

٤٠ ـ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ «إِنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحىٰ إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ، فَقَالَ: أَوْسَطُهُمْ هُوَ خَيْرُهُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخرىٰ فِيمَا يَرىٰ قَلْبُهُ، وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذٰلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى ٱحْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ. فَتَوَلاَّهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلىٰ لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ، حَتَّى أَنْقىٰ جَوْفَهُ ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تور مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُواً إِيمَاناً وَحِكْمَةً فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ. ـ يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ ـ ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. فَضَرَبَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ مَنْ هٰذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قَالُوا. وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِي مُحَمَّدٌ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ قَالَ: نَعَمْ قَالُوا: فَمَرْحَباً بِهِ وَأَهْلاً فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ

---

٤٠ ـ [رواه أحمد (٦/١٧٨٥٠) والبخاري (٣٢٠٧) و(٣٣٩٣) و(٣٤٣٠) و(٣٨٨٧) و(٧٥١٧) ومسلم (١٦٢) و(١٦٣) و(١٦٤) والترمذي (٣٣٤٦) والنسائي في «المجتبى» (٤٤٧) و(٤٤٩) وفي «الكبرى» (١/٣١٣) وابن منده في «الإيمان» (٧١٧) وأبو عوانة (١/١١٦) وغيرهم. واللفظ الأول للبخاري برقم (٧٥١٧) واللفظ الثاني لمسلم برقم (١٦٢) واللفظ الثالث للنسائي برقم (٤٤٩)].

السَّمَاءِ لاَ يَعْلَمُ أهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ الله بِهِ فِي الأرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هٰذَا أبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَباً وأهْلاً يَا بُنَيَّ نِعْمَ الابْنِ أنتَ، فإذَا هُوَ فِي السَّمَاء الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ فَقَالَ: مَا هٰذَانِ النَّهَرَانِ يا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا.

ثُمَّ مَضَىٰ بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ فَضَرَبَ يَدَهُ فَإذَا هُوَ مِسْكٌ أذفر قَالَ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبأ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ إلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الأُولىٰ مَنْ هٰذَا قَالَ: جِبْرِيلُ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: مَرْحَباً بِهِ وَأهْلاً.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتِ الأولىٰ وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرجَ بِهِ إلَى الرَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ ثُمَّ، عَرَجَ بِهِ إلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إلَى السَّادِسَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ، كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ فَوَعَيتُ مِنْهُمْ إدريسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أحْفَظِ اسْمَهُ وَإبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسىٰ فِي السَّابِعَةِ بِفَضْلِ كَلاَمِهِ لله فَقَالَ مُوسىٰ: رَبِّ لَمْ أظُنَّ أنْ تَرْفَعَ عَلَيَّ أحَداً ثُمَّ عَلاَ بِهِ فَوْقَ ذٰلِكَ بِمَا لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ الله حَتَّىٰ جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهىٰ، وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَىٰ، فَأوْحَى الله فِيمَا أوْحىٰ خَمسِينَ صَلاَةً عَلىٰ أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسىٰ فَاحْتَبَسَهُ مُوسىٰ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا عَهِدَ إلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَهِدَ إلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ قَالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إلىٰ جِبْرِيلَ كَأنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذٰلِكَ فَأشَارَ إلَيْهِ جِبْرِيلُ أنْ نَعَمْ إنْ شِئْتَ.

فَعَلاَ بِهِ إلَى الْجَبَّارِ فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا، فَإنَّ أُمَّتي لاَ تَسْتَطِيعُ هٰذَا، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إلىٰ مُوسىٰ فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسىٰ إلىٰ رَبِّهِ حَتَّىٰ صَارَتْ إلىٰ خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسىٰ عِنْدَ الْخَمْسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَالله لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلىٰ أدْنَىٰ مِنْ هٰذَا، فَضَعُفُوا فتَرَكُوهُ فأُمَّتُكَ أضْعَفُ أجْسَاداً وَقُلُوباً وَأبْدَاناً وَأبْصَاراً وَأسْمَاعاً، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنكَ رَبُّكَ كُلَّ ذٰلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إلىٰ جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ وَلاَ يَكْرَهُ ذٰلِكَ جِبْرِيلُ فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَقَالَ: يَا رَبِّ إنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأسْمَاعُهُمْ وَأبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا؟ فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: إنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ.

فَرَجَعَ إلىٰ مُوسىٰ فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: خَفَّفَ عَنَّا أعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أمْثَالِهَا قَالَ مُوسىٰ: قَدْ وَالله رَاوَدْتُ بَنِي إسْرَائيلَ عَلىٰ أدنىٰ مِنْ ذٰلِكَ، فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إلَىٰ رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ

أيضاً قال رَسولُ الله ﷺ: يَا مُوسىٰ قَدْ وَالله ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا ٱخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ قَالَ: فَٱهْبِطْ بِسْمِ الله، قَالَ: وَٱسْتَيْقَظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ». (متفق عليه. واللفظ للبخاري).

ورواه مسلم من طريق ثابت البناني، عن أنس بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ (وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ. يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ) قَالَ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. قَالَ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ. قَالَ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ خَرَجْتُ. فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ. فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ.

ثُمَّ عرجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ. فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ. فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ. مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا. فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ. فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ. فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ. فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَد بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ. فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى. وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ. وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ. قَالَ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ. فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ. فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَىٰ ﷺ فَقَالَ: مَا

فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةٍ. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ. فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذٰلِكَ. فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.

قَالَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذٰلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذٰلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً. فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَىٰ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وفي رواية عند النسائي من طريق يزيد بن أبي مالك، قال: قَالَ أَنَسُ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ، خَطْوُهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا، فَرَكِبْتُ وَمَعِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَسِرْتُ فَقَالَ: انزِلْ فَصَلِّ، فَفَعَلْتُ. فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ وَإِلَيْهَا المُهَاجِرُ. ثُمَّ قَالَ: انزِلْ فَصَلِّ. فَصَلَّيْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطُورِ سَيْنَاءَ حَيْثُ كَلَّمَ اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ فَنَزَلْتُ فَصَلَّيْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجُمِعَ لِي الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَإِذَا فِيهَا ابْنَا الْخَالَةِ عِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَإِذَا فِيهَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَإِذَا فِيهِ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءَ السَّادِسَةِ فَإِذَا فِيهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

ثُمَّ صُعِدَ بِي فَوْقَ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ فَأَتَيْنَا سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ، فَغَشِيَتْنِي ضَبَابَةٌ فَخَرَرْتُ سَاجِداً، فَقِيلَ لِيَ: إِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلاَةً فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، فَرَجَعْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَلَمْ يَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: كَمْ فَرَضَ اَللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ بِهَا أَنْتَ وَلاَ أُمَّتُكَ. فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَخَفَّفَ عَنِّي عَشْراً، ثُمَّ أَتَيْتُ مُوسَىٰ فَأَمَرَنِي بِالرُّجُوعِ فَرَجَعْتُ فَخَفَّفَ عَنِّي عَشْراً، ثُمَّ رُدَّتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّهُ فَرَضَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ صَلاَتَيْنِ فَمَا قَامُوا بِهِمَا، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلْتُهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ: إِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلاَةً فَخَمْسٌ بِخَمْسِينَ، فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ

فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ ٱللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِرًى، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ٱرْجِعْ فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ ٱللَّهِ صِرًى ـ أَيْ حَتْمٌ ـ فَلَمْ أَرْجِعْ».

٤١ ـ وَعَنْ أنسِ بْنِ مَالكٍ، عَنْ مَالكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أنا عندَ البيتِ بينَ النائمِ واليقْظانِ، إِذْ أَقْبَلَ أحدُ الثَّلاثةِ بينَ الرَّجُلينِ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ مَلآنٍ حِكْمةً وإيماناً، فشَقَّ من النَّحْرِ إلى مَرَاقِّ البَطْنِ، فغَسَلَ القلبَ بماءِ زَمْزَمَ، ثمَّ مُلِىءَ حِكْمةً وإيماناً، ثمَّ أُتيتُ بدابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وفَوْقَ الحِمارِ، ثمَّ انطَلَقْتُ معَ جبريلَ فأَتَينا السَّماءَ الدُّنيا، قيلَ: مَن هٰذا؟ قيلَ: جِبْريلُ. قيل: ومَن مَعَك؟ قيل: محمدٌ. قيلَ: وقَدْ أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرْحَباً به، ونِعْمَ المَجيءُ جاءَ. فأَتَيتُ على آدَمَ فَسَلَّمْتُ عليه، فقال: مَرْحباً بك من ابنٍ ونبيٍّ. ثمَّ أتَينا السَّماءَ الثانية قيل: من هٰذا؟ قيل: جِبْرِيلُ. قيلَ: ومَنْ معَكَ؟ قال: محمَّدٌ. فَمِثْلُ ذٰلك، فأَتيتُ على يَحيى وعيسى فَسَلَّمْتُ عليهما، فقالا: مَرْحباً بك من أخٍ ونبيٍّ. ثمَّ أَتينا السَّماءَ الثَّالثةَ، فمِثْلُ ذٰلكَ، فأَتيتُ على يوسُفَ فسَلَّمْتُ عليه، فقال: مَرْحباً بك من أخٍ ونبيٍّ. ثمَّ أتينا السَّماءَ الرَّابعة، فمِثْلُ ذٰلك، فأَتَيتُ على إدريسَ فَسَلَّمْتُ عليه، فقال: مَرْحباً بِكَ من أخٍ ونبيٍّ. ثم أتَينا السَّماءَ الخامِسة، فَمِثْلُ ذٰلك، فأتيتُ على هارونَ فسَلَّمْتُ عليه، فقال: مَرْحباً بكَ من أخٍ ونبيٍّ. ثمَّ أتَينا السَّماءَ السَّادسة، فمِثْلُ ذٰلكَ، ثمَّ أَتيتُ على مُوسى فسَلَّمْتُ عليه، فقال: مَرْحباً بكَ من أخٍ ونبيٍّ. فلمَّا جاوَزْتُه بكى، قيلَ: ما أبْكاكَ؟ قال: يا رَبِّ، هٰذا الغُلامُ الذي بَعَثْتَهُ بعدي يدخُلُ من أُمَّتِه الجَنَّةَ أكْثَرُ ـ أو أَفْضَلُ ـ مِمَّا يَدْخُلُ من أُمَّتي. ثمَّ أَتينا السَّماءَ السَّابعة، فمِثْلُ ذٰلك، فأَتيتُ على إبراهيمَ فسَلَّمْتُ عليه، فقال: مَرْحباً بك من ابنٍ ونبيٍّ. قال: ثمَّ رُفِعَ ليَ البيتُ المعْمُورُ، فسَأَلْتُ جِبْريلَ، فقال: هٰذا البيتُ المَعْمُور يُصَلِّي فيه كلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إذا خَرَجُوا منه لم يَعُودوا فيه آخِرُ ما عليهم.

قال: ثمَّ رُفِعَتْ لي سِدْرَةُ المُنتَهى، فإذا نَبِقُها مِثْلُ قِلالِ هَجَرَ، وإذا وَرَقُها مِثْلُ آذانِ الفِيلةِ، وإذا في أَصْلِها أَرْبَعةُ أَنْهارٍ: نهرانِ باطِنانِ، ونهران ظاهران، فسَأَلْتُ جبريلَ فقال: أمَّا الباطِنانِ فَفي الجَنَّة، وأما الظاهران فالفُراتُ والنِّيلُ.

قال: ثمَّ فُرِضَتْ عليَّ خمسُونَ صَلاةً، فأَتيتُ على موسى، فقال: ما صَنَعْتَ؟ قلت: فُرِضَتْ عليَّ خمسونَ صلاةً. فقال: إنِّي أَعْلَمُ بالنَّاسِ منك، إنِّي عالجتُ بني إسرائيلَ أشَدَّ المعالجةِ، وإنَّ أُمَّتَكَ لن يُطِيقُوا ذٰلكَ، فَارجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ أنْ يُخَفِّفَ عنك.

قال: فَرَجَعْتُ إلى رَبِّي فسَأَلْتُه أن يُخَفِّفَ عَنِّي، فجَعَلَها أربَعِينَ، ثمَّ رَجَعْتُ إلى موسى فأَتَيتُ عليه فقال: ما صَنَعْتَ؟ قلتُ: جَعَلَها أَربَعِينَ، فقال لي مِثْلَ مَقالَتِه الأُولى، فرَجَعْتُ إلى رَبِّي، فَجَعَلَها ثلاثِينَ، فأَتَيتُ موسى فأَخْبَرْتُه، فقال لي مِثْلَ مَقالَتِه الأُولى.

---

٤١ ـ [رواه أحمد (٦/١٧٨٣٣). والبخاري تعليقاً (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤/ ٢٦٥) وابن منده في «الإيمان» (٧١٥). وأبو عوانة (١٢٠/ ١٢٤/ ١) والطبراني في «الكبير» (٥٩٩/ ١٩) وغيرهم. وانظر أخي الكريم التخريج السابق].

فرَجَعتُ إلى رَبّي، فَجَعَلَها عِشرينَ، ثمَّ عَشَرَةً، ثمَّ خَمسَةً، فأتيتُ موسى فأخبَرْتُه، فقال لي مِثلَ مَقالَتِه الأولى، فقلتُ: إنّي أستَحيي من رَبّي مِن كَمْ أرْجِعُ إليهِ، فنُودِيَ: أنْ قَدْ أمْضَيتُ فَريضَتِي، وخَفَّفتُ عن عِبادِي، وأجْزِي بالحَسَنَةِ عَشْرَ أمثالِها». (رواه أحمد).

وفي لفظ لأحمد أيضاً[(١)]، وغيره بإسناد صحيح على شرط الشيخين، من طريق همام بن يحيى، قال: سمعت قتادة يحدِّثُ عن أنس بن مالك: أنَّ مالكَ بن صَعْصَعةَ حدَّثَه: أنَّ نبيَّ الله ﷺ حدَّثَهم عن ليلةِ أُسْرِيَ به قال: **«بَيْنَما أنا في الحَطِيمِ ـ** وربما قال قتادة: **في الحِجْرِ ـ مُضْطجعٌ، إذْ أتاني آتٍ، فَجَعَلَ يقولُ لصاحِبه الأوسطِ بينَ الثّلاثةِ. قال: فأتاني، فقَدَّ ـ** وسمعتُ قتادةَ يقول: **فشَقَّ ـ ما بينَ هٰذه إلى هٰذه»** قال قَتادَةُ فقلتُ للجارُودِ وهو إلى جَنْبِي: ما يعني؟ قال: من ثُغْرَةِ نَحرِه إلى شِعْرَتِه، وقد سمعتُه يقول: من قَصِّه إلى شعرته.

قال: **«فاسْتَخرَجَ قلبي فَأُتيتُ بِطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ مَملوءةٍ إيماناً وحكمةً، فَغُسِلَ قَلبي، ثمَّ حُشِيَ، ثم أعيدَ، ثمَّ أُتيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وفَوْقَ الحِمارِ أبيضَ»** قال: فقال له الجارودُ: أهوَ البُراقُ يا أبا حَمزةَ؟ قال: نعم، يقعُ خَطْوُهُ عند أقْصى طَرْفِه. قال: **«فحُمِلْتُ عليه، فانْطَلَقَ بي جبريلُ حتى أتَى بيَ السَّماءَ الدُّنيا، فاستَفْتَحَ، فقيلَ: مَن هٰذا؟ قالَ: جِبْريلُ. قيل: ومَن مَعَك؟ قال: محمدٌ. قيلَ: أوقَدْ أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرْحَباً به، ونِعْمَ المَجِيءُ جاءَ. قال: فَفَتَحَ، فلما خَلَصْتُ، فإذا فيها آدَمُ، فقال: هٰذا أبوكَ آدمُ، فَسَلِّمْ عليه. فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ السَّلامَ، ثم قال: مَرْحباً بالابن الصَّالح، والنبيِّ الصَّالح.**

ثمَّ صَعِدَ حتى أتَى السَّماءَ الثانية، فاستفتَحَ، قيل: من هٰذا؟ قال: جِبْريلُ. قيلَ: ومَنْ معَكَ؟ قال: محمَّدٌ. قيلَ: أوَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ونِعْمَ المَجِيءُ جاءَ. قال: فَفَتَح، فلمّا خَلَصتُ، فإذا يَحيى وعيسى، وهما ابنا الخالةِ، فقال: هٰذا يحيى وعيسى، فَسَلِّمْ عليهما. قال: فَسَلَّمْتُ، فَرَدّا السَّلام، ثمَّ قالا: مَرْحباً بالأخِ الصَّالحِ، والنبيِّ الصَّالح.

ثمَّ صَعِدَ حتَّى أتَى السَّماءَ الثَّالثةَ، فاسْتَفْتَحَ، فقيلَ: مَنْ هٰذا؟ قال: جِبريلُ. قيل: ومَن مَعَك؟ قال: محمدٌ. قيل: أوقَدْ أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرْحَباً به، ونِعْمَ المَجِيءُ جاءَ. قال: فَفَتَحَ، فلما خَلَصْتُ، فإذا يوسُفُ، قال: هذا يوسُفُ، فَسَلِّمْ عليه. قال: فَسَلَّمْتُ، فرَدَّ السَّلام، وقال: مَرْحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصَّالحِ.

ثمَّ صَعِدَ حتَّى أتَى السَّماءَ الرَّابعة، فاسْتَفْتَحَ، فقيلَ: مَنْ هٰذا؟ قال: جِبريلُ. قيل: مَن مَعَك؟

---

(١) رواه أحمد (٦/١٧٨٣٥) والبخاري (٣٢٠٧) وابن منده (٧١٧) وأبو عوانة (١٢٠/ ١٢٤/ ١) وابن حبان (٤٨) و(٧٤١٥) والطبراني في «الكبير» (١٩/٥٩٨) والبغوي في «شرح السنة» (٣٧٥٢) وغيرهم. وانظر أخي الكريم تخريج الحديث الأول.

قال: محمدٌ. قيلَ: وقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم. فقِيلَ: مَرْحَباً به، ونِعْمَ المَجِيءُ جاءَ. قالَ: فَفَتَحَ، فلما خَلَصْتُ، فإذا إدْرِيسُ، قال: هٰذا إدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عليه. قال: فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ السَّلامَ، ثم قال: مَرْحباً بالأخِ الصَّالِحِ والنبيِّ الصَّالِحِ.

قال: ثم صَعِدَ حتى أَتى السَّماءَ الخامِسة، فاسْتَفْتَحَ، فقِيلَ: مَنْ هٰذا؟ قال: جِبْرِيلُ. قيل: ومَن مَعَكَ؟ قال: محمدٌ. قيلَ: أوَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قيل: نعم. قيل: مَرْحَباً به، ونِعْمَ المَجِيءُ جاءَ. قال: فَفَتَحَ، فلما خَلَصْتُ، فإذا هارونُ، قال: هٰذا هارونُ، فَسَلِّمْ عليه. قال: فَسَلَّمْتُ عليه، قال: فَرَدَّ السَّلام، ثمَّ قال: مَرْحباً بالأخِ الصَّالِحِ والنبيِّ الصَّالِحِ.

قال: ثم صَعِدَ حتى أَتى السَّماءَ السَّادسة، فاسْتَفْتَحَ، قيلَ: مَنْ هٰذا؟ قال: جِبْرِيلُ. قيل: ومَنْ مَعَكَ؟ قال: محمدٌ. قيلَ: أوقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرْحَباً به، ونِعْمَ المَجِيءُ جاء فَفَتَحَ، فلما خَلَصْتُ، فإذا أنا بِمُوسى، قال: هٰذا موسى، فَسَلِّمْ عليه. فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ السَّلام ثمَّ قال: مَرْحباً بالأخِ الصَّالح، والنبيِّ الصَّالِحِ. قال: فلمَّا تجاوَزْتُ بكى، قيلَ له: ما يُبْكِيكَ؟ قال: أبكي لأنَّ غُلاماً بُعِثَ بعدي، يدْخُلُ الجَنَّةَ من أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُها من أُمَّتِي.

قال: ثمَّ صَعِدَ حتى أَتى السَّمَاءَ السَّابِعة، فاسْتَفْتَحَ، قيلَ: مَنْ هٰذا؟ قال: جِبريلُ. قيل: ومَن مَعَكَ؟ قال: محمدٌ. قيلَ: أوقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرْحَباً به، ونِعْمَ المَجِيءُ جاءَ. قال: فَفَتَحَ، فلما خَلَصْتُ إليه، فإذا إبراهيمُ، فقال: هٰذا إبراهيم، فَسَلِّمْ عليه. قال: فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ السَّلام ثمَّ قال: مَرْحباً بالابن الصَّالح، والنبيِّ الصَّالِحِ.

قال: ثمَّ رُفِعَتْ إليَّ سِدْرَةُ المُنتَهى، فإذا نَبْقُها مِثْلُ قِلالِ هَجَرَ وإذا وَرَقُها مِثْلُ آذانِ الفِيلَةِ، فقال: هٰذه سِدْرَةُ المُنْتَهى. قال: وإذا أَرْبَعةُ أنهارٍ: نهرانِ باطِنانِ، ونهران ظاهران، فقلت: ما هٰذا يا جِبريلُ؟ قال: أمَّا الباطِنانِ فنهرانِ في الجَنَّة، وأما الظاهران فالنِّيلُ والفرات. قال: ثمَّ رُفِعَ لي البَيْتُ المَعْمُورُ».

قال قَتادة: وحَدَّثَنا الحَسَنُ، عن أبي هُرَيْرَة، عن النبي ﷺ: أنه رَأى البَيْتَ المَعْمُور يَدْخُلُه كلَّ يوم سَبْعونَ أَلْفَ مَلك، ثُمَّ لا يَعُودُون فيه.

ثمَّ رَجَعَ إلى حَدِيثِ أنسٍ: قال: «ثمَّ أُتِيتُ بِإناءٍ من خَمْرٍ، وإناءٍ من لَبَنٍ، وإناءٍ مِن عَسَلٍ. قال: فأخَذْتُ اللَّبَنَ، قال: هٰذه الفِطْرَةُ أَنْتَ عليها وأُمَّتُكَ. قال: ثمَّ فُرِضَت الصَّلاةُ خمسينَ صَلاةً كلَّ يوم، قال: فرجعتُ فَمَرَرْتُ على موسى، فقال: بِمَ أُمِرْتَ؟ قال: أُمِرْتُ بخمسينَ صلاةً كلَّ يوم. قالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ لِخَمْسِينَ صَلاةً، وإنِّي قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قبلَكَ، وعالجتُ بني إسرائيلَ أشَدَّ المعالجةِ، فارْجِعْ إلى رَبِّكَ، فاسْأَلْهُ التَّخفيفَ لأُمَّتك. قال: فرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عنِّي عَشْراً، قال: فرَجَعْتُ إلى موسى، قال: بِمَ أُمِرْتَ؟ قلتُ: بأَرْبَعِينَ صَلاةً كلَّ يوم. قال: إنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ أرْبَعِين صَلاةَ كلَّ يوم، وإنِّي قد خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعالجْتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة، فارْجِعْ

إلى رَبِّكَ، فاسْأَلْه التَّخفِيفَ لأُمَّتِكَ. قال: فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً أُخَرَ، فرجعت إلى موسى، فقال لي: بِمَ أُمِرْتَ؟ قلتُ: أُمرت بثلاثين صَلاةً كلَّ يوم. قال: إنَّ أُمَّتَكَ: لا تَسْتَطِيعُ لثلاثينَ صَلاةً كلَّ يوم، وإنِّي قد خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعالجْتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة، فارْجِعْ إلى رَبِّكَ، فاسْأَلْه التَّخفِيفَ لأُمَّتِكَ.

قال: فرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عني عَشراً أُخَرَ، فَرَجَعْتُ إلى موسى، فقال: بِمَ أُمِرْتَ؟ فقلتُ: بعشرينَ صَلاةً كلَّ يوم. فقال: إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ العِشرينَ صَلاةً كلَّ يوم، وإنِّي قد خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعالجْتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة، فارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْه التَّخفِيفَ لأُمَّتِكَ. قال: فرَجَعْتُ، فأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلواتٍ كلَّ يوم.

فرَجَعْتُ إلى موسى فقال: بِمَ أُمِرْتَ؟ قلتُ: أُمِرْتُ بِعَشْر صَلَواتٍ كلَّ يوم. فقال: إنَّ أُمَّتَك لا تَسْتَطِيعُ لِعَشْرِ صَلواتٍ كلَّ يوم، فإنِّي قد خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعالجْتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة، فارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْه التَّخفِيفَ لأُمَّتِكَ. قال: فَرَجَعْتُ، فأُمِرْتُ بخَمْسِ صَلَواتٍ كلَّ يوم، فَرَجَعْتُ إلى موسى، فقال: بِمَ أُمِرْتَ؟ قلتُ: أُمِرْتُ بخَمْسِ صَلَواتٍ كلَّ يوم.

فقال: إنَّ أُمَّتَكَ: لا تَسْتَطِيعُ لِخَمْسِ صَلَواتٍ كلَّ يوم، وإنِّي قد خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعالجْتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة، فارْجِعْ إلى رَبِّكَ، فاسْأَلْه التَّخفِيفَ لأُمَّتِكَ. قال: قلتُ: قَدْ سَأَلْتُ رَبِّي حتَّى اسْتحييتُ منه، ولكن أَرْضى وأُسَلِّم. فلمَّا نَفَذْتُ، ناداني منادٍ: قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وخَفَّفْتُ عن عِبادِي».

الشرح: قوله رضي الله عنه: **(إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحي إليه وهو نائم في المسجد الحرام)** المراد بالنفر الثلاثة، الملائكة. والأرجح أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل. وكان ذلك قبل أن يوحى إليه عليه الصلاة والسلام، ذلك أن الإسراء والمعراج حصل بعد بعثته ﷺ

وقوله: **(فقال أولهم: أيهم هو، فقال: أوسطهم: : هو خيرهم فقال أحدهم: خذوا خيرهم)** فيه إشعار بأنه كان نائماً بين جماعة أقلهم اثنان، وقد جاء أنه كان نائماً معه حينئذ حمزة بن عبد المطلب، عمه، وجعفر بن أبي طالب، ابن عمه. وكانت قريش تنام حول الكعبة. قاله في «الفتح».

وقوله: **(فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى)** أي فلم يرهم رسول الله ﷺبعد ذلك، حتى أتوه ليلة أخرى بعد أن بُعث عليه الصلاة والسلام ولم يُعين المدة بين المجيئين. وعلى هذا يحمل المجيء الثاني. وبهذا جزم ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى. قال في «الفتح»: وأقوى ما يستدل به، أن المعراج بعد البعثة، قوله في هذا الحديث نفسه، أن جبريل قال لبواب السماء، إذ قال له: وقد بعث؟ قال: نعم. فإنه ظاهر في أن المعراج كان بعد البعثة.

وقوله: **(فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته)** أي من أسفل رقبته إلى وسط صدره. **واللبة:** موضع القلادة من الصدر. ومن هناك تنحر الإبل. وقد ثبت في «الصحيح» وغيره، أن شق صدره الكريم حصل قبل ذلك حين كان رسول الله ﷺصبياً.

وقوله: **(ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب) الطست**: إناء معروف. **والتور**: إناء كالطست غير أن الطست يكون عادة من نحاس، والتور يكون من حجارة. وقد يُتوضأ منه.

وقوله: **(فيستبشر به أهل السماء)** كأنهم كانوا أُعلموا أنه ﷺ سيعرج إليهم، فكانوا مترقبين لذلك.

وقوله: **(فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان)** أي يجريان **(فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذان النيل والفرات عنصرهما)** أي أصلهما. وقد جاء في حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، فإن فيه بعد ذكر سدرة المنتهى: **«وإذا أربعة أنهار...»** ويُجمع بأن أصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى، ومقرهما في السماء الدنيا. ومنها ينزلان إلى الأرض.

فائدة في تسمية سدرة المنتهى: قال ابن عباس رضي الله عنهما، والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى، لأن علم الملائكة ينتهى إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ. وحكى عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه؛ أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها، وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى.

وقوله ﷺ: **«فإذا نبقها مثل قلال هجر»** وفي لفظ عند مسلم: **«وإذا ثمرها كالقلال»** ـ بكسر القاف ـ جمع قلة. **والقلة**: الجرة العظيمة.

وقوله ﷺ: **«فعرفت أنها من اللّه تعالى صِرّي»** أي عزيمة باقية أبداً، لا تقبل النسخ أو التغيير أو التبديل.

٢ ـ باب في فضل المحافظة على الصلوات، وأدائها في أوقاتها

قال الله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ إلى قوله تعالى ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٣٥].

٤٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَتَعَاقَبُونَ فِيكُم مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ في صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُم، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»**. (متفق عليه).

ورواه ابن خزيمة بلفظ: **«إنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ، فَإِذَا كَانَ صَلاَةَ الفَجْرِ، نَزَلَتْ مَلاَئِكَةُ**

---

٤٢ ـ [رواه مالك في «الموطأ» (٤١٣) في الصلاة. وأحمد (٨١٢٦ و١٠٣١٣/٣) والبخاري (٥٥٥) و(٣٢٢٣) و(٧٤٢٩) و(٧٤٨٦) ومسلم (٦٣٢) والنسائي في «المجتبى» (٤٨٤) وفي «الكبرى» (٤٥٩/١) و(٧٧٦٠/٤) وابن خزيمة (٣٢١) و(٣٢٢) وابن حبان (١٧٣٧) واللفظ الأول لمسلم].

النَّهَارِ فَشَهِدُوا مَعَكُمْ الصَّلاَةَ جَمِيعاً، ثُمَّ صَعِدَتْ مَلاَئِكَةُ اللَّيلِ، وَمَكَثَتْ مَعَكُم مَلاَئِكَةُ النَّهَارِ فَيَسْأَلُهُم رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ. مَا تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: جِئْنَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ.

فَإِذَا كَانَ صَلاَةُ العَصْرِ، نَزَلَتْ مَلاَئِكَةُ اللَّيلِ فَشَهِدُوا مَعَكُمْ الصَّلاَةَ جَمِيعاً، ثُمَّ صَعِدَتْ مَلاَئِكَةُ النَّهَارِ، وَمَكَثَتْ مَعَكُمْ مَلاَئِكَةُ اللَّيلِ قَالَ: فَيَسْأَلُهُم رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: جِئْنَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ. قَالَ: فَحَسِبْتُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: فَاغْفِرْ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ».

وفي لفظ له أيضاً: **«يَجْتَمِعُ مَلاَئِكَةُ اللَّيلِ وَمَلاَئِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، فَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ، فَتَصْعَدُ مَلاَئِكَةُ اللَّيلِ، وَتَثْبُتُ مَلاَئِكَةُ النَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ العَصْرِ، فَتَصْعَدُ مَلاَئِكَةُ النَّهارِ وَتَثْبُتُ مَلاَئِكَةُ اللَّيلِ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُم: كَيفَ تَرَكْتُم عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُم وَهُمْ يُصَلُّونَ وَتَرَكْنَاهُم وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَاغْفِرْ لَهُم يَوْمَ الدِّينِ».**

٤٣ ـ وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْداً أَنَّهُ مَنْ جَاءَ يُحَافِظُ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلاَ عَهْدَ لَهُ عِنْدِي»** (رواه أبو داود).

٤٤ ـ عَنْ كَعبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْنِدِي ظُهُورَنا إِلى قِبْلَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعة رَهْطٍ أَرْبَعَةَ مَوَالِينَا وَثَلاثةٌ مِنْ عَرَبِنَا، إِذْ خَرَجَ إِلينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الظُّهرِ حَتَّى انْتَهى إِلينا فَقَالَ: **«ما يُجْلِسُكُمْ هٰهُنا؟»** قُلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَنْتَظِر الصَّلاةَ قَالَ: فَأَرَمَّ قليلاً ثم رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: **«أتدرُونَ ما يقولُ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ؟»** قال: قُلنا: اللَّهُ وَرَسُولهُ أَعْلَمُ.

قال: **«فَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يقولُ: مَنْ صَلَّى الصَّلاةَ لِوَقْتِها وَحَافَظَ عَلَيها وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِخْفافاً بِحَقِّها فَلهُ عَلَيَّ عَهدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُصَلِّ لِوَقْتِها وَلَمْ يُحافِظْ عَلَيها وَضَيَّعَها اسْتِخْفافاً بحقِّها فلا عَهدَ لهُ إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ وَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُ».** (رواه أحمد).

---

٤٣ ـ [رواه أبو داود في الصلاة (٤٣٠) وابن ماجه (١٤٠٣) وهو حديث حسن].

٤٤ ـ [رواه أحمد (٦/١٨١٥٥) والدارمي (١٢٢٦) والطبراني في «الكبير» (٣١٢ ـ ٣١٣ ـ ٣١٤/ ١٩) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/١٦٧٨) وعزاه للطبراني في «الأوسط» و«الكبير» قال: وفيه عيسى بن المسيب البجلي، وهو ضعيف. اهـ. أقول: وعيسى هذا، قال فيه أبو زرعة: شيخ ليس بالقوي. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو حاتم: محله الصدق أقول: وهذا إسناد قابل للتحسين بما تقدم. والله تعالى أعلم].

ومعنى قوله: «فأرمّ»، أي سكت.

٤٥ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى أَصْحَابِهِ يَوْماً فَقَالَ لَهُمْ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُم عَزَّ وَجَلَّ**»؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، قَالَهَا ثَلاثاً «**قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لاَ يُصَلِّيهَا عَبْدٌ لِوَقْتِهَا إِلاَّ أَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ صَلاَّهَا لِغَيْرِ وَقْتِهَا إِنْ شِئْتُ رَحِمْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ**». (رواه الطبراني).

٤٦ ـ ومن طريق أبي بكرِ بن عُمارةَ بن رُؤَيْبَةَ، عَنْ أَبيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» يعني الفَجْرَ وَالعَصْرَ.

الشرح: قوله ﷺ: «يتعاقبون»: أي تأتي طائفة عقب طائفة، ثم تعود الأولى عقب الثانية، «**فيكم**» أي المصلين أو مطلق المؤمنين، «**ملائكة**» قيل هم الحفظة وقال القرطبي: الأظهر عندي أنهم غيرهم، ويقويه أنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار.

وقوله ﷺ: «ويجتمعون» قال ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح: قال ابن عبد البر: الأظهر أنهم يشهدون معهم الصلاة في جماعة واللفظ محتمل للجماعة وغيرها، كما يحتمل أن التعاقب يقع بين طائفتين دون غيرهم وأن يقع التعاقب بينهم في النوع لا في الشخص.

وقوله ﷺ: «**فيسألهم**»: قال الحافظ: قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبني آدم بالخير، وقال عياض: هذا السؤال على سبيل التعبد للملائكة كما أمروا أن يكتبوا أعمال بني آدم، وهو سبحانه وتعالى أعلم من الجميع بالجميع.

وقوله جل وعلا: «كيف تركتم عبادي»: قال في «الفتح»: قال ابن أبي جمرة: وقع السؤال عن آخر الأعمال لأن الأعمال بخواتيمها. قال: والعباد المسؤول عنهم هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقوله ﷺ: «تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» قال في «الفتح»: لم يراعوا الترتيب الوجودي، لأنهم بدؤوا بالترك قبل الإتيان، والحكمة فيه أنهم طابقوا السؤال لأنه قال: كيف تركتم؟ ولأن المخبر به صلاة العباد والأعمال بخواتيمها فناسب ذلك إخبارهم عن آخر عملهم قبل أوله، وقوله: «**تركناهم وهم**» ظاهره أنهم فارقوهم عند شروعهم في العصر سواء تمت أم منع مانع من إتمامها وسواء شرع الجميع فيها أم لا لأن المنتظر في حكم المصلي، ويحتمل أن يكون المراد بقولهم «**وهم يصلون**» أي ينتظرون صلاة المغرب.

فوائد الحديث: قال الحافظ ابن حجر: ويستفاد منه أن الصلاة أعلى العبادات لأنه عنها وقع

---

٤٥ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٥٥٥/ ١٠)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٧٩/ ٢) وعزاه الطبراني في «الكبير» وفيه: يزيد بن قتيبة، ذكره ابن أبي حاتم، وذكر له راوٍ واحد، ولم يوثقه ولم يجرحه اهـ].

٤٦ ـ [رواه مسلم (٦٣٤) وغيره].

السؤال والجواب، وفيه الإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح، وأن الأعمال ترفع آخر النهار، فمن كان حينئذ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله. ويترتب عليه حكمة الأمر بالمحافظة عليهما والاهتمام بهما، وفيه تشريف هذه الأمة على غيرها، ويستلزم تشريف نبيها على غيره.

وفيه الإخبار بالغيوب، وفيه الإخبار بما نحن فيه من ضبط أحوالنا حتى نتيقظ ونتحفظ في الأوامر والنواهي ونفرح في هذه الأوقات بقدوم رسل ربنا وسؤال ربنا عنا.

وفيه إعلامنا بحب ملائكة الله لنا لنزداد فيهم حباً ونتقرب إلى الله بذلك، وفيه كلام الله تعالى مع ملائكته وغير ذلك من الفوائد[١].

وقوله سبحانه وتعالى: «من صلى الصلاة لوقتها وحافظ عليها» فيه الحث على أداء الصلاة على أوقاتها ويشهد له قوله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، وقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]. «ولم يضيعها استخفافاً بحقها»، أي لم يؤخرها استهزاءً بها وعدم توفيتها شروطها من إقامتها وعدم القيام بفرائضها وسننها على الوجه المطلوب.

وقوله سبحانه وتعالى: «فله عليّ أن أدخله الجنة»، فيه البشارة من الله تعالى للقائمين على صلاتهم بدخول الجنة فضلاً من الله ونعمة. قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، «ومن لم يصلِّ لوقتها ولم يحافظ عليها وضيّعها استخفافاً بحقها»، فيه الترهيب عن عدم أداة الصلاة على أوقاتها المعهودة والتحذير من ذلك والوعيد عليه وقد جاء القرآن الكريم بالوعيد على ذلك فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥]، قال أهل التفسير: **﴿ويل﴾ كلمة زجر وتهديد ووعيد** شديد وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: **﴿ويل﴾ وادٍ في جهنم تستغيث جهنم من** حره. **وقوله جل وعلا: «فلا عهد له إن شئت عذبتهُ وإن شئت غفرت له»**. فيه أن من يفعل ذلك فلا عهد له عند الله فهو تحت مشيئته سبحانه وتعالى إن شاء رحمه وأدخله الجنة بفضله وإن شاء قذفه في النار بعدله.

خاتمة: ومن طريق أبي جمرة الضبعي عن أبي بكرٍ، عن أبيهِ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: **«مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ»**[٢] قال البغوي: أراد بِالبَرْدَيْنِ: صلاة الفجر والعصر، لكونهما في طرفي النهار، والبردان والأبردان: الغداة والعشي.

---

(١) فتح الباري (٢/ ٢٢٢/ ٢٢٦) مختصراً.

(٢) رواه البخاري (٥٧٤) ومسلم (٦٣٥) وغيرهما.

٣ ـ باب في فضيلة الصلاة في أول النهار

٤٧ ـ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ رَبُّكُم تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ابْنَ آدَمَ صَلِّ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَوَّلَ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ**».

وفي لفظ: «**يَا ابْنَ آدَمَ صَلِّ لا تَعْجَزْ عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ أَوَّلَ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ**» (رواه أحمد).

وفي لفظ: «**يَا ابْنَ آدَمَ صَلِّ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَوَّلَ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ**». (رواه أحمد).

٤٨ ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ لاَ تَعْجَزَنَّ مِنَ الأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ نَهَارِكَ أَكْفِكَ آخِرَهُ**» (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: «**قال ربكم تبارك وتعالى**: ابن آدم صل لي» أي خالصاً لوجهي «**أربع ركعات من أول النهار**» قيل: المراد فرض الصبح وسنته، وقيل: المراد صلاة الضحى.

وقوله عزّ وجلّ: «**أكفك آخره**» أي أكفك في آخره أمورك كلها عظيمها وصغيرها. قال الطيبي: أي أكفك شغلك وحوائجك، وأدفع عنك ما تكرهه بعد صلاتك إلى آخر النهار. **والمعنى**: فرّغ بالك بعبادتي في أول النهار، أفرغ بالك في آخره بقضاء حوائجك.

٤ ـ باب في فضل صلاة الجماعة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة

٤٩ ـ عَنْ أَبِي أيوبَ، أَنَّ نَوْفاً وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمرو بْنِ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، اجْتَمَعَا، فَقَالَ نَوْف: لَوْ أَنَّ السَّماوات والأَرضَ وَمَا فِيهِمَا وُضِعَ في كِفَّةِ المِيزانِ، وَوُضِعَتْ ـ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ـ في الكِفَّةَ الأُخرى، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ. وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ كُنَّ طَبْقاً مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، لَخَرَقَتْهُنَّ حَتَّى تَنْتَهي إِلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمرو: صَلَّينا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المغربَ، فَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ، وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، فَجاءَ ﷺ وَقَدْ كَادَ يَحسِرُ ثِيَابَهُ عَن رُكْبتيهِ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا مَعْشَرَ المُسْلِمينَ، هٰذا رَبُّكم قَدْ فَتَحَ بَاباً مِنْ أَبْوابَ السَّماءِ، يُبَاهِي بِكُم المَلاَئِكَةَ، يَقُولُ هٰؤُلاءِ عِبَادِي قَضُوا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخرىٰ**». (رواه أحمد).

وفي لفظ لأحمد (١)، أَنَّ نَوْفاً قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِملائِكَتِهِ: «**ادْعُوا لي عِبَادِي،**

---

٤٧ ـ [رواه أحمد (٢٢٥٣٢-٢٢٥٣٨/٨) وأبو داود (١٢٨٩) وابن حبان (٢٥٣٣) و(٢٥٣٤) وإسناده صحيح].

٤٨ ـ [رواه أحمد (٢٧٥٥٠/٨). . والترمذي (٤٧٥) وإسناده قوي].

٤٩ ـ [رواه أحمد (٦٧٥٠/٢)، وابن ماجه (٨٠١) مختصراً، وإسناده صحيح على شرط مسلم، واللفظ لأحمد، ونوف: هو ابن فضالة البكالي ابن امرأة كعب الأحبار].

(١) في مسنده (٦٨٧٧/٢) بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

قَالُوا: يا رَبِّ، كَيفَ والسَّمَاواتُ السَّبْعُ دُونَهُمْ، والعَرْشُ فَوْقَ ذٰلِكَ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ إِذَا قَالُوا لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، اسْتَجَابُوا».

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلاةَ المغربِ ـ أو غيرَها ـ قَالَ: فَجَلَسَ قَوْمٌ أَنَا فِيهِم يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ الأُخْرَىٰ. قَالَ: فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا يُسْرِعُ المَشْيَ، كَأَنِّي أَنْظُر إِلى رَفْعِهِ إِزَارَهُ لِيَكُونَ أحثَّ لَهُ في المشي. فَانْتَهىٰ إِلَيْنَا، فَقَالَ: **«أَلاَ أَبْشِرُوا، هٰذَاكَ رَبُّكُم أَمَرَ بِبَابِ السَّماءِ الوُسْطَى** ـ أو قال ـ **بِبَابِ السَّماءِ، فَفُتِحَ. فَفَاخَرَ بِكُم الملائِكَةَ. قَالَ انْظُروا إِلى عِبَادِي، أَدُّوْا حَقاً مِن حَقِّي، ثُمَّ هُمْ يَنْتَظِرُونَ أَدَاءَ حَقٍّ آخَرَ يُؤَدُّونَهُ»**.

الشرح: قوله: (ذُكر لنا) على بناء المفعول، أي في الكتب السابقة، أو من أخبار بعض الأنبياء السابقين. ذلك أن نوفاً كان وهو ابن فضالة البكالي ابن امرأة كعب الأحبار. رضي الله عنه، وكان كعب الأحبار يهودياً فأسلم.

ومعنى قول الملائكة: **(كيف والسماوات السبع دونهم)** أي وكيف يا رب يحضرون عندك والسماوات السبع بيننا وبينهم **(والعرش فوق ذلك)** ومعنى قوله: **(إنهم إذا قالوا إله إلا اللّه، استجابوا)** أي استجابوا لأوامري ولدعوتي لهم. كما يلبي المؤمنون دعوة الله لهم عند سماعهم للآذان.

٥ ـ باب في فضل التامين خلف الإمام

٥٠ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«إِذَا أَمَّنَ القَارِىءُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّ المَلائِكَةَ تُؤَمِّنُ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الملائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقدمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**. (متفق عليه).

وفي رواية بلفظ: **«إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الملائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»** قَالَ ابنُ شِهابٍ ـ وهو أحد رواة الحديث ـ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«آمِينَ»**.

وفي رواية عند مسلم بلفظ: **«إِذَا قَالَ أَحَدُكُم في الصَّلاةِ آمِينَ، وَالمَلائكَةُ في السَّمَاءِ آمِينَ، فَوافَقَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.

وفي رواية له أيضاً: **«إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ، وَالملائِكَةُ في السَّماءِ آمينَ، فَوافَقَتْ إِحْداهُما الأخرى، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.

وفي لفظ له أيضاً: **«إِذَا قَالَ القَارِىءُ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَقَالَ مَنْ خَلْفِهِ؛ آمِينَ، فوافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.

---

٥٠ ـ [رواه مالك في «موطئه» (١٩٥) في الصلاة. وأحمد (٧١٩٠/٣)... والبخاري (٧٨٠) و(٦٤٠٢) ومسلم (٤١٠)... وأبو داود (٩٣٦) والترمذي (٢٥٠) والنسائي (٩٢٧) وابن ماجه (٨٥٢) والدارمي (١٢٤٥) والحميدي (٩٣٣) وغيرهم من أئمة الحديث الشريف، واللفظين الأولين للبخاري].

وفي رواية عند أحمد وغيره بلفظ: «**إذَا قَالَ الإمَامُ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَقُولُوا آمِينَ، فَإنَّ المَلاَئِكَةَ يَقُولُونَ: آمِينَ، وَإنَّ الإمَامَ يَقُولُ: آمِينَ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

الشرح: قوله ﷺ: «**إذا أمن القارىء فأمنوا**» وفي الرواية الثانية: «**إذا أمن الإمام فأمنوا**» وفي الرواية الأخرى: «**إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا آمين**» والروايات متفقة على عدم مسابقة الإمام بالتأمين والمراد اقتران قول المأتم بقول الإمام. وهو قول جمهور أهل العلم.

قوله ﷺ: «**فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة**» وفي الرواية الأخرى: «**إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى**» وفي رواية أحمد «**فإن الملائكة يقولون آمين، وإن الإمام يقول: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة**» واللفظ يدل على أن المراد الموافقة في القول والزمان.

وقوله ﷺ: «**غفر له ما تقدم من ذنبه**» ظاهره غفران جميع الذنوب الماضية، وهو محمول عند جمهور أهل العلم على الصغائر.

٦ ـ باب في فضل التسميع والتحميد

٥١ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إذَا قَالَ الإمَامُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فَإنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». (متفق عليه).

٥٢ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَنَا فَبَيَّنَ لَنَا سُنَّتَنَا وَعَلَّمَنَا صَلاَتَنَا. فَقَالَ: «**إذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُم. ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ. فَإذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا. وَإذَا قَالَ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾** [الفاتحة: ٧] **فَقُولُوا: آمِينَ. يُجِبْكُمُ اللَّهُ. فَإذَا كَبَّرَ وَرَكَعَ فَكَبِّرُوا وَارْكَعُوا. فَإنَّ الإمَامَ يَرْكَعُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ**» فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَتِلْكَ بِتِلْكَ. وَإذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ. فَإنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. وَإذَا كَبَّرَ وَسَجَدَ فَكَبِّرُوا وَاسْجُدُوا. فَإنَّ الإمَامَ يَسْجُدُ**

---

٥١ ـ [أخرجه مالك في «موطئه» في الصلاة (١٩٨) باب (١١) «ما جاء في التأمين خلف الإمام». وأحمد (٣/٩٩٣٠)، والبخاري (٧٩٦) و (٣٢٢٨)، ومسلم (٤٠٩)، وأبو داود (٨٤٨) والترمذي (٢٦٧) والنسائي (١٠٦٢) وغيرهم، واللفظ للبخاري].

٥٢ ـ [أخرجه أحمد (٧/١٩٥٢١)... ومسلم (٤٠٤) وأبو داود (٩٧٢) و(٩٧٣) والنسائي (١٠٦٣).. وابن ماجه (٩٠١) واللفظ لمسلم مختصراً].

قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «فَتِلْكَ بِتِلْكَ. وَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ فَلْيَكُنْ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِ أَحَدِكُمْ: التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ. السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». (رواه مسلم).

٧ ـ باب في دعاء الملائكة لمن رابط في المسجد ينتظر الصلاة

٥٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضعاً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً. وَذٰلِكَ أَن أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ. لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ. لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ. فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ. وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ. حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ. فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِيَ تَحْبِسُهُ. وَالْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ. يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ! ارْحَمْهُ. اللهم! اغْفِرْ لَهُ. اللَّهُمَّ! تُبْ عَلَيْهِ. مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ. مَا لَمْ يَحْدِثْ فِيهِ». (متفق عليه).

وفي لفظ للبخاري: «الملائِكَةُ تُصلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ».

وفي لفظ له أيضاً: «إِنَّ الملائِكَةَ تُصلِّي عَلَى أَحَدِكُم مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لاَ يَزَالُ أَحَدُكُم فِي صَلاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُهُ، لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاَةُ».

وفي لفظ لأحمد: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ لا يَحْبِسُهُ إِلاَّ انْتِظَارُ الصَّلاةِ وَالملائِكَةُ مَعَهُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْحمهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ».

الشرح: **قوله ﷺ : «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه بضعاً وعشرين درجة» البضع** ـ بكسر الباء وفتحها ـ هو من الثلاثة إلى العشرة. والمراد هنا: خمس وعشرون، وسبع وعشرون درجة، كما جاء في حديث عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **«صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»** وفي لفظ: **«صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته وحده سبعاً وعشرين»**[١]، وكما جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة»**. (رواه البخاري وغيره).

---

٥٣ ـ [رواه مالك في «موطئه» في قصر الصلاة في السفر (٣٨٢) باب (١٨) «انتظار الصلاة والمشي إليها». وأحمد (٣/١٠٩٠١)، والبخاري (٤٤٥) و (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩) وأبو داود (٥٥٩) والترمذي (٦٠٣) وابن ماجه (٢٨١) والطيالسي (٢٤١٢) وغيرهم كثير من أئمة الحديث الشريف، واللفظ الأول لمسلم].

(١) رواه البخاري (٦٤٥) ومسلم (٦٥٠) وغيرهما.

وقوله ﷺ: **«لا ينهزه إلا الصلاة»** أي لا يحركه إلا إرادة الصلاة. ومنه: انتهز الفرصة، أي تحرك إليها وحصّلها.

وقوله ﷺ: **«والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له اللهم تب عليه»** وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، قيل: السر فيه أنهم يطلعون علىٰ أفعال بني آدم، وما فيها من المعصية والخلل في الطاعة، فيقتصرون على الاستغفار لهم من ذلك، لأن دفع المفسدة مقدم على جلب المعصية. ولو فرض أن في بني البشر من تحفظ من ذلك، فإنه يعوض من المغفرة بما يقابلها من الثواب(١).

وقوله ﷺ: **«ما لم يؤذ فيه»** أي ما لم يصدر عنه ما يتأذى به بنو آدم من أنواع الشرور، وكذا الملائكة من أنواع الروائح الكريهة كأكل الثوم والبصل ونحوهما.

وقوله ﷺ: **«ما لم يحدث فيه»** وقد جاء في إحدى روايات الحديث بلفظ: **«لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة ما لم يحدث»** فقال رجل أعجمي: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: الصوت. والمراد خروج الريح(٢). وقد أخرج البخاري وغيره من طريق عباد بن تميم عن عمه عن النبي ﷺ قال: **«لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»** (٣) وإنما خصهما ﷺ بالذكر دون ما هو أشد منهما، لكونهما لا يخرج من المرء غالباً في المسجد غيرهما.

وفي الحديث فضل صلاة الجماعة، وفضل الخطا إلى المساجد، وفضل مراعاة حقوق المسلمين، وفضل انتظار الصلاة إلى الصلاة.

٨ ـ باب في مواقيت الصلاة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

٥٤ ـ عن ابن شهابٍ، أَنَّ عمرَ بنَ عَبْدِ العزيزِ، أَخَّرَ العَصرَ شَيئاً، فَقَالَ لَهُ عُروةَ: أَمَا إِنَّ جِبريلَ قَدْ نَزَلَ فَصَلَّى أَمَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عُمرُ بْن عبدِ العزيز: أَعلمْ مَا تَقُول يَا عُروة، قَالَ: سَمِعْتُ بَشِيرَ بنَ أَبي مَسعودٍ يقولُ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي فَصَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ»** يَحْسُبُ بِأَصابِعِهِ خَمْسَ صَلواتٍ. (متفق عليه).

---

(١) قاله في الفتح.

(٢) رواه البخاري (١٧٦) وغيره.

(٣) البخاري (١٧٧).

٥٤ ـ [رواه مالك في «موطئه» في وقوت الصلاة (١) في فاتحته. والبخاري في بدء الخلق (٣٢٢١) ومسلم في المساجد (٦١٠) والحميدي (٤٥١) وابن ماجه (٦٦٨) وغيرهم. واللفظ للبخاري].

٥٥ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَمَّنِي جِبْرِيلُ فِي الصَّلاةِ فَصَلَّى الظُّهرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، وَصَلَّى العَصْرَ حِينَ كَانَ الفَيْءُ قَامَةً، وَصَلَّى المَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، وَصَلَّى العِشَاءَ حِينَ غابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى الفَجْرَ حِينَ طَلَعَ الفَجْرُ، ثُمَّ جَاءَهُ الغَدُ فَصَلَّى الظُّهرَ وَفَيْءُ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُهُ، وَصَلَّى العَصْرَ وَالظِّلُّ قَامَتَانِ، وَصَلَّى المَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، وَصَلَّى العِشَاءَ إلى ثُلُثِ اللَّيلِ الأوَّلِ، وَصَلَّى الصُّبْحَ حِينَ كَادَتِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ، ثم قَالَ: الصَّلاةُ فِيما بَيْنَ هٰذَيْنِ الوَقْتَيْنِ»**. (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: «نزل جبريل فأمني فصليت معه». وفي الحديث الآخر: **«أمني جبريل في الصلاة. . .»** الخ. قال في «الفتح»[1]: بيّن ابن إسحاق في «المغازي» أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة، وهي ليلة الإسراء. قال ابن إسحاق: حدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير ـ وقال عبد الرزاق ـ عن ابن جريج قال: قال نافع بن جبير وغيره: لما أصبح النبي ﷺ من الليلة التي أسري به لم يرعه إلا جبريل، نزل حين زاغت الشمس، ولذلك سميت ـ الأولى ـ أي صلاة الظهر، فأمر فصيح بأصحابه: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى به جبريل وصلى النبي ﷺ بالناس. . .» فذكر الحديث. وفيه ردّ على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة، والحق أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي ﷺ.

قال: وحديث أبي مسعود يُشعر بأن أصل بيان الأوقات كان بتعليم جبريل.

٩ ـ باب في صلاة الجمعة، وفضل التهجير إليها

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

٥٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوابِ المَسْجِدِ مَلائِكَةٌ يَكْتُبُونَ، الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ طَوَوا الصُّحُفَ وَجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ. وَمَثَلُ المُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي البَدَنَةَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدي الكَبْشَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الدَّجَاجَةَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي البَيْضَةَ»**. (متفق عليه).

ورواه ابن ماجه بلفظ: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوابِ المَسْجِدِ مَلائِكَةٌ يَكْتُبُونَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ، الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوا الصُّحُفَ، واسْتَمَعُوا الخُطْبَةَ، فَالمُهجِّرُ إِلَى الصَّلاةِ كَالمُهْدِي بَدَنَةً. ثُمَّ الَّذي يَلِيهِ كَمُهْدِي بَقَرَةً. ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ كَمُهْدِي كَبْشٍ ـ حَتَّى**

---

٥٥ ـ [رواه أحمد (٤/١١٢٤٩) وإسناده حسن، وله شواهد يرقى بها عن رتبة الحسن].

(١) الفتح (٢/ ١٨٤).

٥٦ ـ [رواه أحمد (٧٢٦٢ ـ ٣/٧٢٦٣) والبخاري (٩٢٩) و(٣٢١١) ومسلم (٢٤/٨٥٠) في الجمعة. والنسائي (١٣٨٤ ـ ١٣٨٥) وابن ماجه (١٠٩٢) وابن خزيمة (١٧٦٩) وغيرهم. واللفظ لمسلم].

ذَكَرَ الدَّجَاجَةَ وَالبَيْضَةَ ـ فَمَنْ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّما يَجِيءُ بِحقٍّ إلَى الصَّلاَةِ» (١).

الشرح: قوله ﷺ: **«إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول»** أي يكتبون أسماء من يدخل المسجد أولاً، ثم الذي يليه ثم الذي يليه.. وهكذا لتفاوت الأجر بحسب رتبة كل منهم وبحسب درجته عند ربه.

قوله ﷺ: **«فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر»** المراد بالذكر هنا خطبة الجمعة. وما يسبقها من آذان. وقد جاء وصف الصحف عند أبي نعيم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم الجمعة بعث الله الملائكة بصحف من نور، وأقلام من نور، فيجلسون على أبواب المساجد فيكتبون الأول فالأول حتى تُقام الصلاة»** (٢). قال في «الفتح» (٣): وهو دال على أن الملائكة المذكورين غير الحفظة. والمراد بطيِّ الصحف، طيُّ صحف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها من سماع الخطبة، وإدراك الصلاة والذكر والدعاء والخشوع ونحو ذلك، فإنه يكتبه الحافظان قطعاً.

وقوله ﷺ: **«ومثل المهجر»** أي ومثل من يبادر إلى الصلاة في أول الوقت. قال أهل اللغة «المهجر» اسم فاعل من التهجير. والمراد بالتهجير هنا: التبكير. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام **«لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه»** أي التبكير إلى كل صلاة. وقيل: التهجير: هو السير في الهاجرة. أي نصف النهار، حيث تكون في كبد السماء وتكون متوهجة الحرارة. قال النووي: والصحيح هنا، أن التهجير: التبكير. وهو كما قال.

وقوله ﷺ: **«كمثل الذي يهدي بدنة»** أي كأنما قرب بدنة متصدقاً بها إلى الله تعالى. والبدنة: واحدة البدن، وهي الإبل.

وقوله ﷺ: **«ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كالذي يهدي الكبش، ثم كالذي يهدي الدجاجة، ثم كالذي يهدي بيضة»** قال الطيبي رحمه الله تعالى: في لفظ الإهداء إدماج بمعنى التعظيم للجمعة. وأن المبادر إليها كمن ساق الهدي. اهـ. مختصراً. وفيه تفاوت رتب المبادرين إلى الجمعة، وتفاضل منازلهم وفيه الحث على المبادرة إلى الجمعة في أول الوقت. لتحصيل هذا الخير الكبير. قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٢].

وقوله ﷺ: **«فمن جاء بعد ذلك فإنما يجيء بحق إلى الصلاة»** أي فمن جاء بعد خروج الإمام إلى المنبر ـ أي صعوده إليه طوت الملائكة تلك الصحف، ودخلت إلى المسجد يستمعون الذكر، وفات من دخل إلى المسجد بعد ذلك فضيلة تسجيله في صحف الملائكة، ولم ينل من الجمعة إلا

---

(١) ابن ماجه (١٠٩٢).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٥١).
(٣) الفتح (٣/ ٢١).

حقها عليه. وقد وقع عند ابن خزيمة بإسناد فيه كلام، من طريق مطر الوراق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: **«تبعث الملائكة على أبواب المسجد يوم الجمعة، يكتبون مجيء الناس، فإذا خرج الإمام طويت الصحف، ورفعت الأقلام، فتقول الملائكة بعضهم لبعض: ما حبس فلاناً؟ فتقول الملائكة: اللهم إن كان ضالاً فاهده، وإن كان مريضاً فاشفه، وإن كان عائلاً فاغنه»**[1].

١٠ ـ باب ما يقوله من الدعاء والتسبيح عقب الصلاة

٥٧ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ والنبيُّ ﷺ في الصَّلاةِ فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً كَثيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ. فَلمَّا قَضَى النبيُّ ﷺ الصَّلاةَ قَالَ: **«أيُّكم القَائِلُ كَذَا وَكَذَا»** قَالَ: فَأَرَمَ القَوْمُ، قَالَ: فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مِرَارٍ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا قُلْتَهَا، وَمَا أَردتُ بِهَا إلاَّ الخَيْرَ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: **«لَقَدْ ابْتَدَرَهَا اثْنَا عَشَرَ مَلِكاً، فَمَا دَرَوْا كَيفَ يَكْتُبُونَهَا حَتَّى سَأَلُوا رَبَّهم عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: اكْتُبُوهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي»**. (رواه أحمد).

وفي رواية عند الطيالسي بلفظ: **«لَقَدْ رَأَيْتُ اثْني عَشَرَ مَلَكاً ابْتَدَرُوهَا حَتَّى رَفَعُوهَا، فَقَالَ تَبَارَكَ وتَعَالَى: اكْتُبُوهَا، أَلاَ إِنَّهُمْ سَأَلُوا رَبَّهِمْ: كَيفَ يَكْتُبُوهَا، فَقَالَ: اكْتُبُوهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي»**.

الشرح: قوله: «فأرم القوم»: أي سكتوا. وذلك لظنهم أنهم ارتكبوا محظوراً.

وقوله ﷺ: **«لقد ابتدرها اثنا عشر ملكاً»** أي تسارعوا في التقافها وأخذها من قائلها ليصعدوا بها إلى ربهم جل وعلا.

وقوله ﷺ: **«فما دروا كيف يكتبونها»** أي ليعادلوها بالحسنات، وذلك لعظم ثواب قائلها، وعظيم جزاءه.

وقوله جل وعلا: **«اكتبوها كما قال عبدي»** أي اكتبوها كما هي ولا تماثلوها بأي مقدار من الجزاء، فجزائها إنما هو لله وحده، فإنه لا يعلم مقدار ثوابها إلا هو. سبحانه وتعالى. وفيه الحث على المداومة على هذا الذكر في الصلاة، وعظيم فضل من قاله، وأن ثوابه لا يعلمه إلا الله.

٥٨ ـ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ أُمَّ سُلَيْم غَدَتْ عَلَى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَتْ: عَلِّمني كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ في صَلاتي، فَقَالَ: **«كَبِّري اللَّهَ عَشراً، وَسَبِّحي اللَّهَ عَشراً، وَاحْمدِيهِ عَشراً، ثُمَّ سَلِي**

---

(١) ابن خزيمة (١٧٧١).

٥٧ ـ [أخرجه أحمد (٤/ ١٢٩٨٨)، والطيالسي (٢٠٠١) وابن خزيمة (٤٦٦)، وأبو يعلى (٣١٠٠) وعبد بن حميد (١١٩٥) وإسناده صحيح على شرط الشيخين، واللفظ الأول لأحمد، والثاني لأبي داود الطيالسي].

٥٨ ـ [رواه أحمد (٤/ ١٢٢٠٧) والترمذي (٤٨٠) وحسنه، والنسائي (١٢٩٨) والحاكم (٩٣٧ ـ ١/ ١١٩١) وصححه، وابن خزيمة (٨٥٠) وابن حبان (٢٠١١) ورجاله ثقات رجال الشيخين، غير عكرمة بن عمار. روى له مسلم متابعة وأصحاب السنن، فالحديث ينزل عن رتبة الصحيح إلى الحسن].

مَا شِئْتِ، يَقُولُ: نَعَمْ، نَعَمْ. (رواه الترمذي).

وفي روايةٍ عِنْدَ أحمد بلفظِ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْم إلى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمني كَلِمَاتٍ أَدْعُو بِهِنَّ. قَالَ: «**تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عَشراً، وَتَحْمَدِينَهُ عَشراً، وَتُكَبِّرِينَهُ عَشراً، ثُمَّ سَلِي حَاجَتَكِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: قَدْ فَعَلْتُ، قَدْ فَعَلْتُ**».

الشرح: **قولها: (علمني كلمات أقولهن في صلاتي)** المراد عقب صلاتها، وقد جاء في رواية أحمد (**يا رسول الله علمني كلمات أدعو بهن**) باللفظ المطلق. وقد جاء عند أبي يعلى وعند البزار بإسناد ضعيف، أن أنس رضي الله عنه، قال: زار رسول الله ﷺ أم سُليم، فصلى في بيتها صلاة تطوعٍ، فقال: «**يا أم سُليم إذا صليت المكتوبة فقولي: سبحان الله عشراً، والله أكبر عشراً، ثم سلي ما شئت فإنه يقول لك: نعم، ثلاثة مراتٍ**»[١]. لفظ أبي يعلى.

١١ ـ باب في ثواب من أذّن وصلى في مناى عن الناس لبعد مسافته عنهم

٥٩ ـ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَعْجَبُ رَبُّكُم مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ يُؤَذِّنُ بِالصَّلاَةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاَةَ يَخَافُ مِنِّي، فَقَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ**». (رواه أبو داود).

الشرح: **قوله ﷺ**: «**يعجب ربكم..**» أي يرضى. قال الإمام النووي: التعجب على الله تعالى محال، إذا لا يخفى عليه أسباب الأشياء، والتعجب إنما يكون مما خفي سببه، فالمعنى: عَظُمَ ذلك عنده وكبر، وقيل معناه: الرضا.

وقوله ﷺ: «**من راعي غنم**» ويندرج في صفته كل من كان في أرض فلاة أو أبعدته المسافة عن الناس «**في رأس شظية بجبل يؤذن ويصلي**» **والشظية**: القطعة المرتفعة في رأس الجبل.

وأما الأذان في الفلاة، ورفع الصوت فيه فقد حث عليه النبي ﷺ فعند البخاري من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري ثم المازني عن أبيه، أنه أخبره: أن أبا سعيد الخدري قال له: إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك، فأذنت بالصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذنِ، جنٌ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهد له يوم القيامة. قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ [٢].

وقوله جل وعلا: «**يخاف مني**» أي من عقابي في حال ترك الصلاة، وعلى وجه الخصوص لمن كان بعيداً عن أنظار المسلمين، حيث إنه ما دفعه إلى الأذان وإقامته للصلاة إلا طاعته لله تعالى وخوفه من عقابه.

---

(١) أبو يعلى (٤٢٩٢) والبزار (٣٠٩٦).

٥٩ ـ [رواه أحمد (٦/١٧٤٤٧) وأبو داود (١٢٠٣) والنسائي (٦٦٥) وابن حبان (١٦٦٠) والطبراني في «الكبير» (١٧/٨٣٣) وإسناده صحيح، واللفظ لأبي داود].

(٢) رواه البخاري (٦٠٩) وغيره.

وقوله جل وعلا: «**فقد غفرت لعبدي**» بسبب طاعته، وانصياعه لأمري «**وأدخلته الجنة**» برحمتي له، وغفراني لذنوبه بعظيم صنعه. وفيه فضل من أطاع الله تعالى في السر، طاعة وخشية.

فصل في فضل السنن والنوافل

١٢ ـ باب في فضيلة صلاة التطوع، وأنها تجبر نقصان الفريضة

٦٠ ـ عَنْ تَميم الدَّارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلاةُ، فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ كَامِلَةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْمَلَهَا قَالَ لِلمَلائِكَةِ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَأَكْمِلُوا بِهَا مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ، ثُمَّ الزَّكَاةُ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى حَسْبِ ذٰلِكَ**». (رواه أحمد).

٦١ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الصَّلَاةِ قال: يقولُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ أَنْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئاً قَالَ أَنْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مَنْ تَطَوُّعٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى ذٰلِكُمْ**» قال يونس ـ وهو أحد رواة الحديث ـ: وأحسبه قد ذكر النبي ﷺ. (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة**» وذلك لعظم شأنها وكبير مقامها عند الله تعالى، ولا ينافي ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**أول ما يقضى بين الناس في الدماء**»[(١)].

فإن الصلاة هي حق الله تعالى، وأما الدماء فهي حق الناس، فيكون معنى قوله ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة**» أي فيما بينه وبين الله تعالى، ومعنى قوله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس في الدماء**» أي فيما جرى بينهم، فلا منافاة بين الحديثين. وقد أخرجهما النسائي في حديث واحد، بإسناد صحيح، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

٦٠ ـ [رواه أحمد (٦/١٦٩٥١) وأبو داود (٨٦٦) والدارمي (١٣٥٥) والبيهقي (٢/٣٨٧) وإسناده صحيح. واللفظ لأحمد].

٦١ ـ [رواه أحمد (٣/٩٤٩٩) وأبو داود (٨٦٤) والترمذي (٤١٣) والنسائي (٤٦٦) و٤٦٧ و٤٦٨) وابن ماجه (١٤٢٥) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٣٤/ ٣٥) والدارقطني في «العلل» (٨/٢٤٨) والطيالسي (٢٤٦٨) وغيرهم من طرق لا تخلوا من مقال بألفاظ متقاربة. لكن يشهد له الحديث المتقدم، وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه بمعناه عند أبي يعلى (٣٩٧٦ ـ ٧/٤١٢٤) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/١٥٩٧) وتعقبه بقوله بعدما عزاه لأبي يعلى: وفيه يزيد الرقاشي، ضعفه شعبة وغيره، ووثقه ابن معين وابن عدي. اهـ. **أقول**: وبالجملة فالحديث صحيح ولا يضر اضطراب إسناده والله أعلم.

(١) رواه البخاري (٦٨٦٤) وغيره.

«أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يُقضى بين الناس في الدماء»(١).

قوله ﷺ: «فإن كان أكملها» أي أتَمَّ فرائضها وسننها وكذا الخشوع فيها «كتبت له كاملة» من غير نقصان «وإن لم يكن أكملها» أي أخل بأركانها وشروطها. قال العراقي: يحتمل أن يُراد به ما انتقص من السنن والهيئات المشروعة فيها، من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة، وإن لم يفعله فيها، وإنما فعله في التطوع. ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضاً من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأساً فلم يُصله، فيعوض عنه من التطوع، والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضاً عن الصلوات المفروضة(٢).

قوله عزّ وجل: «انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فأكملوا بها ما ضيع من فريضة، ثم الزكاة، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك» قال القاضي أبو بكر بن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ: يحتمل أن يكون يكمل له ما نقص من فرض الصلاة، وإعدادها بفضل التطوع. ويُحتمل ما نقصه من الخشوع، والأول عندي أظهر لقوله: «ثم الزكاة» كذلك وسائر الأعمال، وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل. فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها، كذلك الصلاة، وفضل الله أوسع، ووعده أنفذ، وعزمه أعم وأتم. انتهى(٣).

١٣ ـ باب في فضل قيام الليل والدعاء فيه

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

٦٢ ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ. رَجُلٍ ثَارَ مِنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي. وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ، وَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الانْهِزَامِ، وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ. فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ

---

(١) النسائي في سننه (٤٠٠٢).

(٢) حاشية الترمذي (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١).

(٣) عارضة الأحوذي (١/ ٤٢١).

٦٢ ـ [رواه ابن حبان (٢٥٥٧) وأبو يعلى (٥٢٧٢) والطبراني في «الكبير» (١٠٣٨٣/ ١٠) بإسناد صحيح. ورواه أحمد (٣٩٤٩/ ٢) وابن حبان (٢٥٥٨) وأبو داود (٢٥٣٦) وأبو يعلى (٥٣٦٢)... والشاشي (٨٧٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٤/ ٩) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٦٧/ ٤) والبغوي في «شرح السنة» (٩٣٠) وغيرهم. من طرق عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود به. وبعضهم يزيد عن بعض. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٥٣٨/ ٢) وعزاه لأحمد وأبو يعلى والطبراني في «الكبير» وقال: وإسناده حسن. وأما اللفظ الموقوف. فأورده الهيثمي (٣٥٤٠/ ٢) وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن].

دَمُهُ. فَيَقُولُ اللّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَجَاءَ فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ. (رواه ابن حبان).

ورواه أبو يعلى بلفظ: **«عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ، رَجُلٍ ثَارَ مِنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ، مِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلاَةٍ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي. وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَانْهَزَمَ، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الانهِزَامِ وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى يُهرِيقَ دَمَهُ. فَيَقُولُ اللّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: انْظُروا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ»**.

وَرَواهُ الطبراني مَوْقُوفاً على عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: **«أَلاَ إِنَّ اللّهَ يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ، رَجُلٌ قَامَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ فِرَاشِهِ وَلِحَافِهِ وَدِثَارِهِ، فَتَوضَّأَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَيَقُولُ اللّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِمَلاَئِكَتِهِ: مَا حَمَلَ عَبْدِي هٰذَا عَلَى مَا صَنَعَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رَجَاءَ مَا عِنْدَكَ، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا رَجَا، وَأَمَّنْتُهُ مِمَّا يَخَافُ»**.

الشرح: قوله ﷺ: «عجب ربنا من رجلين..» العجب هنا بمعنى الاستحسان والرضى، وليس هو بمعنى تعجبنا، فإنه لا يليق بالله تعالى، وهو المنزه عن النقائص والانفعالات وغير ذلك من الخلق. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله جل وعلا: «ورجل غزا في سبيل الله، فانهزم» وذلك لغلبة العدو، وكثرتهم **«فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع»** لقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ [الأنفال: ٤٥]. ولقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥ ـ ١٦].

وقوله ﷺ: «رجل ثار عن وطائه ولحافه» أي ترك فراشه أو ما ينام عليه بهمة ونشاط، وكشف لحافه وغطائه وقام لطاعة الله تعالى بعزم ونشاط.

قوله جل وعلا: «فرجع حتى يهريق دمه» أي استشهاداً في سبيل الله شجاعة وإقداماً وبسالة لدين الله تعالى: **«فيقول الله لملائكته انظروا إلى عبدي»** لا يخفى ما فيه من الثناء **«رجع»** ليستشهد في سبيلي **«رغبة فيما عندي»** أي يرغب فيما أعددته له من الثواب **«وشفقة مما عندي»** أي وخوفاً من عقابي **«حتى أهريق دمه»** في سبيلي وابتغاء مرضاتي.

٦٣ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ثَلاَثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللّهُ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ. الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِيهِ، قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلّهِ تَعَالَى. فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ وَيَكْفِيهِ. فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هٰذَا كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسِهِ! وَالَّذِي لَه امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ،**

---

٦٣ ـ [أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٣٥٣٦) وقال: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات. أقول: ويشهد له ما تقدم].

وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ. فَيَقُولُ: يَذَرُ شَهْوَتَهُ، وَيَذْكُرُنِي، وَلَوْ شَاءَ رَقَدَ. وَالَّذِي إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ، فَسَهِرُوا ثُمَّ هَجَعُوا، فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَّاءَ سَرَّاءَ». (رواه الطبراني).

الشرح: قوله ﷺ: «ألا إن الله يضحك إلى رجلين..». قال أبو سليمان الخطابي: الضحك الذي يعتري البشر عندما يستخفهم الفرح، أو يستنفزهم الطرب، غير جائز على الله عز وجل، وهو منفي عن صفاته.

ومعناه في صفة الله عز وجل الإخبار عن الرضى بفعل أحدهما، والقبول للآخر ومجازاتهما على صنيعهما الجنة، مع اختلاف أحوالهما وتباين مقاصدهما. وقال الإمام أبو عبد الله البخاري: معنى الضحك: الرحمة. اهـ. قال الخطابي: قول أبي عبد الله البخاري قريب، وتأويله على معنى الرضى لفعلهما أقرب وأشبه. ومعلوم أن الضحك من ذوي التميز يدل على الرضى والبُشْرِ، والاستهلال منهم، دليل قبول الوسيلة، ومقدمة إنجاح الطلبة. والكرام يوصفون عند المسألة بالبُشْرِ وحسن اللقاء. فيكون المعنى في قوله ﷺ: **«إن الله يضحك إلى رجلين»** أي تجذل العطاء لهما، لأنه موجب الضحك ومقتضاه[1].

١٤ ـ باب في فضل الوضوء والصلاة بالليل

٦٤ ـ عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: لاَ أَقُولُ الْيَوْمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ما لَمْ يَقُلْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتاً مِنْ جَهَنَّمَ»**.

وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطُّهُورِ وَعَلَيْهِ عُقَدٌ، فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ، انحلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ، انحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ، انحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ للذِي وَرَاءَ الحِجَابِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هٰذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ لِيَسْأَلَنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هٰذا، فَهُوَ لَهُ. مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هذا فَهُوَ لَهُ»**. (رواه ابن حبان).

الشرح: قوله ﷺ: «رجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور» أي رجل من المسلمين استيقظ يجاهد نفسه ليلاً إلى الطهور من غسل أو وضوء وما في ذلك من مشقة على النفس وعلى وجه الخصوص ما يحصل من المكابدة على ذلك في الليالي الباردة.

وقوله ﷺ: **«وعليه عقد»** وهو نحو ما جاء عند الشيخين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقدٍ، يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت**

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٥/ ٥٩٢-٥٩٣) مختصراً.

٦٤ ـ [رواه أحمد (١٧٤٦٥ ـ ١٧٨٠٥/٦) والطبراني في «الكبير» (١٧/٧٤٣) وابن حبان (١٠٥٢) و(٢٥٥٥) واللفظ له وإسناده صحيح، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١١٣٥) وعزاه لأحمد والطبراني في «الكبير» وقال: وله سندان عندهما، رجال أحدهما ثقات].

عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبث النفس كسلان»[(١)].

وقوله ﷺ: **«فيقول الله عزّ وجلّ للذي وراء الحجاب»** وعند أحمد: **«فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب»** أي الملائكة يُحجبون عنا بأغطية غير مرئية على أبصارنا. قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وقوله ﷺ إخباراً عن رب العزة: **«انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ليسألني»** أي يجاهد نفسه للطلب من الكريم المتعال. ولا يخفى ما في اللفظ من ثناء ومدح ومباهاة لمن كان هذا حاله، أمام ملائكة الرحمن. ولا يخفى أيضاً من سرعة إجابة هذا الداعي لتكرار اللفظ بقوله تعالى: **«ما سألني عبدي هذا فهو له، ما سألني عبدي هذا فهو له»**.

١٥ ـ باب حال العبد إذا نام عن صلاة الليل

٦٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُم إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ. يَضْرِبُ عَلى مَكَانِ كُلِّ عُقْدَةٍ. عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انحَلَّتْ عُقْدَةٌ. فَإِنْ تَوَضَّأَ انحَلَّتْ عُقْدَةٌ. فَإِنْ صَلَّى انحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ»**. (متفق عليه).

ورواه مسلم بلفظ: **«يَعْقِدُ الشَّيطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ: عَلَيْكَ لَيْلاً طَوِيلاً. فَإِذَا اسْتَيقَظَ، فَذَكَرَ اللَّهَ، انحَلَّتْ عُقْدَةٌ. وَإِذَا تَوَضَّأَ، انحَلَّتْ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انحَلَّتِ العُقَدُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ»**.

الشرح: قوله ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد» القافية: آخر الرأس وهو آخر الأضراس. وقافية كل شيء آخره، ومنه قافية الشعر. وفي مسند أحمد وغيره بإسناد صحيح من حديث جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من ذكر ولا أنثى إلا وعلى رأسه جرير معقود ثلاث عقد، حين يرقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى، انحلت عقدة، فإذا قام فتوضأ انحلت عقدة، فإذا قام إلى الصلاة، انحلت عقده كلها»**[(٢)].

وقوله ﷺ: **«يضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد»**، قيل: هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان، ومنعه من القيام. قال الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾

---

(١) رواه البخاري (١١٤٢) ومسلم (٧٧٦) وغيرهما، واللفظ للبخاري.

٦٥ ـ [رواه مالك في «موطئه» (٤٢٦) في قصر الصلاة في السفر. باب (٢٥) جامع الترغيب في الصلاة، وأحمد (٧٣١٢/ ٣) والبخاري (١١٤٢) و(٣٢٦٩) ومسلم (٧٧٦) والنسائي في «المجتبى» (١٦٠٦) وفي «الكبرى» (١٣٠١/ ١) وابن حبان (٢٥٥٣) والبيهقي (١٥ ـ ٣/١٦) وأبو داود (١٣٠٦) وابن خزيمة (١٣٠٦). واللفظ الأول للبخاري].

(٢) مسند أحمد (١٤٣٩٤/ ٥).

[الفلق: ٤]. فعلى هذا هو قول يقوله الشيطان، يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر، وهو الأرجح.

وقيل: يحتمل أن يكون فعلاً يفعله كفعل النفاثات في العقد. وقيل: هو من عقد القلب، وتصميمه، فكأنه يوسوس في نفسه، ويحدثه: بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخر عن القيام.

قوله ﷺ: **«فإن استيقظ فذكر الله عز وجل، انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة»** فيه الحث على ذكر الله تعالى عند القيام من النوم، منها: **«الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»** وقد جاءت فيه أذكار معينة معروفة.

وقوله ﷺ: **«فأصبح نشيطاً طيب النفس»** وذلك لتحرره من عقده، وكأنه نشط من عقال، **«وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»** وذلك لما عليه من عقد الشيطان، وآثار تثبيطه واستيلائه عليه.

خاتمة: روى البخاري وغيره من حديث عبد الله رضي الله عنه، قال: ذُكر عند النبي ﷺ رجل، فقيل: ما زال نائماً حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة. فقال ﷺ: **«بال الشيطان في أذنيه»**(١).

١٦ ـ باب في فضل النوم على طهارة

٦٦ ـ عَنْ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ بَاتَ طَاهِراً، بَاتَ في شِعَارِهِ مَلَكٌ، فَلَمْ يَسْتَيقِظْ إلاَّ قَالَ المَلَكُ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِعَبْدِكَ فُلاَنٌ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِراً»**. (رواه ابن حبان).

ورواه الطبراني في «الكبير» بلفظ: **«طَهِّرُوا هٰذِهِ الأَجْسَادَ طَهَّرَكُم اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَيسَ عَبْدٌ يَبِيتُ طَاهِراً إلاَّ بَاتَ مَعَهُ مَلَكٌ في شِعَارِهِ، لاَ يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيلِ، إلاَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِعَبْدِكَ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِراً»**(٢).

وفي لفظ له أيضاً: **«طَهِّرُوا هٰذِهِ الأَجْسَادَ طَهَّرَكُم اللَّهُ، مَا مِنْ عَبْدٍ بَاتَ طَاهِراً، إلاَّ بَاتَ في شِعَارِهِ مَلَكٌ، كُلَّمَا تَقَلَّبَ مِنَ اللَّيلِ سَاعَةً، قَالَ المَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ كَمَا بَاتَ طَاهِراً»**(٣).

والشعار: ما كان تحت الدثار من اللباس، وهو يلي شعر الجسد.

* * *

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١١٤٤).

٦٦ ـ [رواه ابن حبان (١٠٥١) والبزار (٢٨٨) وإسناده حسن، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١١٤٦) وعزاه للبزار والطبراني في «الكبير» وقال بعد أن ذكر أقوال أهل العلم على إسناده: وأرجو أنه حسن الإسناد].

(٢) الطبراني (١٢/١٣٦٢٠).

(٣) الطبراني (١٢/١٣٦٢١).

٤ ـ كتاب الزكاة والنفقة والصدقة

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

١ ـ باب وجوب الزكاة على الذكر والأنثى من ملك النِّصابَ وحال عليه الحول

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَآتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٦٧ ـ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَيُحدِثُنَا. فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: **«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا المَالَ لِإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادٍ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ. وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»**. (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: «إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة» وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]. وأما وجه الارتباط بين المال وإقامة الصلاة، فالمراد تقوية الأبدان بالأطعمة والأشربة للقيام بما فُرض على أصحابها من فرائض، وعلى رأسها الصلاة. ويحتمل أيضاً أن يكون المراد، بالربط بين الأموال هنا والصلاة، عمارة المساجد لإقامة الصلاة فيها وغير ذلك من تعلم وتعليم واجتماع للمسلمين فيها لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقوله جلّ وعلا: «وإيتاء الزكاة» أي ليُستخرج من أموال العباد مما رزقهم الله تعالى من أموال وجب عليهم فيها الزكاة. قال أهل اللغة: وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح، وكله قد استعمل في القرآن والحديث.

والزكاة شرعاً: يطلق على ما فرضه الله تعالى على الأموال التي بلغت النصاب، وحال عليها الحول. ومقاديرها محددة معلومة معروفة حددها الشارع الكريم وبينها أهل العلم.

---

٦٧ ـ [رواه أحمد (٨/٢١٩٦٥) وإسناده صحيح].

وقوله جل وعلا: «ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون إليه ثان...» وهو نحو ما جاء في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[1] لفظ مسلم.

قال في «الفتح»: يحتمل أن تكون الحكمة في ذكر التراب دون غيره، أن المرء لا ينقضي طمعه حتى يموت، فإذا مات كان من شأنه أن يُدفن، فإذا دُفِنَ صُبَّ عليه التراب فملأ جوفه وفاه وعينيه، ولم يبق منه موضع يحتاج إلى تراب غيره. وأما بالنسبة إلى الفم فلكونه الطريق إلى الوصول للجوف.

وقوله جل وعلا: «ثم يتوب الله على من تاب» اللفظ يُشعر بأن الحرص على المال إنما هو من الخصال المذمومة، فلذلك تعقبه بقوله: «ثم يتوب الله على من تاب» أي إن الله تعالى يتوب على من تخلص عما جُبل عليه من حب للمال. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، و«الخير» هنا بمعنى المال. وقد جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين، طول الحياة، وحب المال»[2] لفظ مسلم. وقد جاء ذمّ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] فإذا وُفِقَ المرء وتخلص من هاتين الخصلتين وتاب من الحرص عليهما، فإن الله تعالى يتوب عليه.

٢ ـ باب في فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى، وأنه لن ينقص مال عبد من صدقة

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٦٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»** وَقَالَ: **«يَدُ اللَّهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»** وَقَالَ: **«أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّماءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا في يَدِهِ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ وَبِيَدِهِ الميزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»**. (متفق عليه).

الشرح: قوله ﷺ: «قال الله عز وجل أنفق أُنفق عليك» قال النووي: هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]. فيتضمن الحث على الإنفاق معنى في وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى.

---

(١) مسلم (٢٣٠٤).

(٢) مسلم (٢٣٠٠).

٦٨ ـ [رواه أحمد (٣/١٠٥٠٥) والبخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣) والترمذي (٣٠٤٥) وابن ماجه (١٩٧) وغيرهم، واللفظ للبخاري].

وقوله ﷺ: «يد الله ملأى» قال في «الفتح» المراد من قوله ﷺ «ملأى» أو «ملآن» لازمه. وهو أنه في غاية الغنى وعنده من الرزق ما لا نهاية له في علم الخلائق.

وقوله ﷺ: «لا يغيضها نفقة» أي لا ينقصها عطاء «سحَّاءُ الليل والنهار» أي دائمة الصب ليلاً ونهاراً. والسح: الصب الدائم.

وقوله ﷺ: «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يده» أي لم ينقص ما عنده.

وقوله ﷺ: «وكان عرشه على الماء» قال الحافظ ابن حجر: مناسبة ذكر العرش هنا، أن السامع يتطلع من قوله ﷺ: «خلق السماء والأرض» ما كان قبل ذلك. فذكر ما يدل على أن عرشه قبل خلق السموات والأرض، كان على الماء كما وقع في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، عند البخاري في بدء الخلق بلفظ: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض».

وقوله ﷺ: «وبيده الميزان يخفض ويرفع» قال الإمام الخطابي: الميزان مَثَل. والمراد: القسمة بين الخلق. وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «يخفض ويرفع».

٣ ـ باب في فضل من أنفق زوجين في سبيل الله تعالى، وأقبل على الله تعالى بوجوه الطاعات

٦٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ. وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ. وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ. وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عَلَىٰ أَحَدٍ يُدْعَىٰ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ. فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ. وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». (متفق عليه).

وفي رواية بلفظ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ. كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ: أَيْ فُلُ! هَلُمَّ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَلِكَ الَّذِي لاَ تَوَىٰ عَلَيْهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

الشرح: قوله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله» قال ابن عرفة: كل شيء قرن بصاحبه فهو زوج. وقيل: يحتمل أن يكون هذا الحديث في جميع أعمال البر في صلاتين أو صيام يومين، والمطلوب تشفيع صدقة بأخرى، والتنبيه على فضل الصدقة والنفقة في الطاعة، والاستكثار منها.

---

٦٩ ـ [رواه مالك في «موطئه» (١٠٢١) في الجهاد، وأحمد (٣/٨٧٩٨) والبخاري (١٨٩٧) ومسلم (١٢٠٧)، والترمذي (٣٦٧٤) والنسائي (٢٢٣٧) وابن حبان (٣٠٨) والبيهقي (٩/١٧١)].

قال القرطبي: وهذا نص في عموم كل شيء يخرج في سبيل الله تعالى. وقيل: يصح إلحاق جميع أعمال البر بالإنفاق، ويدل على صحة هذا، بقية الحديث، إذ قال فيه: «**من كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان**».

قال: **والريان**: فعلان من الري على جهة المبالغة. وسمي بذلك على جهة مقابلة العطشان، لأنه جوزي على عطشه بالرّي الدائم في الجنة، التي يدخل إليها من ذلك الباب.

وقوله ﷺ: «**نودي: يا عبد الله هذا خير**» قيل معناه: لك هنا خير وثواب وغبطة. وقيل معناه: هذا الباب فيما نعتقده خير لك من غيره من الأبواب، لكثرة ثوابه ونعيمه. فتعال فادخل منه. وهو على سبيل اعتقاد كل مناد أن ذلك الباب أفضل من غيره.

قوله ﷺ: «**فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة**» أي في المكثرين لصلاة التطوع. وكذلك غيرها من أعمال البر المذكورة في هذا الحديث. لأن الواجبات لا بدَّ منها لجميع المسلمين. ومن ترك شيئاً من الواجبات إنما يُخاف عليه أن يُنادى من أبواب جهنم. فيستوي في القيام بها المسلمون كلهم، وإنما يتفاضلون بكثرة التطوعات التي بها تحصل تلك الأهلية التي بها يُنادَونَ من تلك الأبواب.

وقوله ﷺ: «**دعاه خزنة الجنة**: كل خزنة باب: **أي فل، هلم**» أي تعال. وقيل معنى «فل» فلان. وهو لغة في الترخيم. **ومعنى قوله رضي الله عنه**: (لا توى عليه)، أي لا هلاك عليه.

٤ ـ باب في فضل من أنفق في سبيل الله تعالى، وأن أمره إلى يُسر، ودعاء الملائكة له بالخلف

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١١].

٧٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**». (متفق عليه).

وفي رواية عند أحمد بلفظ: «**إِنَّ مَلَكاً بِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضِ اليومَ يُجْزَ غَداً. وَمَلَكاً بِبَابٍ آخَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ لِمُنْفِقٍ خَلَفاً، وَعَجِّلْ لِمُمْسِكٍ تَلَفاً**».

٧١ ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ بُعِثَ**

---

٧٠ ـ [رواه أحمد (٣/٨٠٦٠) والبخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠) والنسائي في «الكبرى» (٩١٧٨) وغيرهم، واللفظ الأول للبخاري].

٧١ ـ [رواه أحمد (٨/٢١٧٨٠) والطيالسي (٩٧٩) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨١٠) وابن حبان (٦٨٦) و (٣٣٢٩) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٢٣٣) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٤٦٧٦) =

بجَنْبَتَيْها مَلَكَانِ، إنَّهُمَا لَيُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ؛ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى. وَمَا غَرَبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ وَبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ؛ اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُنْفِقٍ خَلَفاً وَعَجِّلْ لِمُمْسِكٍ تَلَفاً». (رواه الحاكم).

وفي رواية عند ابن حبان بلفظ: **«مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ وَبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ؛ اللَّهُمَّ مَنْ أَنْفَقَ فَأَعْقِبْهُ خَلَفاً، وَمَنْ أَمْسَكَ فَأَعْقِبْهُ تَلَفاً»**.

الشرح: قوله ﷺ: **«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان»** وفي الرواية الثانية: **«ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان»** الجنبة ـ بسكون النون ـ الناحية. واللفظ يفيد أن ذلك الأمر كان منذ بدء الخلق وسوف يبقى إلى قيام الساعة.

وقوله ﷺ: **«إنهما ليسمعان أهل الأرض»** ممن خَلَقَ الله تعالى من مخلوقات **«إلا الثقلين»** أي الإنس والجن.

وقوله ﷺ: **«فيقول أحدهما، اللهم أعط منفقاً خلفاً»** أي عِوَضاً. وإنما يُقْصَدُ بالإنفاق المذكور، الذي يكون بالطاعات وأعمال البر، من إحسان وإكرام ونفقة على الأهل والعيال، والأرحام، وغير ذلك من وجوه الخير، من غير تبذير ولا إسراف. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، أي وكان إنفاقهم وسطاً معتدلاً بين الإسراف والتقتير، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقوله ﷺ: **«ويقول الآخر، اللَّهم أعط ممسكاً تلفاً»** وفي رواية أبي الدرداء: **«وعجل لمنفق تلفاً»** التعبير بالعطية في الحديث الأول لمشاكلة اللفظ، لأن التلف ليس بعطية. وأما دعاء الملك عليه بالتلف فيحتمل تلف ذلك المال بعينه، أو تلف نفس صاحب المال. قيل: والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها.

وبالجملة: فالإمساك لا يكون إلا من بخل أو شح. وقد جاءت الشريعة بذم البخل والنهي عنه والتحذير منه.

وقال القرطبي: وقوله ﷺ: **«اللَّهم أعط ممسكاً تلفاً»** يعني؛ الممسك عن النفقات الواجبات. وأما الممسك عن المندوبات، فقد لا يستحق هذا الدعاء إلا أن يغلب عليه البخل بها، وإن قلَّت في أنفُسِهَا، كالحبة، و اللقمة، وما شاكل هذا. فهذا قد يتناوله هذا الدعاء، لأنه إنما يكون كذلك لغلبة

= وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ. وهو كما قال. وأورده أيضاً (١٠/١٧٨٦٥) وقال: رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، وزاد: «ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبها ملكان يناديان: اللهم اعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً» قال: ورواه الطبراني في «الأوسط» إلا أنه قال: «اللهم من أنفق فأعطه خلفاً، ومن أمسك فأعطه تلفاً» ورجال أحمد وبعض رجال أسانيد الطبراني في «الكبير» رجال الصحيح].

صفة البخل المذمومة عليه، وقَلَّ ما يكون كذلك، إلا ويبخل بكثير من الواجبات أولاً يطيب نفساً بها[١].

٥ ـ باب في بيان أن اليد المنفقة هي اليد العليا، وأن اليد الآخذة هي اليد السفلى

٧٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ تُعْطِ الفَضْلَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسِكْهُ فَهُوَ شَرٌّ لَكَ، وَابْدأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَلاَ يَلُومُ اللَّهُ عَلَى الكَفَافِ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»**. (رواه أحمد).

٧٣ ـ ورواهُ مُسلمٌ مِنْ حَديثِ أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَكنهُ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلَفْظِ: **«يا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»**.

الشرح: قوله ﷺ: «إن اللَّه عز وجل يقول: يا ابن آدم إن تعط الفضل فهو خير لك...» الفضل يعني به؛ الفاضل عن الكفاية، ولا شك في أن إخراجه أفضل من إمساكه. فأما إمساكه عن الواجبات فشرٌ على كل حال، وإمساكه عن المندوب إليه فقد يُقال فيه شرٌ بالنسبة إلى ما فوَّت الممسك على نفسه من الخير. قاله القرطبي.

وقال الإمام النووي: قوله ﷺ: **«يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك...»**، هو بفتح همزة «أن»، ومعناه؛ إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته فهو شر لك، لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه، وفوت مصلحة نفسه في آخرته، وهذا كله شر.

ومعنى: **«ولا تلام على كفاف»** أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه، وهذا إذا لم يتوجه في الكفاف حق شرعي، كما كان له نصاب زكوي، ووجبت الزكاة بشروطها، وهو محتاج إلى ذلك النصاب لكفافه، وجب عليه إخراج الزكاة، ويحصل كفايته من جهة مباحة.

قوله ﷺ: «وابدأ بمن تعول» وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، قال في «المفهم»: يعني أنه يبدأ بكفاية من تلزمه كفايته، ثم بعد ذلك يدفع لغيرهم، لأن القيام بكفاية العيال واجب، والصدقة على الغير مندوب إليها، ولا يدخل في ذلك ترفيه العيال الزائد على الكفاية، فإن الصدقة بما يرفه به العيال أولى، لأن من لم تندفع حاجته أولى بالصدقة ممن اندفعت حاجته في مقصود الشرع.

---

(١) «المفهم» للقرطبي (٣/ ٥٥).

٧٢ - [رواه أحمد (٣/٨٧٥١) والطبراني في «الأوسط» (٦١) وفي «مسند الشاميين» (٧٧٧) وهو حديث حسن. ويشهد له الحديث التالي].

٧٣ - [رواه أحمد (٨/٢٢٣٢٨) ومسلم (١٠٣٦) والترمذي (٢٣٤٣)].

وقوله ﷺ: **«واليد العليا خير من اليد السفلى»** أي أن اليد المنفقة هي خير من اليد الآخذة، وهو مذهب جمهور أهل العلم، وقيل المراد بالعلو هنا، علو الفضل والمجد ونيل الثواب.

٦ ـ باب إكرام الضيف وفضل إيثاره

قال الله تعالى: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ٩].

٧٤ ـ عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَّ رجلاً أَتى النبيَّ ﷺ، فبَعث إلى نسائهِ، فقلنَ: ما معَنا إلاّ الماء، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَن يَضُمُّ ـ أو يضيف ـ هٰذا؟»** فقال رجُلٌ مِنَ الأَنصار: أنا. فانطلَقَ بِهِ إِلى امرأتِهِ فقال: أكرِمي ضَيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقالَتْ: مَا عِندَنا إلاّ قُوتَ صِبياني. فَقَالَ: هَيِّئي طَعَامَكِ، وأَصْبِحي سِراجَكِ، ونَوِّمي صِبيانَكِ إذا أرادوا عَشاءً. فهيَّأتْ طعامَها، وأصبَحَتْ سِراجَها، ونَوَّمَتْ صِبيانَها، ثمَّ قَامَتْ كأنها تُصلِحُ سِراجَها فأطفَأتْهُ، فجعَلا يُريانهِ أنهما يأكلان، فباتا طاوِيَين. فلما أَصبحَ غَداً إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **«ضَحِكَ اللَّه الليلةَ ـ أو عَجِبَ ـ من فَعالِكما. فأنزَلَ اللَّه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾»**. (متفق عليه).

ورواه مسلم بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ. فَأَرْسَلَ إِلىٰ بَعْضِ نِسَائِهِ. فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بالْحَق! مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى. فَقَالَتْ مِثْلَ ذٰلِكَ. حَتَّىٰ قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذٰلِكَ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ. فَقَالَ: **«يُضِيفُ هٰذَا اللَّيلَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ»** فَقَام رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا. يَا رَسُول اللَّهِ.

فَانطَلَقَ بِهِ إِلَىٰ رَحْلِهِ. فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لاَ. إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ. فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ. فَإِذَا أَهْوَى لِيأْكُلَ فقومِي إِلَى السِّرَاجِ حتَّى تُطْفِئِيهِ. قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: **«قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيفِكُمَا اللَّيلَةَ»**.

وفي رواية عند البخاري في «التفسير» بلفظ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَصابَنِي الْجَهدُ. فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئاً، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَلاَ رَجُلٌ يُضَيِّفُ هَذِهِ اللَّيلَةَ يَرْحَمُهُ الله»**؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله.

فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ ضَيْفُ رَسُولِ الله ﷺ: لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئاً، قَالَتْ: والله مَا عِنْدِي إِلاَّ قُوتُ الصِّبْيَةِ. قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّراجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا

---

٧٤ ـ [رواه البخاري (٣٧٩٨ و٤٨٨٩) ومسلم (٢٠٥٤)، والترمذي (٣٣٠٤) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١٥٨٢) وابن حبان (٥٢٨٦) والواحدي في «أسباب النزول» (٨٠٩) والبيهقي (٤/١٨٥) واللفظ الأول للبخاري].

اللَّيْلَةَ. فَفَعَلَتْ. ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلانٍ وَفُلانَةَ». فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

الشرح: قوله رضي الله عنه: (إني مجهود) أي أصابني الجهد، وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع. **قوله رضي الله عنه: (وأصبحي سراجك)** أي أوقديه.

وقوله ﷺ: «ضحك الله الليلة ـ أو ـ عجب من فعالكما» الأولى إمرارها من غير تأويل ولا تفسير، وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام. وقد تقدم الكلام في الصفات والذات، وأن مذهب السلف إثباتها من غير تعطيل أو تكييف أو تمثيل. قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. قال الإمام النووي: هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة:

منها: ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا والصبر على الجوع، وضيق حال الدنيا. **ومنها:** أنه ينبغي لكبير القوم، أن يبدأ في مواساة الضيف. ومن يطرقهم بنفسه فيواسيه من ماله أولاً بما يتيسر إن أمكنه. ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه. **ومنها:** المواساة في حال الشدائد. **ومنها:** فضيلة إكرام الضيف وإيثاره. **ومنها:** منقبة لهذا الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما. **ومنها:** الاحتيال في إكرام الضيف إذا كان يمتنع منه رفقاً بأهل المنزل، لقوله: أطفئي السراج، وأريه أنا نأكل. فإنه لو رأى قلة الطعام وأنهما لا يأكلان معه لامتنع من الأكل، قال: وفيه فضيلة الإيثار والحث عليه.

وقد أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفوس. أما القربات، فالأفضل أن لا يؤثر بها، لأن الحق فيها لله تعالى.

٧ ـ باب في الحث على الإنفاق في سبيل الله تعالى قبل فوات الأوان

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١].

٧٥ ـ عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَقَ يَوْماً في كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ ثُمَّ قَالَ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: بَنِي آدَمَ أَنَّى تُعْجِزَنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ. فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ»**. (رواه أحمد).

---

٧٥ ـ [رواه أحمد (١٧٨٥٩ ـ ١٧٨٦٠ ـ ١٧٨٦١ ـ ١٧٨٦٢/٦) وابن ماجه (٢٧٠٧) والحاكم (٧٩١٤/ ٤) وإسناده صحيح واللفظ لأحمد].

٧٦ ـ وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشخير، عن أبيه رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ ـ ٢] قَالَ: فَقَالَ: **«يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيتَ»**. (رواه أحمد).

٧٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَقُولُ العَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى. وَمَا سِوَىٰ ذٰلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»**. (رواه مسلم).

ومعنى **«فاقتنى»** أي ادخر لآخرته. أي ادخر ثوابه.

ورواه أحمد بلفظ: **«يَقُولُ العَبْدُ: مَالِي ومَالِي، وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ، مَا أَكَلَ فَأَفْنَىٰ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَىٰ، أَوْ أَعْطَىٰ فَأَقْنَىٰ. مَا سِوَىٰ ذٰلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»**.

الشرح: قوله ﷺ: «قال الله عز وجل: بني آدم أنى» أي كيف «تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه» أي من نطفة قذرة، وفي التنزيل ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

وقوله عز وجل: «حتى إذا سويتك وعدلتك» أي سواه بشراً سوياً، وهو نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨].

قوله عز وجل: «مشيت بين بردين» أي ثوبين **«وللأرض منك وئيد»** الوئيد: صوت شدة الوطء على الأرض، يُسمع كالدَّوي من بُعد. يقال للإبل إذا مشت بثقلها: لها وئيد. والمراد ـ والله أعلم ـ أنه يمشي على الأرض متبختراً مشي الجبابرة، مختالاً فخوراً، مزهواً بنفسه. ويحتمل أن يكون المراد تعبيراً عن كثرة ماله وشدة ثقله على الأرض.

وقوله عز وجل: «فجمعت ومنعت» أي فجمعت من الأموال ما جمعت ومنعت حقه عليك، من زكاة وصدقة وبرٍّ ونحو ذلك. وجعلته كنزاً لا تؤدي حق الله فيه. وفي قوله: **«فجمعت»** إشارة إلى جمعه بشتى الطرق حلها وحرامها.

---

٧٦ ـ [رواه أحمد (١٦٣٢٧/٥) ومسلم (٢٩٥٨) والترمذي (٢٣٤٢) والنسائي في «المجتبى» (٣٦١٥) وفي «الكبرى» (١١٦٩٦/٦)، والحاكم (٣٩٦٩/٢) والطيالسي (١١٤٨) وابن حبان (٧٠١) والبيهقي (٦١/٤) والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٥٥) وغيرهم، واللفظ لأحمد].

٧٧ ـ [رواه أحمد (٨٨٢١ ـ ٩٣٥٠/٣) ومسلم (٢٩٥٩) وابن حبان (٣٢٤٤) والبيهقي (٣٦٨ ـ ٣٦٩/٣)، واللفظ لمسلم].

وقوله عز وجل: «حتى إذا بلغت» أي الروح **«التراقي»** أعالي الصدر، وشارف الإنسان على الموت. وهو نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦].

قوله عز وجل: «قلت: أتصدق وأنى أوان الصدقة» أي قلت عندئذ: أتصدق! وليس له ذلك، فقد مضى وقت الصدقة وذهب وقتها، وجاء وقت الاحتضار وخروج الروح، ويا له من موقف لا ينفع فيه الندم! وفي «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: **«أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»**[1].

٨ ـ باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، أو بالقليل من الصدقة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

٧٨ ـ عَنْ مُحِلِّ بْنِ خَلِيفَةَ الطائي قال: سمعتُ عَديَّ بنَ حاتِمٍ رَضيَ اللّهُ عَنْهُ يقولُ: كنتُ عندَ رَسولِ اللّه ﷺ فجاءَهُ رجُلانِ: أَحدُهما يَشكُو العَيلَةَ، والآخرُ يَشكُو قطعَ السَّبيلِ. فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أمَّا قَطعُ السَّبيلِ فإنهُ لا يأتِي عَلَيكَ إلاَّ قليلٌ حَتَّى تَخرُجَ العِيرُ إلى مَكَّةَ بِغيرِ خَفِيرٍ. وأمَّا العَيلةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكم بِصَدَقَتِهِ لا يَجِدُ مَنْ يَقبلُها مِنهُ. ثمَّ لَيقِفَنَّ أحدُكم بينَ يدَي اللّه ليس بينهُ وبينهُ حِجابٌ ولا تَرجمانٌ يُترجِمُ لهُ، ثُمَّ ليقُولَنَّ لَهُ: ألم أُوتِكَ مَالاً؟ فليقولَنَّ: بَلىٰ. ثمَّ ليَقولَنَّ: ألَمْ أُرسِلْ إليكَ رَسُولاً؟ فليقُولَنَّ: بلىٰ. فينظُرُ عن يمينهِ فلا يَرى إلاّ النارَ، ثُمَّ يَنظرُ عَنْ شِمالِهِ فَلاَ يَرى إلاّ النَّارَ. فلْيَتَّقِيَنَّ أحدُكُم النارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرةٍ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ فبِكَلمةٍ طَيِّبَةٍ»**. (متفق عليه).

وقد رواه أحمد والترمذي بإسناد حسن، بأطول منه، وفيه قال عدي: فبينا أنا عنده ـ أي عندَ النبي ﷺ ـ إذْ جَاءهُ قَوْمٌ في ثيابٍ من الصُّوفِ من هذهِ النِّمارِ. قال: فَصلَّى وقَامَ فحثَّ عليهم ثُمَّ قَالَ: **«وَلَوْ صَاعٌ، وَلَوْ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَلَوْ بِقَبْضَةٍ، وَلَوْ بِبَعْضِ قَبْضَةٍ، يَقِي أَحَدَكُم وَجْهَهُ حَرَّ جَهَنَّمَ ـ أو ـ النَّار، وَلَوْ بِتَمْرَةٍ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرةٍ. فَإنَّ أَحَدَكُم لاَقِي اللَّهَ وَقَائِلٌ لَهُ: مَا أَقُولُ لَكُم: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعاً وَبَصَراً؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالاً وَوَلَداً؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَيْنَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ؟ فَيَنظُرُ قُدَّامَهُ وَبَعْدَهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ لاَ يَجِدُ شَيْئاً يَقِي بِهِ وَجْهَهُ حَرَّ جَهَنَّمَ. لِيَقِ أَحَدُكُم وَجْهَهُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ. فَإنِّي لاَ أَخَافُ عَلَيْكُم الفَاقَةَ، فَإنَّ اللَّهَ**

---

(١) رواه البخاري (١٤١٩) وغيره.

٧٨ ـ [رواه أحمد (١٨٢٧٦/٦) والبخاري (١٤١٣) ومسلم (١٠١٦) والطيالسي (١٠٣٦) والبيهقي (١٧٦/٤) وغيرهم، بألفاظ متقاربة. واللفظ للبخاري].

نَاصِرُكُم وَمُعْطِيكُم حَتَّى تَسِيرَ الظَّعِينَةُ فِيمَا بَيْنَ يَثْرِبَ وَالحِيرَةِ أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَى مَطِيَّتِهَا السَّرَقَ».
قال عدي: فجعلتُ أَقُولُ في نَفْسي: فَأَينَ لُصوصُ طَيِّءٍ؟[1].

والنمار: كل شملة مخططة من مآزر الأعراب، كأنها أُخذت من لون النمر.

والظعينة: المرأة في الهودج.

٩ ـ باب في عقوبة من لا يؤدي زكاة ماله

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

٧٩ ـ عن محمد بن بكر وعبد الرزاق قالا: حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَا مِنْ صاحِبِ إِبِلٍ لا يَفْعَلُ فيها حَقَّها إلا جاءَتْ يَوْمَ القِيامَةِ أَكْثَرَ ما كانَتْ قَطُّ، وَأُقْعِدَ لَها بقاعٍ قَرْقَرٍ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوائِمِها وأخفافِها. ولا صاحِبِ بَقَرٍ لا يَفْعَلُ فيها حَقَّها إلا جاءَتْ يَوْمَ القِيامَةِ أَكْثَرَ ما كانت، وأُقْعِدَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِها وَتَطؤهُ بِقَوائِمِها. ولا صاحِبِ غَنَمٍ لا يفعلُ فيها حَقَّها إلا جاءت يَوْمَ القيامَةِ أَكْثَرَ ما كانَتْ، وَأُقْعِدَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِها وَتطؤهُ بأَظْلافِها، لَيسَ فيها جَمَّاءُ ولا مُنْكَسِرٌ قَرْنُها. ولا صاحِبِ كَنْزٍ لا يفعلُ فيه حَقَّهُ إلا جاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ القِيامَةِ شُجاعاً أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فاغِراً فاهُ، فإذا أتاهُ فَرَّ مِنْهُ فيناديهِ رَبُّهُ: خُذْ كَنْزَكَ الذي خَبَّأْتَهُ فأنا عَنْهُ أغْنَى مِنكَ، فإذا رأى أنهُ لا بُدَّ لَهُ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ في فِيهِ فَقَضَمَها قَضْمَ الفَحْلِ».**

قال أبو الزبير: وسمعت عبيد بن عمير قال رجل: يا رسول الله، قال عبد الرزاق في حديثه قال رجل: يا رسول الله، ما حق الإبل؟ قال: **«حَلبُها عَلَى الماءِ، وإعَارَةُ دَلْوِها، وإعَارَةُ فَحْلِها، وَمَنِيحَتُهَا وَحَمْلٌ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ».**

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّل لهُ مالُهُ شجاعاً أقرع له زبيبتان، يُطوَّقهُ يوم القيامة يأخذ بلهزمته ـ يعني بشدقيه ـ يقول: أنا مَالُكَ، أنا كنزك»** ثم تلا هذه الآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2].

والشجاع الأقرع: ذكر الحية الذي تمرط جلد رأسه لطول عمره، **والزبيبتان:** هما النكتتان السوداوان فوق عينيه، وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه.

---

(١) رواه أحمد (١٩٣٩٨/٧) والترمذي (٢٩٥٣/٢).

٧٩ ـ [رواه أحمد (١٤٤٤٢/٥) وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦٨٥٩) و(٦٨٦٦) ومسلم (٩٨٨) والدارمي (١٦١٧) و(١٦١٨) والنسائي (٢٤٥٣) وابن الجارود (٣٣٥) وابن حبان (٣٢٥٥) والبيهقي (١٨٢ ـ ١٨٣/ ٤) بألفاظ متقاربة مطولاً ومختصراً، واللفظ لأحمد].

(٢) صحيح البخاري (٤٥٦٥).

الشرح: قوله ﷺ: «ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها» أي لا يراعي حق الله فيها ممن وجب عليه من زكاتها. وكذا صاحب الأموال أياً كان نوعها، ففي «الصحيحين» وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صُفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار»** قيل يا رسول الله، فالإبل؟ قال: **«ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها. . .»**[1].

وقوله ﷺ: «إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط» أي أكثر ما كانت عدداً وحجماً. وقد جاء في رواية أبي هريرة المشار إليها ثمة بلفظ» **«إلا إذا كان يوم القيامة، بُطِحَ لها بقاع قرقر، أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار»**.

والقاع: **المستوى الواسع من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه. والقرقر: المستوي أيضاً من** الأرض الواسع.

وقوله ﷺ: «وأقعد لها بقاع قرقر» أي أن صاحب هذه الإبل التي كان لا يؤدي حق الله فيها، تُقعده ملائكة العذاب في أرض واسعة مستوية **«تستن عليه بقوائهما وأخفافها»** أي تضربه إبله بقوائهما وأخفافها بقوة حتى أنها تكاد تسحقه سحقاً. يُقال: استن وسن، إذا لجَّ في عَدْوِهِ ذاهباً وجائياً. وقيل: **الاستنان**: هو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجن برجليه.

وقوله ﷺ: «ليس فيها جماء، ولا منكسر قرنها» أي ليس في غنمه الذي كان لا يؤدي حق الله فيه، من لا قرن لها ولا ذات قرن منكسر. بل بقرون كاملة حادة ليكون ذلك أشد إيلاماً وأكثر وجعاً. **والظلف**: هو المنشق من القوائم ويطلق على البقر والغنم.

وقوله ﷺ: «إلا جاء يوم كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع» قال الإمام أبو جعفر الطبري: الكنز: كل شيء مجموع بعضه على بعض، سواء كان في بطن الأرض أم على ظهرها، زاد صاحب «العين» وغيره: وكان مخزوناً. **والشجاع الأقرع**: الحية الذكر لا شعر على رأسه. وقيل: هو الأبيض الرأس من كثرة السم. وقيل: هو الذي يواثب الراجل والفارس، ويقوم على ذنبه، وربما بلغ رأس الفارس، ويكون في الصحاري. ومعنى قوله ﷺ: **«فاغر فاه»** أي فاتحاً فمه يريد أن يلتقمه أو ليغرز أنيابه في جسم صاحبه، وكفى به هولاً ورعباً.

وقوله ﷺ: «فإذا رأى أنه لا بُدَّ له منه» وذلك بعد أن يكون قد أعياه هرباً وذعراً وخوفاً، وأيقن

---

(١) رواه البخاري (٢٣٧١) ومسلم (٩٨٧) والنسائي (٣٥٦٥) وغيرهم، واللفظ لمسلم.

أنه لا محالة مدركه لينال منه ما يريد **«سلك يده في فيه»** أي أدخل يده في فم هذا الثعبان المرعب، **«فقضمها قضم الفحل»** أي أكلها كما يأكل البعير طعامه.

وقوله: قال رجل: يا رسول الله، ما حق الإبل؟ قال ﷺ: **«حلبها على الماء، وإعارة دلوها، وإعارة فحلها»** أي للضراب، **«ومنيحتها»** قال أهل اللغة، **المنيحة ضربان**:

أحدهما: أن يعطي الإنسان آخر شيئاً هبة، وهذا النوع يكون في الحيوان والأرض والأثاث وغير ذلك.

الثاني: أن المنيحة، ناقة أو بقرة أو شاة، ينتفع بلبنها ووبرها وصوفها وشعرها زماناً ثم يردها.

وخصّ الإبل بموضع الماء ليكون أقرب على المحتاج والجائع، فقد لا يقدر على الوصول لغير مواضع الماء. وهو أسهل على المساكين ليواسوا وتجبر خواطرهم.

وقوله ﷺ: «وحمل عليها في سبيل الله» وذلك لتبليغ هذا الدين القويم، ونشره في الآفاق.

١٠ ـ باب في فضل الصدقة، وفضل صاحبها

٨٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّىٰ ذٰلِكَ السَّحَابُ. فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ. فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذٰلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ. فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ. فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللّٰهِ! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ. لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللّٰهِ! لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. لاسْمِكَ. فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»**. (رواه مسلم).

* * *

٨٠ ـ [رواه أحمد (٣/٧٩٤٦) والطيالسي (٢٥٨٧) ومسلم (٢٩٨٤) وابن حبان (٣٣٥٥) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/٢٧٦ ـ ٢٧٥) والبيهقي (٤/١٣٣). واللفظ لمسلم].

٥ ـ كتاب الصيام

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

١ ـ باب في فضل الصيام وما جاء في فرح الصائمين في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

٨١ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«قَالَ اللّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوم صَوم أَحدِكُم فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إذَا أَفْطَرَ فَرِحَ. وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»** (متفق عليه).

وفي رواية عند مسلم قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إلَى سَبْعَمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إلاَّ الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ. فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ»**.

وفي لفظ للبخاري: **«يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فَرْحَةٌ حِينَ يُفطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ»**.

---

٨١ ـ [رواه مالك في «موطئه» (٦٨٩) و(٦٩٠) وأحمد (٧٣٤٤ ـ ١٠٥٤٥/٣) والبخاري (١٨٩٤) و(١٩٠٤) و(٥٩٢٧) و(٧٤٩٢) و(٧٥٣٨) ومسلم (١١٥١) والطيالسي (٢٤٨٥) وابن حبان (٣٤٢٢) والنسائي في «المجتبى» (٢٢١٢) وفي «الكبرى» (٢٥٢٣) وابن ماجه (١٦٣٨) وغيرهم كثير].

وفي لفظ للبخاري أيضاً: «كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصَّوْمَ فَإنَّهُ لِي وَأَنَا أجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ».

ورواه مسلم والنسائي بلفظ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُل عَمَلِ ابن آدَمَ لَهُ إلاَّ الصِّيَامَ، هُوَ لِي وَأنَا أجزي بِهِ، فَوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلْفَةُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ، مِنْ رِيحِ المِسْكِ» (واللفظ لمسلم).

وفي لفظ عند مالك في «موطئه»: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، إنَّما يَذرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلي، فَالصِّيامُ لي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إلاَّ الصِّيامَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

وفي لفظ عند أحمد: «وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، يَذَرُ شَهوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ جَرَّايَ، فَالصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

وقوله: «من جراي» أي من أجلي وفي سبيل مرضاتي.

وفي لفظ عند البخاري أيضاً: «لِكُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ، وَالصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ».

وفي لفظ للبخاري أيضاً: «الصِّيامُ جُنَّة، فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ. وإنِ امرُؤٌ قاتَلَهُ أو شاتَمَهُ فلْيَقُلْ: إني صائمٌ ـ مرَّتين ـ والذي نفسي بيدِهِ لَخُلُوفُ فَم الصائم أطيبُ عندَ الله مِن رِيحِ المِسك، يَترُكُ طَعَامَهُ وشَرابَهُ وشَهوتَهُ مِن أجْلي، الصِّيامُ لي وأنا أَجْزي به، والحسنَةُ بعَشْرِ أمثالِها».

ورواه ابن حبان بلفظ: «كلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا ابْنُ آدَمَ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ، إلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، يَقُولُ اللَّهُ: إلاَّ الصَّوْمَ، فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ الطَّعَامَ مِنْ أَجْلِي، وَالشَّرَابَ مِنْ أَجْلِي، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فَرْحَةٌ حِينَ يُفطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ حِينَ يَخْلُفُ مِنَ الطَّعَامِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ».

الشرح: قوله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به».

قال القرطبي: اختلف في معنى هذا على أقوال:

أحدها: أن أعمال بني آدم يمكن الرياء فيها، فيكون لهم، إلا الصيام فإنه لا يمكن فيه إلا الإخلاص، لأن حال الممسك شبعاً كحال الممسك تقرباً. وارتضاه المازري.

وثانيها: أن أعمال بني آدم كلها لهم فيها حظ إلا الصيام فإنهم لاحظ لهم فيه. قاله الخطابي.

وثالثها: أن أعمالهم هي أوصافهم، ومناسبةٌ لأحوالهم إلا الصيام، فإنه استغناء عن الطعام، وذلك من خواص أوصاف الحق سبحانه وتعالى.

ورابعها: أن أعمالهم مضافة إليهم إلا الصيام، فإن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفاً، كما قال: (بيتي ـ وعبادي).

وخامسها: أن أعمالهم يقتص منها يوم القيامة فيما عليهم إلا الصيام فإنه لله، ليس لأحد من أصحاب الحقوق أن يأخذ منه شيئاً. قاله ابن العربي. وقد كنت استحسنته، إلى أن فكرت في حديث المُقاصّة، فوجدت فيه ذكر الصوم من جملة الأعمال المذكورة للأخذ منها، فإن النبي ﷺ قال فيه: **«هل تدرون من المفلس»** قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: **«المفلس هو الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا وضرب هذا وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من سيئاتهم فَطُرِحَ عليه، ثم طُرِحَ في النار»**[(١)]. وهذا يدل على أن الصوم يؤخذ كسائر الأعمال.

وسادسها: أن الأعمال كلها ظاهرة للملائكة، فتكتبها إلا الصوم، وإنما هو نية وإمساك، فالله يعلمه ويتولى جزاءه. قاله أبو عبيد.

وسابعها: أن الأعمال قد كُشفت لبني آدم مقادير ثوابها، وتضعيفها إلا الصيام، فإن اللّه يثيب عليه بغير تقدير. ويشهد لهذا مساق الرواية الأخرى التي فيها: **«كل عمل ابن آدم يُضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به»** يعني: أنه يجازي عليه جزاء كثيراً من غير أن يُعيِّن مقداره، ولا تضعيفه، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وهم الصائمون في أكثر أقوال المفسرين.

وقوله ﷺ: «الصِّيام جُنَّةٌ» أي أن الصوم سترة. فَيَصِحُّ أن يكون **«جُنَّة»** بحسب مشروعيته، أي ينبغي للصائم أن يعريه مما يفسده ومما ينقص ثوابه، كمناقضات الصيام، ومعاصي اللسان. وإلى هذه الأمور وقعت الإشارة بقوله ﷺ: **«فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يسخب»**... ويصح أن يُسمى **«جُنَّة»** بحسب فائدته، وهو إضعاف شهوات النفس، وإليه الإشارة بقوله: **«ويذر شهوته وطعامه من أجلي»**.

ويصح أن يكون **«جنة»** بحسب ثوابه. وإليه التصريح بقوله ﷺ: **«من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»**[(٢)].

قوله ﷺ: «وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني أمرؤ صائم».

وقوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم» خلوف ـ بضم الخاء ـ الفم: تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام. قال الهروي: خلف فوه: إذا تغير، يخلف، خلوفاً. قال القرطبي

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١) وأحمد (٣/٨٠٣٥) وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) القرطبي في «المفهم».

الأستاذ: وقد أخذ الشافعي من هذا الحديث منع الصائم من السواك من بعد الزوال ـ أي من بعد زوال الشمس عن وسط السماء وذلك وقت الظهر ـ قال: أي الشافعي:- لأن ذلك الوقت مبدأ الخلوف، قال: والسواك يذهبه. وربما نظم بعض الشافعية في هذا قياساً، فقال: أثر عبادة فلا يزال ـ أي أن الخلوف هو أثر من آثار الصيام فلا ينبغي إزالته ـ كدم الشهيد. قال القرطبي: وهذا القياسُ تردُ عليه أسئلة، من جملتها القول: ومع أن السواك يزيل الخلوف، فإنه من المعدة والحلق، لا من محل السواك، وحينئذ لا يلزم شيء من ذلك، وقد أجاز كافة العلماء للصائم أن يتسوك بسواك لا طعم له في أي أوقات النهار شاء.

وقوله ﷺ: **«أطيب عند الله من ريح المسك»** قال القرطبي: لا يتوهم أن الله تعالى يستطيبُ الروائح، ويستلذها، كما يقع لنا من اللذة، والاستطابة، إذ ذاك من صفات افتقارنا، واستكمال نقصنا، وهو الغني بذاته، الكامل بجلاله وتقدُّسه.

وقوله ﷺ: **«للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح لصومه»** قال النووي: قال العلماء؛ أما فرحته عند لقاء ربه، فبما يراه من جزائه، وتذكر نعمة الله تعالى عليه بتوفيقه لذلك، وأما عند فطره، فسببها تمام عبادته وسلامتها من المفسدات، وما يرجوه من ثوابها. اهـ.

وقال القرطبي: وقوله ﷺ: **«وللصائم فرحتان، إذا أفطر فرح بفطرة»** أي: فرح بزوال عطشه وجوعه حين أبيح له الفطر. وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو من حيث إنه تمام صومه وخاتمة عبادته. وأما قوله ﷺ: **«وإذا لقي ربه فرح بصومه»** أي بجزاء صومه وثوابه.

٢ ـ باب في فضل شهر رمضان ومناداة الملائكة لأهل الخير بالإقبال على الله تعالى

٨٢ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيلَةٍ مِنْ شَهرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنّ، وغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنهَا بَابٌ، وَفُتِّحتْ أَبْوابُ الجَنَّةِ فَلَمْ يُغلَقْ مِنهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ. وَذَلِكَ كُلَّ لَيلَةٍ»** (رواه الترمذي).

٨٣ ـ وَعَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ: كُنْتُ في بَيْتٍ فِيهِ عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُحدِّثَ بِحَدِيثٍ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيّ ﷺ كَأَنَّهُ أَوْلى بِالحَدِيثِ مِنِّي، فَحَدَّثَ الرَّجُلُ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: **«فِي رَمَضَانَ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوابُ النَّارِ وَيُصَفَّدُ فِيهِ كُلُّ شَيطَانٍ مَرِيدٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيلَةٍ: يَا طَالِبَ الخَيْرِ هَلُمَّ، وَيَا طَالِبَ الشَّرِّ أَمْسِكْ»** (رواه النسائي).

---

٨٢ ـ [رواه الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢) وابن خزيمة (١٨٨٣) وابن حبان (٣٤٣٥) والحاكم (١/١٥٣٢) والبيهقي (٤/٣٠٣ ـ ٣٠٤) وإسناده جيد، واللفظ للترمذي، وأخرجه البخاري (١٨٩٨) ومسلم (١٠٧٩) وغيرهما، بلفظ قريب مختصراً].

٨٣ ـ [رواه النسائي (٢١٠٧) وأحمد (٦/١٨٨١٨) وإسناده قوي].

وقد جاء في إحدى روايتي أحمد: «**وَيُنَادِي فِيهِ مَلَكٌ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَبْشِرْ، يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، حَتَّى يَنْقَضِيَ رَمَضَانُ**».

الشرح: قوله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن» معنى صفدت: أي شُدت وأوثقت بالأغلال، يُقال صفدته وصفَّدته. والصفد والصفاد: القيد. ومردة الجن، جمع مارد، وهو العاتي الشديد. وقد جاء عند ابن حبان بلفظ: «**صفدت الشياطين مردة الجن**» قال الحليمي: يحتمل أن يكون المراد من الشياطين، مسترقو السمع منهم، وأن تسلسلهم ـ أي شدهم بالأصفاد ـ يقع في ليالي رمضان دون أيامه، لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن من استراق السمع، فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ.

ويحتمل أن يكون المراد، أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات، وبقراءة القرآن والذكر.

وقال القاضي عياض: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

قال: ويؤيد هذا الاحتمال الثاني، قوله ﷺ: «**وفتحت أبواب الجنة**» قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله تعالى لعباده من الطاعات، وذلك أسباب لدخول الجنة، وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار. وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات. اهـ. وتعقبه الزين بن المنير بقوله: والأول أوجه، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره.

وقال الطيبي: فائدة فتح أبواب السماء، توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين وأنه من الله تعالى بمنزلة عظيمة، وفيه إذا علم المكلف ذلك بأخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية.

وقيل: في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف، كأنه يُقال له: قد كفت الشياطين عنك، فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية.

٣ ـ دعاء الملائكة على من أدرك رمضان ولم يُغفر له

٨٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَقِيَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «**آمينَ، آمينَ، آمينَ**» قِيلَ لَهُ: يَا رَسُول اللَّهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هٰذَا؟ فَقَال: «**قَالَ لِي جِبْرِيلُ، رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدُهُمَا لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ. قُلْتُ: آمينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ. فَقُلْتُ: آمين. ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِىءٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: آمينَ**» (رواه البخاري في «الأدب المفرد»).

---

٨٤ ـ [رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٦) والبزار (٣١٦٩) وابن خزيمة (١٨٨٨) وابن حبان (٩٠٧) بألفاظ متقاربة، وإسناده حسن، واللفظ للبخاري].

الشرح: قوله ﷺ: «آمين، آمين، آمين» أي: اللهم استجب، اللهم استجب، اللهم استجب. وفي هذا التكرير، عظيم جرم من دُعي عليه، وتأكيد قبول من دعا عليه رسول الله ﷺ وأكد الدعاء عليه.

قوله عليه السلام: «رغم أنف عبد أدرك أبويه، أو أحدهما لم يدخل الجنة. . .». قال أهل اللغة: «رغم أنف عبد» معناه: ذل، وقيل: كره وخزي. وأصله؛ لصق أنفه بالرغام، وهو تراب مختلط برمل. وقيل الرغم، كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه.

وفي الحديث الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه، ومعناه: أن برهما عند كبرهما وضعفهما، بالخدمة أو النفقة، أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة، وأرغم الله أنفه.

وفيه فضيلة شهر رمضان وفضل صيامه وقيامه، وأن من أدى فرض الله فيه، على النحو الذي سَنَّه رسول الله ﷺ، فإن ذلك سبب لمغفرة الذنوب أو دخول الجنة، وأن من أعرض عن ذلك، أرغم الله أنفه، وفاتته تلك الفضائل.

وفيه أيضاً فضل الصلاة على النبي ﷺ، وأنها سبب لمغفرة الذنوب، والفوز بالجنة. ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشراً»**، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً، وحط عنه عشر خطيئات»**[1].

٤ ـ باب في استحباب تعجيل الإفطار

٨٥ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ، أَعْجَلُهُمْ فِطْراً». (رواه أحمد).

الشرح: وقوله جل وعلا: «إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطراً» أي أكثرهم تعجيلاً في

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٣)، وغيره وإسناده صحيح.

٨٥ ـ [رواه أحمد (٨٣٦٨/٣) والترمذي (٧٠٠ ـ ٧٠١) وتعقبه بقوله: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه أيضاً ابن خزيمة (٢٠٦٢) وابن حبان (٣٥٠٧) و (٣٥٠٨) والبغوي في «شرح السنة» (١٧٣٢) و (١٧٣٣) والبيهقي (٢٣٧/٤) كلهم من طريق قرة بن عبد الرحمن المعافري المصري. روى له مسلم مقروناً بغيره، وأصحاب السنن الأربعة. ضعّفه جمهور أهل العلم، ووثّقه بعضهم تساهلاً، لكنّ الحديث يقوى بشواهده، منها ما جاء في «الصحيحين» عند البخاري (١٩٥٧) ومسلم (١٠٩٨) وغيرهما من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر» ومنها ما أخرجه أحمد (٩٨١٧/٣) وأبو داود (٢٣٥٣) وابن خزيمة (٢٠٦٠) وابن حبان (٣٥٠٣) وغيرهم، من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الدين ظاهراً ما عجّل الناس الفطر، إن اليهود والنصارى يؤخرون» وإسناده جيد].

الإفطار، ولعل السبب في هذه المحنة المتابعة للسنة والمباعدة عن البدعة، وكذا مخالفة الرافضة وأهل الكتاب كما جاء في الحديث: «**لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر، إن اليهود والنصارى يؤخرون**»(١).

وقد أخرج ابن حبان بإسناد صحيح من حديث سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم**»(٢).

قال: وكان النبي ﷺ إذا كان صائماً أمر رجلاً فأوفى على شيء، فإذا قال: غابت الشمس، أفطر.

٥ ـ باب في عقوبة من تعمد الإفطار قبل دخول الوقت

٨٦ ـ عَنْ أَبي أُمامَةَ البَاهِليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتاني رَجُلانِ فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ فَأَتَيا بي جَبَلاً وَعْراً، فقالاَ لي: اصْعَدْ حتى إذا كنتُ في سَواءِ الجَبَلِ فإذا أنا بِصَوْتٍ شَديدٍ، فقلتُ: مَا هٰذِهِ الأصواتُ؟ قَالَ: هٰذا عُواءُ أهلِ النارِ، ثُمَّ انطَلَقَ بي، فإذا أنا بِقَومٍ مُعَلَّقِينَ بِعَراقيبِهِم مُشَقَّقَةٍ أشداقُهمْ تَسِيلُ أشداقُهمْ دَماً، فقلتُ: مَنْ هؤلاءِ؟. فقيلَ: هٰؤلاءِ الذينَ يُفطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ، ثُمَّ انطلقَ بي فإذا بقَوْمٍ أشدُّ شيءٍ انتفاخاً، وأنتنِه ريحاً، وأَسْوَئِه مَنْظَراً فقُلْتُ: مَنْ هٰؤلاءِ؟ قيلَ: الزَّانونَ والزَّواني، ثُمَّ انطَلَقَ بي فإذا بِنِساءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَهُنَّ الحَيَّاتُ، قلتُ: ما بالُ هٰؤلاءِ؟ قيلَ هٰؤلاءِ اللاتي يَمْنَعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ أَلبانَهُنَّ. ثُمَّ انطَلَقَ بي، فإذا أنا بِغِلمانٍ يَلْعَبُونَ بينَ نَهرَيْنِ، فقُلْتُ: مَنْ هٰؤلاءِ؟ فقيلَ هٰؤلاءِ ذَراري المُؤمنينَ، ثُمَّ شرفَ بي شرفاً فإذا أنا بثلاثةٍ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ لَهُمْ فقلتُ: مَنْ هٰؤلاءِ؟ قالوا: هٰذا إبراهيمُ وموسى وعيسى وهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ**». (رواه ابن حبان).

* * *

(١) رواه أحمد وغيره.

(٢) رواه ابن حبان (٣٥١٠) بإسناد صحيح.

٨٦ - [رواه ابن حبان (٧٤٩١) وابن خزيمة (١٩٨٦) والنسائي في «الكبرى» (٣٠٨٦/ ٢) والحاكم (١٣٦٨/ ٢) وغيرهم. واللفظ لابن حبان].

٦ ـ كتاب الحج والعمرة

قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

١ ـ باب في فضل عشر ذي الحجة، وفضل الحج ويوم عرفة

قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١ ـ ٣].

٨٧ ـ عَنِ السيدةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هؤلاءِ»**. (رواه مسلم).

٨٨ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ مَلائِكَةَ أَهْلِ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلى عِبَادِي هؤلاءِ جَاؤُونِي شُعْثاً غُبْراً»**. (رواه ابن حبان).

٨٩ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلى عِبَادِي، أَتَونِي شُعْثاً غُبْراً»**. (رواه أحمد).

٩٠ ـ وأخرج ابن خُزيمة وغيره بإسناد لا يخلو من مقال، من حديث جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه

---

٨٧ ـ [رواه مسلم في الحج (١٣٤٨) والنسائي (٣٠٠٣) وفي «الكبرى» (٣٩٩٦/٢) وابن ماجه (٣٠١٤) وابن خزيمة (٢٨٢٧) والحاكم (١٧٠٥/١) والدارقطني (٢٧٦٦) واللفظ لمسلم].

٨٨ ـ [رواه أحمد (٨٠٥٣/٣) وابن خزيمة (٢٨٣٩) وابن حبان (٣٨٥٢) والحاكم (١٧٠٨/١) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٠٥ ـ ٣٠٦/٣) والبيهقي (٢٥٢/٣) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٥٤٧/٣) وعزاه لأحمد وقال: ورجاله رجال الصحيح، وهو كما قال. واللفظ لابن حبان].

٨٩ ـ [رواه أحمد (٧١١١/٢) والطبراني في «الصغير» (٥٧٥) وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٠٤/٢)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٥٤٦/٣) وقال: رواه أحمد والطبراني في «الصغير» و«الكبير»، ورجال أحمد موثقون. أقول: ويشهد له ما تقدم].

٩٠ ـ [رواه ابن خزيمة (٢٨٤٠) وابن حبان (٣٨٥٣) وأبو يعلى (٢٠٩٠) والبزار (١١٢٨) والبغوي في «شرح السنة» (١٩٣١) وابن منده في «التوحيد» (١٤٧/١) وقال: هذا إسناد متصل حسن، من رسم =

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا كَانَ يَومُ عَرفَةَ، إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلى السَّماءِ فَيُبَاهِي بِهِمْ المَلائِكَةَ، فَيَقُولُ: انظُروا إِلى عِبَادِي أَتَوني شُعْثاً غُبْراً، ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيق، أُشهِدُكم إِنِّي قَدْ غَفرتُ لَهُمْ. فيَقُولُ المَلائِكَةُ: أَيْ رَبِّ فِيهم فُلانٌ يَزهُو، وَفُلانٌ وَفُلانٌ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ: قَدْ غَفَرتُ لَهُمْ»**. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: **«فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثر عَتِيقاً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ»**.

الشرح: قوله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبداً من النار من يوم عرفة» فيه فضل يوم عرفة، وتقدير الكلام: ما يوم أكثر من يوم عرفة عتيقاً من النار، والمراد بالعتق هنا: الخلاص من النار ومن عذابها، وهو تمثيل، لأن الرقيق يتخلص بالعتق، ويذهب حيث شاء، يُقال: أعتقت العبد، أُعتقه عتقاً وعتاقة، فهو معتق، وأنا مُعتِق، وعتق هو فهو عتيق، أي حررته فصار حراً.

وقوله ﷺ: **«وإنه ليدنو»** هذا الضمير عائد إلى الله تعالى، والدنو دنو إفضالٍ وإكرام، لا دنو انتقال ومكان، إذ يتعالى عنه ويتقدس.

وقوله ﷺ: **«ثم يباهي بهم الملائكة»** أي، يثني عليهم عندهم، ويعظمهم بحضرتهم، كما جاء حديث أبي هريرة: **«إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثاً غبراً» والأشعث**: هو مغبر الرأس المنتف الشعر، الجاف الذي لم يدهن. وغبراً، جمع أغبر، ومعناه ظاهر، وقد جاء في حديث جابر: **«انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً، ضاحين من كل فج عميق»** ومعنى ضاحين ـ بالضاد المعجمة والحاء المهملة ـ أي بارزين للشمس غير مستترين منها، يُقال لكل من برز للشمس من غير شيء يظله ويكفه: إنه ضاحٍ.

وقوله جل وعلا: «ما أراد هؤلاء» أي: إنما حملهم على ذلك، حتى خرجوا من أوطانهم، وفارقوا أهليهم، ولذاتها ابتغاء مرضاتي، وامتثال أمري، والله أعلم. وقد جاء عند المنذري في «الترغيب والترهيب» بعد قوله جل وعلا **«ما أراد هؤلاء»** قال المنذري: وزاد رزين في جامعه فيه: **«اشهدوا ملائكتي أني قد غفرت لهم»** اهـ. وهو موافق لما جاء في حديث جابر الأخير.

وأورد المنذري، من طريق ابن المبارك، عن سفيان الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وقف النبي ﷺ بعرفات، وقد كادت الشمس أن تؤوب، فقال: **«يا بلالُ أنصتْ لي الناسَ»** فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ، فأنصتَ الناس، فقال: **«معشر الناس، أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فأقرأني من ربي السلام، وقال: إن الله عز وجل غفر لأهلِ عرفات، وأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات»**.

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، هذا لنا خاصة؟ قال: **«هذا لكم، ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة»** فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كَثُرَ خيرُ الله وطاب[1].

= النسائي. . . . وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٥٥٥٣) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه: محمد بن مروان العقيلي، وثقه ابن معين، وابن حبان، وفيه بعض الكلام، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار إلا أنه قال: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر . .»].

(١) المنذري (٢/٢٠٣).

٢ ـ باب في الحث على التفرغ للعبادات المفروضة، وعدم التشاغل عنها بالدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٢].

٩١ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»**. (رواه الترمذي).

٩٢ ـ وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَقُولُ رَبُّكُم تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ قَلْبَكَ غِنًى، وَأَملأْ يَدَيْكَ رِزْقاً، يَا ابْنَ آدَمَ لاَ تَبَاعَدْ مِنِّي فَأَملأْ قَلْبَكَ فَقْراً، وَأَمْلأْ يَدَيْكَ شُغْلاً»**. (رواه الحاكم).

الشرح: قوله ﷺ: «إن اللّه تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي» أي فرغ نفسك من مشاغل الدنيا، وأقبل على الله تعالى بقلب متعبد خاشع، فإن الله تعالى لم يخلق الثقلين إلا لعبادته. وفي التنزيل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الآية. [الذاريات: ٥٦].

وقوله جل وعلا: «أملأ صدرك غنى» والمراد القلب كما جاء صريحاً في الرواية الثانية **«أملأ قلبك غنى»** ذلك أن الإنسان إنما هو في قلبه وليس في جيبه.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من كانت الدنيا همه، فرّق اللّه عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له. ومن كانت الآخرة نيته، جمع اللّه له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»**(١).

وقوله جل وعلا: «وأسد فقرك» أي أكفيك حاجتك، ولم أحوجك لغيري. فإن عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس. **وقوله جل وعلا: «وإلا تفعل»** أي وإن لم تتفرغ لعبادتي، وتفرّغ نفسك وقلبك للقيام بها على وجهها الصحيح **«ملأت صدرك شغلاً»** والمراد القلب كما جاء صريحاً في الرواية الثانية **«فأملأ قلبك فقراً»**. **وقوله جل وعلا: «ولم أسد فقرك»** وفي الرواية الثانية **«وأملأ يديك شغلاً»** وأصرفك عن عبادتي، لتكون بعيداً عني دنيا وآخرة، وذلك عقوبة له لبعده عن الله تعالى، وعدم تفرغه لعبادة ربه سبحانه وتعالى.

---

٩١ ـ [رواه أحمد (٢/ ٨٧٠٤) والترمذي (٢٤٦٦) وابن ماجه (٤١٠٧) وابن حبان (٣٩٣)، وهو حديث حسن].

٩٢ ـ [أخرجه الحاكم (٤/ ٧٩٢٦) وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه اهـ. وأقره الذهبي في «التلخيص». وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١١٧) وعزاه للحاكم. ويشهد له الحديث المتقدم].

(١) رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٠٥)، وإسناده صحيح.

٣ ـ باب في تعهد بيت الله الحرام بالحج والعمرة والزيارة

٩٣ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللَّهُ، إِنَّ عَبْداً صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي المَعِيشَةِ يَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لاَ يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ»**. (رواه ابن حبان).

وفي لفظ عند عبد الرزاق في «مصنفه»: **«يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّ عَبْداً وَسَّعْتُ عَلَيْهِ الرِّزْقَ فَلَمْ يَفِدَ إِلَيَّ فِي كُلِّ أَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ لَمَحْرُومٌ»**.

ومعنى قوله جل وعلا: **«يفد إلي»** أي يقصد البيت الحرام بالحج.

٤ ـ باب الأمر برفع الصوت بالتلبية والإهلال

٩٤ ـ عَنْ خَلاَّدِ بْنِ السَّائِبِ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي، أَوْ مَنْ مَعِي، أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُم بِالتَّلْبِيَةِ ـ أَوْ ـ بِالإِهْلاَلِ»** يُرِيدُ أَحَدَهُمَا. (رواه مالك).

ورواه الترمذي بلفظ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالإِهْلاَلِ وَالتَّلْبِيَةِ»** وقال: حديث حسن صحيح.

ورواه النسائي بلفظ: **«جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أَصْحَابَكَ أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُم بِالتَّلْبِيَةِ»**.

٩٥ ـ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أَصْحَابَكَ فَلْيَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ. فَإِنَّهَا مِنْ شِعَارِ الحَجِّ»**. (رواه ابن ماجه).

٩٦ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَأَمَرَنِي أَنْ أُعْلِنَ بِالتَّلْبِيَةِ»**. (رواه أحمد).

---

٩٣ ـ [رواه عبد الرزاق (٨٨٢٦/ ٥) وابن حبان (٣٧٠٣) وأبو يعلى (١٠٣١) والطبراني في «الأوسط» (٤٩٠) والبيهقي (٢٦٢/ ٥)، وهو حديث صحيح، أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٢٥٩/ ٣) وعزاه للطبراني في «الأوسط» ولأبي يعلى، وقال: ورجال الجميع رجال الصحيح].

٩٤ ـ [رواه مالك في «موطئه» في الحج (٧٤٤) باب (١٠) «رفع الصوت بالإهلال»، وأبو داود (١٨١٤) والترمذي (٨٢٩) والنسائي (٢٧٥٢) وابن ماجه (٢٩٢٢) والدارمي (١٨٠٩) وأحمد (١٦٥٦٧/ ٥) والحميدي (٨٥٣) وابن خزيمة (٢٦٢٥) وابن حبان (٣٨٠٢) والطبراني في «الكبير» (٦٦٢٩) والحاكم (١٦٥٢/ ١) وغيرهم، وإسناده صحيح].

٩٥ ـ [رواه أحمد (٢١٧٣٦/ ٨) وابن ماجه (٢٩٢٣) وابن خزيمة (٢٦٢٨) وابن حبان (٣٨٠٢) والحاكم (١٦٥٣/ ١) والطبراني (٥١٧٠) وإسناده حسن].

٩٦ ـ [رواه أحمد (٢٩٥٣/ ١) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٨٧/ ٢) وإسناده حسن].

٥ ـ باب في خطبة النبي ﷺ يوم النحر

٩٧ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْمُخَضْرَمَةِ بِعَرَفَاتٍ، فَقَالَ: **«أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هٰذَا، وَأَيُّ شَهْرٍ هٰذَا، وَأَيُّ بَلَدٍ هٰذَا؟»**.

قَالُوا: هٰذَا بَلَدٌ حَرَامٌ، وَشَهْرٌ حَرَامٌ، وَيَوْمٌ حَرَامٌ.

قَالَ: **«أَلاَ وَإِنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُم عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ شَهْرِكُم هٰذَا فِي بَلَدِكُم هٰذَا، فِي يَوْمِكُم هٰذَا، أَلاَ وَإِنِّي فَرَطُكُم عَلَى الحَوْضِ، وَأُكَاثِرُ بِكُمُ الأُمَمَ. فَلاَ تُسَوِّدُوا وَجْهِي. أَلاَ وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ أُنَاساً، وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّي أُنَاسٌ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُصَيْحَابِي؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»**. (رواه ابن ماجه).

الشرح: قوله رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ وهو على ناقته المخضرمة) أي التي قُطع طرف أذنها.

وقوله ﷺ: «ألا وإني فرطكم على الحوض» أي سابقكم إليه، ومهيىء لكم ما تحتاجون إليه.

وقوله ﷺ: «فلا تسودوا وجهي» بأن تكثروا من المعاصي، فلا تصلحوا لأن يفتخر بمثلكم.

وقوله جل وعلا: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» فيه التحذير من مخالفة سُنَّة النبي ﷺ واتباع أهل الأهواء والبدع.

٦ ـ باب في فضل المدينة، وأن الله تعالى سماها طابة

٩٨ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: **«إِنَّ اللَّهَ تعالَى سَمَّى المدِينَةَ: طَابَةَ»**.

الشرح: قوله ﷺ: «إن الله سمى المدينة طابة». هذا فيه استحباب تسميتها طابة وليس فيه أنها لا تسمى بغيره فقد سماها الله تعالى المدينة في مواضع من القرآن وسماها النبي ﷺ كذلك.

٧ ـ باب الصلاة في العقيق، أو الوادي المبارك

٩٩ ـ عَنْ عُمر بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِوَادِي العَقِيقِ يَقُولُ: **«أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ: صَلِّ فِي هٰذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ»**. (رواه البخاري).

الشرح: قوله رضي الله عنه: (سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق يقول): قال عياض: هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة، وهو الأقرب منها، وهو الذي جاء فيه أنه مهل أهل العراق من ذات عِرق.

---

٩٧ ـ [رواه ابن ماجه (٣٠٥٧) وإسناده صحيح].

٩٨ ـ [أخرجه أحمد (٢١٠٢٣ ـ ٢١٠٧٨ ـ ٢٠٩٧٠ ـ ٢٠٩٥٣/٧) ومسلم (١٣٨٥) وابن حبان (٣٧٢٦)].

٩٩ ـ [رواه البخاري في الحج (١٥٣٤) وطرفاه في (٢٣٣٧) و(٧٣٤٣)].

اهـ. وقال الحافظ في «الفتح» وهو بقرب البقيع بينه وبين المدينة أربعة أميال. روى الزبير بن بكار، في «أخبار المدينة» أن تُبعاً ـ أحد ملوك اليمن ـ لما رجع من المدينة انحدر في مكان فقال: هذا عقيق الأرض، فسمي العقيق. وقال ياقوت الحموي: ذو الحليفة: قربة بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة. اهـ. مختصراً. وإنما ذكرته حتى لا يُشكل على القارىء كلام القاضي عياض وما جاء في «الفتح».

وقوله ﷺ: **«أتاني الليل آت من ربي»** هو جبريل عليه السلام.

وقوله ﷺ: **«فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة»** فيه فضل وادي العقيق، وأنه مبارك، واستحباب الصلاة فيه، وفي قوله عليه السلام: **«وقل عمرة في حجة»** وهذا دال على أنه كان قارناً في حجته.

٨ ـ باب في حفر زمزم، وبناء البيت العتيق

١٠٠ ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أول ما اتخذَ النساءُ المِنطَقَ من قِبَلِ أُمّ إسماعيلَ اتّخذَتْ مِنطَقاً لتُعَفّيَ أَثَرَها على سارَة، ثمّ جاء بها إبراهيمُ وبابنِها إسماعيلَ وهيَ تُرضِعُهُ حتى وَضعَها عندَ البيتِ عند دَوحةٍ فوقَ زَمزَم في أعلى المسجدِ، وليسَ بمكةَ يومَئذٍ أحد، وليس بها ماءٌ فوَضعَهما هنالك، ووضعَ عندَهما جِراباً فيهِ تمرٌ وسِقاءً فيهِ ماءٌ، ثمّ قَفّى إبراهيمُ مُنطَلِقاً، فتَبِعَتْهُ أُمُّ إسماعيلَ فقالت: يا إبراهيمُ أينَ تَذهَبُ وتتركُنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء، فقالت له ذٰلكَ مِراراً، وجَعلَ لا يَلتفِتُ إليها. فقالت له: الله أمرَكَ بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذَن لا يُضيّعُنا. ثمّ رَجعتْ. فانطَلَقَ إبراهيمُ حتى إذا كان عندَ الثَّنيّةِ حيثُ لا يَرونَهُ استقبَلَ بوَجهِهِ البيتَ ثمّ دَعا بهؤلاءِ الكلماتِ ورَفَعَ يَدَيهِ فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ـ حتىٰ بلغ ـ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجَعلت أمُّ إسماعيلَ تُرضِعُ إسماعيلَ وتَشربُ من ذٰلك الماء، حتىٰ إذا نَفِدَ ما في السّقاءِ عَطِشَت وعطِشَ ابنُها، وجعَلَت تَنظُرُ إليه يَتلوّى ـ أو قال: يَتلبّط ـ فانطَلَقَتْ كراهيةَ أن تَنظُرَ إليه، فوَجدَتِ الصّفا أقرَبَ جَبلٍ في الأرضِ يَليها، فقامَت عليهِ، ثمّ استقبَلَتِ الواديَ تَنظُرُ هل تَرَى أحداً، فلم تَرَ أحداً، فهبَطَت مِنَ الصّفا، حتى إذا بَلَغَتِ الواديَ رَفَعت طَرَفَ دِرعِها، ثمّ سَعَت سَعيَ الإنسانِ المجهودِ حتى جَاوَزَتِ الواديَ، ثمّ أتَتِ المرْوَةَ فقامت عليها فَنَظَرتْ هل تَرَى أحداً؛ فلم تَرَ أحداً، ففعلت ذٰلكَ سبعَ مراتٍ.

قال ابنُ عبّاسٍ: قال النبيُّ ﷺ: **«فذٰلك سعيُ الناسِ بينهما»**. فلما أشرَفَت على المروةِ

---

١٠٠ ـ [رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٤) وأطرافه في (٢٣٦٨) و(٣٣٦٢) و(٣٣٦٣) و(٣٣٦٤) و(٣٣٦٥) وأخرجه أحمد (٣٢٥٠/) مختصراً وكذا عبد الرزاق في مصنفه (١٩٠٧) والبيهقي في «السنن» (٥/٩٨) والنسائي في «الكبرى» (٨٣٧٩ ـ ٨٣٨٠) وابن سعد في «الطبقات» (١/٥٠)].

سمعَت صوتاً فقالت: صَهٍ ـ تريدُ نفسَها ـ ثمَّ تسمَّعَتْ أيضاً فقالت: قد أسمعتَ إن كان عندَكَ غِواث، فإذا هيَ بالملَكِ عند مَوضِعِ زَمزم، فبَحَثَ بعقِبِهِ ـ أو قال بجَناحِهِ ـ حتى ظهرَ الماءُ، فجعَلَت تَحُوضُهُ وتقول بيدِها هكذا، وجَعلت تَغرِفُ منَ الماء في سِقائها وهوَ يَفورُ بعدَ ما تَغرِفُ.

قال ابنُ عبّاسٍ قال النبيُّ ﷺ: **«يَرحَمُ الله أمَّ إسماعيلَ لو تَرَكَت زمزمَ ـ أو قال: لو لم تَغرِفْ منَ الماء ـ لكانتْ زمزمُ عَيناً مَعيناً»**. قال: فشَرِبَت وأرضَعتْ ولَدَها، فقال لها الملَكُ: لا تخافوا الضَّيعة، فإنَّ ها هنا بيتَ الله يَبني هذا الغلامُ وأبوه، وَإنَّ الله لا يُضيعُ أهلَه...

الشرح: قوله ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال ـ لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عيناً معيناً» الشك من الراوي، وقد جاء في إحدى روايات البخاري بلفظ: **«لو تركته»**. ومعنى **«عيناً معيناً»** أي ظاهراً جارياً على وجه الأرض، وقد جاء صريحاً بذلك عند البخاري في الرواية المشار إليها ثمة بلفظ: **«كان الماء ظاهراً»**. قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: كان ظهور زمزم نعمة من الله محضة بغير عمل عامل، فلما خالطها تحويط هاجر، دَاخَلَها كسب البشر فقصرت على ذلك، فأغنى ذلك عن توجيه تذكير معين، مع أن الموصوف وهو المعين مؤنث.

❊ ❊ ❊

٧ ـ كتاب الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

١ ـ باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم خشية الناس في قول الحق

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ الآية. [البقرة: ١٥٠].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣].

١٠١ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ أَحَدَكُم لَيُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يَكُونَ فِيمَا يُسْأَلُ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُنْكِرَ المُنْكَرَ إِذَا رَأَيْتَهُ؟»** قَالَ: **«فَمَنْ لَقَّنَهُ اللَّهُ حُجَّتَهُ، قَالَ: رَبِّ رَجَوْتُكَ، وَخِفْتُ النَّاسَ»**. (رواه أحمد).

وفي لفظ: **«إِنَّ اللَّهَ لَيَسْأَلُ العَبْدَ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْأَلُهُ يَقُولُ: أَيْ عَبْدِي، رَأَيْتَ مُنْكَراً فَلَمْ تُنْكِرْهُ، فَإِذَا لَقِيَ اللَّهُ عَبْداً حُجَّتَهُ قَالَ: يَا رَبِّ وَثِقْتُ بِكَ، وَخِفْتُ النَّاسَ»**.

وفي لفظ آخر: **«لاَ يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُم نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالاً ثُمَّ لاَ يَقُولُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ خَشِيتُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: وَأَنَا أَحَقُّ أَنْ يُخْشَى»**.

الشرح: قوله ﷺ: «إن أحدكم» أي معشر المسلمين، **«ليسأل يوم القيامة»** أي عن كل صغيرة وكبيرة **«حتى يكون فيها يُسأل عنه أن يُقال: ما منعك أن تنكر المنكر إذا رأيته»** وذلك أن تغيير المنكر

---

١٠١ ـ [رواه أحمد (١١٢١٤ ـ ١١٢٥٥ ـ ١١٧٣٥/ ٤) وابن ماجه (٤٠١٧) والحميدي (٧٣٩) وأبو يعلى (١٠٨٩) وابن حبان (٧٣٦٨) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٧٤) وفي «السنن الكبرى» (٩٠/ ١٠) وإسناده جيد، رجاله رجال الصحيح غير نهار بن عبد الله العبدي المدني. وثقه ابن حبان، وروى له ابن ماجه، وقال ابن خراش: صدوق. وقد جوّد إسناده الحافظ العراقي في حاشية «إحياء علوم الدين» (٢٢٩/ ٢)].

مطلوب من المسلم في كل حالاته ضعيفاً كان أو قوياً، لما رواه مسلم وغيره من طريق سفيان، قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة، مروان، فقام إليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد تُرك ما هنالك. فقال: أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**.

وقوله جل وعلا: «وأنا أحق أن يُخشى» أي من غيري ممن خلقت، وقد تقدم قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ أي إلى خلقه ويؤدونها بأمانة ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي يخافونه ولا يخافون أحداً سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي وكفى بالله ناصراً ومعيناً.

خاتمة: روى البخاري وغيره من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يجاء برجل فيطرح في النَّارِ، فَيَطْحَنُ فيها كما يَطْحَنُ الحِمارُ بِرَحَاهُ. فيطيفُ بهِ أَهْلُ النَّارِ فيقولونَ: أَيْ فلانُ، أَلَسْتَ كُنتَ تأمر بالمعروفِ وَتَنْهىٰ عن المُنكَرِ؟ فيقولُ: إني كنتُ آمرُ بِالمعروفِ ولا أفعَلهُ وأَنهىٰ عن المنكَرِ وأفعلُهُ»**[1].

٢ ـ باب في فضل من خرج مجاهداً في سبيل الله تعالى، وما له من كرامة

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦].

١٠٢ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخرِجُهُ إلاَّ جِهَاداً فِي سَبِيلِي، وَإِيمَاناً بِي، وَتَصْدِيقاً بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَداً. وَلٰكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»**. (متفق عليه).

---

(١) البخاري (٧٠٩٨).

١٠٢ ـ [أخرجه مالك في «الموطأ» (١٠٠١) و(١٠١٢) وأحمد (٩١٩٨ ـ ٩١٩٩ ـ ٩٢٠٠ ـ ٩٤٨١ ـ ٣/٩٤٨٤) والبخاري (٣٦) ومسلم (١٨٧٦) والنسائي (٥٠٤٥) وابن ماجه (٢٧٥٣) وابن حبان (٤٦١٠) والبيهقي (٩/١٥٧) بألفاظ متقاربة. واللفظ الأول لمسلم، والثاني لأحمد].

وفي رواية عند أحمد: **«انْتَدَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخرِجُهُ إلاَّ الإيمانُ بِي وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِي أَنَّهُ عَلَيَّ ضَامِنٌ حَتَّى أُدْخِلَهُ الجنَّةَ بِإِيمانِهِ مَا كَانَ إمَّا بِقَتْلٍ وَإمَّا بِوَفَاةٍ، أَوْ أَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَالَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»**.

١٠٣ ـ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ـ يعني يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ـ: **«المُجَاهِدُ في سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ، إِنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الجَنَّةَ، وإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»**. (رواه الترمذي).

١٠٤ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رِبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: **«أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِداً في سَبِيلِي، ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَإِنْ قَبَضْتُهُ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ وَأَرْحَمَهُ وَأُدْخِلَهُ الجَنَّةَ»**. (رواه أحمد).

ورواه النسائي، وعنده بلفظ: **«... ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أُرْجِعَهُ إِنْ أَرْجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمةٍ، وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ وَرَحِمْتُهُ»**.

الشرح: قوله ﷺ «تضمن الله لمن خرج في سبيله» وقد جاء عند البخاري وكذا عند أحمد في الرواية المذكورة بلفظ: **«انتدب الله عز وجل لمن خرج في سبيله»** أي سارع بثوابه وحسن جزائه، وقيل بمعنى أجاب إلى المراد، ففي **«الصحاح»**: ندبت فلاناً، فانتدب، أي أجاب إليه. وقيل معناه تكفل بالمطلوب ويدل عليه رواية البخاري ومسلم وغيرهما: **«تكفل الله لمن جاهد في سبيله»** ومعنى ضمن وتكفل هنا، أي أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية. [التوبة: ١١١].

وقوله جل وعلا: «لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي» أي لا يخرجه المخرج إلا للجهاد والإيمان والتصديق مخلصاً لله تعالى، والمراد بالتصديق هنا، تصديق كلام الله في الإخبار بما للمجاهد من عظيم ثوابه.

وقوله جل وعلا: «فهو عليّ ضامن» أي ذو ضمان، أو بمعنى مضمون **«أن أدخله الجنة»** قال القاضي عياض: يحتمل أن يدخل عند موته كما قال تعالى في الشهداء: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وفي الحديث: **«أرواح الشهداء في الجنة»**. قال: ويحتمل أن يكون المراد؛ دخوله الجنة عند دخول السابقين والمقربين بلا حساب ولا عذاب ولا مؤاخذة بذنب، وتكون الشهادة مكفرة لذنوبه كما صرح به في الحديث الصحيح.

---

١٠٣ ـ [رواه الترمذي في فضائل الجهاد (١٦٢٠) في فاتحته، وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه، وهو كما قال].

١٠٤ ـ [رواه أحمد (٢/٥٩٨٤) والنسائي (٣١٢٦) ورجال أحمد رجال الصحيح غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم].

وقوله جل وعلا: «**أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة**» أي إن الله تعالى ضمن للخارج في سبيله الخير بكل حال، فإما أن يستشهد فيدخل الجنة، وإما أن يرجع بأجر، وإما أن يرجع بأجر وغنيمة.

قوله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم، وريحه مسك**» قال النووي: أما الكلم ـ بفتح الكاف وإسكان اللام ـ فهو الجرح. ويكلم ـ بإسكان الكاف ـ أي يُجرح. وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره. والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته؛ أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى.

وفيه دليل على جواز اليمين وانعقادها بقوله: والذي نفسي بيده، ونحو هذه الصيغة من الحلف بما دل على الذات. ولا خلاف في هذا.

وقوله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لولا أن يشق على المسلمين، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً**» أي خلفها وبعدها، وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على المسلمين والرأفة بهم، وأنه ﷺ كان يترك بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين، وأنه إذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها، وفيه مراعاة الرفق بالمسلمين والسعي في زوال المكروه والمشقة عنهم، قاله النووي.

وقوله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لوددت**» من الود، أي لأحببت حباً جماً «**أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**» فيه فضيلة الغزو والشهادة، وفيه تمني الشهادة والخير. وتمني ما لا يمكن في العادة من الخيرات، وذلك لما للمجاهد في سبيل الله تعالى من أجر. وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل للنبي ﷺ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال ﷺ: «**لا تستطيعوه**» قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**» وقال في الثالثة: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى**»[1].

٣ ـ باب في فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، وأنها موجبة لصاحبها الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

١٠٥ ـ عن مسروق، قال: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ هٰذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٨٥) ومسلم (١٨٧٨) وغيرهما. واللفظ لمسلم.

١٠٥ ـ [رواه مسلم (١٨٨٧) والترمذي (٣٠١١) وابن ماجه (٢٨٠١) واللفظ لمسلم].

قالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذٰلِكَ، فَقَالَ ﷺ: **«أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلى تِلْكَ القَنَادِيلِ.**

فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئاً؟ قَالُوا: أَيَّ شَيءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذٰلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا في أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ في سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا». (رواه مسلم).

ورواه الدارمي مختصراً من طريق شعبة، عن عبد اللّه بن مرة، عن مسروق، قال: سألنا عبد اللّه ـ يعني ابن مسعود ـ عن أرواح الشُّهداءِ ـ ولولا عبد الله لم يحدثنا أحد، قال: **«أَرْواحُ الشُّهداء عِنْدَ اللّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ في حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعلقةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ في الجَنَّةِ حَيثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلى قَنَادِيلِهَا، فَيُشْرِفُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ فَيَقُولُ: أَلَكُمْ حَاجَةٌ؟ تُرِيدُونَ شَيْئاً؟ فَيَقُولُونَ: لاَ إِلاَّ أَنْ نَرْجِعَ إِلى الدُّنيا فَنُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى»**[1].

وقد جاء عند ابن ماجه بلفظ: **«أَرْوَاحُهُمْ كَطَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ في الجَنَّةِ في أَيِّهَا شَاءَتْ. ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ، إِذِ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً.**

فَيَقُولُ: سَلُونِي مَا شِئْتُم. قَالُوا: رَبَّنَا، وَمَاذَا نَسْأَلُكَ وَنَحْنُ نَسْرَحُ في الجَنَّةِ في أَيِّهَا شِئْنَا؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لا يُتْرَكُونَ مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا، قَالُوا: نَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا في أَجْسَادِنَا إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى نُقْتَلَ في سَبِيلِكَ. فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ إِلاَّ ذٰلِكَ، تُرِكُوا».

وهو عند الترمذي بلفظ: **«. . . فَاطَّلَعَ إِلَيهِم رَبُّكَ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئاً فَأَزِيدكُم؟ قَالُوا: رَبَّنَا، وَمَا نَسْتَزِيدُ، وَنَحْنُ في الجَنَّةِ نَسْرَحُ حَيثُ شِئْنَا؟**

ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَيْهِمْ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئاً فَأَزِيدَكُمْ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يُتْرَكُوا، قَالُوا: تُعِيدُ أَرْوَاحُنَا في أَجْسَادِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَنُقْتَلَ في سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى».

١٠٦ ـ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُم بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ في أَجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهارَ الجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ في ظِلِّ العَرْشِ. فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِم، وَحُسنَ مَقِيلِهم، قَالُوا: يَالَيتَ إِخْوانَنَا يَعْلَمونَ بِمَا صَنَعَ اللّهُ لَنَا، لِئَلا يَزْهَدُوا في الجِهَادِ، وَلاَ يَنْكُلُوا عَنِ الحَرْبِ.**

---

(١) الدارمي (٢٤١٠).

١٠٦ ـ [رواه أحمد (١/٢٣٨٨) وأبو داود (٢٥٢٠) وأبو يعلى (٢٣٣١) والحاكم (٢/٢٤٤٤) و(٢/٣١٦٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٤٠) وفي «السنن الكبرى» (٩/١٦٣) وهو حديث حسن، ويشهد له ما تقدم. واللفظ لأحمد].

فقال الله عزّ وجلّ: **أنا أبلغهم عنكم** فأنزل الله عزّ وجلّ هؤلاء الآيات على رسوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ إلى آخر الآية. (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ **«أرواحهم»** قال القاضي عياض: اختلف في الروح اختلافاً لا يكاد ينحصر، فقال كثير من المتكلمين أرباب المعاني: إنها أمر رباني لا يُعلم، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقال الإمام القرطبي: إن الروح مما انفرد الله سبحانه بعلم حقيقته كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، والمحقق أنها أمر يُنفخ في الجسد ويُقبض منه، ويؤمن ويكفر، ويعلم ويجهل، ويفرح ويحزن، وينعم ويتألم، ويتعين أنه ليس بعرض لاستحالة قيام هذه المعاني بالأعراض، فيجب أن يكون مما يقوم بنفسه وقابلاً للأعراض.

وقوله ﷺ **«في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش»** وقد روى مالك في «موطئه» وأحمد وغيرهما بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: **«نسمة المؤمن طائر يَعْلَقُ في شجر الجنة حتى يَرُدَّهَا الله إلى جسده يوم القيامة»** [(١)] قال القاضي عياض: المراد بنسمة المؤمن؛ الشهداء، والنسمة تطلق على الذات مع الروح، وتطلق على الروح وحدها، وهو المراد هنا لعلمنا أن الجسد يفنى ويأكله التراب. وقيل: المراد بها سائر المؤمنين الذين يدخلون الجنة دون حساب بدليل عموم الحديث...

وقال الشيخ الآبي أجواف الطير وحواصلها كناية عن مراكب ممهدة لاستقرار أرواح الشهداء عليها. الله سبحانه أعلم بصفة ذلك المركب كما قال ﷺ **«فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت»** الحديث. فتنتقل تلك المراكب وتسير وتسرح حيث شاءت الأرواح، فعبر عن الأرواح تارة بأنها طير لسرعة حركتها وانتقالها، لا أنها طير حقيقة، وعبر عن تلك المراكب مرة بأنها طير لسرعة حركتها، ولعل تلك المراكب طيور حقيقة من ذهب أو ياقوت كما في صفة خيل الجنة، وأنها كلها مراتب ومجالس لأهل الجنة ولأرواح الشهداء قبل المبعث.

وقد جاء في سورة المنتهى أنها إليها تنتهي أرواح الشهداء، وأنه غشيها فراش من ذهب ـ والفراش الطيور الصغار ـ فلعل تلك الفراش من تلك الطيور التي تسرح بها أرواح الشهداء التي تأوي إليها، وكل محتمل غير مستحيل.

وقال الإمام القرطبي: الحديث تفسير لحياة الشهداء المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فجعلها في جوف طير هو صيانة لها ومبالغة في إكرامها لتطلع على ما في الجنة من المحاسن والنعم، كما يَطَّلِعُ الراكب المظلل عليه بهودج شفاف لا يحميه عما وراءه، ويدركون في تلك الحال التي يسرحون فيها من روائح الجنة ونعيمها وسرورها، ما يليق بالأرواح وترزقه وتنتعش به. وأما الذوات الجسمانية فإذا أعيدت تلك الأجسام إلى أرواحها استوفت من النعيم ما أعد الله سبحانه لها.

---

(١) رواه الإمام مالك (٥٦٦) وأحمد (١٥٧٧٦/ ٥).

ثم إن الأرواح ترجع بها الطير إلى مواضع مكرمة مشرفة منورة، عَبَّر عنها بالقناديل لكثرة نورها، وهذه الكرامة خاصة بالشهداء.

وقوله ﷺ: «**تسرح في الجنة حيث شاءت**» قال القاضي عياض: فيه أن الجنة مخلوقة، وأنها التي أُهبط منها آدم عليه السلام وينعم بها المؤمنون في الآخرة. قال: وفيه مجازات الأرواح بالعقاب والثواب قبل القيامة. قال: وفيه أن الأرواح باقية لا تفنى كما جاء في القرآن والآثار، خلافاً لمن قال من المبتدعة بفنائها.

وأهل اليمين ثلاثة أصناف؛ الأنبياء عليهم السلام، ثم الشهداء ثم غيرهم. فالأنبياء يدخلون الجنة وينعمون من حين الموت، وكذلك الشهداء والأطفال، وأما غير هذين الصنفين من أهل اليمين، فإنما تُعرض عليهم مقاعدهم من الجنة، وإنما يدخلونها يوم القيامة.

وقال ابن عطية: لا محالة أن الشهداء ماتوا أن أجسامهم في التراب، وإنما الحي أرواحهم، ولا يختصون بذلك لأن الأرواح كلها حية، وإنما الفرق؛ أن أرواح الشهداء يدخلون الجنة من حين الموت، وأرواح غيرهم تعرض عليها مقاعدها من الجنة، ولا يدخلونها إلا يوم الحساب. والفائدة في الآية إنما هو قوله تعالى ﴿يُرۡزَقُونَ﴾، وإلا فالأرواح كلها حية. اهـ.

قال القاضي عياض: واحتج بالحديث أهل ـ التناسخ ـ القائلون بأن الأرواح تنتقل إلى أجساد أُخر، فأهل السعادة تنتقل أرواحهم إلى أجساد حسنة تتنعم، كما جاء في هذا الحديث. وأهل الشقاء تنتقل أرواحهم إلى أجساد خسيسة قبيحة تُعذَّبُ فيها.

فإذا استوفت قدر عذابها رجعت إلى أحسن منه وهكذا أبداً، وهذا معنى الإعادة والثواب والعقاب عندهم، وهذا ضلال وإبطال لما جاءت به الشريعة من الحشر والنشر والجنة والنار، إذ جاء في الحديث: «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يردها الله إلى جسده يوم القيامة**». وما احتجوا به من كونها في جوف طير لا يتم لأن هذه الطير أرواح أخر، وهم لا يقولون ذلك.

وقوله ﷺ: «**ثم ترجع إلى قناديلها**» تقدم ثمة أن القناديل كناية عن مواضع مكرمة مشرفة منورة، عبر عنها بالقناديل لكثرة نورها.

وقوله جل وعلا: «ألكم حاجة؟ تريدون شيئاً» وفي الرواية الثانية: «**هل تستزيدون شيئاً فأزيدكم**» هو مبالغة في الإكرام، إذ قد أعطاهم ما لا يخطر على قلب بشر، ثم رغبهم في سؤال الزيادة فلم تجدوا وراء ذلك سبيلاً، لكن تلقوا ذلك بالشكر بأن تُرَدّ أرواحهم إلى أجسادهم حتى يجاهدوا ويستلزموا ألم القتل مكافأة لبرّه والجود بالنفس أقصى غاية الجود. قاله القاضي عياض.

وفي قولهم: «**ربنا، وما نستزيد، ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا**» هو حسن أدب، وإلا لقالوا: نشتهي النظر إليك.

وقوله ﷺ: «**فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا**

يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد» أي يرغبوا عنه، ويتركونه **«ولا ينكلوا عن الحرب»** وعند أبي داود **«ولا ينكلوا عند الحرب»** أي ولا يمتنعوا ويتنحوا عن القتال عند الحرب. قال ابن الأثير: النكل ـ بالتحريك ـ من التنكيل، وهو المنع والتنمية عما يريد. وقد نكل عن الأمر يَنْكُل، ونَكِلَ ينكَلُ، إذا امتنع. ومنه النكول في اليمين، وهو الامتناع منها، وترك الإقدام عليها.

٤ ـ باب وجوب الإخلاص في الأعمال كلها لله تعالى، وبيان أن من قاتل للرياء والسمعة، استحق النار

قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية [البينة: ٥].

١٠٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِب عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.**

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرأَ القُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فما عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْت القُرآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». (رواه مسلم).

وفي لفظ عند ابن حبان: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ. فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي ﷺ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ**

١٠٧ ـ [رواه مسلم (١٩٠٥) وأحمد (٣/٨٢٨٤) والترمذي (٢٣٨٢) وابن حبان (٤٠٨) والحاكم(١/٣٦٤) و(٢/٢٥٢٤) والنسائي في «المجتبى» (٣١٣٧) وفي «الكبرى» (٣/٤٣٤٥)].

أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ! فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ المَلائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ؛ بَلْ إِنَّما أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ، فُلانٌ جَوادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ؛ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ، فُلانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ». ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

الشرح: قوله ﷺ **«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه»** قال القرطبي رحمه الله تعالى: ليس بمعارض لحديث: **«أول ما يحاسب به العبد المسلم من عمله الصلاة»** [1] ولا لحديث: **«أول ما يقضى بين الناس في الدماء»** [2] لاختلاف أنواع ما أسندت الأولية إليه، فالمعنى في هذا؛ أول ما يحاسب به فاعله من نوع ما انتشر به صيت فاعله هذه الثلاثة. والمعنى في الثاني؛ أول ما يحاسب به من نوع أركان الدين؛ الصلاة، والمعنى في الثالث؛ أول ما يُحاسب به من نوع المظالم، الدماء. وإنما تتوهم المعارضة لو كانت الأولية في الجميع مسندة إلى نوع واحد.

وقوله جل وعلا: **«كذبت»** دليل على أن صاحب الكذبة بين يدي الجبار، إنما هو من أجهل الناس، إذ لو كان يعلم أن الله تعالى يعلم السر وأخفى ما تجرىء وكذب بحضرة ذي الجلال والإكرام ولكن من اعتادت نفسه الأمَّارة بالسوء على مساوىء الأخلاق ولم يعمل على تهذيبها، وكانت تجترىء على الخلق، فإنه يهون عليها الكذب على الخالق سبحانه وتعالى.

وقيل: إن الكذب يقع بوسوسة الشيطان، وليس ثم من يوسوسه في ذلك اليوم، وأجيب عن ذلك، بأن الكذب يقع تارة عمداً وتارة هولاً ودهشاً، وهذا دهش. وقيل: إن الشيطان يوسوس حتى في ذلك اليوم. وهو مستبعد.

وقوله جل وعلا: **«ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار»** وذلك أنه قاتل رياء وسمعة. ولم يخلص العمل لله تعالى. وفي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل ليُذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ **«من قاتل لتكون كلمة الله أعلى، فهو في سبيل الله»** وفي لفظ: سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»**. **والحمية**: الأنفة والغيرة والمحاماة عن عشيرته.

---

(١) رواه أحمد (٣/٩٤٩٩) وأبو داود (٨٦٤) والترمذي (٤١٣) وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٨٦٤) وغيره من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال الإمام النووي: في الحديث دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته. وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً. وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً. اهـ.

٥ ـ باب في بيان الشهداء

١٠٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»**.

ثُمَّ قَالَ: **«الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ؛ المَطْعُونُ، والمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ في سَبِيلِ اللَّهِ»**.

وقال: **«لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ. وَلَوْ يَعْلَمونَ مَا في التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً»** [متفق عليه].

الشرح: قوله ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له، فغفر له» أي رضي بفعله، وقبل منه.

قال ابن حبان: الله جل وعلا أجلّ من أن يشكر عبيده، إذ هو البادىء بالإحسان إليهم، والمتفضل بإتمامها عليهم، ولكن رضى الله جلّ وعلا ـ بعمل العبد ـ عنه يكون شكراً من الله جل وعلا، على ذلك الفعل.

وفي الحديث فضيلة إماطة الأذى عن الطريق، وهذه الإماطة أدنى شُعب الإيمان، كما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون ـ أو ـ بضع وستون شُعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**(١) لفظ مسلم.

وقوله ﷺ: «الشهداء خمسة، المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله» وقد جاء عند مالك في «موطئه» في الجنائز، بإسناد جيد، من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه، وفيه، قوله ﷺ: **«الشهداء سبعة، سوى القتل في سبيل الله، المطعون شهيد،**

---

١٠٨ ـ [أخرجه مالك في «موطئه» (٢٩٥) في الصلاة. باب ما جاء في العتمة والصبح، وأحمد (٣/١٠٨٩٨) والبخاري (٦٥٢ ـ ٦٥٣ ـ ٦٥٤) و(٢٤٧٢) و(٧٢٠) و(٢٨٢٩) و(٥٧٣٣) ومسلم (١٩١٤) والترمذي (١٩٥٨) وابن ماجه (٣٦٨٢) والحميدي (١١٣٤) وغيرهم. واللفظ للبخاري].

(١) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) في صحيحيهما، واللفظ لمسلم.

والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحَرِقُ شهيد، والذي يموتُ تحت الهدم شهيد، والمرأةُ تموتُ بِجُمْعٍ، شهيدٌ»[١] . ولا تناقض بين الحديثين لأنهما حديثان أخبر بهما في وقتين أوحي إليه في وقت أنها خمس، وفي وقت أنها أكثر. قاله القرطبي في «المفهم».

فأما المطعون، فهو الذي يموت في الطاعون، كما جاء عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطاعون شهادة لكل مسلم»**[٢] .

وأما المبطون، فهو صاحب داء البطن، وهو الإسهال. قال القاضي عياض: والمبطون صاحب البطن الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الإسهال، وقيل: الذي يشتكي بطنه، والغريق الذي مات غرقاً. **وصاحب الهدم**: الذي يموت تحته، **وذات الجنب**: قرحة في الجنب وداء معروف هو الشوطة. **والحرق**: الذي أحرقته النار. **والمرأة تموت بجمع** ـ هو بضم الجيم وفتحها وكسرها، والضم أكثر وأعرف ـ قيل هي التي تموت حاملاً جامعة ولدها في بطنها، وقيل: هي التي تموت بالنفاس وإن ولدته، وقيل هي التي تموت بكراً لم تفتض. والأول أشهر وأصح.

وإنما كانت هذه الموتات شهادة لعظيم الألم فيها، فتفضل الله سبحانه بأن جعل لأصحابه أجر الشهداء، ويحتمل أنهم سموا بشهداء لمشاهدتهم ما أعد الله سبحانه لهم لعظيم ما يقاسونه من الألم. وألحق ﷺ بهذه السبعة، من مات في سبيل الله بغير قتل: **«من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»**[٣] .

قال العلماء: والمراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله، أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء، وأما في الدنيا، فيغسلون ويُصلى عليهم.

وأما قوله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء» أي الأذان **«والصف الأول»** أي من الأجر **«ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا»** أي يجعلوا فيما بينهم القُرعة. **«لاستهموا عليه»** أي لاقترعوا عليه، وذلك لعظيم ثوابه وأجره، قال الخطابي وغيره: قيل له الاستهام لأنهم كانوا يكتبون أسماءهم على سهام إذا اختلفوا في الشيء، فمن خرج سهمه غلب. ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١].

قوله ﷺ: «ولو يعلمون ما في التهجير» أي التبكير إلى الصلاة. قال في «الفتح»: وحمله الخليل وغيره على ظاهره فقالوا: المراد الإتيان إلى صلاة الظهر في أول الوقت، لأن التهجير مشتق من الهاجرة، وهي شدة الحرّ نصف النهار، وهو أول وقت الظهر.

وقوله ﷺ: «لاستبقوا إليه» قال ابن أبي جمرة: المراد بالاستباق، معنىً لا حساً، لأن المسابقة على الإقدام حساً تقتضي السرعة في المشي وهو ممنوع منه. اهـ. **أقول**: وهو نحو قوله تعالى:

---

(١) مالك في موطئه (٥٥٢).

(٢) مسلم في صحيحه (١٩١٦).

(٣) البخاري (٢٤٨٠) ومسلم (١٤١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. والمراد في قوله ﷺ: «لاستبقوا إليه» أي لعجلوا بالمبادرة إلى التهجير والتبكير إلى الجماعات بهمة ونشاط لعلهم يندرجوا تحت قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٢].

وقوله ﷺ: «ولو يعلمون ما في العتمة» أي صلاة العشاء «والصبح» حيث تُصلي في مساجد المسلمين «لاتوهما ولو حبواً» أي زحفاً في حال لو منعهم مانع من إتيانها مشياً، كما يزحف الصغير، وذلك لعظيم فضلهما وكبير ثوابهما.

٦ ـ باب في فضل من صبر ومات بالطاعون ونحوه

١٠٩ ـ عَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ وَالمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِم إِلَى رَبِّنَا فِي الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنَ الطَّاعُونِ، فَيَقُولُ الشُّهَدَاءُ: إِخوانُنَا قُتِلُوا كَمَا قُتِلْنَا. وَيَقُولُ المُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ: إِخوانُنَا مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِمْ كَمَا مُتْنَا. فَيَقُولُ رَبُّنَا: انْظُرُوا إِلَى جِرَاحِهِم فَإِنْ أَشْبَهَ جِرَاحُهُمْ جِرَاحَ المَقْتُولِينَ، فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ، فَإِذَا جِرَاحُهُمْ قَدْ أَشْبَهَتْ جِرَاحَهُمْ»**. (رواه النسائي).

١١٠ ـ وعَنْ عُتْبَةَ بن عَبد السُّلَمي رَضِيَ الله عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: **«يَأْتِي الشُّهَدَاء والمتوفون بالطاعُون، فَيَقُولُ أَصْحَاب الطَاعُون: نَحْنُ شُهَدَاء. فَيُقَال: انْظُروا، فَإِنْ كَانَتْ جِرَاحهم كَجِرَاح الشُّهَدَاء تَسِيل دَماً رِيح المسك، فَهُم شُهَداء. فَيَجِدُونهم كذلك»**. (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ **«يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون من الطاعون»** أي يجادل بعضهم بعضاً. وقد تقدم أن من مات بالطاعون مات شهيداً قول النبي ﷺ: **«الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله عز وجل»** من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عند مسلم. وله أيضاً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«ما تعدون الشهيد فيكم؟»** قالوا: يا رسول الله من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: **«إن شهداء أمتي إذاً لقليل»** قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: **«من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد»**[1].

قوله ﷺ **«فيقول ربنا: انظروا إلى جراحهم فإن أشبه جراحهم جراح المقتولين، فإنهم منهم»** أي من الشهداء **«ومعهم»** أي في درجاتهم ومنازلهم، **«فإذا جراحهم قد أشبهت جراحهم»** فكانوا منهم

---

١٠٩ ـ [رواه أحمد (٦/١٧١٥٩) و(٦/١٧١٦٤) والنسائي في الجهاد (٣١٦٤) وهو حديث صحيح].

١١٠ ـ [رواه أحمد (٦/١٧٦٦٨) والطبراني في «الكبير» (١٧/٢٩٢) وهو حديث حسن ويشهد له ما قبله.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٣٨٦٦) وعزاه للطبراني في «الكبير» وقال: وفيه إسماعيل بن عياش، وفيه كلام، وحديثه عن أهل الشام مقبول، وهذا منه].

(١) رواه مسلم (١٩١٥).

ومعهم. وفيه عظيم رحمة الله تعالى بعبادة، وعلى وجه الخصوص من مات صابراً محتسباً لما أصابه من الطاعون أو نحوه.

٧ ـ باب في الشهيد يترك عيالاً وديناً

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

١١١ ـ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ خِرَاشٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لي: **«يَا جَابِرُ مَا لي أَرَاكَ مُنْكَسِراً»** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْناً. قَالَ: **«أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِما لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟»** قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **«مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَداً قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحاً. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ.**

قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١]، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾.
[آل عمران: ١٦٩]. (رواه الترمذي).

ومعنى كفاحاً: أي مواجهة.

الشرح: قوله ﷺ: «يا جابر ما لي أراك منكسراً» قلت يا رسول الله استشهد أبي، قُتل يوم أحد، وترك عيالاً وديناً فيه مواساة النبي ﷺ للمنكسرة قلوبهم ورحمته بهم ورأفته بحالهم. وأما والد جابر، فهو عبد اللّه بن عمرو بن حرام رضي الله عنهما وعن سائر صحابة رسول الله ﷺ استشهد وترك خلفه تسع بنات.

وقوله ﷺ: «أفلا أبشرك» من البشارة والبُشرى، مشتقة من البشرة. حيث أن علامات الفرح أو الحزن أول ما تظهر، تظهر على بشرة المرء.

وقوله ﷺ: «ما كلم اللّه أحداً قط» أي أبداً **«إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً»** أي مواجهة، من المكافحة، وهي مصادفة الوجه كفة كفة. وأصل المكافحة: المضاربة تلقاء الوجوه.

قوله جل وعلا: «يا عبدي تمنّ علي أعطك» فيه فضيلة عبد اللّه بن حرام، من ثناء الله تعالى عليه ومناداته **«يا عبدي»** وفي سؤاله ما يتمناه ويشتهيه، إكراماً من الله تعالى وتفضلاً منه.

قوله ﷺ: «قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية» وذلك لما رآه من عظيم فضل الشهادة في سبيل الله تعالى.

---

١١١ ـ [رواه أحمد (١٤٨٨٧/ ٥) والترمذي (٣٠١٠) وابن ماجه (١٩٠) و(٢٨٠٠) والحاكم (٤٩١٤/ ٣) وابن حبان (٧٠٢٢) والحميدي (١٢٦٥) وأبو يعلى (٢٠٠٢) مختصراً ومطولاً. واللفظ للترمذي، وإسناده جيد].

قوله ﷺ: «قال الربّ عز وجل إنه قد سبق مني ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾» أي إلى الدنيا مرة أخرى. وذلك من فضل الله تعالى ورحمته بعباده المؤمنين، حيث إنهم يُسعدون بلقاء ربهم، وبما جعلهم مُستخلفين فيه من نعيم مقيم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠]. وأما بالنسبة لأهل الشقاء، فليزدادوا عذاباً فوق شقواهم لقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧].

٨ ـ باب في فضل أهل بدر، وعظيم مغفرة الله تعالى لهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

١١٢ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: **«انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا»** قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا لَهَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَا حَاطِبُ مَا هٰذَا؟»** قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً فِي قُرَيْشٍ ـ يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفاً وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا ـ وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذٰلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَاداً عَنْ دِينِي وَلاَ رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»** فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هٰذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ: **«إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْراً؟ قَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»** فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ **ـ إلى قوله ـ:** ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]. (متفق عليه).

الشرح: قوله ﷺ: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها» روضة خاخ، مكان قريب من حمراء الأسد من المدينة المنورة على طريق مكة. **والظعينة:** المرأة. وأصل الظعينة، الراحلة التي يرحل بها ويظعن عليها، أي يُسار عليها وقيل للمرأة ظعينة، لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أي ترحل وتسير مع زوجها حيثما رحل وسار. أو لأنها تُحمل على الراحلة إذا ظعنت. وقيل: **الظَّعِينة، المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة، وللمرأة بلا هودج: ظعينة.**

وقوله رضي الله عنه: (فانطلقنا تعادى بنا خيلنا) أي تجرَى، بحذف إحدى التاءين.

---

١١٢ ـ [رواه أحمد (١/٦٠٠) والبخاري (٤٢٧٤) ومسلم (٢٤٩٤) وأبو داود (٢٦٥٠)، والترمذي (٣٣٠٥) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١٥٨٥) وغيرهم من أئمة الحديث الشريف. واللفظ للبخاري].

وقوله: (فأخرجته من عقاصها) أي من ضفائر شعرها. والعقاص: الشعور المضفورة.

وقوله رضي الله عنه: (إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ـ يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ـ) وذلك أن حاطب بن أبي بلتعة، هو من بني راشدة من لخم، وكان حليفاً للزبير بن العوام من بني أسد بن عبد العزى، ولذلك قال: إني كنت امرأ ملصقاً في قريش.

قوله ﷺ: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً، قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» لعل المراد به؛ أنه تعالى عَلِمَ منهم أنه لا يجيءُ منهم ما ينافي المغفرة، فقال لهم ذلك إظهاراً لكمال الرضى عنهم، وأنه لا يُتوقعُ منهم بحسب الأعم الأغلب إلا الخير، وأن المعصية إن وقعت من أحدهم فهي نادرة مغفورة بكثرة الحسنات. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فهذا كناية عن كمال الرضى عنهم، وعن كمال صلاح حالهم وتوفيقهم غالباً للخير، وليس المقصود به الإذن في المعاصي كيف شاؤوا، وهذا كما يقول أحد لخادمه أو امرأته إذا رأى الخير منهما: افعل ما شئت في المال والبيت. قاله الإمام السندي.

قال الإمام النووي: وفي الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، وفيه هتك أستار الجواسيس بقراءة كتبهم سواء كان رجلاً أو امرأة. وفيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة، أو كان في الستر مفسدة. وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة، ولا يفوت به مصلحة، وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة في الندب إلى الستر.

وفيه أن الجاسوس وغيره من أصحاب الذنوب الكبائر لا يكفرون بذلك، وهذا الجنس كبيرة قطعاً، لأنه يتضمن إيذاء النبي ﷺ وهو كبيرة بلا شك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية. [الأحزاب: ٥٧].

وفيه أنه لا يُحدُّ العاصي ولا يُعزر إلا بإذن الإمام. وفيه إشارة جلساء الإمام والحاكم بما يرونه، كما أشار عمر رضي الله عنه بضرب عنق حاطب.

٩ ـ باب في منزلة أهل بدر بالنسبة للملائكة ـ عليهم السلام ـ

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦].

١١٣ ـ عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال: **«جَاءَ جِبْرِيلُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ مِنْكُم؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ ـ أَوْ كَلِمَةً نَحوهَا ـ قَالَ: وَكَذٰلِكَ مِنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ المَلائِكَةِ»**. (رواه البخاري).

---

١١٣ ـ [رواه أحمد (١٥٨٢٠/٥) والبخاري (٣٩٩٢) وابن ماجه (١٦٠) وابن حبان (٧٢٢٤) والطبراني في «الكبير» (٤٤١٢/٤) واللفظ الأول للبخاري].

ورواه أحمد بلفظ: «**إنَّ جِبْرِيلَ أَوْ مَلَكاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً فِيكُم؟ قَالُوا: خِيَارَنَا، قَالَ: كَذٰلِكَ هُمْ عِنْدَنَا، خِيَارُنَا مِنَ المَلائِكَةِ**».

ورواه ابن ماجه بلفظ: «**. . . كَذٰلِكَ هُمْ عِنْدَنَا، خِيَارُ المَلائِكَةِ**».

ورواه ابن حبان بلفظ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ جِبْرِيلُ أَوْ مَلَكٌ، فَقَالَ: «**كَيفَ أَهْلُ بَدْرٍ فِيكُم؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هُمْ عِنْدَنَا أَفَاضِلُ النَّاسِ» قَالَ: «وَكَذٰلِكَ مَنْ شَهِدَ عِنْدَنَا مِنَ المَلائِكَةِ**».

الشرح: قوله عليه السلام: «ما تعدون أهل بدر فيكم»؟ وقال ﷺ: «**من أفضل المسلمين**» وذلك لما كان منهم من صبر وجلادة على ملاقاة أعداء الله تعالى مع قلة عددهم وعدتهم، وعدم استعدادهم للحرب، ولما قدموه للإسلام والمسلمين من دفاع عن دين الله تعالى وعن نبيه ﷺ ولما كان من انتشار رقعة الإسلام في العالم من بعدهم. وقد جاء عنه ﷺ قوله فيهم: وهو يدعو ربه جل وعلا: «**إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض بعد اليوم**».

وقد تقدم في فضل من شهد بدراً، ما رواه البخاري وغيره من حديث علي رضي الله عنه، قوله عليه الصلاة والسلام ـ في حديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وكان ممن شهد بدراً: «**لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـ أو ـ فقد غفرت لكم**»[(١)].

قوله عليه السلام: «وكذلك من شهد بدراً من الملائكة». أي هم أيضاً من خيار ملائكة الرحمن ـ عليهم السلام جميعاً.

١٠ ـ باب حمل الملائكة للسلاح عند قتالها لأعداء الله تعالى، وعقوبة من خان المسلمين، من اليهود وغيرهم. وغدر بهم

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥ ـ ٢٦].

١١٤ ـ عَنِ السَّيِّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الغُبَارُ فَقَالَ: «**وَضَعْتَ السِّلاحَ؟ فَوَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ**

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٣).

١١٤ ـ [رواه أحمد (٩/٢٥٠٤٨) والبخاري (٤٦٣) و(٢٨١٣) و(٣٩٠١) و(٤١١٧) و(٤١٢٢) والطبراني في «الكبير» (٢٣/٩٦) وقد تقدم مطولاً. واللفظ الأول للبخاري].

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَأَيْنَ»؟ قَالَ: «هَا هُنَا» وَأَوْمأَ إِلى بني قُرَيْظَةَ ـ قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ . (رواه البخاري).

وفي لفظٍ لَهُ أيضاً: قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ: «قَدْ وَضَعتَ السِّلاَحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَأَخْرُجْ إِلَيهِم، قَالَ: «فَإِلى أَينَ»؟ قَالَ: «هَاهُنَا» وَأَشَارَ إِلى قُرَيْظَةَ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ.

ورواه البخاري أيضاً من طريق هشام، عن أبيه، عن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ: رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ، وَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ، وَاللَّهَ مَا وَضَعْتُهُ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَأَتَاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ فَنَزَلُوا على حُكْمِهِ فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلى سَعْدٍ قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسْبى النِّساءُ والذُّرِّيَّةُ وَأَنْ تُقَسَمَ أموالُهُمْ.

قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ سَعْداً قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِني لَهُ، حَتَّى أُجاهِدَهُمْ فِيكَ وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيها فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ فَلَمْ يَرُعْهُمْ الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ إِلاَّ الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينا وَفِي مِنْ قِبَلِكُمْ فَإِذا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَماً فَماتَ مِنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورواه الطبراني في «الكبير» بلفظ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الأَحْزَابِ دَخَلَ مُغْتَسَلاً يَغْتَسِلُ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، قَدْ وَضَعْتُم أَسْلِحَتَكُم؟ مَا وَضَعْنا أَسْلِحَتَنَا بَعْدُ، اذْهَبْ إِلى بَنِي قُرَيْظَةَ».

قَالَتْ عَائِشَة: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ مِنْ خَلَلِ التُّرَابِ قَدْ عَصَبَ التُّرابُ رَأْسَهُ.

١١٥ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الخَنْدَقِ أَقْفُو أَثَرَ النَّاسِ، فَسَمِعْتُ وئِيدَ الأَرضِ مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ فإذا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ وَمَعَهُ ابنُ أَخِيهِ الحارِثُ بن أوس يَحمِلُ مِجَنَّهُ،

---

١١٥ ـ [رواه أحمد (٩/٢٥١٥١) وابن حبان (٧٠٢٨) وابن سعد في «طبقاته» (٤٢١ ـ ٤٢٣/ ٣) وإسناده حسن، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٠١٥٥) وعزاه لأحمد، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات. واللفظ لابن حبان].

فجلستُ إلى الأرضِ، فمرَّ سعدٌ وعليهِ دِرعٌ قَدْ خَرَجَتْ منها أطرافُهُ، فأنا أتَخوَّفُ على أطرافِ سعدٍ، وكانَ مِنْ أعظمِ النَّاسِ وأطولِهِمْ، قالتْ: فمرَّ وهو يَرتَجِزُ ويقول:

لبِّثْ قَليلاً يُدْرِكِ الهَيْجا حَمَلْ ... مَا أَحْسَنَ المَوتَ إذا حَانَ الأَجَلْ

قالتْ: فقمتُ فاقتَحَمْتُ حديقةً، فإذا فيها نفرٌ من المسلمين، فيهم عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنهُ فقالَ عُمَرُ: وَيْحَكِ، ما جاء بِكِ، لَعَمري والله إنكِ لجَريئةٌ، ما يُؤمنك أن يكونَ تَحوُّزٌ أو بلاء، قالتْ: فما زالَ يَلُومُني حتّى تَمَنَّيْتُ أنَّ الأرضَ قدِ انشقَّتْ، فدخلتُ فيها، وفيهمْ رجلٌ عليهِ نصيفة لهُ، فرفعَ الرجلُ النَّصِيفَ عنْ وجهِهِ، فإذا طلحةُ بن عبيد الله، فقالَ: ويحكَ يا عمرُ، إنكَ قد أكثرتَ منذُ اليومِ، وأينَ الفِرارُ إلاَّ إلى اللَّهِ؟.

قالتْ: وَرَمَى سعداً رجلٌ مِنَ المشركينَ يقالُ لهُ: ابنُ العَرِقَة، بسهم، قالَ: خُذْها وأنا ابنُ العَرِقة، فأصابَ أكْحَلَه فَقَطعها، فقالَ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْني حتى تُقِرَّ عيني مِنْ قُرَيظة، وكانوا حلفاءَهُ ومواليَه في الجاهلية، فَبَرَأ كَلْمُهُ، وبعثَ اللَّهُ الرِّيحَ على المشركين، فَكَفَى اللَّهُ المؤمنين القتالَ، وكان الله قوياً عزيزاً، فلَحِق أبو سفيانَ بتِهامةَ ولَحِق عُيَيْنَة ومَنْ معهُ بنجدٍ، ورَجَعَتْ بنو قُرَيظة، فتحصَّنُوا بصَياصِيهم، فرجعَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ وأمرَ بقُبَّةٍ من أدمٍ فضُرِبَتْ على سعد في المسجدِ وَوَضَع السلاحَ.

قالتْ: فأتاهُ جبريلُ فقالَ؛ أَوَقَدْ وضعتَ السلاحَ، فوالله ما وَضَعَتِ الملائكةُ السِّلاحَ، اخرُجْ إلى بني قُريظة فقاتلهمْ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ بالرَّحيلِ ولبسَ لأمَتَهُ، فخرجَ، فَمَرَّ على بني غنم وكانوا جيرانَ المسجد، فقالَ: «مَنْ مرَّ بِكُمْ»؟ قالوا: مَرَّ بنا دِحيةُ الكَلْبي، فأتاهُم رسولُ الله ﷺ فحاصَرَهُم خمساً وعشرينَ يوماً، فلما اشتدَّ حَصْرُهم، واشتدَّ البلاءُ عليهِمْ، قيلَ لهم: انزِلُوا على حُكْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فاسْتَشارُوا أبا لُبابَةَ، فأشارَ إليهم: أنهُ الذَّبحُ. فقالوا: نَنْزِلُ على حُكْمِ سعد بنِ معاذٍ، فنزلوا على حُكم سعدٍ، وبعثَ رسولُ الله ﷺ إلى سعدٍ فحُمِلَ على حمارٍ وعليهِ إكافٌ من لِيفٍ، وحَفَّ به قومُه، فجعلوا يقولونَ: يا أبا عمرو، حُلفاؤك ومَواليك وأهلُ النِّكايةِ ومَنْ قَدْ عَلِمتَ، فلا يَرْجِعُ إليهمْ قولاً، حتى إذا دَنَا من ذَرارِيهِمْ، التفتَ إلى قومِهِ، فقالَ: قَدْ آنَ لسَعْدٍ أنْ لا يُباليَ في الله لومةَ لائم، فلما طَلَعَ على رسولِ الله ﷺ قال رسولُ الله ﷺ: **«قُومُوا إِلى سَيِّدِكُمْ فَأَنزِلُوهُ»**، قالَ عمرُ: سَيِّدُنَا الله، قالَ: **«أَنْزِلُوهُ»**، فأنزَلوه، فقالَ له رسولُ الله ﷺ **«احْكُمْ فِيهِمْ»**، قالَ: فإني أحكمُ فيهمْ أنْ تُقتَلَ مقاتِلتُهم، وتُسبَى ذَرارِيهم، وتُقسَمَ أموالُهم، قالَ رسولُ الله ﷺ **«لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بحُكْمِ اللَّهِ ورَسُولِهِ»**.

ثُمَ دعا اللَّهَ سَعْدٌ، فقالَ: اللَّهمَّ إنْ كُنتَ أبقَيْتَ على نبيِّكَ ﷺ مِنْ حربِ قريشٍ شيئاً، فأبقِني لها، وإنْ كنتَ قَطَعْتَ بينَهُ وبينَهمْ، فَاقْبِضْني إليكَ، فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ، وكانَ قَدْ برأ منه حَتَّى ما بَقِيَ منهُ إلا مثل الحمصِ، قَالَتْ: فَرَجَعَ رسولُ الله ﷺ ورجع سَعْدٌ إلى بيتهِ الذي ضَرَبَ عليهِ رسولُ الله ﷺ

قالتْ: فَحَضَرَهُ رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمر، قالتْ: فوالذي نَفْسِي بيدِهِ، إني لأعرِفُ بُكاءَ أبي بكرٍ من بكاءِ عُمَرَ وأنا في حُجرتي، وكانوا كَما قالَ الله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، قالَ علقمةُ: فَقُلْتُ: أي أُمَّه، فكيفَ كانَ رسولُ الله ﷺ يَصْنَعُ؟ قالتْ: كانَ عيناهُ لا تَدْمَعُ على أحَدٍ، ولكنَّه إذا وَجَد إنما هُوَ آخذٌ بلحيتِهِ. [رواه ابن حبان].

١١٦ ـ وَعَنْ كَعبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَجعَ من طَلبِ الأَحْزَابِ، نَزَعَ لأْمَتَهُ، وَاغْتَسَلَ واسْتَجْمَرَ ـ زاد دحيم ـ في حديثه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَتَبَدا لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: عُذَيْرَكَ مِنْ مُحَارِبٍ، أَلاَ أَرَاكَ قَدْ وَضَعْتَ اللأْمَةَ، وَمَا وَضَعْنَاهَا بَعْدُ**».

فوثبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فزِعاً، فعزمَ على الناسِ ألاَّ يُصَلّوا العَصْرَ إلاَّ في بَني قُريظةَ، فلبِسَ السِّلاحَ وخَرجُوا. فلم يأتوا بني قُريظةَ حتَّى غابتِ الشَّمسُ.

فاخْتَصَم النَّاس في غَزْوتِها في صلاةِ العَصْرِ. فقالَ بعضهُمْ: قَدْ عَزَمَ علينا أنْ لا نُصلي العصرَ حتَّى نأْتي بني قُريظةَ، وإنَّما نحن في عَزْمَةٍ من رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ عَلَيْنَا إثمٌ.

فَصَلَّتْ طائفةٌ منهم العصرَ إيماناً واحتساباً، وطائفةٌ أُخرى لَمْ تُصلِّ حَتَّى أَتَوْا بني قُريظةَ بعدمَا غَابتِ الشَّمسُ فصلوهَا إيماناً واحتِساباً، فلم يُعنف رَسول اللَّهِ ﷺ واحدةً مِنَ الطَّائفتينِ. (رواه الطبراني).

١١ ـ باب في تغليظ عقوبة من قتل مؤمناً متعمداً

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٣ ـ ٩٤].

١١٧ ـ وعَنْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذاً بِيَدِ الرَّجُلِ فَيقُولُ: يَا رَبِّ هٰذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ العِزَّةُ لَكَ، فَيقُولُ: فَإِنَّهَا لِي.**

وَيَجِيءُ الرَّجلُ آخِذاً بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: إنَّ هٰذَا قَتَلَني، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ، لِمَ قَتَلْتَهُ، فَيَقُولُ: لِتَكُونَ العِزَّةُ لِفُلاَنٍ، فَيَقُولُ: إِنَّها لَيْسَتْ لِفُلاَنٍ، فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ». (رواه النسائي).

---

١١٦ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (رقم ١٩/١٦٠) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٠١٦٤) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير مرزوق بن أبي الهذيل، وهو ثقة].

١١٧ ـ [رواه النسائي في تحريم الدم (٤٠٠٨) وإسناده صحيح].

١١٨ ـ وَعَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِم، عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَأَلَهُ سَائِلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا العَبَّاسِ، هَلْ لِلْقَاتِلِ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ كالمُعْجَبِ مِنْ شَأْنِهِ ـ مَاذَا تَقُولُ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَسْأَلَتَهُ. فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ؟ ـ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً ـ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّى لَهُ التَّوبة؟! سَمِعْتُ نَبِيَّكُم ﷺ يَقُولُ: **«يَأْتِي المَقْتُولُ مُتَعَلِّقاً رَأْسَهُ بِإِحدى يَدَيْه، مُتَلَبِّباً قَاتِلَهُ بِيَدِهِ الأُخْرَى، تَشْجبُ أَوْدَاجُهُ دَماً، حَتَّى يَأْتِي بِهِ العَرْشَ، فَيَقُولُ المَقْتُولُ لِرَبِّ العَالمينَ: هٰذَا قَتَلَني؟! فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَاتِلِ: تَعِسْتَ، وَيُذْهَبُ بِهِ إلى النَّارِ»**. (رواه الطبراني).

وفي رواية عند أحمد وغيره، من طريق سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس، أن رجلاً أتاه، فقال: أَرَأَيْتَ رَجُلاً قَتَلَ رَجُلاً مُتَعَمِّداً؟ قَالَ: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، قَالَ: لَقَدْ أُنْزِلَتْ في آخِرِ مَا نَزَلَ مَا نَسَخَهَا شَيءٌ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا نَزَلَ وَحْيٌ بَعْدَ رَسُولِ اللّه ﷺ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ، وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً، ثُمَّ اهْتَدَى؟ قَالَ: وَأَنَّى لَهُ بِالتَّوْبَةِ، وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: **«ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلاً مُتَعَمِّداً، يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ آخِذاً قَاتِلَهُ بِيَمينِهِ، أَوْ بِيَسَارِهِ، وَآخِذاً رَأْسَهُ بِيَمينِهِ، أَوْ بِشِمَالِهِ، تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَماً في قُبُلِ العَرْشِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ عَبْدَكَ فِيمَ قَتَلَني»**.

الشرح: قوله ﷺ: «يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له، لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي» وهو نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، وهذا فيمن قتل عدواً لله تعالى، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقوله ﷺ: **«فيقول الله تعالى له، لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان»** أي لسلطانه ووليه وحاكمه، وهذا فيمن يجند نفسه لخدمة أهل الباطل، ويكون من خدمهم وأعوانهم، فالويل له مما ينتظره من عقاب وتنكيل عند ربه جل وعلا. وفي «الصحيحين» وغيرهما واللفظ للبخاري، عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ بعث جيشاً وأمَّر عليهم رجلاً، فأوقد ناراً وقال: ادخلوها. فأرادوا أن يدخلوها. وقال آخرون: إنما فررنا منها. فذكروا للنبي ﷺ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: **«لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة»** وقال للآخرين: **«لا طاعة في**

---

١١٨ ـ [الرواية الأولى أخرجها الطبراني في «الأوسط» (٤٢١٧/ ٤) وإسناده صحيح. وأوردها الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢٣٠٦/٧) وعزاه للطبراني في «الأوسط» وقال: ورجاله رجال الصحيح اهـ. وأخرجه أحمد (١٩٤١/١)، والترمذي (٣٠٢٩) والنسائي (٤٠١٠) وابن ماجه (٢٦٢١) والطبراني في «الكبير» (١٢٥٩٧) مختصراً بإسناد صحيح على شرط مسلم. والرواية الثانية أخرجها أحمد (٢١٤٢/١) والحميدي (٤٨٨) والنسائي (٤٠١٠). وإسناده قوي، وفي الباب عن سعيد بن جبير رضي الله عنه، عند البخاري (٤٥٩٠) ومسلم (٣٠٢٣) وغيرهما].

المعصية، إنما الطاعة في المعروف»[١]، وفي لفظ عند أحمد وغيره: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله عزَّ وجلَّ»[٢].

قوله ﷺ: «فيقول: إنها» أي العزة «ليست لفلان» وهو نحو قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ و١٣٩].

قوله ﷺ: «فيبوء بإثمه» أي التزمه ورجع بالإثم كاملاً، وأصل البوء: اللزوم. فيجري عليه عندئذ قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وقوله رضي الله عنه: (أنى له التوبة) أي من أين له أن يتوب ويُغفر له! وقد تقدم أن هذا في المستحل لدم المسلم، وأن الجمهور على توبة القاتل. وفي «الصحيحين» واللفظ لمسلم من حديث سعيد بن جبير رضي الله عنه، قال: اختلف أهل الكوفة في هذه الآية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ الآية [النساء: ٩٣]، فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: لقد نزلت آخر ما أُنزل، ثم ما نسخها شيء[٣].

قال الإمام النووي: قول ابن عباس، أن القاتل لا توبة له، واحتجاجه بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾، هذا هو المشهور عنه. وروي عنه أن له توبة، وجواز المغفرة له، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وهذه الرواية الثانية هي مذهب جميع أهل السنة، والصحابة، والتابعين، ومن بعدهم. وما روي عن بعض السلف مما يخالف هذا، محمول على التغليظ والتحذير من القتل، والتورية في المنع منه.

وقوله ﷺ: «يأتي المقتول متعلقاً رأسه بإحدى يديه» وذلك لأنه يبعث على الهيئة التي مات عليها، وفي «صحيح مسلم» وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»[٤].

وقوله ﷺ: «متلبباً قاتله بيده الأخرى، تشجب أوداجه دماً» وعند النسائي «تشخب» وهما بمعنى، أي تسيل عروق رقبته دماً، والأوداج هي ما أحاط العنق من العروق التي يقطعها الذابح. واحدها وَدَجٌ ـ بالتحريك.

وقوله جل وعلا: «تعست، ويُذهب به إلى النار» يقال: تَعِسَ يَتْعَسُ، إذا عَثَرَ وانْكَبَّ لوجهه، وهو دُعاء عليه بالهلاك. ثم يكون مصيره إلى نار جهنم.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٥٧).

(٢) رواه أحمد (١/١٠٩٥).

(٣) رواه مسلم (٣٠٢٣).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢٨٧٨).

١٢ ـ باب في حرمة نساء المجاهدين وعقوبة من خانهم بهن

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

١١٩ ـ وعن سُليمانَ بْنِ بُرَيْدةَ، عَنْ أبيهِ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«حُرمَةُ نِساءِ المُجَاهِدِينَ عَلَى القاعِدِينَ، كَحُرمَةِ أُمَّهاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ القاعِدِينَ يَخلُفُ رَجُلاً مِنَ المُجَاهِدِينَ في أهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إلاَّ وُقِفَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيأخُذُ مِنْ عَمَلِهِ ما شاءَ، فَما ظَنُّكُمْ؟»**. (رواه مسلم).

وفي لفظ عند ابن حبان: **«حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ قَاعِدٍ يَخلُفُ مُجَاهِداً في أهْلِهِ بِسُوءٍ إلاَّ أُقِيمَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هٰذَا خَلَفَكَ في أهْلِكَ بِسُوءٍ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ»**.

وفي لفظ له أيضاً: **«. . . وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ القَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ المُجَاهِدِينَ إلاَّ نُصِبَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا فُلانُ هٰذَا فُلانٌ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ»** ثُمَّ التفتَ إلَى أصْحَابِهِ فَقَالَ: **«فَما ظَنُّكُم، ما أرى يَدَعُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْئاً»**.

الشرح: قوله ﷺ **«حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم»** أي وكأن نساء المجاهدين هن من ناحية التحريم على القاعدين، كحرمة أمهاتهم تماماً من منكح أو سوء نية، أو نظر يعتريه ريبة، أو كلمة تدل على معنى يمكن أن يؤدي إلى مُحرم، ونحو ذلك مما يجري من أحكام على الرجل تجاه أمه. ويزيد عليها، تحريم الخلوة بهن أو مواعدتهن سراً أو التعرض لهن بغمز أو لمز، أو إشارة تدل على منكرٍ.

ولفظ **«أمهاتهم»** يدل على إكرامهن والعناية بهن، وملاحظة أمورهن من ملبس ومطعم ومشرب وغير ذلك من مقومات الحياة ومتطلباتها كبيرة كانت أم صغيرة. من غير مِنّةٍ ولا رِيبةٍ ولا مفسدة تضرّ بهن أو بأولادهن.

وقوله ﷺ **«وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم، إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء»** الحق هنا للزوج بالتمام والكمال، ولا حق للزوجة في شيء، لأنها طاوعته، وأرادته على نفسها. وأمرها إلى الله تعالى. وأما الخائن فإن مصيره إلى النار لا محالة، كما جاء عند مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«أتدرون ما المفلس»**؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: **«إن المفلس من**

---

١١٩ ـ [رواه أحمد (٢٣٠٦٦/٩) ومسلم (١٨٩٧) وأبو داود (٢٤٩٦) والنسائي (٣١٨٩) وابن حبان (٤٦٣٤) وغيرهم].

أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فَيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»(١).

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: ودل الحديث أن خيانة الغازي في أهله أعظم من كل خيانة، لأن خيانة غيره لا يخير المخون في أخذ كل حسنات الخائنين، وإنما يأخذ لكل خيانة قدراً معلوماً من حسنات الخائن.

وقوله ﷺ: «فما ظنكم» وعند ابن حبان بزيادة **«ما أرى يدع من حسناته شيئاً»** والويل لمن لم يبق في ميزانه حسنات، فإن مصيره إلى النار وبئس المصير!

١٣ ـ باب بيان الرجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة

١٢٠ ـ عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ»** فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«يُقَاتِلُ هٰذَا في سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهِدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى القَاتِلِ فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ في سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهِدُ»**. (رواه مسلم).

وفي رواية عند البخاري: **«يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرُ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هٰذَا في سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى القَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ»**.

وفي لفظ عند النسائي: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْجَبُ مِنْ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ»**.

الشرح: وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين. . .» قال الخطابي رحمه الله تعالى: الضحك الذي يعتري البشر عندما يستخفهم الفرح أو الطرب، غير جائز على الله تعالى، ومعناه الإخبار عن رضا الله بفعل أحدهما وقبوله للآخر ومجازاتهما على صنيعهما بالجنة مع اختلاف حاليهما.

قال: وقد تأول البخاري الضحك في موضع آخر على معنى الرحمة، وهو قريب، وتأويله على معنى الرضا أقرب، فإن الضحك يدل على الرضا والقبول.

قال: والكرام يُوصفون عندما يسألهم السائل، بالبُشر وحسن اللقاء، فيكون المعنى في قوله ﷺ: **«يضحك الله»** أي يجزل العطاء. وقال القاضي عياض وقد يكون الضحك على وجهه وينخرج على حذف مضاف، أي يضحك ملائكة الله تعالى.

وقوله ﷺ: «إن الله يعجب من رجلين». قال الإمام السندي: العجب وأمثاله مما هو من قبيل

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

١٢٠ ـ [رواه مالك في «موطئه» في الجهاد (١٠٠٠) باب الشهداء في سبيل الله، وأحمد (٣/٩٩٨٣) والبخاري (٢٨٢٦) والنسائي (٣١٦٥) وابن ماجه (١٩١) وابن حبان (٤٦٦٧). . والبيهقي (٩/١٦٥)، وغيرهم].

الانفعال وإذا نُسب إلى الله تعالى، يُراد به غايته. فغاية العجب بالشيء استعظامه. فالمعنى: عظيم شأن هذين عند الله. وقيل: بل المراد بالعجب في مثله التعجب، ففيه إظهار أن هذا الأمر عجيب.

قال: وكما التنزيه كما هو مذهب أهل التحقيق في أمثاله، وقد سُئل الإمام مالك عن الاستواء؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف غير معلوم، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ومثله الكلام في الضحك.

١٤ ـ باب في الدَّاعي يُقْتَلُ في سبيل اللَّهِ تعالَى

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

١٢١ ـ عن همام عن إسحاقَ، عن أنسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بعثَ النبيُّ ﷺ أقواماً من بَني سُلَيم إلى بَني عَامرٍ في سَبعينَ، فلمّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خالي: أتقدَّمُكم، فإنْ أمَّنوني حَتَّى أبلِّغَهُم عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وإلا كنتم مني قريباً. فتقدَّمَ فأمَّنوهُ، فبينما يُحدِّثُهم عنِ النبيِّ ﷺ إذ أومَؤوا إلى رجُلٍ منهم فطعنَهُ فأنفذَهُ، فقَالَ: اللَّهُ أكبَرُ، فُزْتُ وربِّ الكَعبةِ. ثمَّ مَالوا علىٰ بقيَّةِ أصْحَابِه فقتَلُوهُم إلاَّ رَجُل أعْرَجَ صَعِدَ الجبلَ.

قال همام: وَأُراهُ آخَر معهُ، فَأَخبرَ جِبْريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ النَّبيَّ ﷺ أنَّهُم قَدْ لَقُوا رَبَّهم فرَضِيَ عَنْهُم وَأرْضَاهُم، فَكُنَّا نَقرَأُ: أنْ بلِّغوا قومَنا أنْ قد لَقِينا ربنا فرَضِيَ عنّا وأرضانا. ثمَّ نُسِخَ بعدُ، فدَعا عليهم أربعينَ صَباحاً؛ علىٰ رِعلٍ وذَكوانَ وبني لِحيانَ وَبَني عُصَيَّةَ الذينَ عَصَوُا الله ورسولَه ﷺ». (متفق عليه).

وفي لفظ للبخاري من طريق قتادة، عن أنسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أتَاهُ رِعْلٌ وَذَكوانُ وَعُصَيَّةُ وَبَنُوا لحيانَ. فَزَعَموا أنَّهُم أسْلَمُوا، واسْتمدُّوه عَلَى قَوْمِهِم، فَأمدَّهُم النَّبيُّ ﷺ بِسَبْعِينَ مِنَ الأنْصَارِ.

قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ، يَحْطِبونَ بِالنَّهارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيلِ. فَانطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى بَلَغوا بِئْرَ مَعُونَةَ غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُم فَقَنَتَ شَهْراً يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكوانَ وبَني لَحْيانَ.

قَالَ قَتَادَةُ: وَحَدثَنَا أَنَسٌ: أنَّهُم قَرَؤوا بِهِمْ قُرآناً: ألاَ بَلِّغوا عَنَّا قَوْمَنا بِأَنَّا قَدْ لَقِينا رَبَّنَا. فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا. ثُمَّ رُفِعَ ذٰلِكَ بَعْدُ.

---

١٢١ ـ [رواه البخاري (٢٨٠١) و(١٠٠١) و(١٠٠٢) و(١٠٠٣) و(١٣٠٠) و(٢٨١٤) و(٣٠٦٤) و(٣١٧٠) و(٤٠٨٨) و(٤٠٩٠) و(٤٠٩١) و(٤٠٩٢) و(٤٠٩٣) و(٤٠٩٤) و(٤٠٩٥) و(٤٠٩٦) و(٦٣٩٤) و(٧٣٤١) ـ ومسلم (٦٧٧) وغيرهما. واللفظ للبخاري].

الشرح: **قوله في الرواية الثانية:** (أن النبي ﷺ أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان) قال أهل العلم: ذكر بني لحيان في هذه القصة وهم. وإنما كان بنو لحيان في قصة خبيب في غزوة الرجيع التي قبل هذه، وقد جاء ذكرها في «صحيح البخاري» وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ النبي ﷺ سريةً عيناً وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَانطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُوا لِحْيَانَ فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مَائَةِ رَامٍ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلاً نَزَلُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هٰذَا تَمْرُ يَثْرِبَ فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ فَلَمَّا انْتَهَىٰ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَؤُوا إِلىٰ فَدْفَدٍ، وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ، إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلاً، فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلوا عَاصِماً فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، نَزَلُوا إِلَيْهِمْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هٰذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ فَأَبَىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ فَاشْتَرَى خُبَيْباً بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أسيراً حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذٰلِكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ الْمُوسَى، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أسيراً قَطُّ خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا كَانَ إِلاَّ رِزْقٌ رَزَقَهُ الله.

فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: لَوْلاَ أَن تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً ثُمَّ قَالَ:

مَا أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لله مَصْرَعِي

وَذٰلِكَ فِي ذَاتِ الإِلٰهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلىٰ عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيماً مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبَعَثَ الله عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ (١).

وقوله رضي الله عنه: (فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ) قال في «الفتح»: في رواية الطبري من طريق عكرمة عن عمار عن إسحاق بن أبي طلحة في هذه القصة: فخرج حرام فقال: يا أهل بئر

---

(١) رواه البخاري (٤٠٨٦).

معونة؛ إني رسول رسول الله إليكم، فآمنوا بالله ورسوله. فخرج رجل من كسر البيت برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر.

وقوله رضي الله عنه: (فزت ورب الكعبة) أي بالشهادة. وقوله: ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم... أي بغير معركة حصلت بينهم، ذلك بأن الصحابة رضي الله عنهم لم يكن معهم سلاح، فإنهم خرجوا دعاة مبلغين عن رسول الله ﷺ ولم يخرجوا مقاتلين حينها. فوقعوا في الغدر والخيانة.

١٥ ـ باب دعاء النبي ﷺ عند ملاقاة العدو

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٠ ـ ٢٥١].

١٢٢ ـ عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَيامَ حُنينٍ يُحركُ شَفَتيهِ بَعْدَ صَلاةِ الفَجْرِ بِشَيءٍ لَمْ نَكُنْ نَرَاهُ يَفعلهُ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَرَاكَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ تَكُنْ تَفْعَلهُ، فَمَا هٰذا الَّذي تُحرِّكُ شَفَتَيْكَ؟

قَالَ: «**إِنَّ نَبياً فِيمنَ كَانَ قَبْلَكُم أَعْجَبتهُ كَثْرَةُ أُمَّتِهِ فَقَالَ: لَنْ يَرُومَ هٰؤلاءِ شَيءٌ. فَأَوْحىٰ اللَّهُ إِلَيهِ: أَنْ خَيِّرْ أُمَّتكَ بَيْنَ إِحْدَىٰ ثَلاثٍ. إِمَّا أَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوّاً مِن غَيْرِهِم فَيَسْتَبِيحَهُم، أو الجُوعَ، وَإِمَّا أَنْ أُرْسِلَ عَلَيْهِم المَوْتَ!**».

فَشَاوَرَهُمْ فَقَالُوا: أَمَّا العَدُوُّ، فَلاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ، وَأَمَّا الجُوعُ فَلاَ صَبْرَ لَنَا عَلَيْهِ، وَلَكِنِ الموت. فَأَرْسَلَ عَلَيْهِم المَوتَ فَمَاتَ مِنْهُم في ثَلاَثةِ أَيَّامٍ سَبْعُونَ أَلْفاً.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَأَنَا أَقُولُ الآنَ** ـ حَيْثُ رَأَى كَثْرَتَهُم ـ: **اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**». (رواه أحمد).

وفي رواية أخرى لأحمد أيضاً، بلفظ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا صَلَّى هَمَسَ شَيئاً لا أَفهمهُ ولا يُخبرنا بِهِ قَالَ: «**أَفَطِنْتُمْ لي؟**». قُلنا: نَعَم، قَالَ: «**إِنِّي ذَكَرْتُ نَبياً مِنَ الأنبياءِ أُعطِي جُنُوداً مِنْ قَوْمِهِ، فَقال: مَنْ يُكافِئُ هؤلاءِ، أو من يقومُ لهؤلاءِ أَوْ غَيْرَها مِنَ الكلامِ؟ فأوْحِيَ إليهِ أنْ أَخْتَر لِقَوْمِكَ إِحْدَى ثلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ أَوِ الْجُوعَ أو الْموتَ، فاسْتَشَارَ قَوْمَهُ في ذَلِكَ فَقَالوا: أنتَ نَبِيُّ الله فَكُلُّ ذلكَ إِلَيْكَ خِرْ لَنا. فَقامَ إلى الصَّلاةِ وكانوا إذ فَزِعُوا فَزِعُوا إلى الصَّلاةِ فَصَلَّى ما شاءَ الله**».

قَالَ: «**ثُمَّ قَالَ: أَيْ ربِّ أما عدوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلا، أو الجوع فَلاَ، وَلٰكِن الموت، فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ**

---

١٢٢ ـ [رواه أحمد (١٨٩٥٥ ـ ١٨٩٥٩ ـ ١٨٩٥٦٠ ـ ١٨٩٥٦٢/٦) و(٢٣٩٨٢/٩) والنسائي في «الكبرى» (٨٦٣٣/٥) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١١٧) وهو حديث صحيح].

الموتُ فمات منهم سبعونَ ألفاً فهمْسِي الذي تَرَوْنَ إني أقولُ: اللهمَّ بكَ أقاتِلُ وبِكَ أُصاوِلُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ».

ومعنى قوله ﷺ: **«بك أحاول»** أي: بك الحول والقوة. وقوله ﷺ: **«وبك أصاول»** أي وبعونك لي، أثب وأتقدم عليهم. يقال: صال عليه، وثب. وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا، قال: **«اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل»**[١].

١٦ ـ باب فضل من مات مجاهداً من فقراء المهاجرين

١٢٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **«أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي؟»** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ، يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، وَيَسْتَفْتِحُونَ، فَتَقُولُ لَهُمْ الخَزَنَةُ: أَوَقَدْ حُوسِبْتُم؟ قَالُوا: بِأَيِّ شَيءٍ تُحَاسِبُونَنَا، وَإِنَّما كَانَتْ أَسْيَافُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى مِتْنَا عَلَى ذٰلِكَ». قَالَ: «فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيَقِيلُونَ فِيهَا أَرْبَعِينَ عَاماً قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَها النَّاسُ».** (رواه الحاكم).

١٢٤ ـ ومن طريق أبي عشانة المعافري، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«هَلْ تَدْرُونَ مَنْ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ»؟** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الفُقَرَاءُ المُهَاجِرُونَ الَّذِينَ يُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَىٰ بِهِمُ المَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لاَ يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً.**

فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ: ايتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ. فَيَقُولُ المَلاَئِكَةُ: رَبَّنَا نَحْنُ سُكَّانُ سَمَاوَاتِكَ وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِي هٰؤلاءِ، فَنُسَلِّمَ عَلَيهِم!

قَالَ: إِنَّهُم كَانُوا عِبَاداً يَعْبُدُونِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيئاً، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَىٰ بِهِمُ المَكَارِهُ، وَيَموتُ أَحَدُهُم وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لاَ يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً.

قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ المَلاَئِكَةُ عِنْدَ ذٰلِك، فَيَدْخُلُونَ عَلَيهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]».

---

(١) رواه أحمد (١٢٩٠٨) وأبو داود (٢٦٣٢) بإسناد صحيح. ومعنى قوله ﷺ «عضدي»: أي عوني.

١٢٣ ـ [رواه الحاكم (٢/٢٣٨٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٦٠) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

١٢٤ ـ [رواه أحمد (٢/٦٥٨١) وابن حبان (٧٤٢١) والحاكم (٢/٢٣٩٣) والبزار (٣٦٦٥) وغيرهم. وإسناده صحيح].

٨ ـ كتاب المرض والموت ـ والجنائز وأحوال القبر وما بعد الموت

قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

١ ـ باب في فضل عيادة المريض

١٢٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعِدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عِدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ. يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! وَكَيفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي»**. (رواه مسلم).

الشرح: قوله ﷺ **«إن الله تعالى يقول يوم القيامة»** وذلك عند عرض العباد على ربهم للجزاء، حيث توفى كل نفس ما كسبت.

قوله جل وعلا: **«يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»** العرب إذا شرفت أحداً أحلته محلها، وعلى هذا يحمل قوله جلّ وعلا: **«مرضت فلم تعدني»** أراد: مرض عبدي، وأضافه إلى نفسه تشريفاً للعبد.

وأما لفظ العيادة، فإنه يقتضي التكرار والرجوع إليه مرة بعد أخرى ليعلم حاله. يُقال: عاد الشيء يعود عوداً، مثل المعاد. ومنه قولهم: اللهم ارزقنا إلى البيت معاداً وعودةً. والعود: انتياب

---

١٢٥ ـ [رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥١٧) ومسلم (٢٥٦٩) واللفظ لمسلم].

الشيء، كالاعتياد. يُقال: عادني الشيء عوداً واعتادني، أي انتابني، قال الأزهري: والاعتياد في معنى التعود. وهو من العادة.

وقوله جل وعلا: **«أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»** أي لوجدت ثوابي وعظيم جزائي كرامة لعيادتك عبدي. قال الإمام القرطبي: هو تنزل وتلطف في الخطاب والعتاب، ومقتضاه التعريف بعظيم ثواب تلك الأشياء، ففيه أن الإحسان بالعبيد، إحسان بالسادة، فينبغي للسادة أن يعرفوا ذلك ويقوموا بحقه.

وقوله جل وعلا: **«. . . أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي»** أي لوجدت ثواب إطعامك له عندي، وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ الآية [النور: ٣٩]، أي فوجد مجازاته والله تعالى أعلم.

فائدة: قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: عيادة المريض عظيمة الأجر، وهي فرض كفاية، لأن المريض لا يقدر أن يتصرف، ولو لم يُعد، لضاع حاله وهلك، لا سيما الغريب، أو الضعيف، وهو من إغاثة الملهوف، وإنقاذ الغريق اهـ.

أقول: وقد جاءت الأحاديث تبين فضل عيادة المريض وتحث عليها، فقد أخرج مسلم وغيره من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«عائد المريض في خرفة الجنة حتى يرجع»** وفي لفظ له: **«من عاد مريضاً، لم يزل في خرفة الجنة»** قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: **«جناها»** أي يؤول به ذلك إلى الجنة، واجتناء ثمارها(١).

وفي «صحيح البخاري» وغيره، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أطعموا الجائع، وعودوا المريض وفكوا العاني»**(٢) أي الأسير.

وعند أحمد وغيره بإسناد صحيح على شرط مسلم، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع، فإذا جلس اغتمس فيها»**(٣).

ومن **آداب عيادة المريض**، أن لا يطيل الجلوس، حتى يضجر المريض أو يشق على أهله. وأن يدعو له بالمأثور عن النبي ﷺ.

وفي الحديث **عظيم فضل عيادة المريض** لقوله جل وعلا: **«أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»**.

وفيه أيضاً **فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى**، ومراعاة حقوق المسلمين، وعلى وجه

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٨).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٩).

(٣) رواه أحمد (١٤٢٦٤/٥).

الخصوص أهل الفضل منهم لقوله جل وعلا: «**استطعمك عبدي فلان**» ولفظ «عبدي» يوحي بمدى علاقة هذا العبد بربه جل وعلا حيث أضافه إلى نفسه لعظيم كرامته عند الله تعالى.

وفيه أيضاً عظيم فضل السقيا على الظماء، وفي «صحيح البخاري» وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل بطريق فاشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خُفَّه ماءً فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له**» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**» أي في أرواد كل ذات كبد ثواب[(١)].

ومعنى قوله ﷺ: «**يأكل الثرى من العطش**» أي يلعق التراب الندي. وفي «المحكم»: الثرى: التراب. وقيل: التراب الذي إذا بل لم يصر طيناً لازباً، والمراد به هنا، أنه يكدم بفمه الأرض الندية.

وقوله ﷺ: «**فشكر الله له، فغفر له**»، أي أثنى عليه عند ملائكته، أو جازه بفعله وقبل عمله. ووقع في رواية ابن حبان من طريق عبد الله بن دينار بدل «**فغفر له**»، «**فأدخله الجنة**»[(٢)].

خاتمة في عيادة المريض: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا عَادَ الرَّجُلَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ، غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً، صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ**».

وفي لفظ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضاً بَكَراً شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يُمْسِي، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَادَهُ مَسَاءً شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفاً فِي الْجَنَّةِ**»[(٣)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**مشى في خرافة الجنة**» أي مشى في اجتناء ثمر الجنة يُقال: خرفت النخلة أخرفها، إذا قطفت ثمارها. فشبه ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه المخترف من الثمر. قاله ابن الأنباري.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٦٦).

(٢) ابن حبان (٥٤٣).

(٣) رواه أحمد (٦١٢ ـ ١/٩٧٥).. وأبو داود (٣٠٩٩) والترمذي (٩٧١) وابن ماجه (١٤٤٢) والحاكم (١/١٢٦٤) والبزار (٦٢٠) والنسائي في «الكبرى» (٧٤٩٤) وأبو يعلى (٢٦٢) وابن حبان (٢٩٥٨) وغيرهم وإسناده صحيح.

٢ ـ باب يكتب للمريض مثل ما كان يعمل في الصحة

١٢٦ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَابُ بِبَلاَءٍ فِي جَسَدِهِ إِلاَّ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ المَلاَئِكَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ، فَقَالَ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَا كَانَ يَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ، مَا كَانَ فِي وَثَاقِي»**. (رواه أحمد).

وفي رواية له بلفظ: **«إِذَا اشْتَكَى العَبْدُ المُسْلِمُ، قِيلَ لِلْكَاتِبِ الَّذِي يَكْتُبُ عَمَلَهُ: اكْتُبْ لَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ إِذْ كَانَ طَلِيقاً، حَتَّى أَقْبِضَهُ أَوْ أُطْلِقَهُ»**.

وفي لفظ له أيضاً: **«مَا أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يُبْتَلَى بِبَلاءٍ فِي جَسَدِهِ، إِلاَّ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الحَفَظَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ، مَا دَامَ مَحْبُوساً فِي وَثَاقِي»**.

وفي رواية: **«إِنَّ العَبْدَ إِذَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ مِنَ العِبَادَةِ، ثُمَّ مَرِضَ، قِيلَ لِلْمَلَكِ المُوَكَّلِ بِهِ: اكْتُبْ لَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ إِذْ كَانَ طَلِيقاً، حَتَّى أُطْلِقَهُ أَوْ أَكْفِتَهُ إِلَيَّ»**.

ومعنى **«أكفته إلي»**: أي أضمه إلي وأجعله في رحمتي.

وفي لفظ عند الدارمي: **«مَا أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يُصَابُ بِبَلاءٍ فِي جَسَدِهِ إِلاَّ أَمَرَ اللَّهُ الحَفَظَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ، فَقَالَ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ مِنَ الخَيْرِ مَا كَانَ مَحْبُوساً فِي وَثَاقِي»**.

١٢٧ ـ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«لَيْسَ مِنْ عَمَلِ يَوْمٍ إِلاَّ وَهُوَ يُخْتَمُ عَلَيْهِ، فَإِذَا مَرِضَ المُؤْمِنُ، قَالَتِ المَلاَئِكَةُ: يا رَبَّنَا، عَبْدُكَ فُلانٌ قَدْ حَبَسْتَهُ. فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: اخْتُمُوا لَهُ عَلَى مِثْلِ عَمَلِهِ حَتَّى يَبْرأَ أَوْ يَمُوتَ»**. (رواه أحمد).

وفي رواية البغوي: **«اكْتُبُوا لَهُ عَلَى مِثْلِ عَمَلِهِ حتى يبرأ أو يموت»**.

الشرح: قوله ﷺ: «ما من أحد من الناس يُصاب ببلاء في جسده» أي يقعده عما كان عليه

---

١٢٦ ـ [رواه أحمد (٦٤٩٢ ـ ٦٨٣٩ ـ ٦٨٤٠ ـ ٦٨٨٧ / ٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٠٠) والدارمي (٢٧٧٠) والبزار (٦٩١٦) والحاكم (١٢٨٧ / ١) وعبد الرزاق (٢٠٣٠٨) وإسناده صحيح على شرط مسلم. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٨٠٩ / ٣) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» ورجال أحمد رجال الصحيح. ورواية أحمد الأخيرة هي في مسنده (٦٩١٢ / ٢) وإسناده حسن. وأوردها الهيثمي في «المجمع» (٣٨١٠ / ٣) وعزاه لأحمد وقال: وإسناده حسن].

١٢٧ ـ [رواه أحمد (١٧٣١٨ / ١) والطبراني في «الكبير» (٢٨٤ / ١٧) والبغوي في «شرح السنة» (١٤٢٨) وإسناد أحمد صحيح، فقد رواه من طريق عبد الله بن المبارك، قال: أخبرني ابن لهيعة قال: حدثني يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر يحدث عن النبي ﷺ. . . وذكره. ورواية عبد الله بن المبارك عن لهيعة، رواية صحيحة، والحديث أورده الهيثمي في «المجمع» (٣٨٠٨ / ٣) وعزاه لأحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال: وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام].

من العبادة والطاعة لرب العالمين «**إلا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه**» أي الموكلون به والذين يحصون عليه أعماله صغيرها وكبيرها، جُلّها وعظيمها.

قوله جل وعلا: «اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير، ما كان في وثاقي» وفي الرواية الثانية: «**ما دام محبوساً في وثاقي**» أي ما دام محبوساً بالمرض الذي ابتليته به، فشبه المرض بالوثاق والحبل الذي يُربط به. وهو تمثيل. ذلك أن المرض إذا اشتد أقعد صاحبه عن الحركة، وجاءت الرواية الثالثة مفسرة للمقصود حيث قال سبحانه وتعالى للملك الموكل بالمرء: «**اكتب له مثل عمله إذ كان طليقاً، حتى أطلقه**» أي أطلقه من وثاقي وأُذهب ما به من بلاء ومرض.

وفي قوله جل وعلا: «**اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة مثل ما كان يعمل من الخير، ما كان محبوساً في وثاقي**» تلطف بالعبد، ومراعاة له على ما كان من بر وصلاح وعبادة. وفيه إشارة إلى قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرىء ما نوى**» الحديث فمن كانت نيته المداومة على ما وُفق إليه من أعمال صالحة، فإن له ما نوى، ما دام هناك مانع شرعي منعه عن القيام به.

وقوله جل وعلا: «أو أكفته إلي» أي أضمه إلي، وأقبضه إلي. **والكفت**: الجمع والضم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥ ـ ٢٦] أي ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها. وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه.

خاتمة: أخرج أحمد في المسند بإسناد لا يخلو من مقال من طريق أبي الأشعث الصنعاني، أنه راح إلى مسجد دمشق وهجر بالرواح فلقي شداد بن أوس والصنابحي معه فقلت: أين تريدان يرحمكما الله؟ قالا: نريد ههنا إلى أخ لنا مريض نعوده. فانطلقت معهما حتى دخلا على ذلك الرجل فقالا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمة فقال له شداد: أبشر بكفارات السيئات وحط الخطايا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يقولُ: إنّي إذا ابْتَلَيْتُ عَبْداً مِنْ عِبادي مُؤْمِناً فَحَمِدَني عَلَى ما ابْتَلَيْتُهُ فإنَّهُ يقومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذلِكَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الخطايا، ويقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: أنا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ وأجْرُوا لهُ كما كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيح**»(١).

٣ ـ باب في بيان أن المرض كفارة وطهارة للعبد من ذنوبه

١٢٨ ـ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إذَا ابْتَلَى اللَّهُ العَبْدَ المُسْلم بِبَلاء في جَسَدِهِ، قَالَ اللَّهُ اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ. فَإنْ شَفَاهُ، غَسَّلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَإِن قَبَضَهُ، غَفَر لَهُ وَرَحِمَهُ**». (رواه أحمد).

(١) رواه أحمد (١٧١١٨/٦).

١٢٨ ـ [رواه أحمد (١٢٥٠٥/٤) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٠١) وأبو يعلى (٤٢٣٣) و (٤٢٣٥) والبغوي في «شرح السنة» (١٤٣٠) وهو حديث حسن ويرقى بالصحة لما تقدم من شواهد. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٣٨١٢) وقال: رواه أبو يعلى وأحمد ورجاله ثقات].

الشرح: قوله ﷺ : «فإن شفاه، غسله وطهره» أي غسله من دنس الذنوب وطهره من رجز الخطايا. وهو نحو قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة ـ قال راوي الحديث ـ أحسبه قال هنينة ـ فقلت بأبي وأمي يا رسول الله، إسكاتك بين التكبير والقراءة، ما تقول؟ قال: **«أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللّهم نقني من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»**(١) قال الطيبي: يمكن أن يكون المطلوب من ذكر الثلج والبرد بعد الماء؛ شمول أنواع الرحمة والمغفرة، بعد العفو لإطفاء حرارة عذاب النار التي هي في غاية الحرارة، ومنه قولهم: برَّد اللّه مضجعه، أي رحمه ووقاه عذاب النار. اهـ.

وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ ، وهو يوعك فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديداً قال: **«أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»** قلت: ذلك بأن لك أجرين، قال: **«أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها، إلا كفَّر اللّه بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»**(٢) . ولها أيضاً عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذى ولا غمٍّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»** ونحوه عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

وقوله ﷺ : «وإن قبضه» أي توفاه وقبضه إليه **«غفر له ورحمه»** أي غفر له بما أصابه من أذى وبلاء ومرض، وشمله برحمته التي وسعت كل شيء، جعلنا الله تعالى ممن تسعهم رحمته ومغفرته إنه سميع قريب مجيب.

٤ ـ باب فيمن ابتلاه الله تعالى في جسده، فلم يشكوه إلى عواده

قال الله تعالى إخباراً عن نبيّه يعقوب ـ عليه السلام ـ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية [يوسف: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧].

١٢٩ ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، إِذَا ابْتَلَيْتُ**

---

(١) رواه البخاري (٧٤٤) ومسلم (٥٩٨) في صحيحيهما.

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٨) واللفظ له.

١٢٩ - [رواه الحاكم في «المستدرك» (١٢٩٠/١) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي في «التلخيص» وقال: على شرطهما وهو كما قالا].

عَبْدِيَ الْمُؤْمِنُ وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أُسَارِي، ثُمَّ أَبْدلْتُهُ لَحْماً خَيْراً مِنْ لَحْمِهِ، وَدَماً خَيْراً مِنْ دَمِهِ ثُمَّ يَسْتَأْنِفَ الْعَمَلَ» (رواه الحاكم).

الشرح:قوله جل وعلا: «إذا ابتليت عبدي المؤمن ولم يشكني إلى عواده» أي ولم يشكو الله تعالى إلى من جاء يعوده ويتفقد أحواله. قال في **«الفتح»**: وفيه أن ذكر الوجع ليس بشكاية، فكم من ساكت وهو ساخط، وكم من شاكٍ وهو راضٍ، فالمعوَّل في ذلك عمل القلب، لا على نطق اللسان.

قال الإمام القرطبي: اختلف الناس في هذا الباب، والتحقيق: أن الألم لا يقدر أحد على رفعه، والنفوس مجبولة على وجدان ذلك، فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كُلِّفَ العبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد. كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر، وأما مجرد التشكي فليس مذموماً حتى يحصل التسخط للمقدور. وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر.

قال في **«الفتح»**: ولعلهم أخذوا من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين، وتشعر بالتسخط للقضاء، وتورث شماتة الأعداء. وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله، فلا بأس به اتفاقاً.

وقوله جل وعلا: «ثم أبدله لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ثم يستأنف العمل» أي إن الله يعافيه. ويبدل سقمه صحة ومن ثم يعود لما كان عليه من عمل الطاعات وفعل الخيرات.

٥ ـ باب الحمى نار الله في الدنيا يُسلطها على عباده لتكون حظاً لهم في الآخرة

١٣٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ عَادَ مَرِيضاً مِنْ وَعْكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«أَبْشِرْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:** نَارِي **أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ»** (رواه أحمد).

الشرح:قوله جل وعلا: «ناري أسلطها على عبدي المؤمن» ووقع في رواية الترمذي «المذنب» بدلاً من «المؤمن» وفيه إشعاراً لرحمة الله تعالى بعبده المذنب، حيث إنه اقتص منه في الدنيا، فإن عذاب الدنيا أهون وأخف من عذاب الآخرة. قال تعالى ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ **«إذا أراد الله بعبده الخير عَجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة. وقال ﷺ «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن اللّه إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط»** (١).

---

١٣٠ ـ [رواه أحمد (٣/٩٦٨٢) والترمذي (٢٠٨٨) وابن ماجه (٣٤٧٠) والحاكم (١/١٢٧٧) وإسناده قوي. واللفظ لأحمد].

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٩٦) بإسناد حسن.

وقوله جل وعلا: **«لتكون حظه من النار في الآخرة»**. أي إن ما يصيبه من حرارة الحمى إنما هو نصيبه من نار الآخرة، وفي «صحيح البخاري» وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«الحمى من فيح جهنم، فأطفؤوها بالماء»**(١) وعنده أيضاً من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: **«الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء»**(٢) وله أيضاً من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«الحمى من فور جهنم، فأبردوها عنكم بالماء»**(٣) أي اسكنوا حرارتها بالماء. والفوح، والفور، بمعنى واحد، والمراد سطوع حرّها ووهجه.

قال الحافظ ابن حجر: واختلف في نسبتها إلى جهنم، فقيل: حقيقة. واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم، وقدّر الله ظهورها بأسباب تقتضيها، ليعتبر العباد بذلك، كما أن أنواع الفرح واللذة من نعيم الجنة، أظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة. وقد جاء في حديث أخرجه البزار من حديث عائشة بسند حسن وفي الباب عن أبي أمامة عند أحمد، وعن أبي ريحانة عند الطبراني، وعن ابن مسعود في «مسند الشهاب»: **«الحمى حظ المؤمن من النار»** وهذا كما تقدم في حديث الأمر بالإبراد، أن شدة الحر من فيح جهنم وأن الله أذن لها بنفسين.

أقول: يريد ما أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ **«اشتكت النار ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فاذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحرّ، وأشد ما تجدون من الزمهرير»**(٤).

قال: وقيل: بل الخبر ورد مورد التشبيه، والمعنى أن حرَّ الحُمى شبيه بحر جهنم تنبيهاً للنفوس على شدة حرّ النار، وأن هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها، كما قيل بذلك في حديث الإبراد، والأول أولى، اهـ.

٦ ـ باب فيمن قتل نفسه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨].

١٣١ ـ عَنْ جُنْدبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ بِرَجُلٍ جِرَاحٌ قَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» (متفق عليه).

---

(١) رواه البخاري (٥٧٢٣). (٢) رواه البخاري (٥٧٢٥).

(٣) رواه البخاري أيضاً (٣٢٦٢). (٤) رواه البخاري (٣٢٦٠).

١٣١ ـ [رواه أحمد (١٨٨٢٣/٦) والبخاري (١٣٦٤) و(٣٤٦٣) ومسلم (١١٣) وابن منده في «الإيمان» (٦٤٧) و(٦٤٨) وأبو يعلى (١٥٢٧) وابن حبان (٥٩٨٨) و(٥٩٨٩) والطبراني في «الكبير» (١٦٦٤) وأبو عوانة (٤٦/١) والبيهقي (٢٤/٨) واللفظ الأول للبخاري].

ورواه مسلم بلفظ: **«إنْ رَجُلاً مِمن كَانَ قَبْلَكُم خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، فَنَكَأَهَا، فَلَمْ يَرْقَاءِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ. قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»**.

وأخرجه أحمد بلفظ: أَنَّ رَجُلاً أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَحُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ، فَآلَمتْ جِرَاحَتُهُ، فَاسْتَخْرَجَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ فَطَعَنَ بِهِ فِي لُبَّتِهِ. فَذَكَرُوا ذٰلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: **«سَابَقَنِي بِنَفْسِه»**.

الشرح: قوله ﷺ: **«كان برجل جراح قتل نفسه»** وفي لفظ عند البخاري في أحاديث الأنبياء **«كان فيمن قبلكم رجل به جُرح فجزع فأخذ سكيناً فحزَّ بها يده، فما رقاء الدم حتى مات»** أي لم ينقطع الدم حتى مات. وقد جاء في رواية مسلم **«إن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة، فلما آذته انتزع سهماً من كنانته، فنكأها»** أي نخس موضع الجرح، ويمكن الجمع بأن يكون فَجَّرَ الجرح بذبابة السهم، فلم ينفعه، فحزَّ موضعه بالسكين. وقد دلت رواية البخاري، على أن الجرح كان في يده.

وأما ما جاء في رواية أحمد: **«فاستخرج سهماً من كنانته فطعن به في لبته»** أي في رقبته. يحتمل أن تكون قصة تروي قصة رجل آخر، أو يكون هو نفسه، ولكن زاد على قطع يده أن أخرج سهماً من جعبته فطعن به لبته، أي في حلقه، **واللبة**: هي الهزمة التي فوق الصدر، وفيها تنحر الإبل، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ صلى في ثوب واحد متلبباً به، أي متحزماً به عند صدره.

وقوله جل وعلا: «بدرني عبدي بنفسه» هو كناية عن استعجاله الموت. وقد جاء مفسراً في رواية أحمد «سابقني بنفسه» وقوله عز وجل: **«حرمت عليه الجنة»** جاء مجرى التعليل للعقوبة لأنه لما استعجل الموت بتعاطي سببه من إنفاذ مقاتله فنجعل له فيه اختياراً عصى الله به، فناسب أن يعاقبه. ودل ذلك على أنه حزها لإرادة الموت، لا لقصد المداواة التي يغلب على الظن الانتفاع به. قاله في الفتح قال: وقد استشكل قوله جل وعلا: **«بادرني بنفسه»** وقوله: **«حرمت عليه الجنة»** لأن الأول يقتضي أن يكون من قتل فقد مات قبل أجله لما يوهمه سياق الحديث، من أنه لو لم يقتل نفسه كان قد تأخر عن ذلك الوقت وعاش، لكنه بادر فتقدم. والثاني يقتضي تخليد الموحد في النار.

والجواب عن الأول؛ أن المبادرة من حيث التسبب في ذلك والقصد له والاختيار، وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها. وإنما استحق المعاقبة، لأن الله تعالى لم يطلعه على انقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: قضاء الله مطلق ومقيد بصفة. فالمطلق: يمضي على الوجه بلا صارف. والمقيد على الوجهين، مثاله؛ أن يُقدر لواحد أن يعيش عشرين سنة إن قتل نفسه، وثلاثين سنة إن لم يقتل. وهذا بالنسبة إلى ما يعلم به المخلوق كملك الموت مثلاً. وأما بالنسبة إلى علم الله تعالى، فإنه لا يقع إلا ما علمه. ونظير ذلك الواجب المخير، فالواقع منه معلوم عند الله تعالى، والعبد مخير في أي الخصال يفعل.

والجواب عن الثاني من أوجه: **أحدها**: أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافراً.

ثانيها: كان كافراً في الأصل، وعُوقب بهذه المعصية زيادة على كفره.

ثالثها: أن المراد، أن الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون، أو الوقت الذي يُعذب فيه الموجودن في النار ثم يخرجون.

رابعها: أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلاً.

خامسها: أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد.

سادسها: أن التقدير؛ حُرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك.

سابعها: قال النووي: يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى، أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها.

وفي الحديث: تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أم غيره، وقتل الغير يؤخذ تحريمه من هذا بطريق الأولى. وفيه الوقوف عند حقوق الله تعالى، ورحمته بخلقه حيث حرَّم عليهم قتل نفوسهم، وأن الأنفس ملك الله جل وعلا.

وفيه التحديث عن الأمم الماضية وفضيلة الصبر على البلاء، وترك التضجر من الآلام لئلا يفضي إلى أشد منها، وفيه تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس.

خاتمة: روى البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار**» وروى أيضاً من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من حلف بملة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال، ومن قتل نفسه بحديدة عُذب به في نار جهنم**»[(١)].

٧ ـ باب بيان أن من مات من أهل الإسلام وهو قاتل لنفسه، لا يكفر

١٣٢ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه! هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ (قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) فَأَبَى ذٰلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللّهُ لِلأَنْصَارِ.

فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ. هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو. وهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ. فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ. فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ. فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ. وَرَآهُ مُغَطِّياً يَدَيْهِ.

فقالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجرَتي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ. فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّياً

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٥).

١٣٢ ـ [رواه أحمد (١٤٩٨٦/٥) ومسلم (١١٦) والبخاري في «الأدب المفرد» (٦١٤) والحاكم (٦٩٦٣/٤) وأبو يعلى (٢١٧٥) وابن حبان (٣٠١٧) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٦١/٦) والبيهقي (١٧/٨). واللفظ الأول لمسلم].

يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ. فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«اللَّهُمَّ! وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ»**. (رواه مسلم).

وقد وقع عند ابن حبان بلفظ: «. . . قَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: صَنَعَ بِي رَبِّي خَيْراً، غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ قَالَ: فَمَا فَعَلَتْ يَدَاكَ؟ قَالَ: قَالَ لِي رَبِّي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ: فَقَصَّ الطُّفَيلُ رُؤْيَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، **«اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ، اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ، اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ»**.

الشرح: **قوله**: (يا رسول الله، هل لك في حصن حصين، ومنعة) وقد جاء عند أحمد بلفظ: (يا رسول الله، هل لك في حصن حصينة ومنعة) وعند ابن حبان بلفظ: (يا رسول الله، هلم إلى حصن وعدد وعدة) قال أبو الزبير ـ وهو أحد رواة الحديث ـ حصنٌ في رأس الجبل لا يؤتى إلا في مثل الشراك.

وقوله: (فاجتووا المدينة) قال الخطابي رحمه الله تعالى: الاجتواء استيبال المكان، وكراهة المقام به لضر لحق من الجوى، وهو داء يصيب البطن.

وقوله: (فأخذ مشاقص) ـ بفتح الميم ـ جمع مشقص بكسر الميم وفتح القاف ـ قال الخليل: هو سهم عريض النصل، وقيل طويله، ويشهد للأول قطعه به، إذ لا يتأتى القطع إلا بالعرض. والبراجم ـ بفتح الباء ـ جمع بُرجُمة ـ بضمها وضم الجيم ـ: مفاصل الأصابع.

وقوله: (فشخبت يداه حتى مات) أي سال دمهما، وقيل: سال بقوة.

وقوله جل وعلا: **«لن نصلح منك ما أفسدت»** قال الإمام القرطبي: دليل على أن المغفرة قد لا تتناول محل الجناية، فيحصل منه توزيع العقاب على المعاقب، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: **«اللهم وليديه فغفر»** والظاهر أن هذا الرجل أدركته بركة دعوة النبي ﷺ فغُفِرَ له وليديه، وكَمُلَ له ما بقي من المغفرة عليه، وعلى هذا فيكون قوله جلّ وعلا: **«لن نصلح منك ما أفسدت»** ممتداً إلى غاية دعاء النبي ﷺ له، فكأنه قيل له: لن نصلح منك ما أفسدته ما لم يدع لك النبي ﷺ

وهذا الحديث يقتضي؛ أن قاتل نفسه ليس بكافر، وأنه لا يخلد في النار، وهو موافق لمقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وهذا الرجل ممّن شاء الله أن يُغفر له، لأنه إنما أتى بما دون الشرك، وهذا بخلاف القاتل نفسه المذكور في حديث جندب ـ المتقدم ثمة ـ فإنه ممن شاء الله أن يعذبه.

٨ ـ باب من أحب لقاء الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١ و٢].

١٣٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي، أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ»**. (رواه البخاري).

---

١٣٣ ـ [رواه البخاري في التوحيد (٧٥٠٤)].

وقد جاء مفسراً عِنْدَ مُسلم مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرِيقِ شُرَيْحِ بْنِ هَانِىءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»**.

قَالَ ـ أي شريح ـ: فَأَتَيْتُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثاً، إِنْ كَانَ كَذٰلِكَ فَقَدْ هَلَكْنَا!

فَقَالَتْ: إِنَّ الهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»** وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوتَ.

فَقَالَت: قَدْ قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلٰكِنْ إِذَا شَخَصَ البَصَرُ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ، وَاقْشَعَرَّ الجِلْدُ، وَتَشَنَّجَتِ الأَصَابِعُ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ، مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ[(١)].

وقد جاء عند مسلم من حديث السيدة عائشة أيضاً بزيادة: «... **وَالموتُ قَبْلَ لِقَاءِ اللَّهِ**»[(٢)].

ورواهُ البخاري مِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»**.

قَالَتْ عَائِشَةَ ـ أَوْ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ ـ إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ ﷺ: **«لَيْسَ ذٰلِكَ، وَلٰكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ.**

وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَكَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»[(٣)].

الشرح: قوله جل وعلا: «إذا أحب عبدي لقائي» أي عند احتضاره، كما جاء مفسراً من قول السيدة عائشة رضي الله عنها؛ ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر...».

ومعنى قولها رضي الله عنها: إذا شخص البصر ـ بفتح الشين والخاء ـ أي فتح المحتضر عينيه إلى فوق، فلم يطرف ـ وحشرج الصدر ـ أي ترددت الروح في الصدر ـ واقشعر الجلد ـ أي انقبض ـ وتشنجت الأصابع ـ أي يبست وهذه الأمور هي حالة المحتضر.

وقوله ﷺ: «ولكن المؤمن إذا حضره الموت، بُشر برضوان الله وكرامته» وهو نحو قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٨٤).

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٧).

ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

وقوله ﷺ: «**من أحب لقاء الله ـ ومن كره لقاء الله**». **ومعنى الحديث**: أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته، ولا غيرها. فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه. وما أعد له، ويُكشف له عن ذلك. فأهل السعادة يحبون الموت، ولقاء الله، لينتقلوا إلى ما أُعد لهم، ويُحب الله لقاءهم، أي: فيجزل لهم العطاء، والكرامة.

وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه، لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم، أي يبعدهم عن رحمته، وكرامته، ولا يريد ذلك بهم، وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم، وليس معنى الحديث، أن سبب كراهة الله تعالى لقاءهم كراهتهم ذلك. ولا أن حبه لقاء الآخرين حبهم ذلك، بل هو صفة لهم.

٩ ـ باب: قول النبي ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»

١٣٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**». (متفق عليه).

وأخرجه ابن حبان بإسناد على شرط الشيخين، بلفظ: «**إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا، يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ خَيراً فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ**»(١).

١٣٥ ـ وَعَنْ حَيَّانَ أَبِي النَّضرِ، قَالَ: خَرَجْتُ عَائِداً لِيَزِيد بْنِ الأَسْوَد، فَلَقِيتُ واثلةَ بْنِ الأَسْقعَ وَهُوَ يُرِيدُ عِيَادَتَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا رَأَى وَاثِلَةَ، بَسَطَ يَدَهُ، وَجَعَلَ يُشِيرُ إِليهِ، فَأَقْبَلَ وَاثِلَةَ حَتَّى جَلَسَ، فَأَخَذَ يَزِيدُ بِكَفَّيْ وَاثِلَةَ، فَجَعَلَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهُ وَاثِلَةَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: ظَني بِاللَّهِ ـ وَاللَّهِ ـ حَسَنٌ.

قَالَ: فَأَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ خَيراً، وَإِنْ ظَنَّ شَرّاً**». (رواه ابن حبان).

وفي رواية عند أحمد من طريق الوليد بن سليمان، قال: حدثني حَيَّان أبو النضر، قال: دخلتُ مع واثلة بن الأسقع على أبي الأسود الجرشي في مرضِهِ الَّذي مات فيه، فسلم عليه وجلس.

قال: فأخذَ أبو الأسودَ يمينَ واثلةَ، فمسحَ بِها على عَينيهِ ووجهه، لِبيعتهِ بهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

---

١٣٤ ـ [رواه البخاري (٧٥٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) والترمذي (٢٣٨٨) وغيرهم وسيأتي. واللفظ للبخاري].

(١) ابن حبان (٦٣٩).

١٣٥ ـ [رواه أحمد (١٦٠١٦/٥) وابن حبان (٦٤١) والحاكم (٧٦٠٣/٤) والطبراني (٢١٠/٢٢) في «الكبير» (٢١٠/١٢) وفي «الأوسط» (١٠٤) وإسناده صحيح].

فَقالَ لهُ وَاثلةَ: واحدة أسألكَ عَنْهَا، قَالَ: وَمَا هي؟ قَالَ: كَيفَ ظَنُّكَ بِربكَ؟ قال: فقالَ أبو الأسود، وأشارَ بِرأسِهِ أي حسنٌ، قال واثلة: أبشر، إني سمعتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺيقولُ: **«قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»**.

الشرح:قوله جل وعلا: «أنا عند ظن عبدي بي» قال أهل اللغة: **الظن**: التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم. وفي «المحكم»: هو شك ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان، إنما هو يقين تدبر، فأما يقين العيان، فلا يُقال فيه إلا علم. وقال المناوي: الظن الاعتقاد الراجح احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك. وقال الراغب: الظن اسم لما يحصل من أمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت لم تجاوز حدّ الوهم، وفي «البصائر»: وقد ورد الظن في القرآن مجملاً على أربعة أوجه، بمعنى اليقين، وبمعنى الشك، وبمعنى التهمة، وبمعنى الحسبان، ثم ذكر الآيات. وقيل: هو من الأضداد، كما في «شروح الفصيح».

قال الكرماني: وفي قوله جل وعلا: **«أنا عند ظن عبدي بي»** إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف، وكأنه أخذه من جهة التسوية، فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد، وهو جانب الخوف، لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد، وهو جانب الرجاء، وهو كما قال أهل التحقيق؛ مُقيد بالمحتضر، ويؤيد ذلك حديث: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»** [١]وهو عند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه، قال الإمام الخطابي: إنما يُحسن ظنه بالله من حسن عمله، فكأنه قال: أحسنوا أعمالكم يحسن بالله ظنكم، فإن من ساء عمله ساء ظنه، وقد يكون حسن الظن أيضاً من ناحية الرجاء، وتأميل العفو.

وقال الإمام القرطبي: بعد أن ذكر قوله جل وعلا: **«أنا عند ظن عبدي بي»**. قيل: معناه ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن قبول الأعمال عند فعلها على شروطها تمسكاً بصادق وعده، وجزيل فضله. قال: ويؤيده قوله ﷺ **«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»** وكذلك ينبغي للتائب والمستغفر، وللعامل أن يجتهد في القيام بما عليه من ذلك موقناً أن اللّه تعالى يقبل عمله، ويغفر ذنبه، فإن الله تعالى قد وعد بقبول التوبة الصادقة، والأعمال الصالحة.

فأما لو عمل هذه الأعمال، وهو يعتقد أو يظن أن الله تعالى لا يقبلها، وأنها لا تنفعه، فذلك هو القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، وهو من أعظم الكبائر. ومن مات على ذلك وصل إلى ما ظن منه، كما جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث: **«أنا عند ظن عبدي بي، فليظن عبدي بي ما شاء»**.

فأما ظن المغفرة والرحمة مع الإصرار على المعصية، فذلك محض الجهل، والغرّة، وهو

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧).

يجر إلى مذهب المرجئة، وقد قال ﷺ : «الكَيِّسُ من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله»[(١)] .

قال: وهذا إنما يكون في حالة الصحة والقوة على العمل، وأما في حال حضور الموت فليس ذلك الوقت وقتاً يقدر فيه على استئناف غير الفكر في سعة رحمة الله تعالى، وعظيم فضله، وأنه لا يتعاظمه ذنب يغفره، وأنه الكريم الحليم، الغفور الشكور، المُنعم الرحيم.

ويُذكَّر بآيات الرُّخَص وأحاديثها لعل ذلك يقع بقلبه، فيحب الله تعالى، فيختم عليه بذلك، فيلقى الله تعالى، وهو مُحبٌّ له فيُحشر في زُمرة المحبين، بعد أن كان في زمرة الخطّائين، ويشهد له قوله ﷺ : «يبعث كل عبد على ما مات عليه»[(٢)] .

١٠ ـ باب ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

١٣٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِياً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرَ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ الموتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» (رواه البخاري).

١٣٧ ـ ويشهد له ما رواه أحمد بإسناد لا يخلو من مقال، من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِياً فَقَدْ اسْتَحلَّ مُحَارَبَتِي، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ الفَرَائِضِ، وَمَا يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، إِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَإِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ، مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ وَفَاتِهِ لأَنَّهُ يَكْرَهُ الموتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

الشرح: قوله جل وعلا: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» وفي حديث عائشة: «من أذل لي ولياً فقد استحل محاربتي»[(٣)] ، وفي رواية لأحمد أيضاً من حديث عائشة: «من آذى لي ولياً»

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦١).

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٨) وغيره من حديث جابر رضي الله عنه.

١٣٦ - [رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) وابن حبان (٣٤٧)].

١٣٧ - [مسند أحمد (٢٦٢٥٣/١٠)].

(٣) الفتح (١٤٤/١٣).

قال: وفي رواية وهب بن منبه موقوفاً: «**قال الله: من أهان وليي المؤمن فقد استقبلني بالمحاربة**» وفي حديث معاذ: «**فقد بارز الله بالمحاربة**» وفي حديث أبي أمامة وأنس: «**فقد بارزني**» أي تحداني بالمقاتلة. ومعنى: «**آذنته بالحرب**» أي أعلمته بها، والإيذان الإعلام، ومنه أُخذ الأذان.

قوله جل وعلا: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه» أي من صلاة مفروضة وغيرها من صيام وزكاة وحج ودعوة وجهاد ونحو ذلك مما هو مفروض من فرائض. وفي «الصحيح» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة على ميقاتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» فسَكَتُّ عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني[1].

ويستفاد من الحديث أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى، ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله تعالى فرضيته.

قوله جل وعلا: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» أي وما يبرح العبد يتنفل ويجتهد بالعبادة والتطوع والإقبال على الله تعالى حتى ينال درجة المحبة من الله تعالى، وعلى رأس هذه العبادات الصلاة، لكونها من أجلِّ ما يُتقرب به إلى الله تعالى. لِمَا جاء في التنزيل: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، فكلما سجد العبد بين يدي ربه جل وعلا، كلما ازداد قرباً، ومن ازداد قرباً ازداد محبة. وفي الحديث: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء؛ إن الله يُحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**» رواه الشيخان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الطوفي: الأمر بالفرائض جازم، ويقع بتركها المعاقبة، بخلاف النفل في الأمرين، وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب، فكانت الفرائض أكمل، فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى، وأشد تقريباً. وأيضاً فالفرض كالأصل والأس ـ أي الأساس ـ، والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر، واحترام الأمر وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية. فكان التقرب بذلك أعظم العمل، والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة، ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثاراً للخدمة، فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته.

قال الفاكهي: معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى. وقال ابن هبيرة: يؤخذ من قوله جلا وعلا «**وما تقرب إلي عبدي. .**» الخ، أن النافلة لا تُقدَّم على الفريضة، لأن النافلة إنما سُميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك، تحققت منه إرادة التقرب.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٧) ومسلم (٨٥) في صحيحيهما.

قال في «الفتح»: وأيضاً فقد جرت العادة، أن التقرب يكون غالباً بغير ما وجب على المتقرب، كالهدية والتحفة. بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج، أو يقضي ما عليه من دين. وأيضاً فإن من جملة ما شرعت له النوافل، جبر الفرائض.

قوله جل وعلا: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» أي إن الله تعالى إذا أحب عبده رزقه سمعاً يستطيع من خلاله أن يميز به كل ما يسمعه من كلام فبسمعه هذا يعرف الحق من الباطل والصدق من الكذب والإيمان من النفاق، ونحو ذلك من كل ما يسمع.

وأما من جهة ما يرى، فقد جاء اللفظ بالبصر، وليس بالنظر. فلم يقل: ونظره الذي ينظر به. بل قال: **«وبصره الذي يبصر به»** والنظر شيء والبصر شيء آخر. فالنظر إلى الشيء رؤيته، وأما إبصار الشيء فمعرفته وإدراك كنهه ومكنوناته وحقائقه. قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، فأكد سبحانه وتعالى على عدم عمى الأبصار، وأكد على إمكان عمى القلوب فمن رُزق بصيرة خلاف من رزق نظراً. قال الله تعالى مخبراً عن صفات أهل الكفر والضلال ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فجاءت الآية لتدل على أن عين الكافر هي أداة للنظر وليست آلة تبصر الحق. لقوله جل وعلا: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ أي لا يبصرون بها الحق بل فقط ينظرون بها إلى عالم الأشياء المحسوسة وكذلك بالنسبة للأسماع من غير أن يدركوا حقائقها ويسبروا غور مكنوناتها. قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] إلى الحق، وقال تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

فيكون معنى الحديث؛ أن الله تعالى يرزق وليه سمعاً وبصراً بهما يعرف الحق، ويتبعه بتوفيق منه.

قال الإمام الخطابي في قوله جل وعلا **«كنت سمعه الذي يسمع به...»** الخ. قال: هذه أمثال، والمعنى توفيق الله لعبده التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله. قال: وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء، والنجاح في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة.

وقال بعضهم: والمعنى أنه لا يتحرك للولي جارحة إلا في الله ولله، فهي كلها تعمل بالحق للحق.

وقال الطوفي: اتفق العلماء ممن يعتد بقوله: أن هذا مجاز، وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته، قال: ولهذا وقع في رواية: **«فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي»**.

وقال الفاكهي، وسبقه إلى معناه ابن هبيرة ـ رحمهما الله تعالى ـ. المعنى؛ أنه لا يسمع إلا ذكري، ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي، ورجله كذلك.

وقوله جل وعلا: «وإن سألني لأعطينه» أي لأعطينه سُؤْلَهُ، وأستجيبن دعاؤه. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فعلّق سُبحانه وتعالى إجابة دُعاء الداعِ على الاستجابة إليه والإيمان به. وهاتين الصفتين هما من أولويات صفات الأولياء فليس من ولي إلا وهو مستجيب لربه مؤمن به حق الإيمان. فمن تحققت به هاتين الصفتان كان ممن يُستجاب دعاءهم.

وقوله جل وعلا: «ولئن استعاذ بي لأعيذنه» أي وإن استجار واحتمى بي أجرته وحميته وأمنته ممن يخاف. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

وقوله جل وعلا: «وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته» المعنى أن الله تعالى لا يحب أن يُري وليه ما يكره وما يسوؤه. فالموت ـ وهو غير لقاء الله كما تقدم ـ ليس من أحد إلا وهو يكرهه، ذلك أن الموت مرحلة انتقال من عَالَمٍ مألوف، إلى عالم آخر، لا يدري الواحد منا إلى ما يصير إليه.

كما أنه لا يخفى ما في الموت من أحوال وأهوال وسكرات، وها هو سيد البشر ﷺ يعاني من الموت وشدته. فقد روى البخاري وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها في موت النبي ﷺ قالت: وبين يديه ـ ﷺ ـ ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: **«لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»** ثم نصب يده فجعل يقول: **«في الرفيق الأعلى»** حتى قُبض ومالت يده [(١)]. وعند أحمد والترمذي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد عن عائشة قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء، فَيُدْخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: **«اللهم أعني على سكرات الموت»** [(٢)]. وفي رواية عن مسروق عن عائشة ـ عند البخاري من طريق شقيق عن مسروق عن عائشة قالت: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبي ﷺ.

وسكرات الموت: جمع سكرة. قال الراغب وغيره: السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر، ويطلق في الغضب والعشق والألم والنُّعاس والغشي الناشىء عن الألم، وهو المراد هنا.

فكل واحد يكره الألم، ويكره شدة الموت وسكراته، وهي للمؤمن إما زيادة في حسناته وإما تكفيراً لسيئاته. والله جل وعلا يكره مساءته، أطلق على ذلك الكراهة.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٤٩).

(٢) رواه أحمد (٢٤٤١٠/٩) والترمذي (٩٨٠).

١١ ـ باب ما جاء في نزع روح المؤمن

١٣٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ، يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ». (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول: إن عبدي المؤمن عندي بمنزلة كل خير» وهو نحو قوله ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»**[1] رواه مسلم وغيره من حديث صهيب رضي الله عنه. وعند أحمد بإسناد حسن، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجباً للمؤمن لا يقضي الله له شيئاً إلا كان خيراً له»**[2].

وقوله جل وعلا: «يحمدني وأنا أنزع نفسه من بين جنبيه» وذلك مع ما في نزع الروح من شدة وألم، وإنما يحمد الله تعالى من كان هذا حاله في هذه الساعة، هو من كان قد روض نفسه على الصبر والتحمل، وهذب نفسه وسار بها إلى مدارج الكمال حتى أصبحت مطمئنة راضية بكل حالاتها. والتي قال تعالى فيها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

١٣٩ ـ وروى أحمد وغيره بإسناد حسن، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: **جاء النبي ﷺ إلى بعض بناته وهي في السَّوْقِ، فأخذها ووضعها في حِجْرِهِ حتى قُبضت، فدفعت عيناه، فبكت أم أيمن، فقيل لها: أتبكين عند رسول الله ﷺ؟ فقالت: ألا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي! قال ﷺ: «إني لم أبك، وهذه رحمة، إن المؤمن تخرج نفسه من بين جنبيه، وهو يحمد الله عزَّ وجل».**

الشرح: وقوله: (وهي في السَّوْقِ)؛ أي في النزع، كأن روحها تُساق لتخرج من بدنها. ويُقال له السياق أيضاً. وأصله سِوَاق، فقلبت الواو ياء لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق ـ قاله ابن الأثير.

وأما قوله ﷺ: «إني لم أبك» أي بكاء عن قلة رضاً، ولذلك تعقبه ﷺ بقوله: **«إن المؤمن...»** الخ، أي المؤمن ينبغي له الرضا عنه تعالى في كل حال، فلا ينبغي له البكاء الصادر عن قلة الرضا، وهو المنهي عنه دون الذي يكون عن رحمة. قاله السندي.

---

١٣٨ ـ [رواه أحمد (٣/٨٥٠٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٩٤) والبزار (٧٨١) ـ كشف الأستار. وإسناده قوي، وأورده الهيثمي في «المجمع» وعزاه للبزار ـ فقط ـ عن شيخه أحمد بن أبان القرشي، قال: ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح].

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩). (٢) رواه أحمد (٧/٢٠٣٠٥).

١٣٩ ـ [رواه أحمد (٢/٢٤١٢)].

١٢ ـ باب في صفة خروج الأرواح

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

١٤٠ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ، حَضَرَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ جُعِلَتْ في حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَيُنْطَلَقُ بِهَا إِلى بَابِ السَّماءِ، فيَقُولُونَ: مَا وَجَدْنَا رِيحاً أَطْيَبَ مِنْ هٰذِهِ، فَيُقَالُ: دَعُوهُ يَسْتَرِيحُ، فَإِنَّهُ كَانَ في غَمٍّ، فَيُسْأَلُ مَا فَعَلَ فُلانٌ؟ مَا فَعَلَ فُلانٌ؟ مَا فعلَتْ فُلانَةُ؟ وَأَمَّا الكَافِرُ، فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ وَذُهِبَ بِهَا إِلَى بَابِ الأَرْضِ، يَقُولُ خَزَنَةُ الأَرْضِ: مَا وَجَدْنَا رِيحاً أَنْتَنَ مِنْ هٰذِهِ، فَتَبْلُغُ بِهَا إِلى الأَرْضِ السُّفْلَى»**. (رواه ابن حبان).

١٤١ ـ ومن طريق قسامة بن زهير، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: **«إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا احتَضَرَ، أَتَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيةً مَرْضِيَّةً عَنْكِ، إِلَى رَوْحِ اللّٰهِ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيرِ غَضْبَانٍ. فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ المِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُمْ لِيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعضاً يَشُمُّونَهُ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هٰذِهِ الرِّيحِ الَّتِي جَاءَتْكُم مِنَ الأَرْضِ. فَكُلَّمَا أَتُوا سَماءً قَالُوا ذٰلِكَ، حَتَّى يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ المُؤْمِنِينَ»**. قال: **«فَلَهُمْ أَفْرَحُ بِهِ مِنْ أَحدِكُم بِغَائِبِهِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ»**.

قال: **«فَيَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فُلانٌ؟»** قَالَ: **«فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ حَتَّى يَسْتَرِيحَ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ لَهُمْ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ!»**. قال: **«فَيَقُولُونَ ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الهَاوِيَةِ»**.

قال: **«وَأَمَّا الكَافِرَ، فَإِنَّ مَلائِكَةَ العَذَابِ تَأْتِيهُ فَتَقُولُ: أَخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوط عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللّٰهِ وَسَخَطِهِ، فَيَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ. فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلى بَابِ الأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هٰذِهِ الرِّيحَ، كُلَّمَا أَتَوا عَلَى الأَرْضِ، قَالُوا ذٰلِكَ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ الكُفَّارِ»**. (لفظ الحاكم).

والرَّوح: الرحمة. **والريحان**: الطيب.

رواه مسلم من طريق حماد بن زيد، حدثنا بديل، عن عبد اللّٰه بن شقيق، عَنْ أَبِي هُرِيرةَ، قَالَ: **«إِذَا خَرَجَتْ رَوحُ المُؤْمِنِ، تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا»**.

قال حماد: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا، وَذَكَرَ المِسْكَ.

---

١٤٠ ـ [رواه ابن حبان (٣٠١٣) والحاكم (١/١٣٠٤) وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

١٤١ ـ رواه النسائي (١٨٣٢) والحاكم (١٣٠٢ ـ ١/١٣٠٣) وابن حبان (٣٠١٤) بإسناد صحيح].

قال: «**وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى جَسَدٍ كُنتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ**».

قَالَ: «**وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ**» قَالَ حَمَّادٌ: وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْناً «**وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِن قِبَلِ الأَرْضِ**» قَالَ: «**فَيُقَالُ: انطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ**».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِيطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا(١).

ورواه أحمد وغيره بإسناد صحيح على شرط الشيخين، من طريق سعيد بن يسار، عن أبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ المَيِّتَ تَحْضُرُهُ المَلائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قَالُوا: اخرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيرِ غَضْبَانٍ**». قَالَ: «**فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ ذٰلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هٰذَا؟ فَيُقَالُ: فُلانٌ، فَيَقُولُونَ: مَرْحَباً بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيرَ غَضْبَانٍ**». قَالَ: «**فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، قَالُوا: اخرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ، اخرجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وآخَرَ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ. فَلاَ تَزَالُ تَخْرُجُ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّماءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هٰذِهِ؟ فَيُقَالُ: فُلانٌ. فَيُقَالُ: لاَ مَرْحَباً بِالنَّفْسِ الخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهُ لاَ يُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّماءِ. فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى القَبْرِ فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَيُقَالُ لَهُ مِثْلَ مَا قِيلَ لَهُ فِي الحَدِيثِ الأَوَّلِ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ، فَيُقَالُ لَهُ مِثْلَ مَا قِيلَ لَهُ فِي الحَدِيثِ الأَوَّلِ**»(٢).

الشرح: قوله ﷺ: «**إن المؤمن إذا حضره الموت**» وأصبح في النزع «**حضرته ملائكة الرحمة**» ليكون ذلك عنواناً على رحمته وشفقته على أهل الإيمان ذلك أن ملائكة الرحمة لا تعرف إلا الرحمة، وكذلك بالنسبة إلى ملائكة العذاب، فإنها لا تعرف إلا العذاب.

وقوله ﷺ: «**فإذا قبضت نفسه جعلت في حريرة بيضاء**» ولفظ الحريرة للدلالة على نعومة ملمسها لروح المؤمن وبرودة حرارتها.

وقوله ﷺ: «**فينطلق بها إلى باب السماء**» أي السماء الدنيا «**فيقولون**» أي ملائكة السماء وحراسها «**ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه**» وفي رواية قسامة بن زهير، «**فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى أنهم ليناوله بعضهم بعضاً يشمونه حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي**

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٢).

(٢) الحديث أخرجه أحمد (٣/٨٧٧٧) والنسائي في «الكبرى» (١١٤٤٢) وابن ماجه (٤٢٦٢) و(٤٢٦٨) والآجري في «الشريعة» (ص/٣٩٢) وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٨) بألفاظ متقاربة، وبعضهم يزيد على بعض. والحديث عند أحمد (٩/٢٥١٤٤) أيضاً في مسند السيدة عائشة رضي الله عنها.

جاءتكم من الأرض، فكلما أتوا سماء قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين» وفيه دليل على أن أرواح المؤمنين في السموات العُلى، ومصداقه قوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ وهو مكان عالٍ مشرف في أعلى الجنة. قال في «التسهيل»: ولفظ ﴿عِلِّيِّينَ﴾ للمبالغة، وهو مشتق من العلوّ، لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه في مكانٍ عليٍّ رفيع، فقد روي أنه تحت العرش.

وعن كعب الأحبار قال: إن روح المؤمن إذا قبضت صعد بها إلى السماء، وفُتحت لها أبواب السماء، وتلقتها الملائكة بالبشرى، ثم يخرجون معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيُخرج لهم من تحت العرش، رَقّ فيرقم ويختم فيه النجاة من الحساب يوم القيامة ويشهده المقربون. وقيل: عليون أعلى الأمكنة، وقيل: معناه علو في علو مضاعف، كأنه لا غاية له، ولذلك جُمع بالواو والنون، وهو معنى قول الطبري.

وقوله ﷺ: «فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه» أي أرواح المؤمنين تفرح بهذه الروح المؤمنة التي جاءتهم، أفرح من أحدنا إذا قدم عليه غائبه. **«فيسألونه ما فعل فلان»** وفي الرواية الأولى **«فيُسأل: ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة»** أي فيسألونه عن أحوال أهل الأرض ممن يعرفونه **«فيقولون»** أي فتقول ملائكة الرحمة لهؤلاء الذين يسألونه **«دعوه حتى يستريح، فإنه كان في غم الدنيا»** وشقاءها. وهو نحو قوله عليه الصلاة والسلام: **«لا راحة لمؤمن إلا بلقاء ربه»**.

وقوله ﷺ: «فإذا قال لهم: أما أتاكم؟ فإنه قد مات» أي يجيبهم مستغرباً ألم يأتكم، فإنه قد مات قبلي! **«فيقولون»** أي الملائكة **«ذُهب به إلى أمه الهاوية»** وفي التنزيل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٨] أي نقصت حسناته عن سيئاته، أو لم يكن له حسناتٌ يُعتدُّ بها ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ أي فمسكنه ومصيره نار جهنم يهوي في قعرها، سماها أماً لأن الأم مأوى الولد ومفزعه، فنار جهنم تؤوي هؤلاء المجرمين، كما يأوي الأولاد إلى أمهم، وتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها.

وقوله ﷺ: «وأما الكافر، فإن ملائكة العذاب تأتيه فتقول: أخرجي ساخطة مسخوط عليك إلى عذاب الله وسخطه» ووقع في رواية النسائي **«وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله عز وجل»** وقوله: **«بمسح»** هو بكسر الميم، كساء من ثوب الشعر، غليظ معروف بخشونته. ولا يخفى وجه المقابلة هنا حيث إن روح المؤمن تُجعل في حريرة بيضاء وروح الكافر في ثوب غليظ خشن! وأما السخط فهو عبارة عن غضب الله تعالى عليه، وعدم رضاه عنه. قال أهل اللغة: السُّخْط والسُّخط: الكراهية للشيء، وعدم الرضا به.

وقوله ﷺ ـ في رواية مسلم في روح المؤمن ـ: **«ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل»** ثم قال في روح الكافر: **«فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل»** قال القاضي عياض: المراد بالأول، انطلقوا بروح المؤمن إلى سدرة المنتهى، والمراد بالثاني، انطلقوا بروح الكافر إلى سجين، فهي منتهى الأجل، ويحتمل أن المراد إلى انقضاء أجل الدنيا.

وأما قوله ﷺ ـ في حديث أحمد من طريق سعيد بن يسار ـ: **«وإذا كان الرجل السوء، قالوا:**

اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة» أي بشعة **«وأبشري»** من البشارة وهو هنا بصيغة التهكم والسخرية **«بحميم»** أي بماء من نار.

١٣ ـ باب في سؤال القبر، وعرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه

قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ ـ ٤٦].

١٤٢ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: «أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الجَنَّةِ»**.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ **«فَيَراهُمَا جَمِيعاً، وَأَمَّا الكَافِرُ، أَوِ المُنَافِقُ، فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ»**. (متفق عليه).

وقد جاء عند مسلم عقب روايته: قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّه يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً، وَيُمْلأُ عَلَيْهِ خَضِراً إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

ورواه أبو داود بلفظ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ نَخْلاً لِبَنِي النَّجارِ، فَسَمِعَ صَوتاً ففزِعَ، فَقَالَ: **«مَنْ أَصحابُ هذه القُبورِ»** قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ناسٌ مَاتوا في الجَاهليةِ، فَقَالَ: **«تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِنَ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ»** قالوا: ومِمَّ ذاك يا رسولَ اللَّهِ؟

قَالَ: **«إِنَّ المؤمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فيقولُ لَهُ: مَا كُنتَ تَعْبدَ؟ فَإِنِ اللَّهُ هَداهُ قَالَ: كُنتُ أَعْبدُ اللَّهَ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنتَ تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ؟ فيقولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فما يُسألُ عن شيءٍ، غيرها. فَيُنطَلَقُ بِهِ إِلى بيتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: هٰذَا بَيْتكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ ولكنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ فَأَبْدَلكَ بِهِ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي، فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ. وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدَ؟ فيقول: لا أَدْرِي، فَيقالُ لهُ: لا دَرَيْتَ ولا تَليتَ، فَيقالُ لَهُ: فَمَا كُنتَ تَقُولُ فِي هذا الرَّجُلَ؟ فَيقُولَ: كُنتُ أَقُولُ ما يَقُولُ النَّاسُ، فَيضربه بِمطْرَاقٍ من حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيحَةً يَسْمَعُهَا الخَلْقُ غَيْرَ الثَّقَلَينِ»**.

---

١٤٢ ـ [رواه أحمد (١٢٢٧٣ ـ ١٣٤٤٦ ـ١٣٤٤٧/ ٤) والبخاري (١٣٣٨) و(١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) وأبو داود (٣٢٣١) و(٤٧٥١) والنسائي في «المجتبى» (٢٠٤٨) وفي «الكبرى» (٢١٧٦/ ١) وابن حبان (٣١٢٠) واللفظ الأول للبخاري برقم (١٣٣٨)].

١٤٣ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ، عُرِضَ عَلَيْه مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالعَشيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هٰذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ»** (متفق عليه).

وفي رواية عند مسلم بلفظ: **«إِذَا مَاتَ الرَّجُلَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغُدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَالجَنَّةُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَالنَّارُ»** قَالَ: **«ثُمَّ يُقَالُ: هٰذَا مَقْعَدَكَ الَّذِي تُبْعَثُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**.

ومعنى قوله ﷺ: **«إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة»** اتحد فيه الشرط والجزاء لفظاً، ولا بد فيه من تقدير. قال التوربشتي: التقدير إن كان من أهل الجنة فمقعده من مقاعد أهل الجنة، يُعرض عليه. وقال الطيبي: الشرط والجزاء إذا اتحدا لفظاً دلَّ على الفخامة، والمراد أنه يرى بعد البعث من كرامة اللّٰه تعالى ما ينسيه هذا المقعد. اهـ.

وأما لفظ مسلم **«إن كان من أهل الجنة، فالجنة»** أي فالمعروض الجنة.

١٤٤ ـ وعن فاطمةَ بنتِ المنذرِ عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضيَ الله عنهما أنها قالت: **«أتيتُ عائشةَ** رضيَ الله عنها زوجَ النبيِّ ﷺ **حينَ خَسَفَتِ الشمسُ فإذا الناسُ قيامٌ يُصلُّونَ، وإذا هي قائمةٌ تصلِّي. فقلت: ما للناسِ؟ فأشارت بيدِها إلى السماءِ وَقالت: سُبحانَ الله، فقلتُ: آية؟ فأشارتْ أي نعم. قالت: فقمتُ حتى تَجلَّاني الغَشيُ، فجعلتُ أصبُّ فوقَ رأسي الماءَ.**

فلما انصرفَ رسولُ الله ﷺ حمِدَ الله وَأثنى عليهِ ثمَّ قال: **«ما مِن شيءٍ كنتُ لم أرَهُ إلاَّ قد رأيتهُ في مَقامي هذا، حتى الجنةُ والنارُ. وَلقد أُوحِيَ إليَّ أنّكم تُفتَنونَ في القُبورِ مثلَ ـ أو قريباً مِن ـ فتنةِ الدَّجّالِ** (لا أدري أيتهما قالت أسماءُ)، **يُؤتى أحدُكم فيقالُ لهُ: ما عِلمُكَ بهذا الرجلُ؟ فأما المؤمنُ ـ أو الموقِنُ ـ (لا أدري أيتهما قال أسماء)، فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدىٰ فأجَبْنا وآمنّا واتبعنا، فيقال له: نَمْ صالحاً، فقد علمنا إن كنت لموقناً. وأما المنافِقُ أو المرتابُ ـ** (لا أدري أيّتهما ذلك قالت أسماءُ) **فيقولُ: لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُه»**. (متفق عليه).

١٤٥ ـ وعن أسماء رضي الله عنها تحدث عن النبيّ ﷺ قالت: **«إذا دَخلَ الإنسانُ قَبرَهُ فإنْ**

---

١٤٣ ـ [رواه مالك في «موطئه» في الجنائز (٥٦٤) وأحمد (٤٦٥٨/ ٢) والبخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦) والترمذي (١٠٧٢) والنسائي في «المجتبى» (٢٠٧١) وفي «الكبرى» (٢١٩٧/ ١) وابن ماجه (٤٢٧٠) وغيرهم، واللفظ الأول للبخاري].

١٤٤ ـ [رواه مالك في «موطئه» (٤٤٧) والبخاري (٨٦) ومسلم (٩٠٥) وأحمد (٢٦٩٩١/ ١٠) وأبو عوانة (٣٦٨/ ٣٧٠/ ٢) وابن حبان (٣١١٤) والبغوي في «شرح السنة» (١١٣٧)، واللفظ للبخاري].

١٤٥ ـ [رواه أحمد (٢٧٠٤٤/ ١٠) وبلفظ قريب رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣٠/ ٢٤) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٢٦٨/ ٣)، وقال: رواه أحمد، وروى الطبراني منه طرفاً في «الكبير» ورجال أحمد رجال الصحيح].

كانَ مُؤمِناً أَحَفَّ بِهِ عَمَلُهُ الصَّلاةُ والصِّيامُ» قال: «فيأتيهِ الملَكُ مِنْ نَحوِ الصَّلاةِ فَتَرُدُّهُ وَمِنْ نَحْوِ الصِّيامِ فَيَرُدُّهُ» قال: «فيناديهِ اجْلِسْ» قال: «فَيَجْلِسُ فيقولُ لَهُ: ماذا تقولُ في هٰذا الرَّجُلِ» ـ يعني: النبيّ ﷺ؟ ـ قال: مَنْ؟ قال: محمد قال: أنا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ الله ﷺ» قال: «يقولُ: وَما يُدْرِيكَ، أَدْرَكْتَهُ؟ قال: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ الله» قال: «يقولُ: على ذلكَ عِشْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ» قال: «وَإِنْ كانَ فاجراً أو كافراً» قال: «جاءَ المَلَكُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ يَرُدُّهُ» قال: «فَأَجْلَسَهُ» قال: «يقولُ: اجْلِسْ، ماذا تقولُ في هذا الرَّجُلِ؟ قال: أيّ رَجُلٍ؟ قال: محمدٌ قال: يقولُ: والله ما أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يقولُونَ شيئاً فَقُلْتُهُ» قال: «فَيقولُ لَهُ المَلَكُ: عَلَى ذلكَ عِشْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ».

قال: «وَتُسَلَّطُ عَلَيْهِ دَابَّةٌ في قَبْرِهِ مَعَهَا سَوْطٌ ثَمرتُهُ جَمْرَةٌ مِثْلُ عرفِ البَعِيرِ تَضْرِبُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، صَمَّاءُ لا تَسْمَعُ صَوْتَهُ فَتَرْحَمَهُ». (رواه أحمد).

١٤٦ ـ وعن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: جاءت يهودية فاستطعمت على بابي، فقالت: أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر، قالت: فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما تقول هذه اليهودية؟ قال: «وما تَقُولُ؟» قلت: تقول: أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر.

قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مَدّاً يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: «أما فِتْنَةُ الدَّجَّالِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلاَّ قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ وَسَأُحَذِّرُكُمُوهُ تَحذيراً لَمْ يَحَذِّرْهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ إنهُ أَعْوَرُ، وَاللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَيسَ بِأَعْوَرَ، مَكتوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقرَؤُهُ كُلُّ مُؤمِنٍ، فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أُجْلِسَ في قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ وَلاَ مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيقولُ: الإِسْلامِ فيقالُ: ما هٰذَا الرَّجُلُ الذي كانَ فيكم؟ فيقولُ: محمّد رَسُولُ الله ﷺ ـ جاءَنا بِالبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُفرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيها يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً، فَيقالُ لَهُ، انظُرْ إِلَى ما وَقَاكَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ثُمَّ يُفرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِها وَما فِيها، فَيُقالُ لَهُ: هٰذا مَقْعَدُكَ مِنها، وَيُقالُ: على اليَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيهِ مِتَّ، وَعَلَيهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ الله.

وإذا كانَ الرَّجُلُ السُّوءُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَزِعاً مَشْعُوفاً، فَيُقالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ فيقولُ: لا أَدْرِي، فَيُقالُ: ما هذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ فيقولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلاً فَقُلْتُ كَما قَالُوا، فَتُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلى زَهْرَتِها وَما فِيها، فَيُقالُ لَهُ: انْظُرْ إِلى مَا صَرَفَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَنْكَ، ثُمَّ يُفرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيهَا يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً، وَيُقالُ لَهُ: هذَا مَقْعَدُكَ مِنها، كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيهِ مِتَّ، وَعَلَيهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ الله، ثُمَّ يُعَذَّبُ».

---

١٤٦ ـ [رواه أحمد (٩/٢٥١٤٣) وإسناده صحيح، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٤٢٦٥) وعزاه لأحمد، ولم يأتِ على إسناده بشيء!].

١٤٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذا قُبِرَ أَحدُكُمْ أو الإنسانُ، أتاهُ مَلَكانِ أَسْوَدَانِ أَزرقانِ، يُقَالُ لأحدِهما: المنكر والآخرُ: النَّكِيرُ، فيقولانِ لَهُ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرجلِ محمدٍ؟ فهو قائلٌ ما كانَ يَقُولُ.**

فإنْ كانَ مُؤْمِناً قالَ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ورسولُهُ أشهدُ أنْ لا إله إلاَّ اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ. فيقولان لَهُ: إنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ إنَّكَ لَتَقُولُ ذلكَ، ثم يُفسَحُ لَهُ في قبره سَبْعُونَ ذِراعاً في سَبْعِينَ ذراعاً، ويُنَوَّرُ لَهُ فيهِ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الذي لا يُوقِظُهُ إلا أَحَبُّ أهلِهِ إليهِ حتى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذلكَ.

وإنْ كانَ منافقاً، قالَ: لا أَدْرِي كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يقولونَ شيئاً، فَكُنْتُ أَقولُهُ، فيقولانِ لَهُ: إنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أنكَ تقولُ ذلكَ، ثم يُقَالُ للأرضِ: التئِمي عَلَيْهِ، فتلتئِمُ عليهِ حتى تَخْتَلِفَ فيها أَضْلاعُهُ، فلا يَزَالُ مُعَذَّباً حتى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلكَ» (رواه ابن حبان).

١٤٨ ـ ومن طريق أبي عمرو الضرير، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**والَّذِي نَفْسي بيدِهِ، إنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِهِمْ حينَ يُوَلُّون عنه، فإنْ كانَ مؤمناً كَانتْ الصَّلاةُ عندَ رأسِهِ، والزَّكاةُ عن يَمينِهِ، والصَّومُ عن شِمَالِهِ، وفِعْلُ الخَيْراتِ، والمعروف والإحسانُ إلى الناسِ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فيؤتَى مِنْ قِبَلِ رأسِهِ، فتقولُ الصَّلاةُ: ليس قِبَلِي مَدْخَلٌ، فيُؤتَى عن يَمينِهِ، فتقولُ الزكاةُ: ليس مِنْ قبلي مَدْخلٌ، ثمَّ يُؤتَى عن شِمَالِهِ، فيقولُ الصَّومُ: ليس [من] قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثمَّ يُؤتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فيقولُ فِعْلُ الخيراتِ والمعروفُ والإحسانُ إلى الناسِ: ليس مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ.**

فيقالُ له: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ وقد مُثِّلَتْ له الشَّمسُ للغُروبِ، فيُقَالُ له: ما تقولُ في هذا الرجلِ الذي كان فيكم؟ يَعْنِي: النبيَّ ﷺ ـ فيقولُ: أشهدُ أنَّهُ رسولُ اللَّهِ جاءَنا بالبَيِّناتِ من عندِ رَبِّنا، فصدَّقْنا واتَّبَعْنا، فيُقَالُ له: صَدَقْتَ، وعلى هذا حَيِيتَ، وعلى هذا مِتَّ، وعليه تُبْعَثُ إن شاءَ اللَّهُ، فيُفسَحُ له في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، فذلكَ قولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فيُقَالُ: افْتَحُوا له باباً إلى النَّارِ، فيُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ، فيُقَالُ: هذا كان مَنْزِلُكَ لو عَصَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فيَزْدَادُ غِبْطَةً وسُروراً، ويُقالُ له افْتَحُوا له باباً إلى الجنَّةِ فيُفْتَحُ له، فَيُقَالُ: هذا مَنْزِلُكَ،

---

١٤٧ ـ [رواه ابن حبان (٣١١٧) والترمذي (١٠٧١) والآجري في «الشريعة» (٥/ ٣٦٥) وإسناده جيد. واللفظ لابن حبان].

١٤٨ ـ [رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٦٣٠/٣) والحاكم (١٤٠٣/١) وعبد الرزاق (٦٧٠٣) وابن حبان (٣١١٣) والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٦٧) وفي «الاعتماد» (٢٢٠/ ٢٢٢) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٢٦٩/٣) وعزاه للطبراني في الأوسط، وقال: وإسناده حسن].

وما أَعَدَّ اللَّهُ لكَ، فيَزْدَادُ غِبْطَةً وسُرُوراً، فَيُعَادُ الجِلْدُ إلى ما بَدَأَ منه، وتُجعَلُ رُوحُهُ في نَسَمِ طَيرٍ تَعْلَقُ في شَجَرِ الجنَّةِ.

وأمَّا الكافِرُ، فيُؤتَى في قَبْرِهِ مِن قِبَلِ رَأسِهِ، فلا يُوجَدُ شيءٌ، فيُؤتَى من قِبَلِ رِجلَيهِ فلا يُوجَدُ شيءٌ، فيَجلِسُ خائِفاً مَرْعوباً، فيُقَالُ له: ما تقولُ في هذا الرجلِ الذي كانَ فيكم، وما تَشْهَدُ به؟ فلا يَهتَدِي لاسْمِهِ، فيُقالُ: محمدٌ ﷺ فيقولُ: سمعتُ النَّاسَ يقولونَ شيئاً، فقلتُ كما قالوا. فيُقَالُ له: صَدَقْتَ، على هذا حَيِيتَ، وعليه مِتَّ، وعليه تُبْعَثُ إنْ شاءَ اللَّهُ. فيُضَيَّقُ عليهِ قَبْرُهُ حتَّى تَختَلِفَ أَضْلاعُهُ، فذلكَ قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

فيُقالُ: افْتَحوا له باباً إلى الجَنَّةِ، فَيُفتَحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ، فيُقالُ له: هذا كان مَنْزِلُكَ وما أَعَدَّ اللَّهُ لكَ لو أنت أَطَعْتَهُ، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وثُبُوراً، ثمَّ يُقالُ له: افْتَحوا له باباً إلى النَّارِ، فيُفتَحُ له بابٌ إليها، فيُقالُ له: هذا مَنْزِلُكَ وما أَعَدَّ اللَّهُ لكَ، فيَزْدَادُ حَسْرَةً وثُبُوراً» [رواه الطبراني].

قال أبو عمرَ: قلتُ لِحَمَّادِ بنِ سلمةَ: كان هذا من أهلِ القِبْلَةِ؟ قال: نعمْ.

قال أبو عمرَ: كأنَّه يَشْهَدُ بهذهِ الشَّهادةِ على غيرِ يَقينٍ يَرْجِعُ إلى قَلْبِهِ، كان يَسْمَعُ الناسَ يقولونَ شيئاً فَيَقُولُهُ.

١٤٩ ـ ومن طريق أبي حازم، عن أبي هريرة ـ أحسِبه رفعة قال: **«إنَّ المؤمنَ يَنْزِلُ به الموتُ، ويُعاينُ ما يُعايَنُ، فودَّ لو خَرَجَتْ** ـ يعني: نفسه ـ **والله يُحِبُّ لقاءَه فإنَّ المؤمنَ يُصْعَدُ بروحِهِ إلى السَّماءِ، فتأتيه أرواحُ المؤمنينَ، فَيَستَخبِرُونَهُ عن مَعَارِفِهم من أهلِ الأرضِ، فإذا قال: تركتُ فُلاناً في الدُّنيا أعْجَبَهُمْ ذلكَ، وإذا قالَ: إنَّ فُلاناً قد مَاتَ، قالوا: ما جِيءَ به إلينا. وإن المؤمنَ يَجْلِسُ في قَبْرِهِ فيُسألُ: من ربُّه؟ فيقول: ربيَ الله، فيقول: من نبيُّك؟ فيقول: نبيي محمدٌ ﷺ قال: فما دينُك؟ قال: دينيَ الإسلامُ، فيُفتَحُ له بابٌ في قَبْرِهِ فيقولُ ـ أو يقالُ ـ انظرْ إلى مَجْلِسِكَ، ثم يرى القَبْرَ، فكأنَّما كانت رَقْدَةً فإذا كان عدوُّ الله، نزلَ به الموتُ، وعاينَ ما عَايَنَ، فإنَّهُ لا يُحِبُّ أن تَخْرُجَ روحهُ أبداً، والله يُبْغِضُ لقَاءَهُ فإذَا جَلَسَ في قَبْرِهِ، أو أُجْلِسَ يُقالُ له: من ربُّك؟ فيقول: لا أدري، فيقال: لا دَرَيْتَ، فَيُفتَحُ له بابٌ من جهنَّم، ثمَّ يُضرَبُ ضَرْبَةً تُسْمِعُ كلَّ دَابَّةٍ إلا الثقلين، ثم يقال له: نَمْ كما يَنام المَنهُوشُ»** ـ فقلت لأبي هريرة: ما المنهوش: قال: الذي تَنْهَشُهُ الدوابُّ والجَنَادِبُ ـ **«ثم يُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ»** [رواه البزار].

١٥٠ ـ وَعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في جنازةِ رَجُلٍ مِنَ

---

١٤٩ ـ [رواه البزار (٨٧٤)، وتعقبه بقوله: في الصحيح طرف منه، اهـ. وإسناده حسن. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٢٧١/٣) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، خلا سعيد بن بحر القراطيس فإني لم أعرفه].

١٥٠ ـ [رواه أحمد (١٨٥٥٩ ـ ١٨٦٣٧/٦)... وأبو داود (٤٧٥٣) والطيالسي (٧٥٣) والحاكم (١٠٧/١) وعبد الرزاق (٦٧٣٧) والآجري في «الشريعة» (ص٣٦٧/ ٣٧٠) وصححه ابن القيم في «تهذيب السنن» (٣٣٧/ ٤)].

الأَنْصَار فَانْتهينَا إلى القَبْرِ وَلَمَّا يُلْحدُ فَجلَسَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وكأنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّير وفي يدهِ عُودٌ يَنْكتُ في الأرضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا باللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» مرتين أو ثلاثاً.

ثم قال: «إنَّ العَبْدَ المؤمِنَ إذا كانَ في انقطاع من الدّنيا وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ نزلَ إليهِ ملائكةٌ مِنَ السَّماءِ بيضُ الوُجُوهِ كأنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ، كَفَن مِنْ أكْفَانِ الجَنَّةِ وَحُنُوطٌ مِنْ حُنُوطِ الجَنَّةِ حتى يَجلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثم يجيءُ مَلَكُ المَوْتِ عَلَيْهِ السَّلامُ حتى يجلسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فيقول: أَيَّتُها النَّفسُ الطَّيِّبَةُ اخرُجِي إلى مَغْفِرَةٍ مِنَ الله وَرِضوانٍ».

قال: «فَتَخْرُجُ تسيلُ كما تسيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقاءِ فيأخُذُها فإذا أخذَها لَمْ يَدعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَينٍ حتى يَأخُذُوها فيَجْعَلُوها في ذلِكَ الكَفَنِ وَفِي ذلِكَ الحنوطِ ويخرجُ منها كأطْيَبِ نفحةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ الأرْضِ».

قال: «فَيَصْعَدُونَ بها فلا يَمُرُّونَ يعني بها على ملإٍ مِنَ الملائكَةِ إلاّ قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيقولون: فلانُ بنُ فلانٍ بأحْسَنِ أسْمَائِهِ التي كانوا يُسَمُّونَهُ بها في الدُّنيا حتى يَنْتَهُوا بها إلى السَّماءِ الدُّنيا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلى السَّماءِ التي تَلِيها حتى ينتهي بِهِ إلى السّماءِ السَّابِعَةِ فيقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: «اكْتُبُوا كتابَ عَبْدِي في عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إلى الأرْضِ فإنِي منها خَلَقْتُهُمْ وَفِيها أُعِيدُهُمْ، وَمِنها أُخرِجُهُمْ تارَةً أُخرَى».

قال: «فَتُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ فيأتِيهِ مَلَكَانَ فَيُجلِسَانه فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقُول: رَبِّي الله فيقولان لَهُ: ما دِينُكَ فيقولُ: دِيني الإسلامُ فيقولانِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقول: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ فيقولان له: وما علمك؟ فيقولُ قَرَأْتُ كِتابَ الله فآمَنْتُ بِهِ وصَدَّقْتُ فَيُنادِي مُنادٍ في السَّماءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فافرُشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ وَافتَحُوا لَهُ باباً إلى الجَنَّةِ».

قال: «فيأتِيهِ مِنْ رُوحِها وَطِيبِها وَيُفسَحُ لَهُ في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ» قال: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ حَسَنُ الثيابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فيقولُ: أَبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ هٰذا يَوْمُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يجيءُ بالخَيرِ؟ فيقولُ: أنا عَمَلُكَ الصّالِحُ فيقولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حتى أَرْجِعَ إلى أَهْلِي وَمالِي».

قال: «وإنَّ العَبْدَ الكافِرَ إذا كانَ في انقطاعٍ مِنَ الدُّنيا وَإِقْبالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إلَيْهِ مِنَ السَّماءِ ملائكةٌ سُودُ الوُجُوهِ معهم المسوحُ، فيجلسونَ منه مدَّ البَصَرِ ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فيقولُ: أَيَّتُها النَّفسُ الخبيثةُ اخرُجي إلى سَخَطٍ مِنَ اللّه وغَضَبٍ» قال: «فَتَفَرَّقُ في جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُها كما يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوف المبلولِ فيأخُذُها فإذا أخذَها لم يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتى يَجْعَلُوها فِي تِلْكَ المسوحِ ويخرجُ منها كأنْتَنِ رِيحِ جيفَةٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ الأرْضِ فيصعدونَ بها فَلا يَمُرُّونَ بها على ملإٍ مِنَ المَلائكةِ إلاّ قالوا: ما هٰذا الرُّوحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فلانُ بْنُ فلانٍ بأقبحِ أَسْمائِهِ التي كان يُسَمَّى بها في الدنيا حتى يُنْتَهَى بِهِ إلى السَّماءِ الدُّنيا فَيُسْتَفْتَحُ لهُ فلا يُفْتَحُ لَهُ».

ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] **فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: اكتبوا كتابهُ في سِجِّين في الأرْضِ السُّفلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً»** ثم قرأ: «﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. **فتعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكانِ فَيُجْلِسانِهِ فيقولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولانِ له: ما دينُكَ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان لهُ: ما هٰذا الرَّجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هاه هاه لا أدرِي فينادِي منادٍ مِنَ السَّماءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرُشُوا لَهُ مِنَ النارِ وافتَحُوا لَهُ باباً إلى النّارِ فيأتِيهِ مِنْ حَرِّها وَسَمُومِها وَيَضيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ وَيأْتِيهِ رَجلٌ قَبيحُ الوَجْهِ قَبيحُ الثّيابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هٰذا يَوْمُكَ الذي كُنتَ توعَدُ فيقولُ: مَنْ أَنتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يجيءُ بالشَّرِّ فيقولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبيثُ فيقولُ: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةِ».**

الشرح: قوله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي. . .» قال القرطبي في «المفهم»: هذا إخبار من النبي ﷺ عن غير الشهداء، فإنه قد تقدم أن أرواحهم في حواصل طير تسرح في الجنة، وتأكل من ثمارها. وغير الشهداء؛ إما مؤمن، وإما غير مؤمن.

فغير المؤمن، هو الكافر، فهذا يرى مقعده من النار غدواً وعشياً، وهذا هو المعنى بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وعند هذا العرض تدرك روح الكافر الألم، والتخويف، والحزن، والعذاب بالانتظار ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فنسأل الله العافية كما أنه يحصل للمؤمن عند عرض الجنة من الفرح، والسرور، والتنعم بانتظار المحبوب، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فإذا أعيدت الأرواح إلى الأجساد استكمل كل فريق منهم ما أعدّ الله له. قال: وقد حصل من مجموع الكتاب والسُّنَّة، أن الأرواح باقية بعد الموت، وأنها متنعمة، أو معذبة إلى يوم القيامة.

قال: وهذا الحديث وما في معناه يدل على أن الموت ليس بعدم، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ومفارقة الروح للبدن، ويجوز أن يكون هذا العرض على الروح وحده، ويجوز أن يكون عليه مع جزء البدن. والغداة والعشي، إنما هما بالنسبة إلى الحي، لا بالنسبة إلى الميت، إذ لا يتصور في حقه شيء من ذلك.

وقال ابن التين: يحتمل أن يريد بالغداة والعشي، غداة واحدة وعشية واحدة يكون العرض فيها، ومعنى قوله ﷺ: **«حتى يبعثك الله»** أي لا تصل إليه إلى يوم البعث، ويحتمل أن يريد كل غداة وكل عشي اهـ. والأول أظهر لموافقته الأحاديث المتقدمة في ذلك.

وقوله ﷺ: «فيقال لا دريت ولا تليت» قال ثعلب: أصله: تلوت، أي لا فهمت ولا قرأت القرآن. والمعنى: لا دريت ولا اتبعت من يدري! وقيل: صوابه: ولا ائتليت ـ بوزن افتعلت ـ من

قولهم: ما ألوت، أي ما استطعت، حكى ذلك عن الأصمعي، وبه جزم الخطابي. وقال الفراء: أي قصرت. كأنه قيل له لا دريت ولا قصرت في طلب الدارية، ثم أنت لا تدري. وقال الأزهري: الألو يكون بمعنى الجهد، وبمعنى التقصير وبمعنى الاستطاعة.

وقوله ﷺ **«ثم يضرب بمطرقة من حديد»** وقد وقع عند البخاري بلفظ **«ويضرب بمطارق من حديد ضربة..»** (١)وكذا وقع عند أبي داود. قال الكرماني: الجمع مؤذن بأن كل جزء من أجزاء تلك المطرقة مطرقة برأسها مبالغة.

وقوله ﷺ **«فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»** أي يسمعه كل الخلق إلا الجن والإنس. سموا بالثقين لثقلهما على الأرض.

وقوله ﷺ **في حديث السيدة عائشة: «فإذا كان الرجل الصالح أُجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف»** قال أهل اللغة: الشَّعف: شدة الفزع، حتى يذهب بالقلب.

فائدة: في تلك الأحاديث وغيرها إثبات عذاب القبر، وأن الميت يحيا في قبره للمسألة، وهي إعادة عارضة، كما حيي خَلق لبعض الأنبياء لمسألتهم لهم عن أشياء ثم عادوا موتى. وفيها ذم التقليد في الاعتقادات لمعاقبة من قال: كنت أسمع الناس يقول شيئاً فقلته. وفيه أن الملائكة المختصين بسؤال أهل القبور يسألون الكفار، ومن شاء الله من الموحدين.

١٤ ـ باب في فتنة هذه الأمة في قبورها، وما جاء في تثبيت أهل الإيمان

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

١٥١ ـ عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدريّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدتُ مَعَ رسولِ اللّهِ ﷺ جَنَازةً، فَقَال رَسُولُ اللّهِ ﷺ **«يَا أَيُّها النّاسُ إنَّ هٰذِهِ الأمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِها، فإذا الإنْسَانُ دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، جاءَهُ مَلَكٌ في يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعِدَ، قال: ما تقولُ في هذا الرَّجُل؟ فإنْ كَانَ مُؤْمِناً قال: أشْهَدُ أَنْ لاَ إلٰهَ إلا الله وَأَنَّ محمَداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فيقولُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إلى النّارِ، فيقولُ هٰذا كَانَ مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بربِّكَ، فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ فَهٰذا منزِلُكَ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إلى الجَنّةِ فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إلَيهِ، فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ، وَيُفْسَحُ لَهُ في قَبْرِهِ.**

وَإنْ كانَ كَافِراً أَوْ مُنَافِقاً يقولُ لَهُ: مَا تَقُولُ في هٰذا الرَّجُلِ؟ فيقولُ لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقولُونَ شَيْئاً، فَيقولُ: لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ وَلا اهْتَدَيْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ له بابٌ إلى الجنة، فيقولُ: هٰذا

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٤).

١٥١ ـ [رواه أحمد (١١٠٠٠/٤) والبزار (٨٧٢) ـ كشف الأستار ـ وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٢٦٣/٣) وقال: رواه أحمد والبزار، وزاد: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾. ورجاله رجال الصحيح].

مَنزِلُكَ لَوْ آمَنتَ بِرَبِّكَ فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِهِ، فإنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أَبْدَلَكَ بِهِ هٰذا، وَيُفْتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ، ثم يَقْمَعُهُ قَمْعَةً بِالمِطْرَاقِ يَسْمَعُها خَلْقُ الله كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ».

فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراقٌ إلا هِيْلَ عند ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]». (رواه أحمد).

ومعنى: (**إلا هيل عند ذلك**). أي فزع حينئذ.

١٥٢ ـ وعن أبي الزبير أَنَّهُ سَأَلَ جابر بْنِ عَبْدِ اللّهِ عن فتاني القبر فقال: سَمِعْتُ النَّبي ﷺ يَقُولُ: «**إنَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى في قُبُورِها، فإذا أُدْخِلَ المُؤْمِنُ قَبْرَهُ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ جاءَ مَلَكٌ شَدِيدُ الانْتِهارِ فيقُولُ لَهُ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هٰذا الرَّجُلِ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: أقولُ إنَّهُ رَسُولُ الله وَعَبْدُهُ فيقولُ لَهُ المَلَكُ: انظُرْ إلى مَقْعَدِكَ الذِي كانَ في النَّارِ قَدْ أَنْجَاكَ الله مِنْهُ وَأَبْدَلَكَ بِمَقْعَدِكَ الذِي تَرَى مِنَ النَّارِ مَقْعَدَكَ الذِي تَرَى مِنَ الجَنَّةِ فَيَرَاهُما كِلاهُما فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: دَعُونِي أُبَشِّرْ أَهْلِي فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ.**

وأمّا المُنَافِقُ فَيُقْعَدُ إذا تَوَلَّى عَنْهُ أَهْلُهُ فَيُقَالُ لَهُ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هٰذا الرَّجُلِ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي أَقُولُ ما يَقُولُ النَّاسُ فيُقَالُ لَهُ: لا دَرَيْتَ هٰذا مَقْعَدُكَ الذي كانَ لَكَ مِنَ الجَنَّةِ قَدْ أُبْدِلْتَ مَكانَهُ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ».

قال جابر: فَسمعتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ في القَبْرِ على ما ماتَ، المُؤْمِنُ على إيمانِهِ، وَالمُنافِقُ على نِفَاقِهِ**». (رواه أحمد).

الشرح: قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي يثبتهم على كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» وعلى الإيمان في هذه الحياة فلا يزيغون ولا يفتنون ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي عند سؤال الملكين في القبر، كما تقدم، وكما جاء عند البخاري وغيره من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**إذا أُقعد المؤمن في قبره، أُتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فذلك قوله**: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي لا يهديهم في الحياة ولا عند سؤال الملكين وقت الممات.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت يا رسول الله، تُبتلى هذه الأمة في قبورها، فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة؟

---

١٥٢ - [رواه أحمد (١٤٧٢٨/ ٥) وعبد الرزاق (٦٧٤٤) و(٦٧٤٦) والطبراني في «الأوسط» (٩٠٧٢) وهو حديث صحيح، واللفظ لأحمد].

(١) رواه البخاري (١٣٦٩).

قال ﷺ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾»(١).

وقوله ﷺ: «**ثم يقمعه قمعة بالمطراق**» قال أهل اللغة: المِقمعة ـ بالكسر ـ واحدة المقامع، وهي سياط تعمل من حديد، رؤوسها معوجة: وفي الحديث «**فينقمع العذاب عند ذلك**». أي يرجع ويتداخل. ويقال: انقمع الرجل، أي دخل البيت وتغيب. والمراد هنا بقوله ﷺ: «**ثم يقمعه قمعة بالمطراق**» أي يضربه بالمطراق، ضربة، فتدخل رأسه وتغيب فيه.

١٥ ـ باب في نزع روح الكافر

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠ و٥١].

١٥٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّفْسِ: اخرجي، قَالَتْ: لاَ أَخْرُجُ إِلاَّ كَارِهَةً، قَالَ: أَخرجي وَإِنْ كَرِهْتِ**». (رواه البزار).

الشرح: **قوله** ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى للنفس**» أي للروح والخطاب هنا كما يفيد السياق لروح الكافر، أو العاصي، بدليل أنها لا تخرج طائعة، بل قالت: «**لا أخرج إلا كارهة**» وذلك لما تُبشر به من سخط الله تعالى وما أعده لها من عذاب وأهوال.

قوله جل وعلا: «**أخرجي ولو كرهت**» ذلك أن الأجل أتى ولا تبديل ولا تأخير. قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، أي موقتاً بالوقت المعلوم، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

وها هو النبي الكريم ﷺ وهو سيد البشر على الإطلاق يُخيَّرُ عند موته فيختار جوار ربه جل وعلا ويقول: «**الرفيق الأعلى**» ففي «صحيح البخاري» وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يُقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخيَّر**» فلما نزل به ورأسه على فخذي غُشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: «**اللهم الرفيق الأعلى**» فقلت: إذا لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح، قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها «**اللهم الرفيق الأعلى**»(٢).

---

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٤٢٧٢) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

١٥٣ ـ [رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢١٩) والبزار (١/٧٨٣) ـ كشف الأستار ـ وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٣٩٢٤) وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات اهـ. واللفظ للبزار].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٤٦٣).

١٦ ـ باب استحباب طلب الوفاة على الإسلام، والدفن في الأرض المقدسة، أو نحوها. ومحبة لقاء الله تعالى

قال الله تعالى إخباراً عن نبيه يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال تعالى إخباراً عن سليمان ـ عليه السلام ـ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

١٥٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«جَاءَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ»** قَالَ: **«فَلَطَمَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ الموتِ فَفَقَأَهَا»** قَالَ: **«فَرَجَعَ المَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي»** قَالَ: **«فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الحَيَاةَ، فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَما تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ رَبِّ، أَمِتْنِي مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، رَمْيَةً بِحَجَرٍ»**.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«وَاللَّهِ، لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لأَرَيْتُكُم قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»**. (متفق عليه).

ورواه أحمد من طريق يونس، عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«قَدْ كَانَ مَلَكُ المَوْتِ يَأْتِي النَّاسَ عَيَاناً»** قَالَ: **«فَأَتَىٰ مُوسَىٰ فَلَطَمَهُ لَطْمَةً فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَأَتَى رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَقَالَ: يَا رَبِّ عَبْدُكَ مُوسَىٰ فَقَأَ عَيْنِي، وَلَوْلاَ كَرَامَتُه عَلَيْكَ لَعَنُفْتَ بِهِ ـ** وقال يونس: **لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ ـ فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلى عَبْدِي فَقُلْ لَهُ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جِلْدٍ أَوْ مِسْكِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ يَدُهُ سَنَةٌ. فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: مَا بَعْدَ هٰذَا؟ قَالَ: الموتُ. قَالَ: فَالآنَ. قَالَ فَشَمَّهُ شَمَّةً فَقَبَضَ رُوحَهُ»**.

قال يونس: **«فَرَدَّ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَيْنَهُ، وَكَانَ يَأْتِي النَّاسَ خُفْيَةً»** (١).

ومعنى قوله: (لعنفت به) من العنف، وهو ضد الرفق. يقال: أعنفته أنا، وعنفته تعنيفاً، عيرته ولمته، ووبخته بالتقريع. ومسك الثور: جلده.

ومعنى وارت يده: أي غطت.

الشرح: قوله ﷺ **«جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام. . . وقد فقأ عيني»** قال أهل

---

١٥٤ ـ [رواه أحمد (٣/٧٦٥٠) والبخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢) والنسائي (٢٠٨٨) وعبد الرزاق (٢٠٥٣٠) وابن حبان (٦٢٢٣) واللفظ لمسلم].

(١) رواه الإمام أحمد (٣/١٠٩٠٤).

العلم: كان مجيء ملك الموت إلى موسى عليه السلام على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليها، وكان موسى غيوراً، فرأى في بيته رجلاً لم يعرفه، فلطمه ففقأ عينه. فكان فعل موسى عليه السلام مباحاً، ولا حرج عليه في فعله.

فلما علم موسى عليه السلام أنه ملك الموت، وأنه جاءه بالرسالة من عند الله تعالى، طابت نفسه بالموت، ولم يستمهل، وقال: **«فالآن من قريب»** فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت، لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به.

وأما قوله عليه السلام: «ثم مه» هي: هاء السكت، وهو استفهام، أي: ثم ماذا يكون أحياة أم موت.

وقوله عليه السلام: «رب أمتني من الأرض المقدسة» قال بعض أهل العلم: وإنما سأل الإدناء، ولم يسأل نفس بيت المقدس، لأنه خاف أن يكون قبره ـ عليه السلام ـ مشهوراً عندهم، فيفتتن به الناس، وفي هذا استحباب الدفن من المواضع الفاضلة، والمواطن المباركة، والقرب من مدافن الصالحين. **أقول**: وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن نبي الله ﷺ قال: **«من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل، فإني أشفع لمن مات بها»** (١)رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح على شرط البخاري.

وقوله ﷺ «لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر» (٢).

خاتمة وفضيلة:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: استَبَّ رَجُلٌ مِنَ المسلمينَ ورجُلٌ مِنَ اليهود، فَقَالَ المُسْلمُ: والَّذِي اصْطَفىٰ مُحَمَّداً ﷺ عَلَى العَالَمينَ ـ في قَسَم يُقْسِمُ بِهِ ـ فَقَالَ اليَهوديُّ وَالذي اصْطَفىٰ موسىٰ على العَالمين. فرفَعَ المسلمُ عندَ ذٰلكَ يدَهُ فلطم اليهوديَّ، فذهبَ اليهوديُّ إلى النبيْ ﷺ فأخبرَهُ الذي كان من أمرِهِ وأمرِ المُسْلِم، فَقَالَ: **«لاَ تُخيِّروني عَلَى مُوسىٰ، فَإِنَّ النَاسَ يَصعَقونَ فَأَكونُ أولَ مَن يُفيقُ، فإذا مُوسىٰ بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكانَ فيمَن صَعِقَ فَأَفاقَ قَبلي، أَوْ كَانَ ممَّن استثنىٰ الله»**. (متفق عليه).

ورواه مسلم من طريق عَبْدِ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئاً، كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ ـ شَكَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ ـ قَالَ: لاَ. وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى الْبَشَرِ! قَالَ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ. قَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى الْبَشَرِ! وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْداً وَقَالَ: فُلاَنٌ لَطَمَ وَجْهِي.

---

(١) رواه أحمد (٢/٥٤٣٨) وغيره.

(٢) الكثيب: الرمل المجتمع مثل الهضبة الصغيرة.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» قَالَ: قَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ: وَالَّذِي اصْطفى مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَى الْبَشَرِ! وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. قَالَ فَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى عُرِفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ.

ثُمَّ قَالَ: «لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ. فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى. فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ. أَوْ فِي أَوَّل مَنْ بُعِثَ. فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ آخِذٌ بِالْعَرْشِ. فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ. أَوْ بُعِثَ قَبْلِي. وَلاَ أَقُولُ: إِنَّ أَحَداً أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلاَمُ».

والمراد بقوله ﷺ : «أو كان ممن استثنى الله» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية [الزمر: ٦٨].

١٧ ـ باب ما جاء في كلام الجنازة

١٥٥ ـ عَنْ أَبي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي. وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ». (رواه البخاري).

١٥٦ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِذَا مِتُّ فَلاَ تَضْرِبُوا عَلَيَّ فُسْطَاطاً وَلاَ تَتْبِعُونِي بِنَارٍ، وَأَسْرِعُوا بِي إِلَى رَبِي، فَإِنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا وُضِعَ العَبْدُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَلَى سَرِيرِهِ قَالَ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالَ: وَيْلَكُم أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِي». (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ : «إذا وضعت الجنازة» يحتمل أن يريد بالجنازة نفس الميت، وبوضعه؛ جعله في السرير، ويحتمل أن يريد السرير، والمراد؛ وضعها على الكتف والأول أولى، لقوله ﷺ بعد ذلك: «فإن كانت صالحة قالت» فإن المراد به الميت. ويؤيده الرواية الثانية: «إذا وضع العبد أو الرجل الصالح على سريره قال: قدموني» الحديث. وظاهره أن قائل ذلك هو الجسد المحمول على الأعناق.

وقال ابن بطال: إنما يقول ذلك الروح، ورده ابن المنير بأنه لا مانع أن يرد الله الروح إلى الجسد في تلك الحال ليكون ذلك زيادة في بشرى المؤمن وبؤس الكافر. وتعقبه الحافظ ابن حجر

---

١٥٥ ـ [رواه أحمد (١١٥٥٢/ ٤) والبخاري (١٣٨٠) والنسائي (١٩٠٨) وعبد الرزاق (٦٢٥٠) وابن حبان (٣٠٣٨) والبيهقي (٢١/ ٤) واللفظ للبخاري].

١٥٦ ـ [رواه أحمد (١٠١٤٣/ ٣) والنسائي (١٩٠٧) والطيالسي (٢٣٣٦) وابن حبان (٣١١١) والبيهقي (٢١/ ٤) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

بقوله: وهو بعيد، ولا حاجة إلى دعوى إعادة الروح إلى الجسد قبل الدفن، لأنه يحتاج إلى دليل، فمن الجائز أن يُحدث الله النطق في الميت إذا شاء. وكلام ابن بطال فيما يظهر لي أصوب. وقال ابن بزيزة: قوله ﷺ في آخر الحديث «**يسمع صوتها كل شيء**» دال على أن ذلك بلسان القال، لا بلسان الحال. ذكره في «الفتح».

وقوله ﷺ: «**فإن كانت صالحة، قالت: قدموني، قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها**» فيه دليل على أن الميت يعرف ما سيحل به من ثواب وعقاب قبل أن يدخلا في حفرتهما. وقد تقدم على أن الميت يعرف ذلك عند النزع. والله أعلم.

وقوله ﷺ: «**قالت: يا ويلها أين تذهبون بها**» وفي بعض طرق الحديث عند البخاري «**قالت لأهلها، يا ويلها. .**» الحديث. قال الطيبي: أي لأجل أهلها، إظهاراً لوقوعه في الهلكة، وكل من وقع في الهلكة دعا بالويل. ومعنى النداء: يا حزني. وأضاف الويل إلى ضمير الغائب حملاً على المعنى كراهية أن يضيف الويل إلى نفسه، أو كأنه لمّا أبصر نفسه غير صالحة، نفر عنها وجعلها كأنها غيره.

أما ما جاء في الرواية الثانية، فإنها تقول: «**ويلكم، أين تذهبون بي**» مخاطباً أهله أو من يحمله. وفي اللفظ الأول فإنه الكافر يصيح ويولول على نفسه لما يرى من أحوال وأهوال تنتظره، وفي اللفظ الثاني، فإنه يصيح ويولول على من يحمله إلى مصيره المظلم. وكأنه تارة يولول على نفسه وتارة يولول على من يحمله لشدة ما بُشر به من هول وبؤس وعذاب، ولكن الله تعالى حجب عن الناس سماع صوته رحمه بعباده وشفقة عليهم.

١٨ ـ باب في استغفار ودعاء الولد الصالح لوالديه بعد وفاتهما

١٥٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلعَبْدِ الصَّالِحِ في الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هٰذِهِ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**». (رواه أحمد).

وفي لفظ عند البيهقي: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ العَبْدَ الدَّرَجَةَ، فَيَقُولُ رَبِّ أَنَّى لِي هٰذِهِ الدَّرَجَةَ؟ فَيَقُولُ: بِدُعَاءِ وَلَدِكَ لَكَ**».

الشرح: قوله ﷺ: «**إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**» وفي الرواية الثانية «**بدعاء ولدك لك**» وفيه دلالة على أن

---

١٥٧ ـ [رواه أحمد (٣/١٠٦١٥) وابن ماجه (٣٦٦٠) والطبراني في «الأوسط» (٥١٠٤) والبزار (٣١٤١) ـ كشف الأستار ـ وأخرجه باللفظ الأخير البيهقي (٧٨ ـ ٧/٧٩) والبغوي في «شرح السنة» (٥/١٣٩٦) ورجال إسناده رجال الصحيح، غير عاصم من بهدلة، وهو ثقة. وقال البوصيري في «الزوائد» إسناده صحيح، رجاله ثقات. وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٦) من طريق أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، موقوفاً عليه].

استغفار الولد أو دعاؤه لوالديه بعد موتهما يصل إليهما ويزيد في علو درجاتهما، شريطة صلاح الولد كما جاء مفسراً في الحديث الذي رواه مسلم وغيره، من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله، إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»**[1].

قال القرطبي: هذه الثلاث خصال إنما جرى عملها بعد الموت على من نسبت إليه، لأنه تسبب في ذلك، وحرص عليه، ونواه. ثم إن فوائدها متجددة بعده دائمة، فصار كأنه باشرها بالفعل، وكذلكِ كل من ما سنَّهُ الإنسان من الخير، فتكرر بعده، بدليل قوله ﷺ: **«من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»**[2].

قال: وإنما خصَّ هذه الثلاثة بالذكر في هذا الحديث، لأنها أصول الخير، وأغلبُ ما يقصد أهل الفضل بقاءه بعدهم. والصدقة الجارية بعد الموت هي الحُبُس، وفيه ما يدل على الحضّ على تخليد العلوم الدينية بالتعليم، والتصنيف، وعلى الاجتهاد في حمل الأولاد على طريق الخير والصلاح، ووصيتهم بالدعاء عند موته، وبعد الموت.

وفي الحديث، فضيلة الزواج لرجاء الولد الصالح، وفيه علو درجات العبد بدعاء ولده له. واستجابة هذا الدعاء، لما رواه مسلم وغيره من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل»** وفي لفظ له: **«من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به، آمين، ولك بمثل»**[3].

وفي رواية له من حديث أم الدرداء رضي الله عنها، قالت: كان النبي ﷺ يقول: **«دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به، آمين، ولك بمثل»**[4] وهذا كله فيمن كان دعاؤه لأخيه بظهر الغيب، فكيف بمن دعا لأبويه أو لأحدهما؟ فإن ذلك يكون أكثر إجابة وأعظم أجراً وأرفع درجة، وهو من باب البر، والإحسان إلى الوالدين، وهو يندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ وتحت قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ ويندرج أيضاً تحت قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾.

١٩ ـ باب فيمن مات له أطفال لم يبلغوا الحنث

١٥٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٦٣١).
(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٠١٧).
(٣) رواه مسلم (٢٧٣٢).
(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢٧٣٣).

١٥٨ ـ [رواه أحمد (٣/١٠٦٢٧) وأبو يعلى (١٠/٦٠٧٩) والنسائي في «المجتبى» (١٨٧٥) وفي «الكبرى» (١/٢٠٠٤) والبيهقي (٤/٦٨) وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

ثَلاثَةُ أَوْلادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلاَّ أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الجَنَّةَ. قَالَ: يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَجِيءَ أَبَوَانَا» قَالَ ثَلاثُ مَرَّاتٍ فَيَقُولُون مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: «فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُم وَأَبَوَاكُمْ» (رواه أحمد).

وعند النسائي: **«فَيُقَالُ: ادْخُلُوا الجَنَّة أَنْتُم وَآبَاؤُكُمْ»**.

١٥٩ ـ وروى مسلم وغيره، من طريق أبي حسان، قال: قلت لأبي هريرة: **إِنَّه قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تَطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: نَعَمْ «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الجَنَّةِ، يَتَلَقَّىٰ أَحَدُهُمْ أَبَاهُ ـ أو قال ـ أَبَوَيْهِ، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ ـ أو قال ـ بِيَدِهِ، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هٰذَا، فَلاَ يَتَنَاهىٰ ـ أو قال ـ فَلاَ يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الجَنَّةَ»**.

الشرح: قوله ﷺ: «ما من مسلمين» أي زوجين **«يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث»** بكسر الحاء وسكون النون ـ أي الذنب. والمراد أنهم لم يبلغوا الحلم، فتكتب عليهم الآثام. قال في «العين»: بلغ الغلام الحنث، أي جرى عليه القلم، **والحنث**: الذنب.

قال الراغب: عبر بالحنث عن البلوغ لما كان الإنسان يؤاخذ بما يرتكبه فيه بخلاف ما قبله، وخصَّ الإثم بالذكر لأنه الذي يحصل بالبلوغ لأن الصبي قد يثاب، وخصَّ الصغير بذلك لأن الشفقة عليه أعظم والحب له أشد، والرحمة له أوفر، وعلى هذا فمن بلغ الحنث لا يحصل لمن فقده ما ذُكر من هذا الثواب، وإن كان في فقد الولد أجر في الجملة.

وتعقبه الزين بن المنير بقوله: بل يدخل الكبير في ذلك من طريق الفحوى، لأنه إذا ثبت ذلك في الطفل الذي هو كلٌّ على أبويه، فكيف لا يثبت في الكبير الذي بلغ معه السعي ووصل له منه النفع وتوجه إليه الخطاب بالحقوق؟.

أقول: وبالله التوفيق، أن الذي لم يبلغ الحنث، لا يكون قد جرى عليه القلم، وليس يعيقه شيء عن دخول الجنة سوى رحمة الله تعالى، بخلاف من بلغ الحلم وارتكب ما يكون قد ارتكبه من آثام، فله من المعوقات ما يكفيه. وفي التنزيل ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

قوله ﷺ: «إلا أدخله الله وإياهم بفضل رحمته الجنة» أي بفضل رحمة الله تعالى للأولاد. وفي البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: **«ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»**[(١)]. وفي البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النساء قلن للنبي ﷺ: اجعل لنا يوماً. فوعظهن وقال: **«أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد، كانوا لها حجاباً من النار»** قالت امرأة: واثنان؟ قال: **«واثنان»**[(٢)].

---

١٥٩ ـ [رواه أحمد (١٠٣٣٥ ـ ٣/١٠٦٢٥) ومسلم (٢٦٣٥) واللفظ له].

(١) رواه البخاري (١٢٤٨). (٢) رواه البخاري (١٢٤٩).

وفي البخاري أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»**[1] ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. قال أبو عبيد: والقسم مقدر، أي والله إن منكم إلا واردها اهـ. والورود هنا اجتياز الصراط المنصوب فوق جهنم، ولا بد من وروده لبلوغ الجنة. قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢]. قيل: وقوله تعالى: ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ أي قسماً واجباً، والله أعلم.

وقوله ﷺ: **«فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم»** وفيه عظيم رحمة الله تعالى بعباده، وعلى وجه الخصوص والمبتلين منهم والصابرين. وفي الحديث، أن أولاد المسلمين في الجنة، وأنه يغفر للآباء بفضل رحمة الله تعالى لهم. وفيه عظيم أجر من احتسب أجره على الله تعالى.

وقوله ﷺ: **«صغارهم دعاميص الجنة»** الدعاميص من دواب الماء، واحدها دعموص ـ بضم الدال ـ قال القرطبي: بهذا التفسير وجدته في كتب اللغة والغريب. ولا يليق هذا المعنى بالدعاميص الذي في الحديث إلا على تشبيه الدعاميص بتلك الدويبة، أو غوصهم في نعيم الجنة، وفيه بُعد. وسمعت من بعض من لقيت، أن الدعموص الآذِنُ على الملك ـ أي الحاجب بين يدي صاحب الشأن ـ والمتصرف بين يديه، وهذا يناسب ما في الحديث.

وقوله ﷺ: **«كما آخذ أنا بصنفة ثوبك»** قال أهل اللغة: صنفة الثوب، وصنيفته: طرفه. وحاشيته وجنبه من أي طرف كان.

٢٠ ـ باب في ثواب من مات صفيه، واحتسبه عند الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

١٦٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ»**. (رواه البخاري).

قوله ﷺ: **«يقول الله تعالى ما لعبدي عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا» الصفي**: الحبيب المصافي، كالولد، والأخ، وكل من يحبه الإنسان، والمراد بالقبض، قبض روحه وهو الموت.

الشرح: وقوله جل وعلا: «ثم احتسبه» أي صبر على فقده راجياً الأجر من الله تعالى على تلك المصيبة. وأصل الحسبة ـ بالكسر ـ الأجرة، والاحتساب: طلب الأجرة من الله تعالى خالصاً.

---

(١) رواه البخاري (١٢٥١).

١٦٠ ـ [رواه البخاري في الرقاق (٦٤٢٤)].

وقوله جل وعلا: **«إلا الجنة»** أي ثواباً وأجراً له على جده واحتسابه. وقد أخرج النسائي بإسناد حسن، من طريق عُمر بن سعيد بن أبي حسين؛ أن عمرو بن شعيب كتب إلى عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي حسين يعزيه بابن له هلك، وذكر في كتابه أنه سمع أباه يُحدث عن جده عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض، فصبر واحتسب، وقال ما أُمر به، بثواب دون الجنة»**(١).

ومعنى قوله ﷺ: **«وقال ما أُمر به»** يشير إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

خاتمة: روى الترمذي وأحمد وغيرهما. واللفظ له، بإسناد لا يخلو من مقال، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: يا ملك الموت قبضت ولد عبدي؟ قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده؟ قال: نعم، قال: فماذا قال؟ قال: حمدك واسترجع. قال: ابنوا له بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد»**(٢).

وأخرج أحمد وغيره، بإسناد صحيح، من طريق معاوية بن قرَّة، عن أبيه قال: إن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال له النبي ﷺ: **«أتحبه»** فقال: يا رسول الله، أحبك الله كما أحبه، ففقده النبي ﷺ فقال: **«ما فعل ابن فلان»**؟ قالوا: يا رسول الله، مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: **«أما تحب أن تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك»** فقال رجل: يا رسول الله، أله خاصة أو لكلنا؟ قال ﷺ: **«بل لكلكم»**(٣).

٢١ ـ باب في كيفية السلام على موتى المسلمين، واستحباب زيارة القبور

١٦١ ـ عَنْ مُحمدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَخرمةَ بْنِ المُطَّلِبِ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَتْ السيِّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: أَلاَ أُحَدِّثُكم عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، قُلْنَا: بَلَىٰ. قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُما عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ.

فَلَمْ يَلْبث إلاَّ رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْداً، وَانْتَعَلَ رُوَيْداً، وَفَتَحَ البَابَ فَخَرَجَ. ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْداً. فَجَعَلْتُ دِرْعِي في رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي. ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ البَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ القِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ. فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ

---

(١) رواه النسائي في السنن (١٨٧٠).

(٢) رواه الترمذي (١٠٢١) وأحمد (٧/١٩٧٤٦).

(٣) رواه أحمد (٧/٢٠٣٨٧).

١٦١ ـ [رواه أحمد (١٠/٢٥٩١٣) وعبد الرزاق (٦٧٢٢) ومسلم (١٠٣/٩٧٤) والنسائي (٢٠٣٦) وغيرهم. واللفظ لمسلم].

فَلَيْسَ إلاَّ أَنْ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ. فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا عَائِشُ، حَشْيا رَابِيَةً؟» قَالَتْ: قُلْتُ: لاَ شَيء. قَالَ: «لَتُخْبِرِيني أَوْ لَيُخْبِرني اللَّطِيفُ الخَبِيرُ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسولَ اللهِ، بِأَبي أَنْتَ وَأُمي، فَأَخْبَرْتُهُ.

قَالَ: «فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامي»؟ قُلْتُ: نَعَمْ فَلَهَدَني في صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي. ثُمَّ قَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ»؟ قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمُ النَّاسُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ.

قَالَ: «نعم، فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَاني حِينَ رَأَيْتِ. فَنَادَاني، فَأَخْفَاهُ مِنْكِ. فَأَجَبْتُهُ. فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ. وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ. فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ. وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوحِشِي. فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتي أَهْلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُم» قَالَتْ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولي: السَّلامَ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا والمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُم لَلاَحِقُونَ». (رواه مسلم).

الشرح: قولها رضي الله عنها: (فأخذ رداءه رويداً) أي قليلاً لطيفاً لئلا ينبهها ومعنى **(ثم أجافه)** أي أغلقه. وإنما فعل ذلك عليه الصلاة والسلام، في خفية لئلا يوقظها ويخرج عنها، فربما لحقتها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل. وقولها: **(فجعلت درعي في رأسي)** درع المرأة قميصها، والخمار: هو ما تستر به المرأة رأسها. ومعنى قولها **(وتقنعت إزاري)** أي لبسته ومعنى **(فأحضر، فأحضرت)** الإحضار: العَدْو والجري. أي فعدا فعدوت، فهو فوق الهرولة.

وقوله ﷺ: **«ما لك يا عائش حشيا رابية»** أي مالك قد وقع عليك الحشا. وهو الربو والتهيج الذي يُعرض للمسرع في مشيه والمحتدُّ في كلامه، من ارتفاع النفس وتواتره. ومعنى «رابية» أي مرتفعة البطن.

وقوله ﷺ: **«فأنت السواد»** أي الشخص. ومعنى **(فلهدني في صدري لهدة)** أي دفعني في صدري دفعة **(أوجعتني)**.

٢٢ ـ باب في ذبح الموت يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي﴾ [الفرقان: ٢٧] ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

١٦٢ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالموتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِم، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزناً إِلَى حُزْنِهِم». (متفق عليه).

---

١٦٢ ـ [رواه أحمد (٢/٦٠٠٠) والبخاري (٦٥٤٨) ومسلم (٢٨٥٠) وابن حبان (٧٤٧٤) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/١٨٤ ـ ١٨٣) والبغوي في شرح السنة» (٤٣٦٧)].

وفي رواية عند مسلم بلفظ: **«يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ»**.

وفي لفظ عند أحمد: **«إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ فِي الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، جِيءَ بِالموتِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ لاَ مَوْتٌ، يَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ لاَ مَوْتٌ، فَازْدَادَ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِم، وَازْدَادَ أَهْلَ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ»**.

١٦٣ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنادٍ يا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هلْ تَعْرِفُونَ هٰذا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هٰذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ثُمَّ يُنادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هٰذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ وَيا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ»** ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (متفق عليه).

الشرح: **قوله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة»** أي عن آخرهم، **«وأهل النار في النار، جيء بالموت حتى يوقف بين الجنة والنار، ثم يذبح»** قال الإمام المازي يتأول الحديث على أنه تعالى يخلق هذا الجسم، ثم يُذبح مثالاً. لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة. وقال الإمام القرطبي في «المفهم»: ظاهر هذا الحديث يستحيل، لأن الموت إما عَرَض، أو أمر عدمي، وعلى الوجهين يستحيل أن ينقلب كبشاً، لأن انقلاب الأجناس محال، وتؤول بوجهين:

أحدهما: أن يخلق الله تعالى كبشاً، ويخلق فيه الموت، فإذا رأوه عرفوه، ثم يفعل الله سبحانه فعلاً يشبه الذبح ويعدمه ذلك الفعل حتى يأمن أهل الجنة، فيزدادوا سروراً، وييأس أهل النار، فيزدادوا حزناً على هذا يدل بقية الحديث.

والثاني: أنه تمثيل لعدم الموت، لأن الموت لما عُدِمَ في حق أهل الدارين، صار بمنزلة الكبش الذي ذُبح، وهذا فيه بُعد، والصواب الأول.

وقد جاء في رواية أبي سعيد: **«يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح»** قال القاضي عياض: الأملح النقي، من البياض، قاله ابن الأعرابي، قال الكسائي: هو الذي فيه سواد وبياض، والبياض أكثر. قال بعض أهل المعاني: اختلاف اللونين في هذا التمثيل، يحتمل أنه لاختلاف الحالين، فالبياض لجهة أهل الجنة الذين ابيضت وجوههم، والسواد لأهل النار الذين اسودت وجوههم.

وقوله ﷺ: «فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون» أي يرفعون رؤوسهم.

---

١٦٣ ـ [رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) والترمذي (٣١٥٦)، واللفظ للبخاري].

٩ ـ كتاب الذكر والدعاء

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

١ ـ باب فضل ذكر الله تعالى وأنه لا يفضله شيء

قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

١٦٤ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالى: أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وَأَنا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَني، فَإِنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسي. وَإِنْ ذَكَرَني في مَلإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ. وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَاني يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». (متفق عليه).

وَرواهُ أحمد أَيضاً مِنْ طَرِيقِ الحَسَنِ البصريِّ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَني في مَلإٍ مِنَ النَّاسِ ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَطْيَبَ»(١).

١٦٥ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ ذَكَرْتَني في نَفْسِكَ، ذَكَرْتُكَ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَني في مَلإٍ، ذَكَرْتُكَ في مَلإٍ مِنَ الملائِكَةِ ـ أَوْ قَالَ: في ملإٍ خَيْرٍ مِنْهُم ـ وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْراً، دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعاً، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعاً، دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعاً، وَإِنْ أَتَيْتَني تَمْشِي، أَتَيْتُكَ أُهَرْوِلُ».

قَالَ قَتَادَةُ: فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْرَعُ بِالمَغْفِرَةِ. (رواه أحمد).

---

١٦٤ ـ [رواه أحمد (٧٤٢٦/ ٣)، والبخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) وغيرهم].

(١) رواه أحمد (٨٦٥٨/ ٣) وابن حبان (٨١٢) واللفظ لأحمد. وإسناده صحيح.

١٦٥ ـ [رواه أحمد (١٢٤٠٨/ ٤) وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٥٧٥) وعبد بن حميد في «سننه» (١١٦٩) والبغوي في «شرح السنة» (١٢٥٠) واللفظ لأحمد. وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٧٧٤/ ١٠) وعزاه لأحمد، وقال: ورجاله رجال الصحيح].

١٦٦ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا ذَكَرْتَنِي خَالِياً ذَكَرْتُكَ خَالِياً، وَإِذَا ذَكَرْتَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنَ الَّذِينَ تَذْكُرُنِي فِيهِمْ»** (رواه البزار).

١٦٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»** (رواه أحمد).

وفي لفظ له: **«أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»**.

الشرح: قوله جل وعلا: «أنا عند ظن عبدي بي» قال القاضي عياض: قيل معناه: بالغفران إذا ظنه حين يستغفر، وبالقبول إذا ظنه حين يتوب، وبالإجابة إذا ظنها حين يدعو، وبالكفاية إذا ظنها حين يستكفي، **لأن هذه صفات لا تظهر إلا إذا حسن ظنه بالله تعالى**. اهـ.

وقال الإمام القرطبي: وكذا تحسين الظن بقبول العمل عند فعله إياه. ويشهد لذلك قوله ﷺ: **«ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة»** فينبغي للمستغفر والتائب والداعي والعامل أن يأتوا بذلك موقنين بالإجابة بوعد الله تعالى الصادق، فإنه تعالى وعد بقبول التوبة الصادقة والأعمال الصالحة.

أما لو فعل هذه الأشياء، وهو يظن أن لا تقبل منه ولا تنفعه، فذلك جهل وغرور ويجر إلى مذهب المرجئة. وقد قال ﷺ: **«الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله»** والظن هو ترجيح أحد الجائزين لسبب يقتضي الترجيح، فإذا خلا عن السبب، فإنما هو غرور وتمن. اهـ.

وقال الخطابي في قوله ﷺ: **«ولا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى»** يعني في حسن عمله، لأن من حسن عمله حسن ظنه، ومن ساء عمله ساء ظنه.

وقوله جل وعلا: «وأنا معه إذا ذكرني» قال ابن بطال: معنى الحديث: أنا مع عبدي زمان ذكره لي، أي أنا معه بالحفظ والكلاءة، لا أنه معه بذاته حيث حل العبد.

ومعنى قوله جل وعلا: «تحركت بي شفتاه» أي تحركت باسمي، لا أن شفتيه ولسانه تتحرك بذاته تعالى لاستحالة ذلك. اهـ. ملخصاً.

قال الإمام القرطبي: وأصل الذكر، التذكر بالقلب، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ

---

١٦٦ ـ [رواه البزار (٣٠٦٥) - كشف الأستار - والطبراني في «الكبير» (١٢٤٨٤)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٧٧٦/ ١٠) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، غير بشر بن معاذ العقدي، وهو ثقة].

١٦٧ ـ [رواه أحمد (١٠٩٦٨ ـ ١٠٩٧٥/ ٣) وابن ماجه (٣٧٩٢) وابن حبان (٨١٥) والبغوي في «شرح السنة» (١٢٤٢) وأخرجه الحاكم (١٨٢٤/ ١) من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح. وعلّقه البخاري في التوحيد باب (٤٣) قول الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ (القيامة: ١٦)].

عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، أي تذكروا، ثم يطلق على الذكر اللساني من باب، تسمية الدَّال باسم المدلول، ثم كثر استعماله فيه حتى صار هو السابق للفهم، وأصله مع الحضور والمشاهدة. وقال النووي: ومعنى الحديث: وأنا معه حين يذكرني بالرعاية والهدى، وآية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، معناه بالعلم والإحاطة.

وقوله جل وعلا: «فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي» قال الإمام المازري: النفس تطلق على الدم وعلى نفس الحيوان وعلى الذات وعلى الغيب، ومنه: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، أي في غيبك، والأولان يستحيلان في حقه تعالى، والآخران يصح أن يُرادا.

فمعنى «ذكرته في نفسي»: في ذاتي، والله سبحانه وتعالى له ذات حقيقة، ويصح أن يكون المعنى؛ أن العبد إذا ذكر الله سبحانه خالياً بحيث لا يطلع عليه أحد آتاه من الخير ما لا يطلع عليه أحد، كما قال تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، فأخبر تعالى، بأنه انفرد بعلم ما يجاري به المتقين.

وقوله جل وعلا: «وإن ذكرني في ملإ» الملأ: أشراف الناس ورؤساؤهم، ومُقَدَّموهم الذين يُرجع إلى قولهم. وجمعه: أملاء. «ذكرته في ملأ خير منهم» قال القرطبي: يعني بهم الملائكة عليهم السلام، والمعنى نوه باسمه فيهم، وأمر جبريل عليه السلام أن ينادي بذكره في ملائكة السموات. وهو ظاهر في تفضيل الملائكة عليهم السلام على بني آدم وهو أحد القولين. اهـ. وهو أمر خلافي بين أهل العلم، غير أن النبي ﷺ خارج من هذا الخلاف للإجماع على أنه أفضل الخلق. عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وقوله جل وعلا: «وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» قال ابن الأثير: البوع والباع، سواء، وهو قدر مدُّ اليدين وما بينهما من البدن، وهو ها هنا مثلٌ لقرب ألطاف الله تعالى من العبد إذا تقرب إليه بالإخلاص والطاعة. اهـ.

وقال القاضي عياض: التقرب الحسي والهرولة محالة نسبتهما إلى الله تعالى لاستحالة الحركة عليه. فالذراع كناية عن كثرة الثواب، والهرولة كناية عن سرعة الإثابة. فالمعنى: من أسرع إلي بطاعتي كنت للإثابة إليه أسرع. اهـ.

وقال الإمام النووي: هذا الحديث من أحاديث الصفات، ويستحيل إرادة ظاهره، ومعناه: من تقرب إلي بطاعتي، تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة، وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي، أتيته هرولة، أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أُحوِجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود. والمراد؛ أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقرُّبه. اهـ.

٢ ـ باب في فضل الفاتحة وأجر من قراها

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

١٦٨ ـعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ القُرآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**» (رواه الترمذي).

قال أبو حاتم: معنى هذه اللفظة: «**ما في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن**» أن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب ما يعطي لقارئ أم القرآن، إذ الله بفضله فضّل هذه الأمة على غيرها من الأمم، وأعطاها الفضل على قراءة كلام الله أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه، وهو فضل منه لهذه الأمة، وعدل منه على غيرها.

١٦٩ ـوعن أَبِي السَّائِبِ مَوْلَى هِشَام بْنِ زُهْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ القُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ. هِيَ خِدَاجٌ. هِيَ خِدَاجٌ. غَيْرُ تَمَامٍ**» قَالَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! إِنِّي أَحْيَاناً أَكُونُ وَرَاءَ الإِمَامِ. قَالَ فَغَمَزَ ذِرَاعِي، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ يَا فَارِسِيُّ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي بِنِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي. وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**» قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اقْرَؤوا يَقُولُ العَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يَقُولُ اللَّهُ: تَبَارَكَ وَتَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَيَقُولُ العَبْدُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يَقُولُ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَيَقُولُ العَبْدُ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يَقُولُ اللَّهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي. يَقُولُ العَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فَهَذِهِ الآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ العَبْدُ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. فَهٰؤُلاَءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**». (رواه مالك).

ورواه مسلم عنه رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ القُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ**» ثَلاَثاً، غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الإِمَامِ. فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى. حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي ـ وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي ـ فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. قَالَ: هٰذَا**

---

١٦٨ ـ [رواه أحمد (٢١١٥٢/٨) والترمذي (٣١٢٥) والنسائي (٩١٣) وابن خزيمة (٥٠٠) وابن حبان (٧٧٥) وإسناده صحيح على شرط مسلم. واللفظ للترمذي].

١٦٩ ـ [رواه مالك في «موطئه» في الصلاة (١٨٩) باب «القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة». ومن طريقه أحمد (٧٢٩٥/٣) ومسلم (٣٩٥) وعبد الرزاق (٢٧٦٨) وأبو داود (٨٢١) والترمذي (٢٩٥٣) والنسائي (٩٠٨) وابن ماجه (٨٣٧) وابن حبان (٧٧٦) وابن خزيمة (٤٩٠) وغيرهم].

بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. قَالَ هٰذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

ورواه ابن حبان بلفظ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ غَيْرُ تَمَامٍ» قال: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنِّي أَحْيَاناً أَكُونُ وَرَاءَ الإِمَامِ، قَالَ: فَغَمَزَ ذِرَاعِي، ثُمَّ قَالَ: يَا فَارِسِيُّ اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِبَادِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَنِصْفُهَا لِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، إذا قَالَ الْعَبْدُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَهٰذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، يَقُولُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَمَا بَقِيَ فَلِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فَهٰذَا لِعَبْدِي، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ».

١٧٠ ـ ومن طريق أبي سَعِيد، مَوْلَى عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ؛ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَادَى أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَهُوَ يُصَلِّي. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ لَحِقَهُ. فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ. وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَ سُورَةً؛ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ، وَلاَ فِي الْقُرْآنِ، مِثْلَهَا». قَالَ أُبَيٌّ: فَجَعَلْتُ أُبْطِئُ فِي الْمَشْيِ، رَجَاءَ ذٰلِكَ. ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! السُّورَةَ الَّتِي وَعَدْتَنِي.

قَالَ: «كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟» قَالَ: فَقَرَأْتُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ هٰذِهِ السُّورَةُ. وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي أُعْطِيتُ».

واختلف في تسميتها «مثاني» فقيل لأنها تثنى في كل ركعة أي تُعاد، وقيل لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل لأنها استثنيت لهذه الأمة، لم تنزل على من قبلها.

الشرح: قال الخطابي رحمه الله تعالى: وقوله ﷺ «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» دلالة على أن الفاتحة هي القرآن العظيم، وأن الواو ليست بالعاطفة التي تفصل بين الشيئين، وإنما هي التي تجيء بمعنى التفصيل كقوله تعالى: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] وقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، انتهى.

وقوله ﷺ: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن» قال ابن العربي رحمه الله تعالى: وقوله ﷺ: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها» وسكت عن سائر الكتب، كالصحف المنزلة والزبور وغيرها، لأن هذه المذكورة أفضلها، وإذا كان الشيء أفضل الأفضل، صار أفضل الكل، كقولك: زيد أفضل العلماء. فهو أفضل الناس.

---

١٧٠ ـ [رواه أحمد (٢١٢٥٣/٨) ومالك في «موطئه» (١٨٧) بإسناد صحيح، والدارمي (٣٣٧٣) وغيرهم، واللفظ لمالك].

وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها، حتى قيل؛ إن جميع القرآن فيها، وهي خمس وعشرون كلمة، تضمنت جميع علم القرآن. ومن شرفها أن الله سبحانه وتعالى قسمها بينه وبين عبده، ولا تصح القُربة ـ أي الصلاة ـ إلا بها، ولا يلحق عمل بثوابها، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم، كما صارت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، إذ القرآن توحيد وأحكام ووعظ. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ فيها التوحيد كله.

وبهذا المعنى وقع البيان في قوله عليه السلام لأُبي: «أي آية في القرآن أعظم»؟ قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وإنما كانت أعظم آية لأنها توحيد كلها، كما صار قوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له» أفضل الذكر، لأنها كلمات حَوَت جميع العلوم في التوحيد، والفاتحة تضمنت التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله تعالى.

وأما قوله جل وعلا: «وهي مقسومة بيني وبين عبدي» وفي الحديث الآخر: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين..» فالمراد بالصلاة هنا الفاتحة كما هو مبيناً في اللفظ الأول، قيل: سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها، كقوله ﷺ: «الحج عرفة» وفيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة.

قال العلماء: والمراد قسمتها من جهة المعنى، لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى، وتمجيد وثناء عليه، وتفويض إليه. والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء: وقوله تعالى: «حمدني عبدي وأثنى علي ومجدني»، إنما قاله؛ لأن التحميد الثناء بجميل الفعال، والتمجيد الثناء بصفات الجلال، ويقال: أثنى عليه في ذلك كله، ولهذا جاء جواباً للرحمن الرحيم لاشتمال اللفظين على الصفات الذاتية والفعلية. وقوله: وربما قال فوض إليَّ عبدي وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين، أن الله تعالى هو المنفرد بالملك ذلك اليوم، وبجزاء العباد وحسابهم، والدين الحساب، وقيل: الجزاء ولا دعوى لأحد ذلك اليوم ولا مجاز. وأما في الدنيا فلبعض العباد ملك مجازي ويدعي بعضهم دعوى باطلة، وهذا كله ينقطع في ذلك اليوم هذا معناه، وإلا فالله سبحانه وتعالى هو المالك والملك على الحقيقة للدارين وما فيهما ومن فيهما، وكل من سواه مربوب له عبد مسخر، ثم في هذا الاعتراف من التعظيم والتمجيد، وتفويض الأمر. ما لا يخفى.

وقوله جل وعلا: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل» أي هذا الذي دعا به العبد له، وله ما سأل من الهداية على صراطه المستقيم صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وأن يجنبه طريق المغضوب عليهم من اليهود ولا الضالين أي النصارى.

ومعنى قوله ﷺ في أول الحديث: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب، فهي خداج، فهي خداج غير تمام» قال الهروي: الخداج: النقصان، يُقال خدجت الناقة، إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج، وإن كان تام الخلق. وأخدجته: إذا ولدته ناقصاً، وإن كان لتمام الولادة. فقوله ﷺ: «خداج» أي: ذات خداج، فحذف ذات وأقام الخداج مقامه.

٣ ـ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة

١٧١ ـ عَنِ ابْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هٰذَا بَابٌ مِنَ السَّماءِ فُتِحَ الْيومَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلاّ الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقال: هٰذَا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلاّ الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُما لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ. فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَواتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُما إلاّ أُعْطِيتَهُ**» (رواه مسلم).

وقد جاء عند ابن حبان بلفظ: «**. . . أبْشِرْ بِسُورَتَيْنِ أُوتِيتَهُما لَمْ يُعْطَهُمَا نَبِيٌّ كَانَ قَبْلَكَ**».

١٧٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. قَالَ فَاشْتَدَّ ذٰلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ. فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ! كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ. الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ. وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هٰذِهِ الآيَةُ. وَلاَ نُطِيقُهَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإلَيْكَ الْمَصِيرُ**» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهِ فِي أَثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَلَمَّا فَعَلُوا ذٰلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: «**نعم**»: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قَالَ: «**نَعَمْ**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قَالَ: «**نَعَمْ**» ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: «**نَعَمْ**». (رواه مسلم).

ورواه ابن حبان على شرط مسلم بلفظ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ هٰذِهِ الآيَة ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، أَتَوا النَّبِيَّ ﷺ، فَجَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ، وَقَالُوا: لاَ نُطِيقُ، لاَ نَسْتَطِيعُ، كُلِّفْنَا مِنَ العَمَلِ مَا لاَ نَطِيقُ وَلاَ نَسْتَطِيعُ.

---

١٧١ ـ [رواه مسلم (٨٠٦) والنسائي في «المجتبى» (٩١١) وفي «الكبرى» (٨٠١٤ و ٨٠٢١/ ٤) وفي «عمل اليوم والليلة» (٧٢٢) والطبراني في «الكبير (١٢٢٥٥) وابن حبان (٧٧٨) والبغوي في «شرح السنة» (١٢٠٠) والحاكم (٢٠٥٢/ ١) واللفظ لمسلم].

١٧٢ ـ [رواه أحمد (٩٣٥٥/ ٣) ومسلم (١٢٥) وأبو عوانة (٧٦ ـ ٧٧/ ١) وابن حبان (١٣٩) واللفظ الأول لمسلم].

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُم، سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ».

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قَالَ: «نَعَمْ».

١٧٣ ـ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُم مِنْهَا شَيءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُم مِنْ شَيءٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا».

قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الإِيمَانَ في قُلُوبِهِم، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ـ قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ» ـ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ ـ قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ» ـ ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ـ قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ» ـ. (رواه مسلم).

ورواهُ أَحمد عَلَى شَرطِ الشَيخينِ، مَنْ طَرِيقِ مُجاهدٍ، قَالَ: دخلتُ عَلَى ابنِ عَبَاسٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَباسٍ، كُنتُ عَنْدَ ابنِ عُمَرَ، فقرأَ هٰذِهِ الآيَةَ فَبَكَى. قَالَ: أَيَّةُ آيةٍ؟ قُلْتُ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قَالَ ابن عَبَّاسٍ: إِنَّ هٰذِهِ الآيَةَ حِينَ أُنْزِلَتْ، غَمَّتْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَمّاً شَدِيداً، وَغَاظَتْهُم غَيْظاً شَدِيداً، يَعني، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْنَا إِنْ كُنَّا نُؤَاخَذُ بِمَا تَكَلَّمْنَا. وَبِمَا نَعْمَلُ. فَأما قُلُوبُنا فَلَيْسَتْ بِأَيْدِينَا! فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا». قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. قَالَ: فَنَسَخَتْها هٰذِه الآيَةُ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ـ إلى ـ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦]، فَتُجوِّزَ لَهُم عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَأُخِذُوا بِالأَعْمَالِ.

الشرح: قوله: (بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه) أي صوتاً، والنقيض: صوت الباب عند فتحه.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «أبشر بنورين» قال القرطبي أي بأمرين عظيمين، نَيِّرين، تبين

---

١٧٣ ـ [رواه أحمد (١/٢٠٧٠) و(١/٣٠٧٠) ومسلم (١٢٦) والترمذي (٢٩٩٢) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١٠٥٩) والحاكم (٢/٣١٣٢) وابن حبان (٥٠٦٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٩) وفي «الأسماء والصفات» (٥/ ٢١٠ ـ ٢١١) والطبراني في «الكبير» (١٠٧٦٩) واللفظ الأول لمسلم].

لقارنهما، وتنوّره، وخُصَّت الفاتحة بهذا لما تضمنت جملة معاني الإيمان والإسلام، والإحسان. وعلى الجملة؛ فهي آخذة بأصول القواعد الدينية، والمعاقد المعارفية.

وخُصَت خواتيم سورة البقرة بذلك لما تضمنته من الثناء على النبي ﷺ، وعلى أصحابه رضي الله عنهم، بجميل انقيادهم لمقتضاها، وتسليمهم لمعناها، وابتهالهم إلى الله تعالى، ورجوعهم إليه في جميع أمورهم، ولما حصل فيها من إجابة دعواتهم، بعد أن علموها فخفف عنهم، وغفر لهم ونُصِرُوا، وفيها غير ذلك مما يطول تتبُّعه. اهـ.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة» فيه فضل النبي ﷺ وفضل أمته على سائر الأمم بما خصها الله تعالى به من عظيم فضله وكرمه. وجميل إحسانه، فله الحمد والمنة. وفيه فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، وفيه الإشارة على تعهدهما بالتلاوة والحفظ والتعليم. وأخرج مسلم في «صحيحه» وغيره، من طريق عبد الرحمن بن يزيد، قال: لقيت أبا مسعود عند البيت ـ يريد البيت الحرام بمكة فقلت: حديث بلغني عنك في الآيتين في سورة البقرة، فقال: نعم، قال رسول الله ﷺ: **«الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلة كفتاه»**[(١)] قال العلماء: أي كفتاه من قيام الليل، وقيل من الشيطان، وقيل من الآفات، ويحتمل من الجميع.

وعند أحمد في «المسند»، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خواتيم سورة البقرة من بيت كنزٍ من تحت العرش، لم يعطهن نبي قبلي»**[(٢)] وفي «المسند» أيضاً من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة، فإني أعطيتهما من تحت العرش»**[(٣)].

وقوله ـ عليه السلام ـ: «لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» أي أعطيت أجره وإجابته، وذلك لعظيم فضلهما ولما اشتملتا عليه من الأدعية المطلوبة من العبد تجاه ربه.

وفي قوله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين» أي اليهود والنصارى: **«من قبلكم سمعنا وعصينا»** فيه إشارة إلى قوله تعالى إخباراً عن اليهود: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]. ولقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

وقوله جل وعلا: «نعم» وفي الرواية الثانية: **«قد فعلت»** أي قد استجبت لكم ما طلبتم ودعوتموني به. وهو يفيد معنى الرواية الأولى **«لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»** والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٧).

(٢) الإمام احمد (٢١٤٠٢/٨).

(٣) الإمام أحمد (١٧٣٢٦/٦).

وقوله: **«فتجوز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالأعمال»** هو نحو قوله عليه الصلاة والسلام. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»** متفق عليه. وقد تقدم قوله ﷺ: **«قال الله عز وجل، إذا هَمَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشراً»**[1]، رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤ ـ باب في فضل آية الكرسي

١٧٤ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكلني رسولُ اللَّهِ ﷺ بحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتاني آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعام، فَأَخَذْتَهُ وقلتُ: والله لأرفعنَّكَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إني مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيالٌ، ولي حَاجةٌ شَديدةٌ. قَالَ: فخلَّيتُ عَنْهُ. فأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟»** قَالَ: قُلْتَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدةً وعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: **«أما إنهُ قد كذَبكَ، وَسَيعُودُ»**.

فعرَفتُ أنهُ سيعودُ لِقَولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إنَّهُ سَيعُودُ، فَرَصَدْتهُ، فَجعلَ يَحثو منَ الطَّعَام، فَأَخَذْتَهُ فقلتُ: لأَرفعَنَّكَ إلى رَسُولِ الله ﷺ. قَالَ: دَعْني فإني مُحتاجٌ، وَعَليَّ عِيالٌ، لاَ أَعُودُ. فَرَحِمْتُهُ فخلَّيتُ سَبيلَه. فَأَصْبَحْتُ، فقَالَ لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُك؟»** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَديدةً وعِيالاً، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: **«أَمَّا أَنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعودُ»**.

فَرَصَدْتهُ الثالثةَ، فَجَعَلَ يَحْثو منَ الطَّعَام، فَأَخَذْتَهُ فَقُلْتُ: لأرفعنَّكَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهٰذا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، إِنَّكَ تَزعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ. قَالَ: دَعْني أُعلِّمكَ كلماتٍ يَنفعُكَ اللَّهُ بِها. قلتُ: ما هُنَّ؟ قَالَ: إذا أَوَيتَ إلى فِراشِكَ فاقرَأْ آيَةَ الكُرسيِّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حتَّى تَختِمَ الآيَةَ فإنكَ لن يَزالَ عَلَيْكَ منَ اللهِ حَافِظ، وَلاَ يَقرَبَنَّكَ شَيطانٌ حَتَّى تُصبحَ، فخلَّيتُ سبيلَه.

فَأَصْبحتُ فَقَالَ لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا فَعلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟»** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعلِّمني كَلِماتٍ يَنفَعُني اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: **«مَا هِيَ؟»** قلتُ: قَالَ لي إذا أَويتَ إِلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرسيِّ مِنْ أَوَّلها حتَّى تَخْتِمَ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقَالَ لي: لَنْ يَزالَ عليكَ منَ الله حافظ وَلا يَقربكَ شَيطانٌ حَتَّى تُصْبح، وكَانوا أَحرصَ شيءٍ على الخَيْر.

فَقال النَّبيُّ ﷺ: **«أما إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وهوَ كَذوبٌ. تَعْلَمُ مَنْ تُخاطِبُ مُنذ ثلاثِ ليالٍ يَا أَبا هُرَيْرة؟»** قَالَ: لا. قال: **«ذَاكَ شَيطَانٌ»**. (رواه البخاري).

٥ ـ باب في الحث على الإكثار من قراءة القرآن والاعتناء بترتيله

قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

---

(١) رواه مسلم (١٢٨).

١٧٤ ـ [رواه البخاري (٢٣١١)].

١٧٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ: اقْرَهْ وارقَهْ، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**». وفي رواية له: «**اقرأهْ وارْقَهْ**».

وفي رواية له أيضاً بلفظ: «**فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخرِ آيةٍ تقرؤُهَا**» (١).

وَرَوَاهُ الترمذي والحاكم بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ طَرِيقِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ القُرآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقرَأْ وارْقَ، وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**». (قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح).

١٧٦ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تَرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا**». (رواه أبو داود).

وَرَوَاهُ أحمد بِلفظٍ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تَرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**».

ورواه الحاكم بلفظ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ: أقرهْ وَارْقَهْ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ فِي آخرِ آيةٍ تَقرأُهَا**».

ووقع عند الترمذي بلفظ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا**».

١٧٧ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا دَخَلَ الجَنَّةَ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ، وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ**». (رواه أحمد).

الشرح: اعلم أخي الكريم أن لتلاوة القرآن الكريم ثلاثة مراتب، وهي: **الترتيل**: وهي أفضل المراتب وأحسنها، وعليها كانت قراءة النبي ﷺ. **والحدر**: وهو إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة

---

١٧٥ ـ [رواه أحمد (٣/١٠٠٩٣) والترمذي (٢٩١٥) والحاكم (١/٢٠٢٩) والدارمي (٣٣١١) و(٣٧١٣) وسيأتي أثناء الشرح من رواية الطبراني في «الأوسط»].

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

١٧٦ ـ [رواه أحمد (٢/٦٨١٣) وأبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤) والحاكم (١/٢٠٣٠) وابن حبان (٧٦٦) والبغوي في «شرح السنة» (١١٧٨) والبيهقي (٢/٥٣) كلهم من طريق عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث، وبقية رجال إسناده ثقات رجال الشيخين].

١٧٧ ـ [رواه أحمد (٤/١١٣٦٠) وابن ماجه (٣٧٨٠) وأبو يعلى (١٠٩٤) بإسناد رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عطية العوفي وهوضعيف، لكن يشهد له ما تقدم، فهو صحيح لغيره].

أحكام التجويد وقواعده، ولا بد فيه من مراعاة المرور والقطع والوصل مع الحذر من بتر حرف المدّ وذهاب الغنة. **والتدوير**: وهو التوسط بين الترتيل والحدر.

قوله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة» أي تقول الملائكة لمن صحب القرآن قراءة وعملاً يوم العرض على الله تعالى **«اقره وارقه»** أي اقرأ القرآن وارتق في درجات الجنة، والهاء في الكلمتين للسكت.

قال الإمام الخطابي: جاء في الأثر، أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، يقال للقارىء: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن. فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى دُرُج الجنة، ومن قرأ جزء منها كان رقيه في الدرج على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة اهـ.

وقوله ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة» والله تعالى أعلم كيف يجيء؟ **«فيقول: يا رب حَلِّه»** أي تكرم بإلباسه ما شئت من الحُلل والكسوة **«فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له اقرأ وارق، وتزاد بكل آية حسنة»** وذلك فوق ما حصله من أجر وثواب ومكانة ورفعة.

والحديث رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد فيه مقال بلفظ: **«يجيء القرآن يوم القيامة، كالرجل الشاحب، يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أسهر ليلك، وأظمىء هواجرك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء تاجر، فيعطى المُلك بيمينه، والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسَى والداه حُلّتان لا يقوم لهما الدنيا وما فيها. فيقولان: يا رب، أنّى لنا هذا؟ فيقال لهما: بتعليم ولدكما القرآن. وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ، وارق في الدرجات، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية معك»**[١].

خاتمة: روى مسلم وغيره، من طريق عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر ـ رضي الله عنه ـ بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا! قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارىء لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: **«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»**[٢].

٦ ـ باب إذا تكلم الله تعالى بالوحي

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

١٧٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ**

---

(١) رواه الطبراني (٥٧٦٤/٦). (٢) رواه مسلم (٨١٧).

١٧٨ ـ [رواه أبو داود (٤٧٣٨) وابن حبان (٣٧/١) وإسناده صحيح. وعلقه البخاري في «التوحيد» باب (٣٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾].

بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا. فَيُصْعَقُونَ، فَلاَ يَزَالُونَ كَذٰلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ. حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ، فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ». قَالَ: «فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ، مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الحَقَّ، الحَقَّ». (رواه أبو داود).

ورواه ابن حبان بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلاَ يَزَالُونَ كَذٰلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ. فَإِذَا جَاءَهُمْ، فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ، مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُونَ: الحَقَّ. فَيُنَادُونَ: الحَقَّ، الحَقَّ».

١٧٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هٰكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ».

ووصف ـ سفيان ـ وهو أحد رواة الحديث ـ بكفيه فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ «فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ». (رواه البخاري).

٧ ـ باب فضل القرآن، وأنه محفوظ بحفظ الله تعالى له

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

١٨٠ ـ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، ذَاتَ يَوْم في خُطْبَتِهِ: «أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي، يَوْمِي هٰذَا. كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً، حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ. وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ. وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ. وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً.

وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ. وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَاباً لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ. تَقْرَؤُهُ نَائِماً وَيَقْظَانَ. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشاً. فَقُلْتُ: رَبِّ! إِذاً يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً. قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا

---

١٧٩ ـ [رواه البخاري (٤٨٠٠)... وأبو داود (٣٩٨٩) والترمذي (٣٢٢٣) وابن ماجه (١٩٤) وابن حبان (٣٦) وابن منده في «الإيمان» (٧٠٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص/١٤٧) والحميدي (١١٥١)].

١٨٠ ـ [رواه أحمد (٦/٧٤٩١) ومسلم (٢٨٦٥) والطبراني في «الكبير» (٩٩٢ ـ ١٧/٩٩٣) وعبد الرزاق (٢٠٠٨٨) والطيالسي (١٠٧٩) وابن حبان (٦٥٣)... واللفظ لمسلم].

اسْتَخْرَجُوكَ. وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ. وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ. وَابْعَثْ جَيْشاً نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ. وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ.

قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ. وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِم. وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ.

قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعاً لاَ يَتْبَعُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً. وَالْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَىٰ لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ. وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ». وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ «وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ». (رواه مسلم).

الشرح: قوله جل وعلا: «كل مال نحلته عبداً، حلال» معنى نحلته، أي أعطيته، وفي الكلام حذف، أي قال الله تعالى، كل مال أعطيته عبداً من عبادي فهو له حلال، والمراد: إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة، والوصيلة، والبحيرة، والحامي، وغير ذلك مما حرموه على أنفسهم في الجاهلية.

قوله جل وعلا: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم» الحنيف: هو المائل عن الباطل المتبع للحق. والمراد أن الله تعالى خلق عباده على الإسلام، وفي الحديث: **«كل مولود يولد على الفطرة. . .»** أي على التوحيد والإقرار بربوبية الإله الواحد الأحد.

قوله جل وعلا: «وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» قال الهروي: معنى **«فاجتالتهم عن دينهم»** أي استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل. وقال شمر: اجتال الرجل الشيء، ذهب به، واجتال أموالهم: ساقها وذهب بها.

وقوله ﷺ: «وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» المقت: أشد البغض. قال القاضي عياض: والمراد بهذا النظر قبل بعثة النبي ﷺ، لأن العرب والعجم، كانوا حينئذ ضُلالاً، إلاَّ بقايا من أهل الكتاب، كانوا متمسكين بدينهم الحق من غير تبديل.

قوله جل وعلا: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك» البلاء: الاختبار والتجربة، ويستعمل في الخير والشر. قال النووي: معناه، لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة، وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده، والصبر في الله تعالى، وغير ذلك. وأبتلي بك من أرسلتك إليهم، فمنهم من يظهر إيمانه، ويخلص في طاعاته، ومن يتخلف ويتأبد بالعدواة، والكفر، ومن ينافق.

والمراد أن تمتحنه ليصير ذلك واقعاً بارزاً، فإن الله تعالى إنما يعاقب العباد على ما وقع منهم، لا على ما يعلمه قبل وقوعه، وإلا فهو سبحانه عالم بجميع الأشياء قبل وقوعها، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

قوله جل وعلا: **«وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء»** أي محفوظاً في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على ممر الأزمان، قال القاضي عياض: ويحتمل أنه كناية عن تسهيل حفظه.

وقوله جل وعلا: **«تقرؤه نائماً ويقظان»** قال القاضي عياض: يحتمل أن يريد أنه يوحى إليه في النوم كما يوحى إليه في اليقظة، ولا يبعد أن تنزل آية ثم يريد في النوم أنه يقرؤها. اهـ. مختصراً. وقيل: معناه: يكون محفوظاً لك في حالتي النوم واليقظة.

وقوله ﷺ: **«وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً»** قال القرطبي أي أغيظهم بما أسمع من الحق الذي يخالف أهوائهم وأوذيهم بعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، حتى كأني أحرقهم بالنار، لأنه تعالى أمره بتحريقهم حقيقة لأنهم لم يرد أنه أحرق أحداً منهم. اهـ.

وقوله ﷺ: **«فقلت: رب إذاً يثلغوا رأسي»** أي يشدخوا رأسي ويشجوه: **«فيدعوه خبزة»** أي كما يشدخ الخبز، أي يكسر.

وقوله جل وعلا: **«استخرجهم كما استخرجوك»** قال القرطبي: السين والتاء، زائدتان، أي أخرجهم كما أخرجوك، وهو يدل أن هذا القول، كان منه وهو بالمدينة، لأن أهل مكة هم الذين أخرجوه. وقوله جل وعلا: **«واغزهم نغزك»** قال عياض: أي نعنك وننصرك.

وقوله جل وعلا: **«وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله»** قال القرطبي: هذا يدل أن هذا قبل بدر، لأنه كان يوم بدر في ألف ونيف من أصحابه، فأيده الله تعالى بخمسة آلاف كما نطق به القرآن.

قوله جل وعلا: **«وأهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط..»** أي عادل، ويدخل فيه الرجل في أهله لحديث: **«كل راع مسؤول عن رعيته»** وحديث **«لا يؤمن الرجل في سلطانه»**.

وقوله جل وعلا: **«ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم»** أي ورجل رحيم كثير الرحمة لين القلب لأرحامه وللمؤمنين.

وقوله جل وعلا: **«وعفيف متعفف ذو عيال»** أي ورجل ذو أهل وولد، كثير العفة. **والعفة:** انكفاف عما لا يليق، **والمتعفف:** المتكلف العفة، المترفع عن سؤال الناس رضاً لله تعالى.

وقوله جل وعلا: **«وأهل النار خمسة، الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً، لا يتبعون أهلاً ولا مالاً»** أي وأهل النار خمسة أصناف أولهم: الضعيف الذي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي. وسمي العقل زبراً، لأن الزبر لغة: المنع والزجر. يقال: زبره، أي انتهره ومنعه. ولما كان العقل هو المانع من المفاسد سمي بذلك. قال القرطبي: وهؤلاء القوم الضعفاء العقول، لا يسعون في تحصيل منفعة دينية ولا نفسية، بل يهملون أنفسهم إهمال الأنعام لا يبالون ما يثبتون عليه من حلال وحرام..

وقوله جل وعلا: **«والخائن الذي لا يخفى له طمع»** أي والخائن الذي لا يظهر له طمع **«وإن دق»** أي مهما صغر **«إلا خانه»** والخائن هو الذي يخون ما ائتمن عليه. وقد استوفينا الكلام عليه في **«الموبقات المهلكة»** فانظره هناك.

وأما «الشنظير الفحاش» الفحاش: الكثير الفحش، وأما الشنظير، فقال أهل اللغة: هو سيىء الخلق. وقيل: شنظير القوم: الذي يشتم أعراضهم.

٨ ـ باب في رحمته تعالى وانه أنزل الكتاب على سبعة أحرف تخفيفاً على أمة المصطفى ﷺ

١٨١ ـ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ. فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي. فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ. فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَىٰ قِرَاءَةِ صَاحِبِه. فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاَةَ دَخَلْنَا جَمِيعاً عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ. فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ. وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ. فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ. فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا. فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ. وَلاَ إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي. فَفِضْتُ عَرَقاً. وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقاً.

فَقَالَ لِي: **«يَا أُبَيُّ! أُرْسِلَ إِلَيَّ: أَنِ اقْرَإِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ. فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِأُمَّتِي. اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِأُمَّتِي. وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ. حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ»**. (رواه مسلم).

١٨٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ. قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقَالَ: **«أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ. وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذٰلِكَ»**. ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقَالَ: **«أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ. وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذٰلِكَ»** ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ.

فَقَالَ: **«أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ. وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذٰلِكَ»**. ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ، فَقَدْ أَصَابُوا»** (رواه مسلم).

وأضاة بني غفار: موضع قريب من مكة فوق سرف، قرب التناضب. والأضاة ـ بوزن حصاة ـ الماء المستنقع من سيل أو غيره، ويقال: هو غدير صغير. وبنو غفار: قبيلة من كنانة.

١٨٣ ـ وعن عُبادةَ بْنِ الصَّامتِ، أَنَّ أُبَيَّ بْنِ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: أَقْرَأَنِي

---

١٨١ ـ [رواه أحمد (٢١٢٢٩/٨) ومسلم (٨٢٠) وابن حبان (٧٤٠) والبغوي في «شرح السنة» (١٢٢٧) وغيرهم، واللفظ لمسلم].

١٨٢ ـ [رواه مسلم (٨٢١)، وأبو داود (١٤٧٨) مختصراً، والنسائي (٩٣٨) واللفظ لمسلم].

١٨٣ ـ [رواه أحمد (٢١١٥٠/٨) وهو حديث حسن].

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آيَةً، وَأَقْرَأَهَا آخَرُ غَيْرَ قِرَاءَةِ أُبَيٍّ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَهَا؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَقْرَأَنِيهَا كَذَا وَكَذَا، قَالَ أُبَيٌّ: فما تَخَلَّجَ في نَفْسِي مِنَ الإِسْلامِ، مَا تَخَلَّجَ يَوْمَئِذٍ.

فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ تُقْرِئْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قال: «بَلَى». قَالَ: فَإِنَّ هٰذَا يَدَّعي أَنَّكَ أَقْرَأْتَهُ كَذَا وَكَذَا!.

فَضَرَبَ بِيَدِهِ في صَدْرِي، فَذَهَبَ ذَاكَ، فما وَجَدتُ مِنْهُ شَيئاً بَعْدُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ وميكائيلُ عليهما السلام، فقال جبريل: اقرإ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: اسْتَزِدْهُ، قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَينِ، قَالَ: اسْتَزِدْهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، قَالَ: كُلٌّ شَافٍ كَافٍ» (رواه أحمد).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَقِيتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ أَحْجَارِ المِرَاءِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي أُرْسِلْتُ إِلى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، الرَّجُلُ وَالمَرْأَةُ وَالغُلامُ والجَارِيَةُ وَالشَّيخُ الفَانِي الَّذي لاَ يَقرأُ كِتَاباً قَطُّ».

قَالَ: «إِنَّ القُرآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1] (رواه أحمد).

١٨٤ ـ ورواه الترمذي وغيره من حديث أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: «يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ، مِنْهُمُ العَجُوزُ، وَالشَّيخُ الكَبِيرُ، وَالغُلاَمُ، وَالجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقرأْ كِتَاباً قَطُّ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ القُرآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ».

١٨٥ ـ وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «سَمِعْتُ رَجُلاً يَقرأُ فقلتُ: مَنْ أقرأَكَ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: انطَلِقْ إِلَيْهِ، فَأَتَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ فقلتُ: استقرىءْ هٰذا، فَقَالَ: «اقْرَأْ» فَقَرَأَ فَقَالَ: «أَحْسَنْتَ» فقلتُ لَهُ: أَوَلَمْ تُقرئْني كَذا وَكَذا؟ قَالَ: «بَلَى وَأَنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ» فَقُلْتُ بِيَدِي: قَدْ أَحْسَنْتَ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ في صَدْرِي ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْ أُبَيٍّ الشَّكَّ».

ففضْتُ عَرقاً وامْتَلأَ جَوْفِي فَرَقاً، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أُبَيُّ إِنَّ مَلَكَيْنِ أَتَيَانِي فَقَالَ أَحَدُهُما: اقْرَأْ على حَرْفٍ فقالَ الآخَرُ: زِدْهُ فقلتُ: زِدْنِي، قالَ: اقْرَأْ على حَرْفَيْنِ، فَقَالَ الآخَرُ: زِدْهُ، فَقُلْتُ: زِدْنِي، قال: اقرأْ على ثلاثةٍ، فَقَالَ الآخَرُ: زِدْهُ فَقُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: اقْرَأْ على أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ، قَالَ الآخَرُ: زِدْهُ قُلْتُ: زِدْنِي، قال: اقرأْ على خَمْسَةِ أَحْرُفٍ، قال الآخَرُ: زِدْهُ، قُلْتُ: زِدْنِي: قال: اقرأ

(١) رواه أحمد (٩/٢٣٤٥٨) وإسناده حسن.

١٨٤ ـ [رواه أحمد (٢١٢٦٢ ـ ٨/٢١٢٦٣) والترمذي (٢٩٤٤) وابن حبان (٧٣٩) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال].

١٨٥ ـ [رواه أحمد (٢١٢١٠ ـ ٨/٢١٢١١) وهو حديث حسن].

على سِتَّةٍ، قالَ الآخَرُ: زِدْهُ، قال: اقْرَأ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فالقُرْآنُ أُنْزِلَ على سَبْعةِ أَحْرُفٍ» (رواه أحمد).

وفي لفظ له أيضاً، قال ﷺ: **«أتاني مَلَكانِ فَقالَ أَحَدُهُما لِلآخَرُ، أَقْرِئْهُ، قالَ: عَلَى كَمْ؟ قالَ: حَرْفٍ، قالَ: زِدْهُ»** قالَ: **«حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ»**.

الشرح: قوله: (فسقط في نفسي من التكذيب. ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني، ضرب صدري ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً) أي خجلاً وخوفاً. قال الطيبي رحمه الله تعالى: كان أُبيّ رضي الله عنه من أفضل الصحابة رضي الله عنهم، ومن الموقنين، وإنما طرأ عليه ذلك التلويث بسبب الاختلاف، نزغة من الشيطان، فلما أصابته بركة ضربه ﷺ بيدِه المباركة على صدره، ذهبت تلك الهاجسة وخرجت مع العَرَقَ فرجع إلى اليقين، فنظر إلى الله تعالى خوفاً وخجلاً مما غشيه من الشيطان. اهـ.

وقال الإمام المازري ـ رحمه الله تعالى ـ ينبغي أن يعتقد أن الذي وقع من التكذيب، نزغة من الشيطان، وخطرة لا تستقر، لأن إيمان الصحابة رضي الله عنهم، فوق إيمان من بعدهم. . . اهـ.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه، فقد أصابوا» وعند البخاري ومسلم واللفظ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **« أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده فيزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»**[(١)] قال أهل العلم: أي لم أزل أطلب منه أن يطلب من الله الزيادة في الحرف للتوسعة والتخفيف، ويسأل جبريل ربه سبحانه وتعالى، فيزيده حتى انتهى إلى السبعة.

روى أحمد والنسائي في «الكبرى» وابن ماجه وغيرهم بإسناد حسن، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله أهلين من الناس»** فقيل: من أهل الله منهم؟ قال: **«أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»**[(٢)].

ومعنى **«أهل القرآن»** هم الذين يتعهدونه بالحفظ والتلاوة والتدبر والعمل به وكلما انتهوا من ختمه، عادوا إليه. . . وهكذا. ومعنى قوله ﷺ: **«أهل الله وخاصته»** أي أولياؤه المختصون به، المقربون منه جل وعلا.

٩ ـ باب في بكاء الشيطان واعتزاله عند سجود القارىء للتلاوة

١٨٦ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «إذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ ـ وفي رواية ـ يَا وَيْلِي، أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَد فَلَهُ الجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ». (رواه مسلم).

---

(١) رواه البخاري (٤٩٩١) ومسلم (٨١٩).

(٢) رواه أحمد (١٢٢٧٩/ ٤) والنسائي في «الكبرى» (٨٠٣١)، وابن ماجه (٢١٥) واللفظ لأحمد.

١٨٦ ـ [رواه أحمد (٩٧١٩/ ٣) ومسلم (٨١) وابن ماجه (١٠٥٢) وابن حبان (٢٧٥٩) والبغوي في «شرح السنة» (٦٥٣). واللفظ الأول لمسلم].

ورواه أحمد بلفظ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ، أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ، فَلَهُ الجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ، فَلِيَ النَّارُ».

الشرح: قوله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله. .» قال الإمام السندي: قوله: يا ويله يريد به الشيطان نفسه، وضمير الغيبة إما من الحاكي لكراهة الإضافة إلى النفس صورة، أو لأن الشيطان اعتبر نفسه غائباً تبعيداً لها، لأنه وقع في سوئها. أو يحتمل أنه أراد به آدم. قاله غضباً عليه، حيث خالفه ولم يوافقه. اهـ.

ـ فصل ـ

١٠ ـ باب في فضل الاجتماع على ذكر الله تعالى وأنها سبباً لمغفرة الذنوب، ورضي الله تعالى عنهم. وذكره لهم في الملأ الأعلى. وفضل مجالستهم

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

١٨٧ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلّهِ تَعَالى مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللّهَ تَنَادَوا؛ هَلُمُّوا إِلى حَاجَتِكُم. قَالَ: فَيَحفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُم، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: تَقُولُ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمِدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ.

قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْني؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللّهِ، مَا رَأَوْكَ. قَالَ فَيَقُولُ: كَيفَ لَوْ رَأَوْني؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رأوكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمجِيداً، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً.

قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُوني؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لاَ واللّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً.

قَالَ: فَمِم يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ لاَ وَاللّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ يَقُولُ: فَكَيفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ». (متفق عليه واللفظ للبخاري).

ورواه مسلم بلفظ: «إِنَّ لِلّهِ تبارك وَتَعَالى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلاً يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا

---

١٨٧ ـ [رواه أحمد (٧٤٢٨ ـ ٧٤٢٩ ـ ٧٤٣٠ ـ ٣/٨٩٨٢). . . والبخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩) والترمذي (٣٦٠٠) والحاكم (١/١٨٢١) وابن حبان (٨٥٦ ـ ٨٥٧) والطبراني في «الدعاء» (١٨٩٥) و(١٨٩٦) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/١١٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣١) من طرق عن أبي صالح عن الأعمش عن أبي هريرة رضي الله عنه، بألفاظ متقاربة وبأسانيد صحيحة].

وَجدُوا مَجلِساً فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بأجْنِحَتِهِمْ. حَتّى يَمْلؤوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْن السَّمَاءِ الدنْيَا. فإِذَا تَفَرّقوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلى السَّمَاءِ.

قَالَ فَيَسْأَلُهُمُ اللّهُ عَزّ وَجلّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتم؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْض، يُسَبّحُونَكَ وَيُكَبّرُونَكَ وَيُهَلّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.

قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنّتِي؟ قَالُوا: لاَ. أَيْ رَبِّ! قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَك. قَالَ: وَمِمّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ. يَا رَبِّ! قَالَ: وَهَلَ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟

قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. قَالَ فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجرتُهُمْ مِمّا اسْتَجَارُوا.

قَالَ فَيَقُولُونَ: رَبِّ! فِيهِمْ فُلاَنٌ. عَبْدٌ خَطّاءٌ. إِنّمَا مَرّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ. هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

ورواهُ أحمد بلفظ: «إِنَّ لِلّهِ مَلاَئِكَةً سَيّاحِينَ في الأَرْضِ، فُضلاً عَنْ كُتّابِ النّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلى بُغْيَتِكُم. فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا.

فَيَقُولُ اللّهُ: أَيَّ شَيءٍ تَرَكْتُم عِبادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُون: تَرَكْنَاهُم يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجّدُونَكَ وَيَذْكُرونَكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُون: لاَ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيداً وَتَمْجِيداً وَذِكْراً. فَيَقُولُ: فَأَيَّ شَيءٍ يَطْلِبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الجَنّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا، كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً.

قَالَ: فَيَقُولُ: ومِن أَيِّ شَيءٍ يَتَعَوّذُونَ؟ فَيَقُولُونَ: مِنَ النّارِ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَباً، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفاً.

قَالَ: فَيَقُولُ: إِنّي أُشْهِدُكُم أَنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: فَإِنَّ فِيهِمْ فُلاناً الخَطّاء، لَمْ يَرِدْهُمْ، إِنما جاءَ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمُ القَوْمَ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وفي رواية لأحمد أيضاً بلفظ: «إِنَّ لِلّهِ عَزَّ وَجَلّ ملائِكَةً فُضلاً يَتْبَعُونَ مَجَالِسَ الذّكْرِ يَجْتَمِعُونَ عِند الذكر، فإذا مَرُّوا بمجلسٍ عَلاَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ حَتّى يَبْلُغُوا العَرْشَ فَيقولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلّ لَهُمْ وَهُوَ أعلَمُ: مِنَ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيقولونَ: مِنْ عِنْدِ عَبِيدٍ لَكَ، يَسْأَلُونَكَ الجَنّةَ وَيَتَعَوّذُونَ بِكَ مِنَ النارِ، وَيَسْتَغْفِرُونكَ فَيَقُولُ: يَسْأَلُونِي جَنّتِي هَلْ رَأَوْها فَكَيفَ لَوْ رَأَوْها، وَيَتَعَوّذُون مِن نارِ جَهَنّمَ فَكَيفَ لَوْ رأَوْهَا فإِنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَيقولونَ رَبّنا إِنَّ فيهم عَبْدَكَ الخطّاءَ فُلاناً مَرَّ بِهِمْ لحاجَةٍ لَهُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلّ: أولئكَ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُم».

وفي لفظ له أيضاً: «إِنَّ لِلّهِ عَزَّ وَجَلّ مَلاَئِكَةً سَيّارَةً فُضلاً، يَبْتَغُونَ مَجَالِسَ الذّكْرِ، وَإِذَا وَجَدُوا

مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ فَحَضَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَماءِ الدُّنْيَا، فَإذا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا أَوْ صَعَدُوا إلى السَّماءِ.

قال: فَيَسْأَلُهُمْ الله عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيقولونَ جِئناكَ مِنْ عِنْدِ عِبادٍ لَكَ في الأرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قال: وَماذا يَسْأَلُوني؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قال: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتي؟ قالوا: لا، أي رَبِّ قال: فَكَيْفَ لَوْ قَدْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قال: مِمَّا يَسْتَجِيرُونِي؟ قالوا: مِنْ نارِكَ يا رَبِّ. قال: وَهَلْ رَأَوْا نارِي؟ قالوا: لا. قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ.

قَالَ: فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ وَأَعْطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا وَأَجرتُهُمْ مِمَّا اسْتَجارُوا. قال: فيقولونَ رَبِّ فِيهِمْ فلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إنَّما مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قال: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

ورواهُ الترمذي بلفظ: «إنَّ لِلّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ في الأرْضِ فَضْلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، فَإذَا وَجَدُوا أقْوَاماً يَذْكُرُونَ اللّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى بُغْيَتِكُم. فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إلى سَماءِ الدُّنْيَا.

فَيَقُولُ اللّهُ: عَلَى أيِّ شيءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْني؟ فَيَقولُونَ: لاَ، قَالَ فَيَقُولُ: فَكَيف لَوْ رَأَوْني؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أشَدَّ تَحْمِيداً وَأَشَدَّ تَمْجِيداً، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْراً.

قَال: وَأَيَّ شَيءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الجَنَّةَ قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ. فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا لَهَا أشَدَّ طَلَباً وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً.

قَالَ: مِنْ أيِّ شَيءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لاَ. فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ هَرَباً، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفاً، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذاً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإنِّي أُشْهِدُكُم أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَيَقُولُونَ: إنَّ فِيهِمْ فُلاناً الخَطَّاءَ لَمْ يَرِدْهُم. إنَّما جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ. فَيَقُولُ: هُمْ القَوْمَ لاَ يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ».

١٨٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ لِلّه سَيَّارَةً مِنَ المَلائِكَةِ، يَطْلُبُونَ

---

١٨٨ ـ رواه البزار (٣٠٦٢) ـ كشف الأستار ـ والحميدي (١٨٧٦) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/٢٦٨) وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١/١٥٢) والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/٤٠٤) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٦٧٦٩) والحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٢/٥١٣/٥١٢) وهو حديث حسن ويشهد له ما تقدم. وتعقبه البزار بقوله: وزائدة بن أبي الرقاد: بأهلي، بصري، ليس به بأس، حدث عنه جماعة من أهل البصرة، وإنما كتبنا من حديثه، ما لم نجده عند غيره. اهـ. وقال الهيثمي: رواه البزار من طريق زائدة بن أبي الرقاد، عن زياد النميري، وكلاهما وثق على ضعفه، فعاد هذا إسناد حسن].

حلَقَ الذِّكرِ، فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ، ثُمَّ بَعَثُوا رَائِدَهُم إلى السَّماءِ، إلى رَبِّ العِزَّةِ تَبارَكَ وَتَعَالَى، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَتَيْنَا عَلَى عِبَادٍ مِنْ عِبَادِكَ، يُعَظِّمُونَ آلاءَكَ، وَيَتْلُونَ كِتَابَكَ، وَيُصَلُّونَ عَلَى نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَسْأَلُونَكَ لآخِرَتِهِمْ، وَدُنْيَاهُمْ.

فَيَقُولُ تَبارَكَ وَتَعَالَى: غَشُوهُمْ رَحْمَتي. فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ إِنَّ فِيهِمْ فُلاناً الخَطَّاءُ، إِنَّما اعْتَنَقَهُمْ اعْتِنَاقاً، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: غَشُوهُمْ رَحمتي، فَهُم الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسَهُم». (رواه البزار).

١٨٩ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْم اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، لاَ يُرِيدُون بِذٰلِكَ، إِلاَّ وَجْهَهُ، إِلاَّ نَادىٰ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَغْفُوراً لَكُم، فَقَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتِكُم حَسَنَاتٍ». (رواه البزار).

الشرح: قوله ﷺ: **«إن لله ملائكة سياحين في الأرض»** أي سيارين، من ساح في الأرض، إذا ذهب فيها، وقد جاء مفسراً في الرواية الأولى **«إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق»**.

وقوله ﷺ: **«فُضلاً عن كُتَّابِ النَّاسِ»** أي ملائكة زائدين على الحفظة، ولا وظيفة لهم سوى طلب حلق الذكر.

وقوله ﷺ: **«يلتمسون أهل الذكر»** وفي رواية مسلم **«يَتَّبِعُونَ مجالس الذكر»** أي يبحثون عنهم في مشارق الأرض ومغاربها فإذا وجدوا مبتغاهم، وحصَّلوا مجلساً يُذكر فيه الله تعالى **«تنادوا هلموا إلى حاجتكم»** والمراد بالذكر هنا، كل ما يمت إلى الدين بصلة من تسبيح وتهليل ودعاء وتحميد واستغفار وقراءة للقرآن وللحديث النبوي الشريف وكذا الفقه والسيرة ونحو ذلك مما هو معروف من مدارسة العلم وكذا الصلاة على النبي ﷺ والذكر والدعاء والشورى للدين، إذا ابتغى بها وجه الله تعالى.

وقوله ﷺ: **«فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا»** قال أهل اللغة: حف بالشيء: أحاط به، كما يُحَفُّ الهودج بالثياب كما في «العباب»، وفي «لسان العرب»: أصدقوا به، وأطافوا به، وعكفوا، واستداروا. وفي «التهذيب»: حف القوم بسيدهم، وفي الحديث: «فيحفونهم بأجنحتهم» أي يطغون بهم، ويدورون حولهم.

وقوله جل وعلا: **«هم الجلساء لا يشقى جليسهم»** وعند مسلم. **«هم القوم»** وفي اللام إشعار بالكمال، أي هم القوم كل القوم وقد وقع عند الترمذي بلفظ: **«لا يشقى لهم جليس»** قال في «الفتح»: وهذه الجملة مستأنفة لبيان المقتضى لكونهم أهل الكمال، وقد أخرج جعفر في «الذكر»

---

١٨٩ ـ [رواه أحمد (١٢٤٥٦/ ٤) والبزار (٣٠٦١) ـ كشف الأستار ـ وأبو يعلى (٤١٤١) والطبراني في «الأوسط» وهو حديث حسن. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٧٦٤/ ١٠) وعزاه لأحمد وأبي يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وقال: وفيه ميمون المرئي، وثقه جماعة، وفيه ضعف، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح].

من طريق أبي الأشهب عن الحسن البصري قال: «بينما قوم يذكرون الله إذ أتاهم رجل فقعد إليهم» قال: «فنزلت الرحمة ثم ارتفعت، فقالوا ربنا فيهم عبدك فلان! قال: «غشوهم رحمتي، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» وفي هذه العبارة مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل لسعد بهم جليسهم لكان في غاية الفضل، لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود.

قال: وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر.

وفيه محبة الملائكة بني آدم، واعتناؤهم بهم، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسؤول عنه من المسؤول لإظهار العناية بالمسؤول عنه والتنويه بقدره والإعلان بشرف منزلته.

وقيل: إن في خصوص سؤال الله تعالى الملائكة عن أهل الذكر إشارة إلى قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فكأنه قيل لهم: انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع ما سُلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان، كيف عالجوا ذلك، وضاهوكم في التسبيح والتقديس.

وقيل: إنه يؤخذ من هذا الحديث أن الذكر الحاصل من بني آدم أعلى وأشرف من الذكر الحاصل من الملائكة، لحصول ذكر الآدميين، مع كثرة الشواغل، ووجود الصوارف وصدوره في عالم الغيب، بخلاف الملائكة في ذلك كله.

وفي بيان كذب من ادعى من الزنادقة أنه يرى الله تعالى جهراً في دار الدنيا، وقد ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «... **واعلموا أنكم لم تروا ربكم حتى تموتوا**».

وفي جواز القسم في الأمر المحقق تأكيداً له وتنويهاً به. وفيه أن الذي اشتملت عليه الجنة من أنواع الخيرات. والنار من أنواع المكروهات، فوق ما وصفتا به، وأن الرغبة والطلب من الله تعالى والمبالغة في ذلك من أسباب الحصول[١].

خاتمة: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**إن لله سرايا من الملائكة، تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض. فارتعوا في رياض الجنة**». قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: «**مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكر الله. من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فليعلم كيف منزلة الله عنده، فإن الله تبارك وتعالى، يُنزل العبد حيث أنزله من نفسه**»[٢].

(رواه البزار).

---

(١) فتح الباري (٥١٣ ـ ٥١٤/ ١٢).

(٢) رواه البزار (٣٠٦٤) والحاكم (١٨٢٠/ ١) وأبو يعلى (١٨٦٥) و(٢١٣٨) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٧٦٨/ ١٠) وقال: رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في «الأوسط»، وفيه عمر بن عبد الله مولى عفرة، وقد وثقه غير واحد، وضعفه جماعة. وبقية رجالهم رجال الصحيح.

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ رجال ليسوا بأنبياء، ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم، وقربهم من الله عز وجل»**.

قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: **«هم جُمَّاعٌ من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله، فينتقون أطايب الكلام، كما ينتقي آكل التمر أطايبه»**[1]. (رواه الطبراني).

١١ ـ باب مباهاة الله تعالى ملائكته بمجالس الذكر

١٩٠ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ. فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُم؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُم إلاَّ ذَاكَ؟

قَالُوا: وَاللَّهِ، مَا أَجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لَكُم. وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثاً مِنِّي وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَقَالَ: **«مَا أَجْلَسَكُم»**؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا.

قَالَ: **«آللَّهِ، مَا أَجْلَسَكُم إلاَّ ذَاكَ»** قَالُوا: وَاللَّهِ، مَا أَجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ، قَالَ: **«أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لَكُم، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي؛ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ المَلائِكَةَ»**. (رواه مسلم).

الشرح: قوله رضي الله عنه: (أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم) أي إني لم أستحلفكم لظني بكم سوءاً أو ريبة أو نحو ذلك. و ـ تهمة ـ بفتح الهاء وإسكانها ـ وهي فعلة وفُعلة؛ من الوهم. والتاء بدل من الواو. واتهمته به، أي ظننت به ذلك.

وأما استحلاف معاوية لهم، فهو اقتداء بفعل رسول الله ﷺ مع الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين. وقيل: إن استحلاف النبي ﷺ لهم مع أنه علم ذلك من إخبار جبريل عليه السلام له، فيحتمل أنه سرور بهم كما يفعله بعض الناس بهم، فإنه لا يقصد به إلا السرور.

وقوله ـ عليه السلام ـ: **«أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»** قال القاضي عياض أي يثني عليهم ويظهر فضلهم لديهم. وأصل البهاء: الحسن والجمال. وفلان يباهي بماله وآله؛ أي يفتخر بهم ويتجمل اهـ.

خاتمة: عن أبي مسلم الخولاني قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: **«لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، إلاَّ حَفتهم المَلائِكَةُ، وغشيتهُمُ الرَّحمةُ، وَنَزَلَتْ عليهمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُم اللَّهُ فيمنْ عِنْدَهُ»**[2].

---

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٧٧١) وقال: رواه الطبراني ورجاله موثقون.

١٩٠ ـ [رواه أحمد (١٦٨٣٥) ومسلم (٢٧٠١) والترمذي (٣٣٧٩) والنسائي (٥٤٤١) وابن حبان (٨١٣) وغيرهم. واللفظ لمسلم].

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٠) وغيره.

١٢ ـ باب في فضل «لا حول ولا قوة إلا باللَّه» وفضل قائلها

١٩١ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«أَلاَ أُعَلِّمُكَ ـ أَوْ قَالَ ـ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ، مِنْ كَنْزِ الجَنَّةِ؟ تَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ»** (رواه الحاكم).

وواه أحمد من طريق أبي بلج عن عمرو بن ميمون، قال: قال أبو هريرة: قَالَ لِيَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ كَنْزٍ مِنْ كَنْزِ الجَنَّةِ تَحْتَ العَرْشِ»**.

قَالَ: **«قُلْتُ نَعَمْ فِدَاكَ أَبي وأُمي»**. قَالَ: **«أَنْ تَقُولَ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»** قَالَ أَبُو بَلَجَ: وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: **«فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ»**.

قال: فقلت لعمرو، قال أبو بلج، قال عمرو: قلت لأبي هريرة: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ؟ فَقَال: لاَ إِنَّها في سُورَةِ الكَهْفِ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. قَالَ اللَّهُ: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ»**[١] . (رواه الحاكم).

ومعنى **«لا حول ولا قوة إلا باللَّه»** أي لا حركة ولا قوة إلا بمشيئة اللَّه تعالى. **والحول:** الحركة. ومنه قوله ﷺ: **«اللَّهم بك أصول وبك أحول»** أي اللهم بك أسطو وأقهر، وبك أتحرك. **والصولة:** الحملة، والوثبة.

الشرح: قوله ﷺ: «ألا أعلمك ـ أو قال ـ **أدلك»** الشك من الراوي **«على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة»** أي كلمة أنزلت من تحت العرش من الكنز الذي أنزلت منه خواتيم سورة البقرة، كما جاء عند أحمد بإسناد صحيح، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خواتيم سورة البقرة من بيت كنز من تحت العرش، لم يعطهن نبي قبلي»**[٢] وعند الدارمي مرسلاً من طريق أيفع بن عبد الكلاعي، قال: قال رجل: يا رسول الله أي سور القرآن أعظم؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: فأي آية في القرآن أعظم؟ قال: آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ قال: فأي آية يا نبي الله تحب أن تصيبك وأمتك؟ قال: **«خاتمة سورة البقرة،**

---

١٩١ ـ [رواه أحمد (٣/٨٤٣٤) والنسائي في الكبرى» (٦/٩٨٤١) وفي «اليوم والليلة» (١٣) والحاكم (١/٥٤) والبزار (٣٠٨٦) و(٣٠٨٧) ـ كشف الأستار ـ وأورده المناوي في «فيض القدير» (٣/٢٨٧٠) وتعقبه بقوله بعد أن عزاه للحاكم: وقال ابن حجر: سنده قوي. اهـ. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٦٩١٠) وتعقبه بقوله: رواه أحمد والبزار بنحوه إلا أنه قال: «ألا أدلكم على كلمة من كنز الجنة من تحت العرش» ورجالهما رجال الصحيح غير أبي بلج الكبير، وهو ثقة. اهـ].

(١) رواه الحاكم (١/١٨٥٠) وصححه وأقرّه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) رواه أحمد (٨/٢١٤٠٣).

فإنها من خزائن رحمة الله من تحت عرشه، أعطاها هذه الأمة، لم تترك خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه»[١].

وقد تقدم قول ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: **«هذا باب من السماء فُتح اليوم، لم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين لم يؤتهما نبي قبلك. فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف إلا أعطيته»**[٢].

وقال الطيبي رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: **«من تحت العرش»** صفة كلمة، ويجوز أن تكون «من» ابتدائية، أي: ناشئة من تحت العرش، ويجوز أن تكون بيانية، أي كائنة من تحت العرش ومستقرة فيه. وأما في قوله ﷺ: **«من كنز الجنة»** «من هنا بيانية. وإذا قيل؛ بأن الجنة تحت العرش، والعرش سقفها، جاز أن يكون «من كنز الجنة» بدلاً من قوله ﷺ: **«من تحت العرش»**.

قال: **«وليس هذا الترتيب باستعارة لذكر المشبه، وهو ـ الحوقلة ـ والمشبه به وهو الكنز»**. بل إدخال الشيء في جنس وجعله أحد أنواعه على التغليب. فالكنز نوعان: المتعارف وهو المال الكثير المحفوظ، وغيره وهو هذه الكلمة الجامعة قول: **«لا حول ولا قوة إلا باللّه»** أي أجرها وثوابها مدَّخرٌ لقائلها كالكنز، وثوابها معدٌّ له. وتعقبه القاري بقوله: والمعنى: أنها من الكنوز المعنوية العرشية، وذخائر الجنة العالية العلوية، لا من الكنوز الفانية الحسية السفلية.

ثم ذكر قول ابن حجر، بأنها كلمة أُنزلت من الكنز الذي تحت العرش، وقد سبق أن تحته كنزاً، وأن أواخر البقرة نزلت من ذلك الكنز، وهي أيضاً من كنز الجنة، فـ«من» تبعضية كما صرح به حديث مكحول. اهـ.

أقول: وحديث مكحول هذا رواه الترمذي في الدعوات، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة»**[٣].

قال مكحول: **«فمن قال لا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجى من الله إلا إليه، كشف عنه سبعين باباً من الضرّ أدناهن، الفقر**.

وتعقبه الترمذي بقوله: ليس إسناده بمتصل، مكحول لم يسمع من أبي هريرة. اهـ.

وقوله ﷺ: «تقول لا حول ولا قوة إلا بالله» الحول: الحيلة، وقيل: القوة. وفي هذا القول، إظهار الفقر إلى الله تعالى بطلب المعونة على ما يزاوله من الأمور، وهو حقيقة العبودية.

وقد أخرج البزار من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: كنت عند النبي ﷺ، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقال رسول الله ﷺ **«تدري ما تفسيرها»**؟ قلت: الله

---

(١) الدارمي (٣٣٨٠).

(٢) رواه مسلم (٨٠٦).

(٣) رواه الترمذي (٣٦٠١).

ورسوله أعلم. قال: **«لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله»**[(١)].

قوله ﷺ: **«فيقول الله عز وجل»** قال الطيبي: هذا جزاء شرط محذوف، أي إذا قال العبد هذه الكلمة يقول الله تعالى. قال ابن حجر: أي لملائكته معلماً لهم بكمال قائلها المتحلي بمعناها.

قوله جلا وعلا: **«أسلم عبدي واستسلم»** قال الطيبي: أي فوض أمور الكائنات إلى الله تعالى بأسرها، وانقاد هو بنفسه لله مخلصاً له الدين. اهـ. وقد تقدم القول في «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وأنهن أيضاً من الباقيات الصالحات.

١٣ ـ باب «لا حول ولا قوة إلا بالله» من غراس الجنة

١٩٢ ـ عَنْ أَبِي أَيوبَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَقَالَ: **«مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَها طَيِّبَةٌ، وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»**. (رواه أحمد).

وفي لفظ عند الطبراني: **«لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هٰذَا مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي، وَقَالَ: مُرْ أُمَّتَكَ أَنْ يُكْثِرُوا مِنْ غَرْسِ الجَنَّةِ فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَاسِعَةٌ. فَقُلْتُ: وَمَا غَرْسُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»**.

١٤ ـ باب فضل دعاء الركوب وأنه سبباً لمغفرة الذنوب

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢ ـ ١٤].

١٩٣ ـ عَنْ عَلِي بن ربيعةَ، قَالَ: شَهِدْتُ عَلِياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ

---

(١) رواه البزار (٣٠٨٣) و(٣٠٨٤)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٩٠٧/ ١٠) وقال: رواه البزار بإسنادين أحدهما منقطع وفيه عبد الله بن خراش والغالب عليه الضعف والآخر متصل حسن. أقول: وفي الإسنادين المسعودي تكلم فيه.

١٩٢ ـ [رواه أحمد (٢٣٦١١/ ٩) والطبراني في «الكبير» (٣٨٩٨/ ٤) وابن حبان (٨٢١) وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٤٥/ ٢) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٨٩٨/ ١٠) وعزاه لأحمد والطبراني وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح، غير عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو ثقة، لم يتكلم فيه أحد، ووثقه ابن حبان].

١٩٣ ـ [رواه أحمد (٧٥٣/ ١) وأبو داود (٢٦٠٢) والترمذي (٣٤٤٦) وفي «الشمائل» (٢٣٣) والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٠) وفي «اليوم والليلة» (٥٠٢) والطيالسي (١٣٢) وابن حبان (٢٦٩٨) وغيرهم، وإسناده صحيح.

رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾.

ثُم قَال: الحَمْدُ لِلَّهِ، ثلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. ثُمَّ ضَحِكَ. فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ شَيءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: **«إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ، اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي. يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»**. (رواه أبو داود).

ورواه أحمد بلفظ: . . . **«يَعْجَبُ الرَّب مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ، رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَيَقُولُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»**.

ورواه ابن حبان بلفظ: **«إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ، رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، قَالَ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»**.

١٥ ـ باب فضل الصلاة على النبي ﷺ، وعلى وجه الخصوص لمن ذُكر ﷺ عنده. وإنها سبباً لمغفرة الذنوب ورفع الدرجات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

١٩٤ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالبُشْرَ يُرَى فِي وَجْهِهِ فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى البُشْرَ فِي وَجْهِكَ؟ فَقَالَ: **«إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ لاَ يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْراً»**. (رواه أحمد).

وفي لفظ له أيضاً: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّرُورَ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ. فَقَالَ: **«إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّهُ لاَ يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَلاَ يُسَلِّم عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْراً»** قَالَ: **«بَلَى»**.

---

١٩٤ ـ [رواه أحمد (١٦٣٦١ ـ ١٦٣٦٣/ ٤) والدارمي (٢٧٧٣) والنسائي في «المجتبى» (١٢٨٢) و(١٢٩٤) وفي «الكبرى» (١٢٠٦) و(١٢١٨) وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٠) والحاكم (٣٥٧٥/ ٢) والطبراني في «الكبير» (٤٧١٧) و(٤٧١٨) و(٤٧١٩) و(٤٧٢٤) وفي «الأوسط» (٤٢٢٨) وابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص/ ٦٣/ ٦٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٦٠) وابن حبان (٩١٥) والشاشي (١٠٧٣)، ورجال إسناده رجال الصحيح، غير سليمان مولى الحسن بن علي. فيه كلام والحديث صحيح بطرقه وشواهده].

ورواه ابن حبان بلفظ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مَسْرُورٌ فَقَالَ: «**إِنَّ المَلَكَ جَاءَنِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يقول: أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ لاَ يُصَلِّي عَلَيْكَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي صَلاَةً إِلاَّ صَلَّيتَ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، وَلاَ يُسَلِّمَ عَلَيْكَ تَسْلِيمَةً، إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِهَا عَشراً؟ قُلْتُ: بَلَى أَيْ رَبِّ**».

ورواه الدارمي بلفظ: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْماً وَهُوَ يُرَى البُشْرَ في وَجْهِه، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَرَى في وَجْهِكَ بُشْراً لَمْ نَكُنْ نَرَاهُ! قَالَ: «**أَجَلْ، إِنَّ مَلَكاً أَتَانِي فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولَ لَكَ: أَما يَرْضِيكَ أَنْ لاَ يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ إِلاَّ سَلَّمتُ عَلَيْهِ عَشراً**» قَالَ: «**قُلْتُ بَلَىٰ**».

ورواه الحاكم من طريق حماد بن سلمة، قَالَ: أنبأنا ثابت البناني، أَنَّهُ تَلاَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فَقَالَ ثَابتٌ: قَدِمَ عَلَيْنَا سليمانُ مَولىٰ الحسنَ بْنِ عَليّ فَحَدَّثَنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْم وَالبُشْرَى تُرَى في وَجْهِهِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَرى البُشْرَى في وَجْهِكَ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ أَتَانِي المَلَكُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا تَرْضَى مَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَّى عَلَيْكَ، إِلاَّ صَلَّيتُ عَلَيْهِ عَشرَ صَلَوَاتٍ، وَلاَ سَلَّمَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ، إِلاَّ رَدَدْتُ عَلَيْهِ عَشرَ مَرَّاتٍ**» فَقَال: «**بَلَى**».

١٩٥ ـ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ صَدَقَتِهِ فَدَخَلَ، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَخَرَّ سَاجِداً، فَأَطَالَ السُّجُودَ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَضَ نَفْسَهُ فِيهَا، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**مَنْ هٰذَا**»؟ قُلْتُ: عَبْدُ الرحمٰنِ. قَالَ: «**مَا شَأْنُكَ**»؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهَ، سَجَدْتَ سَجْدَةً خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَبَضَ نَفْسكَ فِيهَا. فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَتَانِي فَبَشَّرنِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ، صَلَّيْتُ عَلَيْهِ. وَمَنْ سَلَّم عَلَيْكَ، سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شُكْراً**» (رواه أحمد).

وفي رواية لأحمد أيضاً من طريق محمد بن جبير بن مطعم، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: خَرَجَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ نَخْلاً، فَسَجَدَ، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى خِفْتُ أَو خَشِيتُ ـ أَنْ يَكُونَ اللَّهَ قَدْ تَوَفَّاهُ أَوْ قَبَضَهُ. قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**مَالَكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ**»؟ قَالَ: فَذَكَرتُ ذَلِكَ لَهُ. قَالَ: فَقَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِي: أَلاَ أُبَشِّرَكَ؟ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمتُ عَلَيْهِ**».

---

١٩٥ ـ [رواه أحمد (١٦٦٢ ـ ١٦٦٤/ ١) وأبو يعلى (٨٤٧) و(٨٥٨) و(٨٦٩) والحاكم (٢٠١٩/ ١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٧١/ ٢) وفي «شعب الإيمان» (١٥٥٥) والبزار (١٠٠٦) وأورده ابن القيم من «جلاء الأفهام» (ص/ ٧٦/ ٧٧) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٧١٤/) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات. اهـ. والحديث يصح بما قبله وبشواهده وطرقه].

وفي روايةٍ لأبي يعلى من طريق سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن، قَالَ: كَانَ لاَ يُفارِقُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَّا خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَا يَنُوبَهُ مِنْ حَوائِجِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار. قَالَ: فَجِئْتُهُ وَقَدْ خَرَجَ، فاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ حَائِطاً مِنْ حِيطَانِ الأَسْوافِ، فَصَلَّى، فَسَجَدَ، فَأَطَالَ السُّجودَ. وَقُلْتُ قَبَضَ اللَّهُ رُوحَهُ. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَدَعَانِي فَقَالَ: **«مَالَكَ»**؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطَلْتَ السُّجُودَ قُلْتُ: قَبَضَ اللَّهُ رَوْحَ رَسُولِهِ، لاَ أَرَاهُ أَبَداً. قَالَ ﷺ: **«سَجَدْتُ شُكْراً لِرَبِّي فِيمَا أَبْلانِي في أُمَّتِي، مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاَةً مِنْ أُمَّتِي، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشر سَيِّئَاتٍ»**.

وفي لفظ له أيضاً: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰن: كُنْتُ قَائِماً في رِحْبَةِ المَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَارِجاً مِنَ البَابِ الَّذِي يَلِي المقْبَرَةَ، فَلَبِثْتُ شَيْئاً، ثُمَّ خَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ دَخَلَ حَائِطاً مِنَ الأَسْوَافِ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَسَجَدَ سَجْدَةً فَأَطَالَ السُّجُودَ فِيهَا.

فَلَمَّا تَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَبادَأْتُ لَهُ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، سَجَدْتَ سَجْدَةً أَشْفَقْت أَنْ يَكُونَ اللَّهَ قَدْ تَوَفَّاكَ مِنْ طُولِهَا. قَالَ ﷺ: **«إِنَّ جِبْرِيلَ بَشَّرني أَنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّم عَلَيَّ سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ»**.

وفي رواية لأبي يعلى أيضاً، وذكر نحواً مما ذكر من تتبع عبد الرحمن بن عوف لرسول الله ﷺ. وفيه قوله ﷺ: **«إِنِّي لَمَّا رَأَيْتَنِي دَخَلْتُ النَّخْلَ لَقِيتُ جِبْرِيلَ. فَقَالَ: إِنِّي أُبَشِّرُكَ، أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ»**.

١٩٦ ـ وعن الأَسْود بن يَزيد، عَنْ عُمر بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، فَلَمْ يَجِد أَحَداً يَتْبَعُه، فَفَزِعَ عُمر بْنِ الخَطَّابِ، فَأَتَاهُ بِمِطْهَرَةٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ سَاجِداً في شَرَبَةٍ، فَتَنَحَّى عَنْهُ مِنْ خَلْفِهِ، حَتَّى رَفَع النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ فَقَالَ: **«أَحْسَنْتَ يَا عُمر حِينَ وَجَدْتَني سَاجِداً فَتَنَحَّيتَ عَنِّي، إِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ»** (رواه الطبراني).

الشرح: قوله: (أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبُشر يُرى في وجهه) أي ودلائل الفرح والسرور بادية ظاهرة على وجهه.

---

١٩٦ ـ [رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٢) والطبراني في «المعجم الصغير» (١٠١٨) وإسماعيل بن إسحاق القاضي (٤) و(٥) في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» رقم (٤) و(٥) وأورده ابن القيم في «جلاء الإفهام» (ص/ ٧٠/ ٧١) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٣٧١٧). وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» ورجاله رجال الصحيح، غير شيخ الطبراني محمد بن عبد الرحيم بن بجير المصري، ولم أجد من ذكره. اهـ. أقول: والحديث أورده البخاري في «الأدب المفرد» من طريق سلمان بن وردان، وهو ضعيف أيضاً، لكن متن الحديث صحيح بطرقه وشواهده. وقد صحح الإمام ابن القيم إسناده في «جلاء الإفهام» فارجع إليه. والله تعالى أعلم بالصواب].

وقوله: (خرج رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقته فدخل) أي فدخل حائطاً فيه إبل الصدقة.

وقوله جل وعلا: «من صلى عليك، صليت عليه، ومن سلم عليك، سلمت عليه» قال أهل العلم: صلاة الله سبحانه وتعالى على عبده، نوعان؛ عامة، وخاصة.

أما العامة، فهي صلاته على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. والنوع الثاني، صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله، خصوصاً على خاتمهم وخيرهم محمد ﷺ.

قال الإمام ابن القيم أن الله سبحانه وتعالى أمر بالصلاة عليه عقب إخباره بأنه وملائكته يصلون عليه، والمعنى: أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله، فصلوا أنتم عليه. فأنتم أحق بأن تصلوا عليه، وتسلموا تسليماً لما نالكم ببركة رسالته، ويُمن سفارته من شرف الدنيا والآخرة... اهـ. ملخصاً.

وقوله: (فدخل حائطاً) أي بستاناً (من حيطان الأسواف) ووقع عند البيهقي في «شعب الإيمان» (دخل حائطاً من الأسواق).

وقوله ﷺ: «سجدت شكراً لربي، فيما أبلاني في أمتي» أي فيما أخبرني في سعة عطائه وشكره لأمتي. قال ابن الأعرابي: أبلى، بمعنى أخبر. اهـ. وفي الحديث مشروعية سجود الشكر لحلول نعمة، أو صرف نقمة. وعليه جمهور أهل العلم.

وقوله ﷺ: «من صلى على صلاة من أمتي، كتب له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات»، وعند أحمد وغيره بإسناد صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى عليَّ مرة واحدة، كتب الله عز وجل له بها عشر حسنات»**[1] وفي «صحيح مسلم» وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشراً..»**[2] الحديث. وعند مسلم وغيره من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً»**[3]. وعند أحمد وابن حبان واللفظ له من حديث أبي هريرة أيضاً، أن النبي ﷺ قال: **«من صلى عليَّ مرة واحدة، كُتب له بها عشر حسنات»**[4] وإسناده صحيح. وعند البخاري في «الأدب المفرد» وغيره، بإسناد صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً، وحط عنه عشر خطيئات»**[5].

وقوله: (ففزع عمر بن الخطاب) أي فقام مسرعاً.

---

(١) أحمد (٣/٧٥٦٢).
(٢) مسلم (٣٨٤).
(٣) مسلم (٤٠٨).
(٤) ابن حبان (٩٠٥).
(٥) البخاري (٦٤٣).

وقوله: (فوجد النبي ﷺ ساجداً في شربة) قال ابن الأثير: الشربة ـ بفتح الراء ـ حوض يكون في أصل النخلة وحولها، يُملأ ماء لتشربه.

وقوله ـ عليه السلام ـ: **«من صلى عليك من أمتك واحدة، صلى الله عليه عشراً، ورفعه بها عشر درجات»** وعند أحمد والحاكم وغيرهما، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس من أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»**[١] وهو حديث حسن، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، عند أحمد والبخاري وغيرهما واللفظ له. وفيه: «... **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»**[٢].

١٦ ـ باب في كرامة من ذكر الله تعالى يوماً، أو خافه في مقام

١٩٧ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«يَقُولُ اللّهُ: أَخرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ ذَكَرَني يَوْماً، أَوْ خافَني في مَقَامٍ»**. (رواه الترمذي).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ ـ وقال شعبة، وهو أحد رواة الحديث ـ أَخرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، وَكَانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً. أَخرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ وَكَانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً أَخرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً»**[٣]. (متفق عليه).

الشرح: قوله جل وعلا: «أخرجوا من النار من ذكرني» قال القاضي ابن العربي أي بشرط كونه مؤمناً مخلصاً «يوماً» أي وقتاً وزماناً «أو خافني في مقام» أي مكان في ارتكاب معصية من المعاصي كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، قال الطيبي: أراد الذكر، بالإخلاص، وهو توحيد الله عن إخلاص القلب وصدق النية، وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب، يدل عليه قوله ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة»**.

والمراد بالخوف؛ كف الجوارح عن المعاصي وتقيدها بالطاعات، وإلا فهو حديث نَفْسٍ

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٥٨) والحاكم (١/٢٦٩).

(٢) البخاري (٢٧٩٠).

١٩٧ ـ [رواه الترمذي في صفة جهنم (٢٥٩٤) باب «جاء أن للنار نفسين، وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد» وتعقبه بقوله: هذا حديث حسن غريب. وهو كما قال. وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (١/٢٣٤) وصححه، وأقره الذهبي، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/٧٤٠)].

(٣) رواه البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣) وأحمد (٤/١٢١٥٤) والطيالسي (١٩٦٦) وأبو يعلى (٢٩٢٧) وابن حبان (٧٤٨٤) والترمذي واللفظ له.

وحركة، لا يستحق أن يُسمى خوفاً وذلك عند مشاهدة سبب هائل، وإذا غاب ذلك السبب عن حسه، رجع القلب إلى الفضلة.

قال الفضيل: إذا قيل لك هل تخاف الله! فاسكت فإنك إذا قلت: لا، كفرت. وإذا قلت نعم، كذبت. أشار به إلى الخوف الذي هو كف الجوارح عن المعاصي. اهـ.

وقوله جل وعلا: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله».

قال الحافظ في «الفتح» فيه دليل على اشتراط النطق بالتوحيد، أو المراد بالقول هنا، القول النفسي، **فالمعنى**: من أقر بالتوحيد، وصدَّق. فالإقرار لا بد منه، فلهذا أعاده في كل مرة. والتفاوت يحصل في التصديق على الوجه المتقدم.

فإن قيل: فكيف لم يذكر الرسالة ـ أي: محمد رسول الله ـ؟ **فالجواب**: أن المراد المجموع، وصار الجزء الأول علماً عليه، كما تقول: قرأت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، أي السورة كلها.

وقوله جل وعلا: «وكان في قلبه» أي من الإيمان، كما جاء صريحاً عند البخاري عقب الحديث وفيه: **«من إيمان»** مكان من خير.

وقوله جل وعلا: «ما يزن برة» أي ما يعدل وزن برة، بضم الباء وتشديد الراء المفتوحة وهي حبة القمح. قال الحافظ: ومقتضاه؛ أن وزن البرة دون وزن الشعيرة، لأنه قدم الشعيرة وتلاها بالبرة، ثم الذرة. قال: ومعنى الذرة، هي أقل الأشياء الموزونة، وقيل: هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤوس الإبر. وقيل: هي النملة الصغيرة. ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: إذا وضعت كفك في التراب، ثم نفضتها، فالساقط هو الذر.

ويقال: إن أربع ذرات، وزن خردلة. وللبخاري في أواخر التوحيد من طريق حميد عن أنس عن النبي ﷺ: **«أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة، ثم من كان في قلبه أدنى شيء»** وهذا معنى الذرة. انتهى.

ـ فصل في الدعاء ـ

١٧ ـ باب في العهد الذي اتخذه الله تعالى، في إجابة من دعاه

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

١٩٨ ـ عَنْ سَلْمَانَ الفارِسيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ: وَاحِدَةٌ لِي، وَوَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ. فَأَمَّا الَّتي لي، تَعْبُدُني وَلاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، وَأَمَّا**

---

١٩٨ ـ [رواه أحمد في «الزهد» برقم (٢٥٥) باب «زهد آدم عليه السلام». موقوفاً على سلمان الفارسي رضي الله عنه، وحكمه حكم الرفع فمثله لا يُقال بالرأي. ورجال إسناده ثقات. ورواه أيضاً البيهقي في «البعث والنشور» (ص/ ٢٠٥)].

الَّتي لَكَ، فَمَا عَمِلتَ مِنْ شَيءٍ جَزَيْتُكَ بِهِ، وَأَنَا أَغْفِر، وَأَنَا غَفُورٌ رَحِيمٌ وَأَمَّا الَّتي بَيْني وَبَيْنَكَ، مِنْكَ المَسْأَلَةُ والدُّعَاءُ، وَعَلَيَّ الإِجَابَةُ وَالعَطَاءُ». (رواه الإمام أحمد في «الزهد»).

١٨ ـ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه

١٩٩ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ». (متفق عليه).

وفي لفظ عند مسلم والترمذي: «يَنزِلُ اللَّهُ إلى السَّماءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيلَةٍ، حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِك. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ. فَلاَ يَزَالُ كَذٰلِكَ حَتَّى يَضِيءَ الفَجْرُ».

وفي لفظ عند مسلم: «إِذَا مَضَىٰ شَطْرُ اللَّيلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ».

وفي رواية له أيضاً بلفظ: «يَنزِلُ اللَّهُ في السَّماءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَّيلِ الآخِرِ. فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ أَوْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيهِ. ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلاَ ظَلُومٍ».

وفي لفظ: «ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ، وَلاَ ظَلُومٍ».

٢٠٠ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيلِ البَاقي، يَهْبِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّماءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ سُؤْلَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الفَجْرُ». (رواه أحمد).

٢٠١ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ

---

١٩٩ ـ [رواه مالك في «موطئه» (٩٢٠) وأحمد (١٠٣١٧ ـ ٧٦٢٦ ـ ٧٥٩٥ ـ ٣/٩٤٣٦) والبخاري (١١٤٥) و(٦٣٢١) و(٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨/١٦٨/١٦٩/١٧٠/١٧١) والترمذي (٤٤٦) و(٣٤٩٨) وأبو داود (١٣١٥) و(٤٧٣٣) والنسائي في «الكبرى» (٤/٧٧٦٨)... وفي «عمل اليوم والليلة» (٤٨٠) وغيرهم].

٢٠٠ ـ [رواه أحمد (٢/٣٦٧٣) وأبو يعلى (٥٣١٩) والآجري في «الشريعة» (ص/٣١٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص/١٣٤)، وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٧٢٤٣) وعزاه لأحمد ولأبي يعلى، وقال: ورجالهما رجال الصحيح].

٢٠١ ـ [رواه أحمد (٣/١٠٥٤٤) والدارمي (١٤٧٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص/١٢٩) والدارقطني في «كتاب النزول» رقم (١٣) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٩٥ ـ ١/٤٩٦) وأبو يعلى (٥٩٣٧) وإسناده حسن. ويحتمل أن يكون لفظ: أو ينصرف القارىء من صلاة الصبح، من تصرف بعض الرواة، وهي مدرجة في الحديث. والله تعالى أعلم].

لَيلَةٍ إلَى السَّماءِ الدُّنيا لِنِصفِ اللَّيلِ الآخِرِ ـ أَوْ لِثُلُثِ اللَّيلِ الآخِرِ. فَيقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ» أَوْ يَنْصَرِفَ القَارِئُ مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ. (رواه أحمد).

٢٠٢ ـ وَعَنْ عُثْمانَ بْنِ أَبِي العَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوابُ السَّماءِ نِصْفَ اللَّيلِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجَ عَنْهُ؟ فَلا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إلاَّ اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، إلاَّ زَانِيةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا، أَوْ عَشَّاراً». (رواه الطبراني).

الشرح: قوله ﷺ: «يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر» قال إمام الحرمين في «الرسالة النظامية» ما نصه: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في آي القرآن وما يصح من السنن. وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الله تعالى.

والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقيدة، اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة. فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً، لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتبع.

وقال سفيان بن عيينة ـ شيخ البخاري ـ: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره، تلاوته والسكوت عنه.

وقال الإمام الشافعي: لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردها. ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر. وأما قبل قيام الحجة، فإنه يعذر بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر. فنثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله جل وعلا: «من يدعوني فأستجيب له» أي بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم. روى مسلم وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل»** قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: **«يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء»**. قال أهل اللغة: يقال حسر، واستحسر؛ إذا أعيا، وانقطع عن الشيء. والمراد هنا: أنه ينقطع عن الدعاء.

---

٢٠٢ ـ [رواه الطبراني في «الأوسط» (٢/٢٧٦٩) ورجال إسناده ثقات. وعثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي، أبو عبد الله. استعمله النبي ﷺ على الطائف، وأقره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. روى عن النبي ﷺ، وعن أمه، قالت: شهدت آمنة لما ولدت رسول الله ﷺ. ترجم له ابن حجر في «تهذيب التهذيب» برقم (٤٦٢١)].

وقوله جل وعلا: **«من يسألني فأعطيه»** أي سؤال الذليل المضطر المنكسر والمستكين لربه المفتقر لرحمة الله تعالى وإنعامه. مستوفياً لشروط الإجابة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال عزَّ وجلّ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»[1].

وقوله جل وعلا: **«من يستغفرني فأغفر له»** أي ما كسبت جوارحه من خطايا وآثام. شريطة أن لا يكون مصراً على ذنبه. فإن من شروط التوبة، الندم على ما فرَّط في جنب الله تعالى، والعزم على أن لا يعود إليها والإقلاع عن ذنبه، وإعادة الحقوق إلى أهلها، إن كانت المعصية تتعلق بآدمي. وفي الحديث الحث على طلب المغفرة من الله تعالى وعدم الآياس من رحمته سبحانه، مهما تكررت المعاصي وتكاثرت الذنوب، فإن الله جل وعلا لا يعجزه شيء. وفي التنزيل: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

وقوله ﷺ: **«حتى ينفجر الفجر»** وفي الرواية الثانية: **«فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر»** فيه دليل على امتداد وقت الرحمة واللطف التام إلى إضاءة الفجر. وعن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت: رسول الله ﷺ يقول: **«إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه. وذلك كل ليلة»**.

قال الطيبي: أي لساعة من شأنها أن يترقب لها وتغتنم الفرصة لإدراكها، لأنها من نفحات رب رؤوف رحيم. قال: فمن وافقها، أي تعرض لها واستغرق أوقاته مترقباً لها، فوافقها، قضى وطره منها. اهـ. بمعناه.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى ـ: وفي الحديث الحث على الدعاء والاستغفار في جميع الوقت المذكور إلى إضاءة الفجر. وفيه تنبيه على أن آخر الليل للصلاة، والدعاء، والاستغفار، وغيرها من الطاعات أفضل من أوله.

وقوله جل وعلا: **«من يقرض غير عديم ولا ظلوم»** وفي الرواية الثانية: **«غير عدوم»**. قال أهل اللغة: يُقال: أعدم الرجل، إذا افتقر، فهو معدم، وعديم، وعدوم. والمراد بالقرض ـ والله أعلم ـ عمل الطاعة، سواء فيه الصدقة، والصلاة، والصوم، والذكر، وغيرها من الطاعات. وسماه سبحانه وتعالى: قرضاً، ملاطفة للعباد، وتحريضاً لهم على المبادرة إلى الطاعة، فإن القرض إنما يكون ممن يعرفه المقترض، وبينه وبينه مؤانسة ومحبة، فحين يتعرض للقرض يبادر المطلوب منه بإجابته لفرحه بتأهيله للاقتراض منه، وإدلاله عليه وذكره له. وبالله التوفيق. قاله النووي.

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥).

وقوله ﷺ: «إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها» لفظ «تسعى» يدل على أنها غير مرغمة على فعلها ذلك. وإنما تسعى إليه وتطلبه بهمة، لتحقق ما تصبو إليه.

وقوله ﷺ: «أو عشاراً» العشّار هو من يأخذ عُشر أموال الناس قهراً. وهو من كان عليه أهل الجاهلية. قال ابن الأثير: وفي الحديث: «إن لقيتم عاشراً فاقتلوه» أي إن وجدتم من يأخذ العُشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية مقيماً على دينه فاقتلوه لكفره، أو لاستحلاله لذلك إن كان مسلماً وأخذه مستحلاً وتاركاً فرض الله وهو ربع العُشر. اهـ. مختصراً.

١٩ ـ باب ما جاء في الدعوات التي لا تُرَدُّ

٢٠٣ ـ عن أبي المدلة ـ مولى السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قُلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّا إذَا رَأَيْنَاكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا، وَشَمِمْنَا النِّسَاءَ وَالأَوْلادَ!

قَالَ ﷺ: «لَوْ تَكُونُونَ ـ أو قال ـ لَوْ أَنَّكُم تَكُونُونَ ـ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الحَالِ التي أَنْتُم عَلَيْهَا عِنْدِي، لَصَافَحَتْكُم الملائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ، وَلَزَارَتْكُم في بُيوتِكُم، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُم».

قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنَا عَنِ الجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُها؟ قَالَ ﷺ: «لَبِنَةُ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلاَطُهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَاليَاقُوتُ، وَتُرَابُها الزَّعْفرانُ، مَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ لاَ يَبْؤُسُ، وَيَخْلُدُ لاَ يموتُ، لا تَبْلَى ثِيَابُه، وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ.

ثَلاثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهم: الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبوابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ ولَوْ بَعْدَ حِينٍ». (رواه أحمد)

٢٠٤ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهم، الصائِمُ حَتَّى يُفطِرَ، وَإِمَامٌ عَادِلٌ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ. يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ، وَيُفْتَحُ لَهَا أَبْوابُ السَّمَاوَاتِ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (رواه ابن خزيمة).

---

٢٠٣ ـ [رواه أحمد (٨٠٤٣/٣) والترمذي (٢٥٢٦)، وابن حبان (٨٧٤ و ٧٣٨٧) والطيالسي (٢٥٨٣ و ٢٥٨٤) والحميدي (١١٥٠) والحاكم (٧٦٢٢/٤) وعبد بن حميد (١٤٢٠)، وهو حديث صحيح لشواهده وللفقرة الأخيرة شاهد من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تحمل على الغمام، يقول الله جل جلاله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» رواه الطبراني في «الكبير» (٣٧١٨/٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٨٦/١) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٣٣) والدولابي في «الأسماء والكنى» (١٢٣/٢) وفي إسناده مقال. ولها شاهد آخر عند الحاكم (٨١/١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوات المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار» وانظر «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٧٢٢٨ و ١٧٢٣١ و ١٧٢٣٢/ ١٠). وللحديث بعمومه شواهد في الصحيح وغيره].

٢٠٤ ـ [رواه ابن خزيمة (١٩٠١) وهو حديث صحيح بشواهده وطرقه].

الشرح: قوله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم» أي لا محالة، **«الصائم حتى يفطر»** أي دعوته مستجابة ما دام صائماً، و**«إمام عادل»** وذلك لإقامته حكمه على ما شرعه الله تعالى **«دعوة المظلوم»** أي على الظالم، وقد لا يظهر أثر الاستجابة على الحال لحكمة لا يعلمها إلا الله تعالى.

وقوله ﷺ: «ودعوة المظلوم تحمل على الغمام» أي تحملها الملائكة على السحاب، وفيه إشارة لعلوّ شأنها عند الله تعالى، ولو كانت من فم كافر. وذلك لِعظَم جُرم الظلم، ولتحريمه على الخلق مهما كانوا وقد تقدم في باب الاستغفار قول النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة: **«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»**(١) الحديث رواه مسلم وغيره. من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: «وتفتح لها أبواب السماوات» هو نحو قوله ﷺ في رواية البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فيما قاله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، حينما بعثه إلى اليمين، **«واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»**(٢) أي ليس لها صارف يصرفها ولا مانع. والمراد أنها مقبولة وإن كان عاصياً. كما جاء عند أحمد وغيره من حديث النبي ﷺ: **«دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً، ففجوره على نفسه»**(٣) وإسناده حسن. قاله الحافظ في «الفتح».

٢٠ ـ باب في فضل دعاء الخروج من البيت

٢٠٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ قَالَ ـ يَعْني ـ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ـ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَتَنَحى عَنْهُ الشَّيطَانُ»** (رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه).

ورواه أبو داود بلفظ: **«إِذَا خَرَجَ الرَّجلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»** قَالَ: **«يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينَ. فَيَقُولُ لَهُ شَيطَانٌ آخَرَ: كَيفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»**.

ورواه ابن حبان بلفظ: **«إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه، فَيُقَالُ لَهُ: حَسْبُكَ، قَدْ كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ. فَيَلْقَى الشَّيطَانُ شَيطَاناً آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ: كَيفَ لَكَ برجل قَدْ كُفِيَ وَهُدِيَ وَوُقِيَ»**.

ورواه النسائي في «الكبرى» بلفظ: **«إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُ: حَسْبُكَ، هُدِيتَ، وَوُقِيتَ وَكُفِيتَ»**.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧). (٢) رواه البخاري (١٤٩٦).

(٣) رواه أحمد (٣/٨٨٠٣).

٢٠٥ ـ [رواه أبو داود (٥٠٩٥) والترمذي (٣٤٢٦) والنسائي في «الكبرى» (٦/٩٩١٧) وفي «عمل اليوم والليلة» (٨٩) وابن حبان (٨٢٢) وهو حديث حسن، وانظر شاهده في الشرح].

الشرح: قوله ﷺ: «إذا خرج الرجل من بيته، فقال بسم الله توكلت على الله» أي جعلت اعتمادي على الله تعالى: وفوضت أمري إليه، ووكلته شأني كله، ومن وكل أمره لله وجل وعلا، كان كافيه وحسبه. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أي من فوَّض إليه أمره كفاه ما أهمه وقال تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقوله ﷺ: **«لا حول ولا قوة إلا بالله»** فيه الإقرار والاعتراف بأنه لا حركة ولا قدرة وقوة إلا بإذن الله تعالى ومشيئته. يُقال: حال الشخص يحول، إذا تحرك.

وقوله ﷺ: «يُقال حينئذ» أي تقول له الملائكة حينما يقول الذكر المذكور. **«هديت»** أي هداك الله تعالى لما فيه خيرك ومصلحتك في دينك ودنياك وآخرتك. **«وكفيت»** أي وكفاك الله تعالى أمرك وأعانك عليه ووفقك فيما تبتغي وتسعى إليه. **«ووقيت»** أي ووقاك الله تعالى وجنبك كل ما يؤذيك ويضرك وجعلك في كنفه وحمايته.

وقوله ﷺ: **«فتتنحى له الشياطين»** أي تبتعد عن طريقه. وفيه إشارة إلى توفيق قائله ووقايته من إغواء الشياطين له. وكفى بها نعمة. والحمد لله رب العالمين.

قوله ﷺ: «فيقول له شيطان آخر، كيف لك برجل قد هُدي وكفي ووقي» المراد أنك لن تقدر عليه. وعند ابن ماجه بإسناد فيه مقال، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«إذا خرج الرجل من باب بيته ـ أو ـ من باب داره، كان معه ملكان موكلان به، فإذا قال: بسم الله، قالا: هُديت، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قالا: وُقيت، وإذا قال توكلت على الله، قالا: كفيت»** قال: **«فيلقاه قريناه فيقولان: ماذا تريدان من رجل قد هُدي، وكفي، ووقي»**[(١)]. ورواه البخاري في «الأدب المفرد» وابن ماجه والحاكم؛ أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته، قال: **«بسم الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، التكلان على الله»**[(٢)] وفي إسناده عبد الله بن حسين. ضعيف.

وقد روى الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وغيرهم، بإسناد صحيح، من حديث السيدة أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: **«بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك من أن نذل أو نضل أو نظلم أو نُظلم أو نجهل أو يُجهل علينا»**[(٣)] قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وهو كما قال.

٢١ ـ باب دعاء الملاك لمن أحسن وصدق بالخير والبركة، ولمن أساء وكذب، بالمحق والعذاب

٢٠٦ ـ عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة، أن

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٨٦).

(٢) رواه البخاري (١١٩٧) وابن ماجة (٣٨٨٥) والحاكم (١/١٩٠٨).

(٣) رواه أحمد (١٠/٢٦٦٧٨) والترمذي (٣٤٢٧) وأبو داود (٥٠٩٤) والنسائي (٥٥٠١)

٢٠٦ ـ [رواه البخاري (٢٩٦٤) و (٦٦٥٣) ومسلم (٢٩٦٤) وابن حبان (٣١٤) واللفظ لمسلم].

أبا هريرة حدثه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إنَّ ثَلاَثَةً في بَني إسْرائيلَ، أبْرَصَ وَأقْرَعَ وَأعمىٰ، فَأرَادَ اللَّهُ أنْ يَبْتَلِيَهُم. فَبَعَثَ إلَيْهِمْ مَلَكاً. فَأتى الأبرص فقال: أي شيءٍ أحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ، ويذهبُ عَنِّي الَّذي قَذَرَني النَّاس قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعطِيَ لَوناً حَسناً وَجِلْداً حَسَناً قال: فَأيُّ المالِ أحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: الإبِلُ (ـ أوْ قَالَ ـ البَقَرُ ـ شَكَّ إسْحَاقَ) إلاَّ أنَّ الأبْرَصَ أوْ الأقْرَعَ قَال أحَدُهُمَا: الإبِلُ. وَقَالَ الآخرُ: البَقَرُ ـ قَال: فَأُعطِيَ نَاقَةً عَشراءَ. فَقَال: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا».

قَالَ: «فَأتَى الأقْرَعَ، فَقَالَ: أيُّ شيءٍ أحَبُّ إلَيكَ؟ قَالَ: شَعرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هٰذَا الَّذِي قَذَرَني النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنهُ، وأُعطِيَ شَعراً حَسَناً. قَالَ: فَأيُّ المَالِ أحَبُّ إلَيكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، فأُعطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأتَى الأعْمىٰ فقَالَ: أيُّ شَيءٍ أحَبُّ إلَيكَ؟ قَالَ: أنْ يَرُدَّ اللَّهَ إلَيَّ بَصَري، فَأُبصِرُ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إلَيهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأيُّ المَالِ أحَبُّ إلَيكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ فَأُعطِيَ شَاةً وَالِداً. فَأُنتِجَ هٰذَانِ، وَوَلَّدَ هٰذَا. قَالَ: فَكَانَ لِهٰذَا وَادٍ مِنَ الإبِلِ، وَلِهٰذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ. وَلِهٰذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إنَّهُ أتَى الأبْرَصَ في صُورَتِهِ، وَهَيئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَرِي. فلاَ بَلاَغَ لِي اليَوْمَ إلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. أسْألُكَ، بِالَّذي أعطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ، بعِيراً أتَبَلَّغُ عَلَيهِ في سَفَرِي. فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأنِّي أعرِفُكَ. ألَمْ تَكُنْ أبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيراً فَأعطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إنَّمَا وَرِثْتُ هٰذَا المَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِباً، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأتَى الأقْرَعَ في صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهٰذَا. وَرَدَّ عَلَيهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هٰذَا. فَقَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأتَى الأعْمَىٰ في صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سَبِيلٍ. انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَرِي. فَلاَ بَلاغَ لِيَ اليَوْمَ إلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. أسْألُكَ، بِالَّذِي رَدَّ عَلَيكَ بَصَرَكَ، شَاةً أتَبَلَّغُ بِهَا في سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنتَ أعْمَىٰ، فَرَدَّ اللَّهُ إلَيَّ بَصَرِي. فَخُذْ مَا شِئْتَ. وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ، لاَ أجْهَدُكَ اليَوْمَ شَيئاً أخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ: أمْسِكْ مَالَكَ. فَإنَّمَا ابْتُلِيتُم. فَقَدْ رُضِيَ عَنكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيكَ». (متفق عليه).

الشرح: قوله ﷺ: «إن ثلاثة في بني إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى» البرص: بياض يظهر في ظاهر البدن معروف ومعنى «فأراد الله أن يبتليهم» أي أن يختبرهم. ومعنى «قد قذرني الناس» أي اشمأزوا من رؤيتي. ومعنى «فمسحه» أي مسح على جسمه. **والناقة العشراء**: هي الحامل القريبة الولادة.

ومعنى قوله ﷺ: «فأعطي شاة والداً» أي ذات ولد. وهو معها وقوله ﷺ: «فأنتج هذان» أي صاحب الإبل والبقر. «وولد هذا» أي صاحب الشاة.

وقوله ﷺ: «ثم إنه أتى الأبرص في صورته، وهيئته» أي في نفس الصورة التي كان عليها لما اجتمع به وهو أبرص، ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة عليه.

وقوله ﷺ: «فقال رجل مسكين» أراد إنك كنت هكذا، وهو من المعاريض، والمراد به ضرب المثل ليتيقظ المخاطب. قوله: «فلا بلاغ» أي فلا وصول لي لما أريده. وقوله «أتبلغ عليه» من البلغة،

وهي الكفاية، والمعنى أتوصل به إلى مرادي. ومعنى قوله: «**قد انقضت بي الحبال في سفري**». **الحبال**: جمع حبل ـ بكسر الحاء ـ أي الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق. وقيل العقبات.

وقوله ﷺ: «**فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر**» أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم، كبيراً عن كبير، في العز والشرف والثروة. قال هذا وهو مصر على كذبه متعمدٌ له. وعلى وجه الخصوص، أنه يعلم من يخاطب، فليس للإنسان أن ينسى وجه من أحسن إليه. ولكنه الفساد في القلب، ونكران الجميل، ومقابلة الإحسان بالإساءة. وهذه صفة تسم غالبية لليهود إن لم تشملهم كلهم. وفي التنزيل ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٥٥].

وقوله ﷺ: «**فقال: إن كنت كاذباً، فصيرك الله إلى ما كنت**» جاء الدعاء بلفظ الماضي، مبالغة في الدعاء عليه لكذبه وجحوده النعمة وتمنعهُ في الإحسان لمن أحسن إليه. وقد جاء القرآن يحث على مقابلة الإحسان بالإحسان، فقال سبحانه ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما قوله: «**الواجبات كثيرة**» يريد أنه عليه واجبات مالية كثيرة، فهو لا يستطيع أن يتصدق بشيء من مال. وقوله: «**لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله**» أي لا أشق عليك برد شيء تأخذه، أو تطلبه من مالي. **والجهد**: المشقة.

قال الكرماني: وفي الحديث التحذير من كفران النعم، والترغيب في شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها. وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء، وإكرامهم وتبليغهم مآربهم، وفيه الزجر عن البخل، لأنه حمل صاحبه على الكذب، وعلى جحد نعمة الله تعالى.

فائدة في فضل الدعاء، وأن صاحبه مثاب عليه لا محالة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث، إما أن تُعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» قالوا: إذاً نكثر؟ قال ﷺ: «**الله أكثر**» أي عطاؤه وفضله أكثر من دعائكم. والحديث إسناده جيد(١).

ويشهد له ما رواه الترمذي وأحمد واللفظ له، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على ظهر الأرض من رجل مسلم يدعو الله ـ عزَّ وجلَّ إلا أتاه الله إياها أو كف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم**»(٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي الباب أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم ينصب وجهه لله عزَّ وجلَّ في مسألة، إلا أعطاها إياه، إما أن يعجلها له، وإما أن يدخرها له**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٤/١١٣٣٣) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠) والبزار (٣١٤٤) وغيرهم.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٧٣) وأحمد (٨/٢٢٨٤٩).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١١) وأحمد (٣/٩٧٩٢) والحاكم (١/١٨٢٩) وغيرهم.

تنبيه، فائدة كراهية التعدي في الدعاء:

قال الله عز وجل: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

قال القرطبي المفسر: هذا أمر بالدعاء وتعبُّد به. ثم قرن جل وعز بالأمر صفات تحسن معه، وهي الخشوع والاستكانة والتضرع. ومعنى ﴿خفية﴾ أي سراً في النفس ليبعد عن الرياء. وبذلك أثنى على نبيه زكريا عليه السلام، إذ قال مخبراً عنه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣] ونحوه قول النبي ﷺ: «**خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي**». والشريعة مقررة، أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر، أعظم أجراً من الجهر.

قال: **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يريد في الدعاء، وإن كان اللفظ عاماً إلى هذا هي الإشارة. والمعتدي هو المجاوز للحدّ ومرتكب الحظر. وقد يتفاضل بحسب ما اعتدى فيه.

وعند ابن ماجه بإسناد صحيح، من طريق أبي نعامة، أن عبد اللّه بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: أي بني، سل الله الجنة وعُذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء**»[(١)].

والاعتداء في الدعاء على وجوه: منها الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي، أو يدعو في محال، ونحو هذا من الشطط. ومنها أن يدعو طالباً معصية وغير ذلك. ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسُنّة، فيتخير ألفاظاً مُفقَّرة وكلماتٍ مُسجَّعةٍ، وقد وجدها في كراريس لا أصل لها، ولا معوّل عليها، فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسوله عليه السلام. وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء. اهـ مختصراً.

خاتمة: روى الحاكم بإسناد صحيح، عن سلمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حيي كريم، يستحي من عبده أن يبسط إليه يديه ثم يردهما خائبتين**»[(٢)].

وفي «صحيح البخاري» وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يقُل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له**»[(٣)].

* * *

(١) رواه ابن ماجه في السنن (٣٨٦٤).

(٢) رواه الحاكم (١٨٣١/١).

(٣) رواه البخاري (٧٤٧٧).

١٠ ـ كتاب المحبة

قال الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١ ـ باب فضل المحبة في الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

٢٠٧ ـ عَنْ أَبي إِدْرِيس الخَولاَني، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ. فَإِذَا فَتىً شَابٌ بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، إِذَا اخْتَلَفُوا في شَيْءٍ، أَسْنَدُوا إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ. فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هٰذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ. فَلَمَّا كَانَ الغَدُ، هَجَّرْتُ. فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَني بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ. ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِني لأُحِبّكَ للَّهِ، فَقَالَ: اللَّهِ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ. فقالَ: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ. فقالَ: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ فَأَخَذَ بِحَبْوَةِ رِدَائِي فَجَذَبَني إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِر فَإِني سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ: **«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَحابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»** (رواه مالك).

ورواه أحمد، وزاد فيه: قَالَ أبو إِدْرِيس: فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فَقُلْتُ: يَا أَبَا الوَلِيدُ، لأُحَدِّثَكَ بِمَا حَدَّثني مُعاذُ بْنِ جَبَلٍ في المُتَحَابينَ:

قال عُبادة ـ فَأَنَا أُحَدِّثُكَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، يَرْفَعُهُ إِلى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: **«حَقَّتْ مَحَبَّتِي**

---

٢٠٧ ـ [رواه مالك في «الموطأ» (١٧٧٩) في آخر كتاب الشعر. وأحمد (٢٢١٤١/٨) وابن حبان (٥٧٥) والحاكم في «المستدرك» (٧٣١٤/ ٤) والطبراني في «الكبير» (١٥٠/ ٢٠). والقضاعي في «الشهاب» (١٤٤٩) و(١٤٥٠) واللفظ الأول لمالك والثاني لأحمد].

لِلْمُتَحابِينَ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ».

وَعَنْهُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ قَالَ: قُلْتُ لِمَعاذ بْنِ جَبَلٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ لِغَيْرِ دُنْيَا أَرْجُو أَنْ أُصِيبَهَا مِنْكَ، وَلاَ قَرَابَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ. قَالَ فَلأَيِّ شَيءٍ؟ قُلْتُ: لِلَّهِ، قَالَ: فَجَذَبَ حُبْوَتِي، ثُمَّ قَالَ: أَبْشِرْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«الْمُتَحَابُونَ فِي اللَّهِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلَّهِ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِم النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءِ»**.

ثُمَّ قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَأَتَيْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِ مُعَاذٍ، فَقَالَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **«حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَهُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ بِمَكَانِهِمْ»** (رواه ابن حبان).

ورواهُ التِرمذيّ مُختصراً مِنْ حَديثِ مُعَاذُ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُونَ فِي جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»**[1].

الشرح: قوله: (فإذا شاب براق الثنايا) **الثنايا**: الأسنان الأمامية من الإنسان، ووصف ثناياه بالحسن والصفاء، وأنها تلمع إذا تبسم كالبرق، أراد بذلك، وصف وجهه بالبشر والطلاقة.

وقوله: (فلما كان الغد هجرت، فوجدته قد سبقني بالتهجير) **التهجير**: المضي إلى الصلاة في أول الوقت، وهو مثل التبكير، ولا يراد بهما المضي في الهاجرة، ولا في البكرة.

وقوله جل وعلا: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ...» أي حقت محبة الله تعالى للمتحابين في الله تعالى ـ كما جاء مفسراً في الرواية الثانية و**«المتجالسين في الله»**، هم الذين جلسوا يتسامرون في البر والإحسان وما كان على نحوهما. والمتزاورين في الله هم قوم ربطتهم المحبة في الله تعالى.

وقوله عز وجل: «المتحابون في جلالي» أي من ربطتهم المحبة إكراماً لعظمتي، وحباً في إرضائي. قال أهل اللغة: الجلال: العظمة ومن أسماء الله تعالى «الجليل» وهو الموصوف بنعوت الجلال، والحاوي جميعها، هو الجليل المُطْلَق، وهو راجع إلى كمال الصفات، كما أن الكبير راجع إلى كمال الذات، والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات.

وقوله جل وعلا: «لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» الغبطة: حسد خاص، يُقال:

---

(١) رواه أحمد (٨/٢٢٨٤٦) والترمذي (٢٣٩٠) وابن حبان (٥٧٧) وللطبراني (ـ١٦٧ ـ/ ٢٠)... وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/١٢١) وإسناده جيد، وتعقبه الترمذي بقوله: هذا حديث حسن صحيح، قال وفي الباب عن أبي الدرداء، وابن مسعود وعبادة بن الصامت، وأبي هريرة وأبي مالك الأشعري.

غبطت الرجل أغبطه غبطاً، إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ما له، وأن يدوم عليه ما هو فيه. وأما الحسد، فهو أن تشتهي أن يكون لك ما له، وأن يزول عنه ما هو فيه. والمراد من قوله عليه الصلاة والسلام: «**يغبطهم النبيون والصديقون بمكانهم**» أي أن الأنبياء عليهم السلام وكذا الصديقين يتمنون أن يكونوا في مثل مكان هؤلاء الذين جاء وصفهم في الحديث، وذلك لمكانتهم العالية ودرجتهم الرفيعة، وعلو منزلتهم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى**» قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**» وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(١)] [يونس: ٦٢].

٢ ـ باب فيمن زار أخاً له في الله، محبة في الله تعالى

٢٠٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ: «**أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي في هٰذِهِ القَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**» (رواه مسلم).

وقد جاء في إحدى روايات أحمد بلفظ: «**خَرَجَ رَجُلٌ يَزُورُ أَخاً لَهُ في اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ في قَرْيَةٍ أُخرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَمَّا مَرَّ بِهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ فُلاناً، قَالَ: لِقَرَابَةٍ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَلِنَعْمَةٍ لَهُ عِنْدَكَ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَلِمَ تَأْتِيهِ؟ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّهُ في اللَّهِ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، أَنَّهُ يُحِبُّكَ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ فِيهِ**».

وفي لفظ لأحمد أيضاً: «**خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ قَرْيَتِهِ يَزُورُ أَخاً لَهُ في قَرْيَةٍ أُخرَى. فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ مَلَكاً فَجَلَسَ عَلَى طَرِيقِهِ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي أَزُورُهُ في اللَّهِ في هَذِهِ القَرْيَةِ. قَالَ لَهُ: هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُهُ في اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ، أَنَّهُ قَدْ أَحَبَّكَ بِمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**».

وقع عند البخاري في «الأدب المفرد» بلفظ: «**زَارَ رَجُلٌ أَخاً لَهُ في قَرْيَةٍ. فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ مَلَكاً عَلَى مَدْرَجَتِهِ. فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أَخاً لِي في هٰذِهِ القَرْيَةِ. فَقَالَ: هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ. إِنِّي أُحِبُّهُ في اللَّهِ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكَ، إِنَّ اللَّهَ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ**».

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٧) وغيره بإسناد جيد.

٢٠٨ ـ [رواه أحمد (٧٩٢٤ ـ ٩٣٠٢ ـ ٩٩٦٥ ـ ١٠٢٥١ ـ ١٠٦٠٥ /٣) ومسلم (٢٥٦٧) والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٠) وابن حبان (٥٧٢) والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٥)].

الشرح: قوله ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً» أي ملكاً بهيئة البشر. **والمدرجة**: الموضع الذي يدرج فيه، أي يمشي، يعني الطريق. وقد جاء صريحاً في الرواية الأخرى: **«فأرصد الله له ملكاً فجلس على طريقه»** ومعنى **«فأرصد الله له ملكاً»** أي جعل له ملكاً يترقبه. يقال: رصدته، إذا قعدت له على طريقه تترقبه.

وقوله ﷺ: **«فلما أتى عليه، قال أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية»** فيه إشارة إلى تحمل المشقة في سبيل زيارة الأخوان في الله تعالى، وفيه دعوة الآخرين للاهتمام بزيارة من يحبونهم في الله تعالى، لتصريح هذا الرجل بسبب الزيارة، وهو من باب الدعوة بالتلميح! قال الطيبي: فإن قلت: كيف طابق هذا سؤاله بقوله: **«أين تريد؟»** إذ هو سؤال عن المكان، ولم يجبه به؟ قلت: من حيث إن السؤال متضمن لقوله أين تتوجه ومن تقصد؟ ولما كان قصده الأول الزيارة، ذكرها وترك ما لا يهم. ونظيره قوله تعالى ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٣ - ٨٤].

وقوله ﷺ: **«قال هل لك عليه من نعمة تربها»** أي تنسيها، وتربيها، وتسعى في صلاحها عنده؟ يقال: رَبَّ فلان ولده ورَبَّبَه ورباهُ، بمعنى واحد. أي قام بتربية ولده وسعى في القيام عليه بالصلاح، والحفظ والرعاية. والمراد من السؤال، معرفة سبب الزيارة إذا كانت خالصة لوجه الله تعالى، أم لسبب دنيوي.

وقوله ﷺ: **«قال: فلم تأتيه؟ قال: إني أحبه في الله تعالى»** أي لم أزره لغرض من أغراض الدنيا. وإنما زيارتي له حباً في الله تعالى، وفي ذلك إشارة إلى علو مرتبة إيمان هذا الرجل، واجتهاده على نفسه لتستكمل مدارج الكمال كما جاء عند أبي داود وغيره بإسناد صحيح من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من أحب لله وأبغض لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»**[١] وعند أحمد والترمذي من طريق ابن لهيعة عن زبان عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من أعطى لله تعالى، ومنع لله تعالى، وأحب لله تعالى، وأبغض لله تعالى، وأنكح لله تعالى، فقد استكمل الإيمان»**[٢].

قوله ﷺ: **«قال: فإني رسول الله إليك»** أي إن الله أرسلني إليك لأخبرك **«أنه يحبك بحبك إياه فيه»** وفي الرواية الأخيرة: **«إن الله أحبك كما أحببته»** قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: **أصل المحبة**: الميل، وهو على الله سبحانه محال. فمحبته سبحانه للعبد، رحمته ورضاه عنه، وإرادته الخير، وفعله له فعل المحب. اهـ.

وفي الحديث ما يدل على أن الحب في الله والتزاور فيه، من أفضل الأعمال، وأعظم القُرَب

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٥٦١٧/٥) والترمذي (٢٥٢١).

إذا تجرَّد ذلك عن أغراض الدنيا وأهواء النفوس وأنها سبباً لحب الله تعالى للعبد، وفيه فضيلة زيارة الصالحين.

خاتمة في المحبة في الله تعالى: روى الإمام أحمد من طريق أبي حازم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ المُتَحابِّين لَتُرَى غُرَفُهُم في الجَنَّةِ كَالكَوْكَبِ الطَّالِعِ الشَّرقِي، أَوْ الغَرْبِيِّ. فَيُقَالُ: مَنْ هٰؤلاءِ؟ فَيُقَالَ: هٰؤلاءِ المُتَحابُّونَ في اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر من نور، يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء»**.

قال: فجثا أعرابي على ركبتيه، فقال: يا رسول الله حلهم لنا نعرفهم. قال: **«هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه»**[2] (رواه الطبراني).

ومعنى قوله: (حلهم لنا) أي صفهم لنا.

٣ ـ باب كرامة المتحابين بجلال الله تعالى، يوم العرض

٢٠٩ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحابُّونَ لِجَلالي، اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي»**. (رواه مالك).

ورواه أحمد بلفظ: **«إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَيْنَ المُتَحابُّونَ بِجَلالِي اليَوْمَ، أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي»**.

٢١٠ ـ وَعَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: المُتَحابّونَ بِجَلالي في ظِلِّ عَرْشِي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي»**. (رواه احمد).

الشرح: قوله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة» وذلك على رؤوس الأشهاد، بحيث يسمع كل أهل المحشر، ليكون ذلك تكرمة للمتحابين في الله تعالى، وحسرة على غيرهم.

قوله جل وعلا: «أين المتحابون لجلالي» وفي الرواية الأخرى **«بجلالي»** واللام والباء، هما السببيتان. أي لأجل جلالي، أو بسبب جلالي. وهما بمعنى واحد. أي لعظيم حقي وحرمة

---

(١) رواه أحمد (٤/١١٨٢٩) ورجال إسناده رجال الصحيح، غير أنه منقطع، أبو حازم، وهو سلمة بن دينار، لم يسمع من أبي سعيد. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٦٧٧٠) وعزاه للطبراني، وقال: وإسناده حسن.

٢٠٩ ـ [رواه مالك في «الموطأ» (١٧٧٦) في كتاب الشعر، باب (٥) «ما جاء في المتحابين في الله»، وأحمد (٣/٨٤٦٣) ومسلم (٢٥٦٦) والدارمي (٢٧٥٧) والطيالسي (٢٣٣٥) وابن حبان (٥٧٤) واللفظ الأول لمالك].

٢١٠ ـ [رواه أحمد (٦/١٧١٥٨) وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٠ ـ ٤/٢١) وقال: رواه أحمد باسناد جيد].

طاعتي، لا لغرض من أغراض الدنيا. وقد تقدم القول فيه ثمة.

وقوله جل وعلا: **«اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»** المراد ـ والله أعلم ـ اليوم أظلهم في ظل عرشي قيل: هذه الإضافة إضافة تشريف وإكرام، إذ الظلال كلها ملكه وخلقه. كما قيل للكعبة: بيت الله مع أن المساجد كلها ملكه. وقيل: المراد بظله: كرامته وحمايته، كما يُقال: فلان في ظل الملك. قال في «الفتح» وقيل المراد ظل عرشه، ويدل عليه حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسناد حسن: **«سبعة يظلهم الله في ظل عرشه»** فذكر الحديث.

قال الإمام القرطبي الأولى أنه يعني به ظل العرش، كما جاء في الرواية الأخرى. فيعني أن في القيامة ظلالاً بحسب الأعمال الصالحة تقي صاحبها من وهج الشمس ولفح النار، وأنفاس الخلق، كما قال ﷺ: **«الرجل في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس»**(١).

ولكن ظل العرش أعظم الظلال وأشرفها، فيخص الله تعالى به من يشاء من صالح عباده، ومن جملتهم المتحابون لجلال الله تعالى.

فإن قيل: كيف يُقال: في القيامة ظلال بحسب الأعمال، وقد قال ﷺ **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»**، وهو ظلُّ العرش المذكور في الحديث؟ قلنا: يمكن أن يقال: كل ظلٌ في القيامة إنما هو له، لأنه بخلقه واختراعه بحسب ما يريده تعالى من إكرام من يخصه به، فعلى هذا يكون كل واحد من هؤلاء السبعة في ظل يخصه، وكلها ظلُّ الله لا ظلَّ غيره، إذ ليس لغيره هنالك ظلٌ، ولا يقدر له على سبب.

ويحتمل أن يقال: إنه ليس هنالك إلا ظل واحد، وبه يستظل المؤمنون، لكن لما كان الاستظلال بذلك الظل لا يُنال إلا بالأعمال الصالحات، نسب لكل عمل ظلٌ، لأنه به وصل إليه.

وهذا كله بناء على أن الظلال حقيقة لا مجاز، وهو قول جمهور العلماء، وقال عيسى بن دينار، إن معناه يكنُّهم من المكاره، ويجعلهم في كنفه وستره، كما يقول: أنا في ظلك، أي في ذراك وسترك. اهـ.

خاتمة فيمن تحابوا في الله تعالى: روى البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«سبعةٌ يُظلُّهمُ اللّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ، الإمَامَ العَادِلُ، وَشَابٌ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلّقٌ في المساجِد، وَرَجُلانَ تَحَابًا في اللّهِ، اجْتمَعَا عَلَيْهِ وتَفرَّقا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ ذاتَ مَنصِبٍ وَجَمالٍ، فَقَالَ؛ إني أَخَافُ اللّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدّقَ أَخفَىٰ حَتَّى لاَ تَعْلَم شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللّهَ خَالِياً، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»**(٢).

---

(١) رواه أحمد (٦/١٧٣٣٥) وأبو يعلى (١٧٦٦) والحاكم (١/١٥١٧) وغيرهم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، مرفوعاً، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري (٦٦٠).

٤ ـ باب في خطورة التخاصم والتهاجر بين أهل الإيمان

٢١١ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قالَ: **«تُفتَحُ أَبوابُ الجَنَّةَ يَوْمَ الاثنين، وَيَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً، إلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: انظُروا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، انْظُروا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، انظُروا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»**. (رواه مسلم).

وفي لفظ له: **«تُعْرَضُ الأَعْمالُ في كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ واثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ في ذٰلِكَ اليَوْمِ لِكُلِّ امْرِىءٍ لاَ يُشرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً، إلاَّ امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: ارْكُوا هذَيْنَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، ارْكُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»**.

وفي لفظ عند مالك: **«اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا ـ أَو ـ ارْكُوا هذَيْنَ حَتَى يَفِيئَا»**.

وفي لفظ عند أحمد: **«. . . فَيَغْفِرُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشرِكُ بِهِ شَيْئاً، إلاَّ المُتَشَاحِنَيْنِ، يَقُولُ اللّهُ للملائِكَةِ: ذَرُوهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا»**.

الشرح: قوله ﷺ «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء» الشحناء: البغضاء والعدواة، كأنه شُحن بغضاً له لِملائه. قال في **«المفهم»**: وقد خصَّ الله تعالى هذين اليومين بفتح أبواب الجنة فيهما، وبمغفرة الله تعالى لعباده، وبأنهما تُعرض فيهما الأعمال على الله تعالى، كما جاء في الرواية الأخرى: **«تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين. . »**.

وهذه الذنوب التي تغفر في هذين اليومين هي الصغائر كما جاء ذلك في قوله ﷺ: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»**(١) ومع ذلك فرحة الله تعالى وسعت كل شيء، وفضله يعمُّ كل ميت وحيٍّ.

ومقصود هذا الحديث التحذير من الإصرار على بغض المسلم ومقاطعته، وتحريم استدامة هجرته ومشاحنته، والأمر بمواصلته، ومكارمته.

قال: وعرض الأعمال المذكورة إنما هو لتنقل من صحف الكرام الكاتبين إلى محل آخر، ولعله اللوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، قال الحسن: إن الخزنة تستنسخ الحفظة من صحائف الأعمال.

وقد يكون هذا العرض في هذين اليومين للأعمال الصالحة مباهاةً بصالح أعمال بني آدم على

---

٢١١ ـ [رواه مالك في «الموطأ» (١٦٨٦ ـ١٦٨٧) في حسن الخلق. وأحمد (٣/٧٦٤٣).. ومسلم (٢٥٦٥) والترمذي (٧٤٧) وابن ماجه (١٧٤٠) وعبد الرزاق (٧٩١٥). والدارمي (١٧٥١) وغيرهم، واللفظ الأول لمسلم].

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

الملائكة، كما يُباهي الله الملائكة بأهل عرفة. وقد يكون هذا العرض، لتعلم الملائكة المقبول من الأعمال من المردود، كما جاء في الحديث الذي رواه ابن المبارك، عن ضمرة بن حبيب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الملائكة يرفعون أعمال العبد من عباد الله يستكثرونه ويزكونه حتى يبلغوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه. فيوحي الله إليهم إنكم حفظة على عمل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه. إن عبدي هذا لم يخلص لي، ولم يخلصه عمله فاجعلوه في سجين. ويصعدون بعمل العبد يستقلونه ويحقرونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيوحي الله إليهم: إنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه، إن عبدي هذا أخلص عمله، فاكتبوه في عليين»**[1] والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله جل وعلا: **«انظروا هذين»** أي أخروا، وكذلك **«اركوا»** وكذلك **«ذروهما»** أي اتركوهما من غير مغفرة حتى **«يصطلحا»** أو **«يفيئا»** أي يعودا إلى رشدهما، ويرجعا إلى الصلح والمودة.

٥ ـ باب محبة الله تعالى لعبده، وعظيم فضلها وكرامتها على العبد

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩].

٢١٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«إِنَّ اللَّهَ، إِذَا أَحَبَّ عَبْداً، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ. قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَاناً فَأَبْغِضْهُ. قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَاناً فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ فَيُبْغِضُونَهُ. ثُمَّ توضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ»**. (متفق عليه).

وفي لفظ للبخاري: **«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذَا أَحَبَّ عَبْداً نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ في السَّماءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَاناً، فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في أَهْلِ الأَرْضِ»**.

وفي لفظ لأحمد: **«إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً قَالَ لِجِبْرِيلَ؛ إِنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ»** قَالَ: **«فَيَقُولُ جِبْرِيلُ لِأَهْلِ السَّماءِ: إِنَّ رَبَّكُم يُحبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ»** قَالَ: **«فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ»** قَالَ: **«وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأَرْضِ»** قَالَ: **«وَإِذَا أَبْغَضَ» فَمِثْلُ ذٰلِكَ.**

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٥٢).

٢١٢ ـ [رواه مالك في «الموطأ» (١٧٧٨) في كتاب الشعر، وأحمد (٣/٧٦٢٩) والبخاري (٣٢٠٩ و ٦٠٤٠ و ٧٤٨٥) ومسلم (٢٦٣٧) والترمذي (٣١٦١) والطيالسي (٢٤٣٦) وعبد الرزاق (١٩٦٧٣) وغيرهم، واللفظ الأول لمسلم].

وفي لفظ عند الترمذي: «**إذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْداً نَادَىٰ جِبْرِيلُ إنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاناً فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ المَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ، فَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، **وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْداً، نَادَىٰ جِبْرِيلُ: إنِّي أَبْغَضْتُ فُلاناً، فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ**».

٢١٣ ـ وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إنَّ العَبْدَ لَيَلْتَمِسَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَلاَ يَزَالُ بِذٰلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيلَ: إنَّ فُلاناً عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِينِي، أَلاَ وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى فُلانٍ، وَيَقُولُها حَمَلَةُ العَرْشِ، وَيَقُولُها مَنْ حَوْلَهُم، حَتَّى يَقُولَها أَهْلُ السَّمٰواتِ السَّبْعِ، ثُمَّ تَهْبِطُ لَهُ إلى الأَرْضِ**». (رواه أحمد).

ورواه الطبراني في «الأوسط» بلفظ: «**إنَّ العَبْدَ يَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلا يَزَالُ كَذٰلِكَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، إنَّ عَبْدِي فُلاناً يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِيَنِي، فَرِضَائِي عَلَيْهِ**» قال: «**فَيَقُولُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى فُلانٍ، وَتَقُولُ حَمَلَةُ العَرْشِ، وَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَهُم، حَتَّى يَقُولُهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ثُمَّ يَهْبِطُ إلى الأَرْضِ**». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَهِيَ الآيَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُم فِي كِتَابِهِ**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

وَإِنَّ العَبْدَ لَيَلْتَمِسُ سَخَطَ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ، إنَّ فُلاناً يُسْخِطُنِي، أَلاَ وَإِنَّ غَضَبِي عَلَيْهِ. فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: غَضَبُ اللَّهُ عَلَى فُلانٍ، وَيَقُولُ حَمَلَةُ العَرْشِ، وَيَقُولُ مَنْ دُونَهُم، حَتَّى يَقُولَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ يَهْبِطُ إلى الأَرْضِ».

الشرح: قوله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً» وقد تقدم أن محبة الله لعبده، إنما هي بمعنى رضاه عنه، وتوفيقه لما يحب ويرضى، وأن هذا الرضى إنما منشئه تقرب العبد إلى ربه جل وعلا بتوفيق منه، وأفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه الفرائض ثم النوافل.

وقوله ﷺ: «**نادى جبريل، إن الله قد أحب فلاناً، فأحبه**» جاء لفظ «قد» للتأكيد والتوكيد على محبة الله تعالى لعبده وقيل: إنه هنا بصيغة الماضي، وفي الرواية الأخرى: «**إن الله يحب فلاناً**» بصيغة المضارعة. وفي الأول إشارة إلى سبق المحبة على النداء، وفي الثاني إشارة إلى استمرار ذلك.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: في تعبيره عن كثرة الإحسان بالحب، تأنيس العباد، وإدخال المسرة عليهم، لأن العبد إذا سمع عن مولاه أنه يحبه حصل على أعلى السرور عنده، وتحقق بكل خير. ثم قال: وهذا إنما يتأتى لمن في طبعه فتوة ومروءة وحسن إنابة، كما قال تعالى:

---

٢١٣ ـ [رواه أحمد (٨/٢٢٤٦٤) والطبراني في «الأوسط» (١٢٤٠)، وإسناده جيد، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٧٥٣٩) باللفظ الأول، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير ميمون بن عجلان، وهو ثقة. وأورده أيضاً (١٠/١٧٩٦٧) باللفظ الثاني، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات. وهو كما قال].

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]، وأما من في نفسه رعونة، وله شهوة غالبة، فلا يرده إلا الزجر بالتعنيف والضرب.

قال: وفي تقديم الأمر بذلك لجبريل قبل غيره من الملائكة، إظهار لرفيع منزلته عند الله تعالى على غيره منهم. قال: ويؤخذ من هذا الحديث؛ الحث على توفية أعمال البر على اختلاف أنواعها فرضها وسنتها، ويؤخذ منه أيضاً كثرة التحذير عن المعاصي والبدع، لأنها مظنة السخط.

وقوله ﷺ: **«فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء، إن الله قد أحب فلاناً، فأحبوه، فيحبه أهل السماء»** وقد جاء عند ابن المبارك، من طريق الأوزاعي، عن المطلب بن حنطب قال: «إذا رضي الله عز وجل عن عبد نادى جبرئيل، فتأخذه كالغشوة ما شاء الله. فإذا أفاق قال: لبيك يا رب العالمين، فيقول: إني قد رضيت عن فلان وصليت عليه، فيقول الملائكة: صلى الله عليه، حتى ينتهي ذلك إلى الأرض»(١) وأظنه قال: فإذا أبغض عبداً فمثل ذلك. وفي رواية له بلفظ: «وإذا غضب على عبد نادى جبرئيل فيفعل مثل ذلك، فإذا جلى عنه، قال: لبيك رب العالمين، قال: إني قد غضبت على فلان ولعنته، فيقول: لعنة الله عليه، فتقول الملائكة: لعنة الله عليه، حتى ينتهي إلى الأرض، فعند ذلك ما يثني الناس عليه».

وقوله ﷺ: **«ثم يوضع له القبول في الأرض»** وقد جاء في رواية الترمذي بزيادة: «فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]. وبنحوه جاء في رواية الطبراني. **والود**: المحبة. قال أهل التأويل، المعنى: سيحدث لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة. قال القرطبي في «تفسيره» وكان هرم بن حيان يقول: ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى، إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم. وقيل يجعل الله تعالى لهم مودة في قلوب المؤمنين والملائكة يوم القيامة. قال: إذا كان محبوباً في الدنيا فهو كذلك في الآخرة، فإن الله تعالى لا يحب إلا مؤمناً تقياً، ولا يرضى إلا خالصاً نقياً.

قال في «**الفتح**» وقوله ﷺ: **«يوضع له القبول»** هو من قوله تعالى ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [مريم: ٣٧]، أي رضيها، قال المطرزي: القبول مصدر لم أسمع غيره ـ بالفتح ـ وقد جاء مفسراً في رواية القعنبي بلفظ: **«فيوضع له المحبة»** والقبول: الرضا بالشيء، وميل النفس إليه. اهـ. والمراد بالقبول في حديث الباب قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه، ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله. والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد، وحصول الثواب له، وبمحبة الملائكة استغفارهم له وإرادتهم خير الدارين له وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعاً لله محباً له، ومحبة العباد له اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن.

قال: **والحب على ثلاثة أقسام**، إلهي وروحاني وطبيعي. وحديث الباب يشتمل على هذه الأقسام الثلاثة، فحب الله العبد حب إلهي، وحب جبريل والملائكة له حب روحاني، وحب العباد له حب طبيعي.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٥٤).

١١ ـ كتاب صلة الأرحام

١ ـ باب في فضل صلة الأرحام، ومغبة قطعها

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ **إلى قوله** ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢١ ـ ٢٥].

٢١٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ، قَامَتِ الرَّحِمُ. فَقَالَتْ: هٰذَا مَقَامُ العَائِذِ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ. أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ. قَالَ: فَذَاكَ لَكِ»**.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۝٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٢ـ ٢٤]. (متفق عليه).

وفي رواية للبخاري بلفظ: **«خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمٰنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ؟ قَالَتْ: هَذا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكِ»**. قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

٢١٥ ـ عَنْ السَّيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ»**. (متفق عليه).

ورواه البخاري بلفظ: **«الرَّحِمُ شِجْنَةٌ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»**.

الشرح: قوله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق» قال الإمام القرطبي: خلق هنا، بمعنى اخترع. وأصله التقدير. والخلق هنا، بمعنى المخلوق، وأصله مصدر، يُقال: خلق يخلق خلقاً، إذا قدَّر، وإذا اخترع. قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١].

---

٢١٤ ـ [رواه أحمد (٣/٨٣٧٥)، والبخاري (٤٨٣٠ و٤٨٣١ و٤٨٣٢ و٥٩٨٧ و٧٥٠٢) وفي «الأدب المفرد» (٥٠)، ومسلم (٢٥٥٤) والحاكم (٤/٧٢٨٦) وابن حبان (٤٤١) والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٣١) والبيهقي (٧/٢٦) **واللفظ الأول لمسلم والثاني للبخاري]**.

٢١٥ ـ [رواه البخاري (٥٩٨٩) ومسلم (٢٥٥٥)، واللفظ لمسلم].

وقوله ﷺ: **«حتى إذا فرغ منهم»** أي كَمُلَ خلقهم، لا أنه اشتغل بهم، ثم فرغ من شغله بهم، إذا ليس فعله بمباشرة، ولا بمناولة، ولا خَلْقة بآلة، ولا محاولة، تعالى عما يتوهمه المتوهمون، وسبحانه إذا أراد شيئاً، فإنما يقول له: كن فيكون.

وقوله ﷺ: **«قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة»** هذا الكلام من المجاز المستعمل، والاتساع المشهور، إذ الرحم عبارة عن قربات الرجل من جهة طرفي آبائه وإن علوا، وأبنائه وإن نزلوا، وما يتصل بالطرفين من الأعمام والعمات، والأخوال والخالات، والإخوة والأخوات، ومن يتصل بهم من أولادهم برحم جامعة. فالقرابة إذاً نسبة من النَّسب، كالأبوة، والأخوة، والعمومة، وما كان كذلك استحال حقيقة القيام والكلام، فيحمل هذا الكلام على التوسع، ويمكن حمله على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون الله تعالى أقام من يتكلم عن الرحم من الملائكة، فيقول ذلك. وكأنه وَكَّلَ بهذه العبادة من يناضل عنها، ويكتب ثواب من وصلها، ووزر من قطعها، كما قد وكَّل الله تعالى بسائر الأعمال كراماً لا تبين، وبمشاهدة أوقات الصلوات ملائكة متعاقبين.

وثانيهما: أن ذلك على وجه التقدير والتمثيل المفهم للإغياء، وشدة الاعتناء، فكأنه قال: لو كانت الرحم ممن يعقلُ ويتكلم لقالتْ هذا الكلام، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وعلى التقديرين فمقصود هذا الكلام: الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم، وأنه تعالى قد نزلها منزلة من قد استجار به فأجاره، وأدخله في ذمته وخفارته، وإذا كان كذلك، فجارُ الله تعالى غير مخذول، وعهده غير منقوض، ولذلك قال مخاطباً للرحم: **«أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك»** وهذا كما قال ﷺ: **«من صلى الصبح فهو في ذمة، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في النار»**[١].

وقوله جل وعلا: **«نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت: بلى. قال: فذاك لك»** أي فهو لك، من وصل من وصلك وقطع من قطعك. قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: الوصل من الله تعالى كناية عن عظيم إحسانه، وإنما خاطبَ الناس بما يفهمونه، ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب من المحبة، القرب منه وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه، وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى، عرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده.

قال: وكذا القول في القطع، هو كناية عن حرمان الإحسان. والله تعالى أعلم.

قال القرطبي: وعلى هذا، فتكون الرحم المذكورة هنا رحم دين الإسلام والإيمان التي سماها الله إخوة بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال الفراء: نزلت هذه الآية في بني هاشم

---

(١) رواه مسلم (٦٥٧) وغيره.

وبني أمية. وعلى هذا فتكون رحم القرابة. وعلى هذا فالرحم المحرم قطعها، المأمور بصلتها على وجهين، عامة وخاصة.

فالعامة: رحم الدين، وتجب مواصلتها بملازمة الإيمان، والمحبة لأهله ونصرتهم، والنصيحة لهم، وترك مضارتهم، والعدل بينهم، والنَّصفة في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة كتمريض المرضى، وحقوق الموتى، من غسلهم، والصلاة عليهم، ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم.

وأما الرحم الخاصة: فتجب لهم الحقوق العامة، وزيادة عليها كالنفقة على القرابة القريبة، وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بُدِيءَ بالأقرب فالأقرب.

وأما قوله ﷺ: «قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن» قال القاضي عياض: **الحقو: معقد الإزار. وهو الموضع الذي يستجار به ويحتزم به على عادة العرب، لأنه من أحق ما يُحامى عنه، ويدفع، كما قالوا: نمنعه مما نمنع منه أزرنا، فاستعير ذلك مجازاً للرحم في استعاذتها بالله من القطيعة. وإليه أشار بقوله جل وعلا: «هذا مقام العائذ بك».**

وقال الطيبي: هذا القول مبني على الاستعارة التمثيلية، كأنه شبه حالة الرحم وما هي عليه من الافتقار إلى الصلة والذبّ عنها بحال مستجير يأخذ بحقو المستجار به. ثم أُسند على سبيل الاستعارة التخييلية ما هو لازم للشبه به من القيام فيكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة، ثم رشحت الاستعارة بالقول والأخذ وبلفظ الحقو، فهو استعارة أخرى. وقد جاء في رواية الطبري **«بحقوي الرحمن»** والتثنية فيه للتأكد، لأن الأخذ باليدين آكد في الاستجارة من الأخذ بيد واحدة.

وقوله جل وعلا: «مه» الهاء في «مه» هاء السكت، وُصِلَتْ ـ بما الاستفهامية، لحذف ألف ـ ما ـ. يقال: مه فلان. أي ما تقول؟ على الزجر، أو الاستفهام. وها هنا إن كان على الزجر، فمعناه بينٌ. وإن كان على الاستفهام، فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الاستعلام.

وقوله ﷺ: «قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة» أي هذا مقام المستجير بك من القطيعة والهجر.

٢ ـ باب قوله ﷺ: «إن الرحم شجنة من الرحمن»

٢١٦ ـ عَنِ السيدةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«الرَّحِمُ شِجْنَةٌ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»**. (متفق عليه).

٢١٧ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ»**. (رواه البخاري).

---

٢١٦ ـ [رواه البخاري (٥٩٨٩) ومسلم (٢٥٥٥) واللفظ للبخاري].

٢١٧ ـ [الحديث الأول رواه البخاري في «صحيحه» (٥٩٨٨) والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٣٤) واللفظ للبخاري. والحديث الثاني ـ أخرجه أحمد (٧٩٣٦ ـ ٨٩٨٥/ ٣). . والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥) =

ورواه أحمد وغيره، من طريق محمد بن عبد الجبار الأنصاري، يُحدث عن محمد بن كعب، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمنِ، تَقُولُ: يَا رَبِّ إِنِّي قُطِعْتُ يَا رَبِّ إِنِّي أُسِيءَ إِلَيَّ يَا رَبِّ إِنِّي ظُلِمْتُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ»**.

قَالَ: **«فَيُجِيبُهَا: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ»**.

ومن طريقه رواه البخاري في «الأدب المفرد» بلفظ: **«إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمنِ. تَقُولُ: يَا رَبِّ إِنِّي ظُلِمْتُ، يَا رَبِّ، إِنِّي قُطِعْتُ، يَا رَبِّ، إِنِّي، إِنِّي. فَيُجِيبُها: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، وَأَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ»**.

ومن طريقه رواه ابن حبان بلفظ: **«إِنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمنِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ تَقُولُ: أَيْ رَبِّ، إِنِّي ظُلِمْتُ، إِنِّي أُسِيءَ إِلَيَّ، إِنِّي قُطِعْتُ. قَالَ: فَيُجِيبُها رَبُّهَا: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، وَأَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ»**.

الشرح: قوله ﷺ: **«الرحم شجنة»** وفي الحديث الآخر: **«إن الرحم شجنة من الرحمن»** أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، شبهة بذلك مجازاً واتساعاً. وأصل الشجنة ـ بالكسر والضم ـ: عروق الشجر المشتبكة، ومنه قولهم: الحديث ذو شجون، أي ذو شُعَبٍ وامتساك بعضه ببعض.

والشَّجَن ـ بالتحريك ـ واحد الشجون، وهي طريق الأودية، أي تدخل بعضها في بعض.

وقوله ﷺ: **«من الرحمن»** أي أُخذ اسمها من هذا الاسم. كما جاء عند أحمد وغيره من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال اللّه عز وجل: أنا الرحمن، وأنا خلقت الرحم، واشتققت لها من اسمي، فمن وصلها، وصله اللّه، ومن قطعها، بَتَّه»**[1]. **والمعنى**: أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها، فالقاطع لها، منقطع من رحمة الله تعالى.

وقال الإسماعيلي: معنى الحديث؛ أن الرحم اشتق اسمها من اسم الرحمن، فلها به علقة، وليس معناه، أنها من ذات الله، تعالى الله عن ذلك. قاله في «الفتح».

وقوله جل وعلا: «أما ترضين أن أصل من وصلك» أي أما ترضين أن أَرْحَمُ وأُحْسِنُ وأُجزل العطاء لمن وصلك وقام بحقك عليه. قال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء. والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر، بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفاراً، أو فجاراً، فمقاطعتهم في الله هي صلتهم بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم

= والحاكم (٤/٧٢٨٧) وابن حبان (٤٤٢ ـ ٤٤٤) والطيالسي (٢٥٤٣) وغيرهم. واللفظ الأول لأحمد، ومحمد بن عبد الجبار الأنصاري. قال عنه ابن معين: ليس لي به علم. وقال أبو حاتم: شيخ، وبقية رجال إسناده ثقات].

(١) رواه أحمد (١/١٦٨١).

إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى.

أقول وبالله التوفيق، وقد جاءت السُّنة الشريفة بالحض والحث على صلة الأرحام، والنهي عن قطعها. ففي «صحيح البخاري» وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سره أن يبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أَثَرِهِ، فليصل رحمهُ»**[(١)] ومعنى قوله ﷺ: **«ينسأ له في أثره»** أي يؤخر له في أجله. وسمى الأجل أثراً، لأنه يتبع العمر. وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإن مات لا يبقى له حركة، فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر. وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» من حديث عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما، قوله: **«من اتقى ربه، ووصل رحمه، أنسىء له في عمره، وثرى ما له، وأحبه أهله»**[(٢)].

ومعنى قوله: (**أنسىء له في عمره**) ـ بضم أوله وسكون النون ـ أي يؤخر. قال ابن التين ـ رحمه الله تعالى ـ: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، **والجمع بينهما من وجهين.**

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك. ومثل هذا ما جاء، أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر.

وحاصله، أن صلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت. ومن جملة ما يحصل من التوفيق؛ العلم الذي ينتفع به من بعده، والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح. . ونحو ذلك.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية، فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يُقال للملك مثلاً: إن عمر فلان مائة مثلاً إن وصل رحمه، وستون إن قطعها. وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول؛ القضاء المعلق. والوجه الأول أليق بلفظ الحديث، فإن الأثر ما يتبع الشيء، فإذا أُخر، حَسنٌ أن يُحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور.

وقال الطيبي: الوجه الأول أظهر، وإليه يشير الزمخشري، قال: ويجوز أن يكون المعنى، أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً، فلا يضمحل سريعاً، كما يضمحل أثر قاطع الرحم. قال: ومن هذه المادة، قول الخليل عليه السلام ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩).

قال في «**الفتح**»: وقد ورد في تفسيره وجه ثالث، فأخرج الطبراني في «**الصغير**» بسند ضعيف، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: ذُكر عند رسول الله ﷺ من وصل رحمه أنسىء له في أجله؟ فقال ﷺ: «**إنه ليس زيادة في عمره، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾، ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده**».

وله في «**الكبير**» من حديث أبي مشجعة الجهني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر، ذرية صالحة..**» الحديث.

وجزم ابن فورك، بأن المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله. وقال غيره في أعم من ذلك وفي وجود البركة في رزقه وعلمه ونحو ذلك.

٣ ـ باب في وصل الله تعالى لمن وصل رحمه، وقطعه لمن قطعها

٢١٨ ـ عَن عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ: أَنَا الرَّحْمٰنُ، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَاشْتَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**». (رواه البخاري).

وفي لفظ عند الحاكم: «**أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها شعبة من اسمي فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**».

الشـرح: **قوله جل وعلا: «أنا الرحمن»** فيه إشارة إلى عظيم رحمته تعالى لعباده، حيث إنه سبحانه وتعالى بدأ الكلام بالتنبيه إلى ذلك. قال أبو سليمان الخطابي: وذهب الجمهور من الناس أن «الرحمن» مشتق من الرحمة، مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة، لا نظير له فيها، ولذلك لا يثنى ولا يجمع، كما يثنى الرحيم ويجمع. وبناء فعلان في كلام العرب بناء المبالغة، يُقال لشديد الامتلاء: ملآن، ولشديد الشبع: شبعان، والذي يدل على مذهب الاشتقاق في هذا الاسم حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل: أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**».

قال الخطابي: فالرحمن؛ ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم، وأسباب معايشهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر، والصالح والطالح. وأما الرحيم، فخاص بالمؤمنين كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

قال: والرحيم وزنه فعيل بمعنى فاعل، أي راحم، وبناء فعيل أيضاً للمبالغة كعالم وعليم. وقادر وقدير اهـ. مختصراً.

---

٢١٨ ـ [رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٣) وأحمد (١٦٥٩ ـ ١٦٨٠ ـ ١٦٨١ ـ ١٦٨٦/ ١) والحاكم (٧٢٦٨/ ٤) وأبو داود (١٦٩٤) و(١٦٩٥) وعبد الرزاق (٢٠٢٣٤) وابن حبان (٤٤٣) والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٣٢) وهو حديث صحيح، واللفظ للبخاري].

وقوله جل وعلا: **«وهي الرحم، شققت لها اسماً من اسمي، من يصلها أصله، ومن يقطعها فأبته»** وفي رواية عبد الرحمن بن عوف **«تبته»** أي قطعته من رحمتي، وقد جاء في لفظ عند أحمد: **«من يبتها أبته»** أي قطعت عنه الرحمة. وفي لفظ لأحمد أيضاً من حديث أبي هريرة: **«ومن يقطعها أقطعه، فأبتُّه»** أي فأقطعه قطعاً مبرماً.

وأما قوله جل وعلا: «واشتققت لها من اسمي» قال في «المرقاة» أي أخرجت وأخذت اسمها ـ وقد تقدم ـ وفيه إيماء إلى أن المناسبة الاسمية، واجبة الرعاية في الجملة، وإن كان المعنى على أنها أثر من آثار رحمة الرحمن، ويتعين على المؤمن التخلق بصفات الله تعالى والتعلق بأسمائه.

فائدة في وصل الرجل من قطعه من أرحامه: روى مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي، وأحلم عنهم، وهم يجهلون عليَّ، فقال ﷺ: **«لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك»**(١).

قال القرطبي: وقوله: أحلُم عنهم ـ بضم اللام ـ: أصفح، ومعنى يجهلون عليَّ، أي يقولون قول الجهّال من السبِّ والتقبيح.

وقوله ﷺ: **«لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ»** الحديث. تسفهم ـ بضم التاء، وكسر السين، وضم الفاء ـ أي تجعلهم يسفونه، من السف. وهو شرب كل دواء يؤخذ غير ملتوت، تقول: سففت الدواء وغيره مما يؤخذ غير معجون، وأسففته غيري، أي جعلته يسفه.

والملّ: الرماد الحارُّ، **يقال: أطعمنا خبز مَلَّة**، ومعنى ذلك؛ أن إحسانك إليهم مع إساءتهم لك، يتنزل في قلوبهم منزلة النار المحرقة، لما يجدون من ألم الخزي والفضيحة، والعار الناشىء في قلب من قابل الإحسان بالإساءة.

وقوله ﷺ: **«ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك» الظهير**: المعين، ومعناه؛ أن الله تعالى يؤيدك بالصبر على جفائهم، وحسن الخلق معهم، ويعليك عليهم في الدنيا والآخرة مدة دوامك على معاملتك لهم بما ذكرت اهـ.

خاتمة: روى البخاري وغيره، من حديث عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»**(٢).

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩١).

١٢ ـ كتاب الرحمة وعظيم فضل الله تعالى على عباده المؤمنين

قال الله تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

١ ـ باب سعة رحمة الله تعالى

قال الله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٢١٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»**. [متفق عليه].

وفي لفظ: **«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتَابِهِ، وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ، إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»**. وفي لفظ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»**.

الشرح: قوله ﷺ: «لما قضى الله الخلق» قال الإمام السندي رحمه الله تعالى: أي قدَّر وجودهم، وأنه سيخلقهم اهـ. وقال في **«الفتح»** أي خلق الخلق، كقوله تعالى ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]، أو المراد؛ أوجد جنسه. وقضى: يُطلق بمعنى حكم، واتقن، وفرغ، وأمضى.

وقوله ﷺ: «كتب في كتابه» أي أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ. وقد روى أحمد وأبو داود والترمذي، وغيرهم، بإسناد حسن من طريق الوليد بن عبادة بن الصامت قال: حدثني أبي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد»**(١) وسيأتي. ويحتمل أن يكون المراد ـ بالكتاب ـ اللفظ الذي قضاه، وهو كقوله تعالى ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، أي قضى الله وحكم أن الغلبة لدينه ورسله وعباده المؤمنين.

---

٢١٩ ـ [رواه أحمد (٣/٩٦٠٣) والبخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١) وابن ماجه (٤٢٩٥) والنسائي في «الكبرى» (٧٧٥٠) وغيرهم. واللفظ للبخاري ومسلم].

(١) رواه الترمذي (٣٣١٩).

قوله جلَّ وعلا: «**إن رحمتي غلبت غضبي**» وفي الرواية الأخرى «**سبقت رحمتي غضبي**» قال الطيبي: في سبق الرحمة، إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنيناً، ورضيعاً، وفطيماً، وناشئاً، قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك.

وقال الإمام القرطبي: القول في غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى إرادته، من إيصال المنافع إلى المرحومين، أو إيصال المضار إلى المغضوب عليهم. فيرجع غضبه إذاً ورحمته إلى الأفعال، وهو المراد بهذا الحديث.

وإذا ظهر هذا فمعنى غلبة الرحمة، أو سبقها على ما جاء في الرواية الأخرى: أن رفقه بالخلق، وإنعامه عليهم، ولطفه بهم، أكثر من انتقامه قال: ثم العجب، أن الانتقام به كملت الرحمة والإنعام، وذلك أن بانتقامه من الكافرين كملت رحمته على المؤمنين، وبذلك حصل صلاحهم وإصلاحهم، وتمَّ لهم دينهم وفلاحهم، وظهر لهم قدر نعمة الله عليهم في حرف ذلك الانتقام عنهم، فقد ظهر أن رحمته سبقت غضبه، وإنعامه غلب انتقامه.

خاتمة:

روى مسلم وغيره من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله مائة رحمة، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم، وتسعة وتسعون ليوم القيامة**»(١).

وفي لفظ له: «**إن الله خلق، يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض. فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة، أكملها بهذه الرحمة**».

٢ ـ باب رحمة الله تعالى لمن خافه وخشي من عقابه

٢٢٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الموتُ، قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُت فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِي عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ أَحَداً.

فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذٰلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الأَرْضَ، فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ حَمَلَتْنِي. فَغَفَرَ لَهُ» وفي لفظٍ: «مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ». (متفق عليه).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٣).

٢٢٠ ـ [أخرجه مالك في «موطئه» (٥٦٨) في الجنائز، وأحمد (٣/١١٦٦٤) والبخاري (٣٤٨١ و ٧٥٠٦) ومسلم (٢٧٥٦) والنسائي في «المجتبى» (٢٠٧٨) وفي «الكبرى» (١/٢٢٠٦) وعبد الرزاق (٢٠٥٤٨) والبغوي في «شرح السنة» (٤١٨٣) وغيرهم].

وفي لفظ عند مسلم: «أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ أَوْصَىٰ بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي البَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِي عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَداً. قَالَ: فَفَعَلُوا ذٰلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ. فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ ـ أَوْ قَالَ ـ مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ بِذٰلِكَ».

وفي لفظ للبخاري: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لاَ يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ. فَغَفَرَ لَهُ».

٢٢١ ـ وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ المَوْتُ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَىٰ أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَباً كَثِيراً وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَاراً، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي، فَامْتَحَشَتْ، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْماً رَاحاً، فَاذْرُوهُ فِي اليَمِّ. فَفَعَلُوا. فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذٰلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ. فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ» قال عقبة بن عمرو: «وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَاكَ، وَكَانَ نَبَّاشاً». (رواه البخاري).

٢٢٢ ـ وَعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُم، رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُم؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ.

فَفَعَلُوا. فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ». (متفق عليه).

وفي لفظ عند مسلم: «أَنَّ رَجُلاً فِيمَنَ كَانَ قَبْلَكُم، رَاشَهُ اللَّهُ مَالاً وَوَلَداً، فَقَالَ لِوَلَدِهِ: لَتَفْعَلُنَّ مَا آمُرُكُم بِهِ، أَوْ لأُوَلِّيَنَّ مِيرَاثِي غَيْرَكُم، إِذَا أَنَا مُتُّ، فَأَحْرِقُونِي ـ وأكثر علمي أنه قال ـ ثُمَّ اسْحَقُونِي، وَاذْرُونِي فِي الرِّيحِ، فَإِنِّي لَمْ أَبْتَهِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْراً، وَإِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي.

قَالَ: فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِيثَاقاً، فَفَعَلُوا ذٰلِكَ بِهِ، وَرَبِّي. فَقَالَ اللَّهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، قَالَ: فما تَلاَفَاهُ غَيْرُهَا».

وفي لفظ عند البخاري: «. . . فَقَالَ اللَّهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ مَخَافَتُكَ ـ أو ـ فَرَقٌ مِنك، فما تَلاَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ».

ووقع عند ابن حبان بلفظ: «. . . فَإِذَا أَنَا مِتُّ، فَاحْرِقُونِي، وَاسْحَقُونِي، فَإِذَا كَانَ فِي يَوْمِ

---

٢٢١ ـ [رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٢) وطرفاه في (٣٤٧٩) و (٦٤٨٠)، ورواه النسائي في «المجتبى» (٢٠٧٩) وفي «الكبرى» (١/٢٢٠٧) وابن حبان (٦٥١) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/١٢٤)].

٢٢٢ ـ [رواه أحمد (٤/١١٠٩٧) والبخاري (٣٤٧٨) و(٦٤٨١) و(٧٥٠٨) ومسلم (٢٧٥٧) وابن حبان (٦٤٩ ـ ٦٥٠) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/١٣٢)].

عَاصِفٍ، فَذَرُوني. قَالَ: فَمَاتَ، فَفُعِلَ بِهِ ذٰلِكَ، فَقَالَ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ كَأَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ، فَقَالَ اللّهُ: يَا عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: مَخَافَتُكَ أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَمَا تَلافَاهُ أَنْ غُفِرَ لَهُ».

٢٢٣ ـ وعن حَكيم بْنِ مُعاوية، عَنْ أَبيهِ مُعاوية بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«إِنَّ رَجُلاً مِمَّن كَانَ قَبْلَكُم رَغَسَهُ اللّهُ تَعَالَى مَالاً وَوَلَداً، حَتَّى ذَهَبَ عَصْرٌ، وَجَاءَ آخَرُ، فَلَمَّا** احْتُضِرَ قَالَ لِوَلَدِهِ: **أَيَّ أَبٍ كُنتُ لَكُمْ؟ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ، فَقَالَ: هَلْ أَنْتُمْ مُطِيعِي، وإلاَّ أَخَذْتُ مَالِي مِنْكُمْ؟ انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ أَنْ تَحرِقُوني حَتَّى تَدَعُوني حُمَماً، ثُمَّ اهْرُسُوني بِالمِهْرَاسِ»** وَأَدَارَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَدَيْهِ حِذَاءَ رُكْبَتَيْهِ، قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«فَفَعَلُوا وَاللّهِ»** وَقَالَ نَبِيُّ اللّهِ بِيَدِهِ هٰكَذَا: **«ثُمَّ اذْرُوني في يوم رَاحٍ لَعَلِّي أُضِلُّ اللّهَ تَعَالَى، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ في قَبْضَةِ اللّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ مَخَافَتِكَ»** قَالَ: **«فَتَلافَاهُ اللّهُ تَعَالَى بِهَا»**. (رواه أحمد).

٢٢٤ ـ وعن أبي مسعود الأنصاري، عن حذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«كانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ يَعْمَلُ بالمعاصي فلما حَضَرَهُ الموتُ قالَ لأَهْلِهِ: إذا أنا متُّ فاحرِقُوني ثم اطْحَنُوني ثم ذَرُوني في البَحْرِ في يَومِ رِيحٍ عاصِفٍ»** قال: **«فلما ماتَ فَعَلُوا»** قال: **«فَجمعَهُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في يَدِهِ قَالَ لَهُ: ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ؟ قَال: خَوْفُكَ، قال: فإني قد غفرْتُ لَكَ»**. (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: **«كان رجل يسرف على نفسه»** أي في معصية اللّه تعالى. وقد جاء في حديث حذيفة عند ابن حبان بلفظ: **«توفي رجل كان نباشاً . .»**[1] الحديث. أي كان ينبش القبور، ويستخرج ما في أيدي الموتى أو أعناقهم من حليٍّ، أو غير ذلك مما كانوا يجملون به موتاهم ويزينونه به. وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في رواية البخاري أيضاً. من حديث عقبة بن عمرو رضي الله عنه، حيث قال: وكان نباشاً. ويظهر أن هذا الرجل كان من اليهود. حيث إن البخاري ذكر حديثه في أحاديث الأنبياء. باب ما ذُكر عن بني إسرائيل.

وأما قوله ﷺ في الرواية الأخرى **«قال رجل لم يعمل خيراً قط»** أي لم يعمل في حياته عملاً يُشكر عليه، ويُحمد على فعله، غير أنه كان مؤمناً بالله تعالى، بدلالة ما أخبر في سياق الحديث، سوى أنه كما يظهر، كان غير عارفاً بأمور الدين والشريعة، أولاً لسرقته الأموات، وثانياً لجهله بمقدار ربه وقدرته حيث إنه قال: **«لئن قدر على ربي. .»** وهذا ليس من باب الشك بقدرة الله تعالى عليه وإنما من باب الجهل وعدم معرفته بقدر الله تعالى، ويدل عليه قوله في رواية أحمد: **«لعلي أضل الله تعالى»** أي أغيب عنه.

---

٢٢٣ ـ [رواه أحمد (٢٠٠٣٢ ـ ٢٠٠٤٤ ـ ٢٠٠٦٤/ ٧) والدارمي (٢٨١٣) وإسناده صحيح].

٢٢٤ ـ [رواه أحمد (٢٣٣١٣/ ٢) و(١٧٠٦٤/ ٦) وإسناده صحيح].

(١) رواه ابن حبان (٦٥١).

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «رغسه الله مالاً» أي أعطاه مالاً، وبارك له فيه. وهي بمعنى ما جاء في الرواية الثانية: «أن رجلاً ممن كان قبلكم راشه الله مالاً وولداً» أي أعطاه الله تبارك وتعالى مالاً وولداً، ولم يحرمه شيء منهما.

وقوله ﷺ: «فقال له كن، فكان كأسرع من طرفة العين» وهو نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقوله ﷺ: «فما تلافاه أن غفر له» أي فما أن تداركه، حتى غفر له. قال الإمام القرطبي: ومعظم فوائد هذا الحديث، أن المسرف على نفسه لا ييأس من رحمة الله تعالى ومغفرته، وفيه ما يدل على أنه كان من شرائع من قبلنا، أن للرجل أن يورث ماله من يشاء من الناس، فنسخ ذلك شرعنا.

٣ ـ باب رحمة الله تعالى، لمن أقبل عليه مؤمناً تائباً، فادركته منيته قبل ذلك

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٢٢٥ ـ عَنْ أَبي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «كان في بني إسرائيلَ رَجلٌ قتلَ تسعةً وتسعينَ إنساناً، ثمّ خَرجَ يَسألُ، فأتى راهِباً فسألهُ فقال له: هل مِن توبة؟ قال: لا، فقتله: فجعلَ يَسألُ، فقال له رجلٌ ائتِ قريةَ كذا وكذا، فأدركهُ الموتُ فناءَ بصدرِهِ نحوَها، فاختصَمَتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذاب، فأوحىٰ الله إلى هٰذِهِ أنْ تَقرَّبي، وأوحىٰ الله إلى هٰذِهِ أن تَباعَدي، وقال: قِيسوا ما بينهما، فوُجِدَ إلى هٰذِهِ أقربَ بِشبر، فغُفِرَ له» (متفق عليه).

وفي رواية عند مسلم بلفظ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً. فَسأَلَ عَنْ أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ. فَأتَاهُ فَقَالَ: إنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لاَ. فَقَتَلَهُ. فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً. ثُمّ سَألَ عَنْ أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ. فَقَالَ: إنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إلىٰ أرْضِ كَذَا وَكَذَا. فإنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ اللّهَ فَاعْبُدِ اللّهَ مَعَهُمْ. وَلاَ تَرْجِعْ إلَى أرْضِكَ فَإنَّهَا أرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أتَاهُ الْمَوْتُ. فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ العَذَابِ. فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إلَى اللّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ العَذَابِ: إنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خيراً قَطُّ. فَأتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ. فَجعَلُوهُ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأرْضَيْنِ. فَإلَى أيَّتِهِمَا كَانَ أدْنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أدْنَى إلَى الأرْضِ الَّتِي أرَادَ. فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ».

---

٢٢٥ ـ [رواه أحمد (١١١٥٤ ـ ١١٦٨٧/ ٤) والبخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) وابن ماجه (٢٦٢٢) وابن حبان (٦١١) و(٦١٥)].

وفي رواية عند أحمد بلفظ: «إِنَّ رَجُلاً قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفساً فَسأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الأرض فَدُلَّ على رجُل فأتاهُ فقال: إنَّهُ قَتَلَ تَسْعَةً وَتِسْعِينَ نفساً فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قال: لقد قتلَ تسعةً وتِسْعِينَ نفساً فَلَيسَتْ له تَوْبَةٌ قالَ: فَانْتَضَى سَيفَهُ فَقَتَلَهُ، فكَمَّلَ مائةً ثم إِنَّهُ مَكَثَ ماشاءَ اللهُ ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الأرض، فدُلَّ على رَجُلٍ فقال: إنَّهُ قَدْ قَتَلَ مائةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقال: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، اخرُجْ مِنَ القَرْيَةِ الخَبِيثةِ التي أَنتَ بها إلى قَرْيَةِ كذا وكذا، فاعْبُدْ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ فِيها، قال: فخرج وعرَضَ لَهُ أَجَلُهُ فاختَصَمَ فِيهِ ملائكةُ العَذَابِ، وملائكةُ الرَّحْمَةِ، قال إبليسُ: إنه لم يَعْصِنِي ساعةً قطُّ. قالتْ مَلائِكةُ الرَّحْمَةُ: إنَّهُ خَرَجَ تائباً» فَزَعَمَ حميد أن بكراً حدثه عن أبي رافع قال: «فَبَعَثَ اللهُ مَلَكاً فاختَصَما إلَيْهِ» رجع الحديث إلى حديث قتادة قال: «انْظُرُوا إلى أيِّ القَرْيَتَيْنِ كانَ أَقْرَبَ فَأَلْحِقُوهُ بها» قال قتادة: «فَقَرَّبَ اللهُ مِنْهُ القَرْيَةَ الصَّالِحَةَ، وَبَاعَدَ عَنْهُ القَرْيَةَ الْخَبِيثَةَ، فَأَلْحَقُوهُ بِأَهْلِهَا».

الشرح: قوله ﷺ «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله» والسياق يدل على أن ذلك إنما كان بعد رفع عيسى عليه السلام، لأن الرهبانية إنما ابتدعها أتباعه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

قوله ﷺ «فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله» فيه جهل هذا الراهب، وأنه كان يعبد الله تعالى على غير علم ومعرفة حيث إنه أغلق باب التوبة فيمن أقبل على الله تعالى تائباً مُقراً معترفاً بذنوبه، فجعله في يئس من رحمته تعالى، فأكمل به المئة. وكل ذلك بسبب جهله وقلة إدراكه ودرايته بمعرفة طباع البشر. وهذا الجهل ما زال مستشرٍ عند كثير من الرهبان والقسيسين في زماننا الحاضر، وهو مُشاهد معروف.

وقوله ﷺ «فجعل يسأل، فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا» وفي الرواية الأخرى: «ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال إنه قتل مائة نفس. فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء» فيه دلالة بينة على فضل العالم على العابد، ومدى نفعه للعباد والبلاد. وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وإلى قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]، وذلك لما في عشرة الصالحين من أثر حسن على سلوك المرء. والعكس صحيح.

قوله ﷺ «فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها» أي فمال إلى الأرض التي طلبها، «فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب» حيث إن كل واحد من الفريقين يريد أن يأخذه: «فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له» وهنا تتجلى رحمة الباري سبحانه وتعالى بعباده المذنبين، الذين أتوه تائبين مقلبين على رحمته راجين مغفرته.

قال في «الفتح»: وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس،

ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه. وفيه أن المفتي قد يجيب بالخطأ، وغفل من زعم أنه إنما قتل الأخير على سبيل التأول لكونه أفتاه بغير علم لأن السياق يقتضي أنه كان غير عالم بالحكم حتى استمر يستفتي، وأن الذي أفتاه استبعد أنْ تصح توبته بعد قتله لمن ذكر أنه قتل بغير حق، وأنه إنما قتله بناء على العمل بفتواه لأن ذلك اقتضى عنده أن لا نجاة له فيئس من الرحمة، ثم تداركه الله تعالى، فندم على ما صنع فرجع يسأل.

وفيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب، لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده وأن يستعمل معه المعاريض مداراة عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل فضلاً عن أن الحاكم لم يكن عنده إلا مظنوناً.

وفيه أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً، وأنهم يختصمون في ذلك حتى يقضي الله بينهم، وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: «ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء» ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها.

وفيه فضل العالم على العباد لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة، قال عياض: وفيه أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب، وهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا وفي الاحتجاج به خلاف لكن ليس هذا من موضع الخلاف لأن موضع الخلاف إذا لم يرد في شرعنا تقريره وموافقته، أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف، ومن الوارد في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وحديث عبادة بن الصامت ففيه بعد قوله ولا تقتلوا النفس وغير ذلك من المنهيات «فمن أصاب من ذلك شيئاً فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه». (متفق عليه).

قال الحافظ: ويؤخذ ذلك أيضاً من جهة تخفيف الآصار عن هذه الأمة بالنسبة إلى من قبلهم من الأمم. فإذا شرع لهم قبول توبة القاتل، فمشروعيتها لنا بطريق الأولى. اهـ مختصراً.

٤ ـ باب في فضل الله تعالى ورحمته على من تجاوز عن عباده

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

٢٢٦ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَلَقَّتِ المَلائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ

---

٢٢٦ ـ [رواه أحمد (٢٣٤١٣ ـ ٢٣٤٤٤/٩) والبخاري (٢٠٧٧) و(٢٣٩١) و(٣٤٥١) ومسلم (١٥٦٠) وابن ماجه (٢٤٢٠) واللفظ الأول للبخاري].

قَبْلَكُم، قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئاً؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ المُوسِرِ»، قَالَ: «فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ». (متفق عليه).

وفي لفظ عند مسلم: «تَلَقَّتِ المَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُم، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئاً؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: تَذَكَّرْ. قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا المُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ المُوسِرِ. قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ».

وفي لفظ له أيضاً: «رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنَ الخَيْرِ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ رَجُلاً ذَا مَالٍ. فَكُنْتُ أُطَالِبُ بِهِ النَّاسَ. فَكُنْتُ أَقْبَلُ المَيْسُورَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ المَعْسُورِ. فَقَالَ: تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي».

وفي لفظ له أيضاً: «أُتِيَ اللَّهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، آتَاهُ اللَّهُ مَالاً. فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ ـ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً ـ قَالَ: يَا رَبِّ، آتَيْتَنِي مَالَكَ. فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ. فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ، فَقَالَ اللَّهُ أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي».

٢٢٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ، خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْراً قَطُّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ» (رواه النسائي).

ورواه البخاري وغيره من حديث النبي ﷺ قال: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِراً قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ».

الشرح: قوله ﷺ: «قال: كنت آمر فتياني» أي عمالي على مالي، أولاداً له كانوا أم غيرهم، **«أن ينظروا»** أي أن يمهلوا المعسر، كما جاء في الرواية الثانية: **«ويتجاوزوا عن الموسر»** التجاوز والتجوز، معناهما المسامحة في الاقتضاء، والاستيفاء، وقبول ما فيه نقص يسير. وبينته الرواية الأخرى: **«فكنت أقبل الميسور، وأتجاوز عن المعسور»** أي آخذ ما تيسر، وأسامح بما تعسر.

قال الإمام النووي: وفي هذه الأحاديث، فضل إنظار المعسر، والوضع عنه، إما كل الدين، وإما بعضه من كثير أو قليل، وفضل المسامحة في الاقتضاء، وفي الاستيفاء سواء استوفى من موسر

---

٢٢٧ ـ [الحديث الأول ـ أخرجه أحمد (٣/٨٧٣٨) والنسائي في «المجتبى» (٤٧٠٨) وفي «الكبرى» (٤/٦٢٩٣) والحاكم (٢/٢٢٢٣) وابن حبان (٥٠٤٣) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/٣٢٦) وإسناده جيد. والحديث الثاني ـ أخرجه أحمد (٣/٧٥٨٢) والبخاري (٢٠٧٨) ومسلم (١٥٦٢) والنسائي في «المجتبى» (٤٧٠٩) وفي «الكبرى» (٤/٦٢٩٤) والطيالسي (٢٥١٤) وابن حبان (٥٠٤٢) وغيرهم. واللفظ للبخاري].

أو معسر. وفضل الوضع من الدين، وأنه لا يحتقر شيء من أفعال الخير، فلعله سبب السعادة، والرحمة. وفيه جواز توكيل العمال والإذان لهم في التصرف. وهذا على قول من يقول: شرع من قبلنا شرع لنا.

خاتمة في السماحة في البيع والشراء، وفي طلب الحقوق بعفاف: روى البخاري وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**» [(١)] أي طلب قضاء حقه بسهولة وعدم إلحاف. وأخرجه ابن حبان بزيادة: «**سمحاً إذا قضى**». وللترمذي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء**» [(٢)] وللنسائي وابن ماجه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «**أدخل الله عز وجل رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً، وقاضياً ومقتضياً، الجنة**» [(٣)].

وروى مسلم وغيره من طريق عبد الله بن أبي قتادة، أن أبا قتادة طلب غريماً له فتوارى عنه، ثم وجده، فقال إني مُعسرٌ، فقال: آللّه، قال آللّه. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه**» [(٤)]. **والكرب**: جمع كربة، وهي الغم الذي يأخذ بالنفس، ومعنى قوله ﷺ «**فلينفس**» أي يمدّ ويؤخر المطالبة. وقيل معناه: يفرج عنه.

وفي هذه الأحاديث، الحضُّ على السماحة في المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق، وترك المشاحة، والحضُّ على ترك التضييق على الناس في المطالبة، وأخذ العفو منهم.

٥ ـ باب فضل الله تعالى في كتابة الحسنات والسيئات

قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ [القصص: ٨٤].

٢٢٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فلا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٦).

(٢) رواه الترمذي (١٣١٩).

(٣) رواه النسائي (٤٧١٠) وابن ماجة (٢٢٠٢).

(٤) رواه مسلم (١٥٦٣).

٢٢٨ ـ [رواه أحمد (٧٢٠٠ ـ ٧٣٠٠ ـ ٣/٩٣٣٦) والبخاري (٧٥٠١) ومسلم (١٢٨) و(١٢٩) و(١٣٠) وابن منده في «الأيمان» (٣٧٩ ـ ٣٨٠) وابن حبان (٣٨٠ ـ ٣٨٢) وغيرهم].

وإذا أرادَ أنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فلَمْ يَعْمَلْها، فاكْتُبُوها لهُ حَسَنَةً، فإنْ عمِلَها فاكْتُبُوها لهُ بِعَشْرِ أمْثالِها إلَى سَبْعِمائةٍ». (متفق عليه).

وفي رواية عند مسلم بلفظ: **«قالَتِ المَلائِكَةُ: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُريدُ أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ـ وهُوَ أبْصَرُ بِهِ ـ فَقالَ: ارْقُبُوهُ. فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها لهُ بِمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها فاكْتُبُوها لهُ حَسَنَةً، إنَّما تَرَكَها مِنْ جَرَّايَ»** أي من أجلي.

ورواه الترمذي بلفظ: **«قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ، وقَوْلُهُ الحَقُّ: إذا هَمَّ عَبْدِي بحَسَنَة فاكْتُبُوها لهُ حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها لهُ بِعَشْرِ أمْثالِها، وإذا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلا تَكْتُبُوها، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها بِمِثْلِها، فإنْ تَرَكَها ـ وربما قال ـ لَمْ يَعْمَلْ بِها، فاكْتُبُوها لهُ حَسَنَةً، ثُمَّ قَرأ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾»**.

وفي لفظ عند ابن حبان عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلا، قَالَ: **«مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبْتُ لَهُ حَسَنَةً، فَإنْ عَمِلَها كَتَبْتُها بِعَشْرِ أمْثالِها إلَى سَبْعِمائَةٍ. وإنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، لَمْ أكْتُبْ عَلَيْهِ، فَإنْ عَمِلَها، كَتَبْتُها عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**.

وفي لفظ عند أحمد من حديث النبي ﷺ قال: **«مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ بِعَشْرِ أمْثالِها، إلَى سَبْعِمائَةٍ، وَسَبْعِ أمْثالِها، فإنْ لَمْ يَعْمَلْها، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فإنْ لَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ»**.

٢٢٩ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللّه ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجلّ، قالَ: **«إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذٰلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وإنْ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ عَزَّ وَجلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إلَى أضْعافٍ كثيرةٍ.**

وإنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وإنْ هَمَّ بِها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». (متفق عليه).

وفي لفظ عند أحمد، عَنْ رَسُولِ اللّهِ فيما رَوى عَنْ رَبِّهِ قَالَ: **«إنَّ رَبَّكُم تَبارَكَ وَتَعالَى رَحِيمٌ، مَن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشرةً، إلى سَبعِمائَةٍ، إلى أضْعافٍ كَثيرةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةً، أوْ يَمْحُوها اللهُ، ولا يَهلِكُ عَلَى اللهِ تَعالَى إلاَّ هالِكٌ»**.

الشرح: **قوله جلَّ وعلا: «إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة، فلا تكتبوها عليه حتى يعملها»** وفي الرواية الثانية: **«قالت الملائكة: رب، ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة ـ وهو أبصر به»**. وفي الرواية

---

٢٢٩ ـ [رواه أحمد (١/٢٥١٩) والبخاري (٦٤٩١) ومسلم (١٣١) وابن منده في الإيمان (٣٨١) والطبراني في «الكبير» (١٢٧٦٠) والدارمي (٢٧٨٦) وغيرهم. واللفظ الأول لمسلم].

الثالثة: «**وإذا هم بسيئة فلا تكتبوها. .**» وفي حديث ابن عباس: «**فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة. .**» الحديث.

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: محل كتابة الحسنة على الترك، أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه، لأن الإنسان لا يسمى تاركاً إلا مع القدرة، ويدخل فيه من حال بينه وبين حرصه على الفعل مانع.

وقال ابن الجوزي: إذا حدث نفسه بالمعصية لم يؤاخذ، فإن عزم وصمم زاد على حديث النفس، وهو من عمل القلب، قال: والدليل على التفريق بين الهم والعزم؛ أن من كان في الصلاة، فوقع في خاطره أن يقطعها لم تنقطع. فإن صمم على قطعها بطلت. اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تكلم به**» متفق عليه. **أقول وبالله السداد ومنه التوفيق**: حديث النفس، هو ما يمر بالفكر من غير استقرار. وهو خلاف ـ الهم ـ وهو حديث النفس مع العزم والقصد مع الإصرار. قال في «**الفتح**»: من فعل المعصية ولم يتب منها ثم هم أن يعود إليها، فإنه يعاقب على الإصرار، كما جزم به ابن المبارك وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٥]. ويؤيده أن الإصرار معصية اتفاقاً. فمن عزم على المعصية وصمم عليها كتبت عليه سيئة، فإذا عملها كتبت عليه معصية ثانية.

قال الإمام النووي: وهو ظاهر حسن لا مزيد عليه، وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. والآيات في هذا كثيرة. وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد، واحتقار المسلمين، وإرادة المكروه بهم، وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: في هذه الأحاديث دليل على أن الحفظة يكتبون أعمال القلوب وعقدها، خلافاً لمن قال إنها لا تكتب إلا الأعمال الظاهرة.

وقوله ﷺ: «ولا يهلك على الله إلا هالك» قيل: معناه من يحرم من هذه الرحمة الواسعة، وغلبت سيئاته، مع سعة المغفرة وأفراد السيئة، فهو الهالك، أي حتم هلاكه، وسدت عليه أبواب الهدى.

وقال الإمام السندي: وقوله ﷺ «**ولا يهلك على الله إلا هالك**» أي لا يكون أحداً هالكاً عنده تعالى مستوجباً للعذاب، محروماً من الرحمة مع سعتها، إلا من كان هالكاً في المعاصي بالانهماك فيها، وعدم الارتداع عنها بالكلية، حتى ما استحق من الرحمة ـ مع سعتها ـ شيئاً، وإلا فمن جمع بينها وبين الحسنات، فالمرجو له النجاة لما سبق من سعة الرحمة، كيف وقد قال تعالى: «**سبقت رحمتي غضبي**».

والظاهر أن معناه: أن من استحق من الرحمة شيئاً ولو مع استحقاقه الغضب، فالغالب

المعاملة معه بالرحمة دون الغضب، فلا تكون المعاملة بالغضب غالباً إلا مع من لا يستحق إلا الغضب، وهو الهالك.

وفي الحديث بيان عظيم سعة رحمة الله تعالى، وكرمه، حيث إنه سبحانه وتعالى جعل السيئة حسنة إذا لم يعملها، وإذا عملها واحدة، والحسنة إذا لم يعملها واحدة، وإذا عملها عشراً إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. فمن حُرم هذه السعة، وفاته هذا الفضل، وكثرت سيئاته حتى غلبت ـ مع أنها أفراد ـ حسناته ـ مع أنها متضاعفة ـ فهو الهالك المحروم.

٦ ـ باب فضل الله تعالى على عباده المذنبين من أهل التوحيد، وغضه عن كثير ممن اقترفوا

قال الله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

٢٣٠ ـ عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخولاً الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ. فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ. فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا. وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا؟**

فَيَقُولُ: نَعَمْ. لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَهُنَا».

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. (رواه مسلم).

وفي لفظ عند أحمد: **«يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ»** قَالَ: **«فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ وَيُخَبَّأُ عَنْهُ كِبَارُهَا، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَهُوَ مُقِرٌّ لاَ يُنْكِرُ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنَ الكِبَارِ، فَيُقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً».** قَالَ: **«فَيَقُولُ: إِنَّ لِي ذُنُوباً مَا أَرَاهَا»** قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

الشرح: قوله ﷺ: **«وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه»** أي خائف منها، ولذلك لعظم جرمها ولما رآه من عذاب في نار جهنم، بسبب ما كسبت جوارحه، ولطول مكثه في العذاب، لقول النبي ﷺ **«إني لأعلم آخر أهل النار دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها».**

وأما قوله جلّ وعلا: «أعطوه مكان كل سيئة حسنة» هو من باب فضل الله تعالى ورحمته بعباده

---

٢٣٠ - [رواه أحمد (٢١٤٥١ ـ ٢١٥٤٨/٨) ومسلم (١٩٠) والترمذي (٢٥٩٦) وفي «الشمائل» (٢٢٩) وابن منده (٨٤٧ ـ ٨٤٨) وأبو عوانة (١٦٩ ـ ١٧٠/١) وغيرهم. واللفظ الأول لمسلم].

المذنبين، حيث إنه جل جلاله، بدل سيئاتهم حسنات. وهي نحو قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقوله ﷺ: «فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها» إشارة إلى عظيم رحمة الله تعالى به، واستكثاراً للحسنات، إذ علم أنه لا يؤاخذ بسيئاته، وإنما تبدل له حسنات.

وقوله رضي الله عنه: (فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه). **النواجذ**: الأضراس. وفيه دلالة على فرح رسول الله ﷺ بمغفرة الله تعالى لمن عصى وأذنب من أمته. وفيه يتجلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٧ ـ باب في فضل الله تعالى في مضاعفة الأجر، وسرعة إقباله على من قصده واتجه إليه

٢٣١ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ، فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، أَوْ أَغْفِرُ.**

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». (رواه مسلم).

وفي لفظ عند أحمد: **«يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَجَزَاؤُهَا مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ عَمِلَ قِرَابَ الأَرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لَقِيَنِي لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئاً جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَهَا مَغْفِرَةً،**

وَمَنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْراً اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَمَنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

٢٣٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ، جِئْتُهُ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ»**. (رواه مسلم).

٢٣٣ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، قَالَ: **«إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَإِذَا أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»**. (رواه البخاري).

الشرح: قوله جل وعلا: **«من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة، فجزاؤه سيئة مثلها، أو أغفر»** وهذه المغفرة من عظيم رحمة الله تعالى بعباده، ومزيد فضله عليهم. وقد تقدم القول في الحديث ثمة في باب فضل الله تعالى في كتابة الحسنات والسيئات.

---

٢٣١ ـ [رواه أحمد (٨/٢١٥٤٤) ومسلم (٢٦٨٧) وابن ماجه (٣٨٢١) واللفظ الأول لمسلم].

٢٣٢ ـ [رواه مسلم في الذكر والدعاء (٣/٢٦٧٥)].

٢٣٣ ـ [رواه البخاري في التوحيد (٧٥٣٦)].

وقوله جل وعلا: «ومن تقرب مني شبراً» أي ومن تقرب مني بالطاعات وعمل الصالحات الشيء اليسير: «تقربت منه ذراعاً» أي أقبلت عليه برضاي ورحمتي ومحبتي ورعايتي وأكثر مما تقرب إلي. وهو من المجاز، ذلك أن بلوغ المسافات، وتداني الأجسام في حقه تعالى محال، واللفظ من باب التقريب إلى الأذهان.

وقوله جل وعلا: «ومن تقرب مني ذراعاً، تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» قال أهل اللغة: البوع والباع؛ سواء وهو قدر مد اليدين وما بينهما من البدن. وهو ها هنا مثل لقرب ألطاف الله تعالى من العبد إذا تقرب إليه بالإخلاص والطاعة، وقال ابن التين والهرولة هنا كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضا الله تعالى عن العبد، وتضعيف الأجر. قال: والهرولة ضرب من المشي السريع وهي دون العدو. وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى ـ المراد بما جاء في هذا الحديث سرعة قبول توبة الله تعالى للعبد، أو تيسير طاعته وتقويته عليها وتمام هدايته وتوفيقه.

وقوله جل وعلا: «ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً، لقيته بمثلها مغفرة» قراب الأرض: ملء الأرض. والحديث نحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وقوله جل وعلا: «وإذا تلقاني بباع، جئته أتيته بأسرع» قال النووي: هكذا هو في أكثر النسخ «جئته أتيته» وفي بعضها «جئته بأسرع» فقط. وفي بعضها «أتيته». وهاتان ظاهرتان، والأول صحيح أيضاً، والجمع بينهما للتوكيد، وهو حسن لا سيما عند اختلاف اللفظ.

٨ ـ باب في الرجاء، وعدم القنوط من رحمة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣].

٢٣٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَضْحَكُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُم قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُم كَثِيراً**». ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَبْكَى القَومَ، وَأَوْحَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيهِ: «يَا مُحَمَّد، لِمَ تُقَنِّطُ عِبَادِي؟» فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا، وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا**». (رواه البخاري).

وفي لفظ عند ابن حبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقَالَ: «**لَوْ تَعْلَمونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُم قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُم كَثِيراً**» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ، لِمَ تُقَنِّطُ عِبَادِي؟**» فَرَجَعَ إِلَيهِمْ، فَقَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا**».

---

٢٣٤ ـ [رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٤) وابن حبان (١١٣ ـ ٣٥٨ ـ ٦٦٢) وروى بعضه أحمد (٧٥٠٢ ـ ٣/١٠٠٣٦) والبخاري في «الصحيح» (٦٦٣٧) والترمذي (٢٣١٣) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

الشرح: قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو تعلمون ما أعلم» يُقسم عليه الصلاة والسلام برب العالمين الذي أنفس الخلائق بيده، أنه لو يعلمون ما علمه رسول الله ﷺ من عقاب الله تعالى لأهل معصيته وشدة عذابه لهم، وأحوال الموت والقبر والحشر وما يتخللهم من أهوال وحساب وعقاب **«لضحكتم قليلاً»** ممن هو مُضحك **«ولبكيتم كثيراً»** على أنفسكم وما اقترفتم واجترحتم، ومما قصرتم وضيعتم وفرطتم في جنب الله تعالى.

وقوله جل وعلا: «لم تقنط عبادي؟» والقنوط، هو أشد اليأس. ومن قنط من رحمة الله تعالى ويئس من لطفه، وَفَرَجِهِ، فقد قطع حبل الرجاء منه سبحانه وتعالى.

والمراد بقوله جل وعلا للنبي ﷺ: **«لم تقنط عبادي»** تنبيه النبي ﷺ ونصحه وإرشاده وأمته على اتباع سبيل الترغيب مع الترهيب في الموعظة، لئلا يكون الترهيب عاملاً لبعضهم على القنوط من رحمة الله تعالى، وهو أضرُّ من الغفلة، فامتثل عليه الصلاة والسلام لأمر ربه جل وعلا وعاد إليهم قائلاً.

قوله ﷺ: «أبشروا» من البشرى، وهي الفأل الحسن، الذي يفرح القلوب، ويسر الخواطر، ويجعل الوجه طليقاً فرحاً لما سيلقى من البشارة، والمراد من البشرى هنا، عظيم فضل الله تعالى، على عباده المؤمنين، أن الله رضي لكم القليل من العمل ويعطى عليه الكثير من الأجر، أي لا تفرطوا ظناً بأن القليل من العمل لا يغني شيئاً والكثير لا نستطيعه، وكذا لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة، لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فَتُفَرِّطُوا. وفي «صحيح» البخاري وغيره، من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقول: **«خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا»**[(١)].

وقوله ﷺ: «وسددوا» من السداد، أي اطلبوا بأعمالكم السداد والاستقامة، وهو القصد في الأمر والعدل فيه.

وقوله ﷺ: «وقاربوا» أي اطلبوا الوسط بين الإفراط والتفريط، وإن عجزتم عنه فاقربوا منه، وقيل معناه: لا تبلغوا النهاية باستيعاب الأوقات كلها، بل اغتنموا أوقات نشاطكم في أول النهار، وآخره، وبعض الليل، وارحموا أنفسكم فيما بينهما كيلا ينقطع بكم، تبلغوا مقصدكم.

وفي «الصحيح» من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، أن الحولاء بنت تويت مرت بها، وعندها رسول الله ﷺ، فقلت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تنام الليل! خذوا من العمل ما تطيعون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا»**.

وعند مسلم وغيره، عن أنس رضي الله عنه، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: **«ما هذا؟»** قالوا: لزينب تصلي، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به، فقال: **«حُلُّوهُ، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر قعد»** وفي رواية **«فليقعد»**[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (١٩٧٠). (٢) رواه مسلم (٧٨٤).

٩ ـ باب في رحمة الله تعالى لمن ظنَّ الظنَّ به

٢٣٥ ـ عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**». (رواه ابن حبان).

٢٣٦ ـ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ يُعْرَضُونَ عَلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَأْمُرُ بِهِمْ إِلى النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُم فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِنْ أَخْرَجْتَنِي مِنهَا أَنْ لاَ تُعِيدُنِي فِيهَا، فَيَقُولُ: فَلاَ نُعِيدُكَ فِيهَا**». (رواه أحمد).

وفي لفظ عند مسلم: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلى اللَّهِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُم فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا، فَلاَ تُعِيدُنِي فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللَّهُ مِنْهَا**».

ورواه ابن حبان بلفظ: «**يَخْرُجُ رَجُلانِ مِنَ النَّارِ، فَيُعْرَضَانِ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمَا إِلى النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُما فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كَانَ هٰذَا رَجَائِي، قَالَ: وَمَا كَانَ رَجَاؤُكَ؟ قَالَ: كَانَ رَجَائِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنهَا، أَنْ لاَ تُعِيدَنِي، فَيَرْحَمُهُ اللَّهُ فَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ**».

١٠ ـ باب في العبد يلتمس مرضاة الله تعالى

٢٣٧ ـ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ، وَلاَ يَزَالُ بِذٰلِكَ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيلَ: إِنَّ فُلاناً عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِينِي، أَلاَ وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ. فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى فُلانٍ، وَيَقُولُها حَمَلَةُ العَرْشِ، وَيَقُولُها مَنْ حَوْلَهُمْ حَتَّى يَقُولَهَا أَهْلُ السَّماوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ تَهْبِطُ لَهُ إِلى الأَرْضِ**». (رواه أحمد).

٢٣٨ ـ وَرَوَاهُ الطَّبَراني مِنْ طَرِيقِ محبوب بن الحسن، قال: حدثنا ميمون بن عجلان الثقفي، عن محمد بن عباد المخزومي، عن ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ يَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلاَ يَزَالُ كَذٰلِكَ فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ؛ إِنَّ عَبْدِي فُلاناً يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِينِي، فَرِضَائِي عَلَيْهِ. قَالَ: فَيَقُولُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى فُلانٍ، وَتَقُولُ حَمَلَةُ العَرْشِ، وَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَقُولَهُ أَهْلُ السَّماواتِ السَّبْعِ، ثُمَّ يُهْبَطُ إِلَى الأَرْضِ**». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَهِيَ الآيَةُ**

---

٢٣٥ ـ [رواه أحمد (١٦٠١٦/ ٥) والحاكم (٧٦٠٣/ ٤) والطبراني في «الكبير» (٢١٠/ ٢٢) وابن حبان (٦٣٣) وغيرهم واللفظ له، وإسناده صحيح].

٢٣٦ ـ [رواه أحمد (١٣٣١٢ ـ ١٤٠٤٣/ ٤) ومسلم (١٩٢) وابن حبان (٦٣٢) وابن منده في «الإيمان» (٨٦٠) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٦٢) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣١٥/ ٢) و(٢٥٣/ ٦)].

٢٣٧ ـ [رواه أحمد (٢٢٤٦٤/ ٨) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٥٣٩/ ١٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير ميمون بن عجلان، وهو ثقة].

٢٣٨ ـ [رواه الطبراني في «الأوسط» (١٢٤٠/ ٢) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٩٦٧/ ١٠) وتعقبه بقوله: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات].

الَّتي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُم في كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

«وإنَّ العَبْدَ لَيلْتَمِسُ سَخطَ اللَّهِ، فيَقولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ؛ إنَّ فُلاناً يُسْخِطُني، أَلاَ وَإِنَّ غضبي عَلَيهِ، فيَقُولُ جِبْرِيلُ: غَضَبُ اللَّهِ عَلَى فُلانٍ، وَيَقُولُ حَمَلَةُ العَرْشِ، وَيَقُولُ مَنْ دُونَهُمْ، حتَّى يَقُولَهُ أَهْلُ السَّماواتِ السَّبْعِ، ثُمَّ يُهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ».

٢٣٩ ـ وعن المطلب بن حنطب، قال: «إِذَا رَضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عَبْدٍ نَادَىٰ جِبْرَئيلَ فَيأْخذهُ كَالغَشْوَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا جَلَّى عَنْهُ قَالَ: لَبَّيكَ رَبَّ العَالمِينَ. فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْ فُلانٍ وَصَلَّيتُ عَلَيهِ، فَيَقُولُ الملائِكَةُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ، ثُمَّ يَقُولُ الَّذِين يَلُونَهُمْ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى الأَرْضِ. فَيُثْني النَّاسُ عَلَيهِ.

وقال: «وَإِذَا غَضِبَ عَلَى عَبْدٍ، نَادَىٰ جِبْرَئِيلَ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ ذٰلِكَ، فَإِذَا جَلَّى عَنْهُ قَالَ: لَبَّيكَ رَبَّ العَالَمينَ. قَالَ: إِنِّي قَدْ غَضِبْتُ عَلَى فُلانٍ وَلَعَنْتُهُ فَيَقُولُ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ. فَتَقُولُ الملائِكَةُ: لَعْنَةُ اللَّهُ عَلَيهِ، حَتَّى يَنْتَهِي إِلى الأَرْضِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ مَا يُثْنِي النَّاسُ عَلَيهِ». (رواه ابن المبارك في «الزهد»).

١١ ـ باب في فضل الله تعالى ورحمته على من خافه وخشي من عقابه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

٢٤٠ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جلَّ وَعَلاَ، قَالَ: «وَعِزَّتِي لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي في الدُّنْيا، أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ، وَإِذَا أَمِنَني في الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». (رواه ابن حبان).

١٢ ـ باب في سعة رحمة الله تعالى، وحسنات العبد وسيئاته

٢٤١ ـ عَنْ ابْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، عَنِ الرُّوحِ الأَمِين قَالَ: «قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤتَى بِحَسَنَاتِ العَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَتَقَصُّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، فَإِنْ بَقِيَ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ أَدْخَلَهُ

---

٢٣٩ ـ [رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٥٤) باب ذم الرياء والعجب وغير ذلك. ورجال إسناده ثقات، غير أنه مرسل. وقد ذكرته لعموم الفائدة].

٢٤٠ ـ [رواه ابن حبان (٦٤٠) والبزار (٣٢٣٣) وابن المبارك في «الزهد» (١٥٨) وإسناده حسن. ورواه ابن المبارك (١٥٧) والبزار (٣٢٣٢) مرسلاً عن الحسن، نحوه. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٢٠٠ ـ ١٨٢٠١/ ١٠) مرسلاً وموصولاً. وقال: رواهما البزار عن شيخه محمد بن يحيى بن ميمون، ولم أعرفه، وبقية رجال المرسل رجال الصحيح، وكذلك رجال المسند غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث. اهـ].

٢٤١ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٨٣٢/ ١٢)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٦٤٠/ ١٠) وقال: رواه الطبراني وإسناده جيد].

اللَّهُ الجنَّة». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَبْقَ حَسَنَةٌ؟ قَالَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٦].

قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، قَالَ: «هُوَ العَبْدُ يَعْمَلُ العَمَلَ السِّرَّ أَسَرَّهُ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَرَى قُرَّةَ أَعْيِنٍ». (رواه الطبراني).

خاتمة في رحمة الله تعالى للرحماء من عباده:

روى البخاري وغيره من طريق أبي عثمان يحدث عن أسامة أن ابنةً لرسول الله ﷺ أرسلت إليه ـ ومع رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وسعد وأبيٌّ -: إنّ ابني قد احتُضر فاشهدنا، فأَرسل يقرأ السلام ويقول: «إنَّ لله ما أخَذَ وَمَا أعطى وكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ مُسَمّىً، فَلْتَصْبِرْ وَتَحْتَسِبْ» فأرسلت إليه تُقسم عليه، فقام وقمنا معه، فلما قعد رُفع إليه فأقعده في حجره ونفس الصبي تقعقع، ففاضت عَيْنا رسول الله ﷺ، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا رَحْمَةٌ يَضَعُها الله في قُلُوبِ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِهِ، وإنَّما يَرْحَمُ الله مِنْ عِبادِهِ الرُّحَمَاءَ»(١).

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٦٦٥٥).

١٣ ـ كتاب الأيمان والنذور

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٥ ـ ٧].

١ ـ باب بيان أن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

٢٤٢ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ، وَلٰكِنَّ يُلْقِيهِ القَدَرُ، وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ، أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»**. (متفق عليه).

ورواه أحمد بلفظ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لاَ يَأْتِي النَّذْرُ عَلَى ابنِ آدَمَ بِشَيءٍ لَمْ أُقَدِّرهُ عليه، وَلَكِنَّهُ شَيءٌ أَسْتَخرِجُ بِهِ مِنَ البَخِيل، يُؤتِيني عَلَيهِ مَا لاَ يُؤتِيني عَلَى البُخلِ»**.

وفي لفظ آخر لأحمد: **«قَالَ اللَّهُ: لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيءٍ لَمْ أَكُنْ قَدَّرْتُهُ لَهُ، وَلكِنَّهُ يُلْقِيهِ النَّذْرُ بِمَا قَدَّرْتُهُ لَهُ، يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ، يُؤتِيني عَلَيهِ مَا لَمْ يَكُن آتَانِي عَلَيهِ مِنْ قَبْلُ»**.

ورواه ابن الجارود بنحوه غير أنه قال فيه: **«... أَستَخرِجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ...»**.

ورواه أبو داود بلفظ: **«لاَ يَأْتِي ابْنُ آدَمَ النَّذْرُ القَدَرَ بِشَيءٍ لَم أَكُنْ قَدَّرْتُهُ لَهُ، وَلَكِن يُلْقِيهِ النَّذْرُ القَدَرَ قَدَّرْتُهُ، يُسْتَخْرَجُ مِنَ البَخِيلِ، يُؤتَى عَلَيهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤتَى مِن قَبْلُ»**.

ورواه ابن ماجه بلفظ: **«إِنَّ النَّذْرَ لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ بِشَيءٍ إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ. وَلَكِن يَغلِبُهُ القَدَرُ مَا قُدِّرَ لَهُ فَيُستَخرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ. فَيُيَسَّرُ عَلَيهِ مَا لَم يَكُن يُيَسَّرُ عَلَيهِ مِن قَبلُ ذٰلِكَ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ، أُنفِقْ عَلَيكَ»**.

ورواه النسائي بلفظ: **«لاَ يَأْتِي النَّذْرُ عَلَى ابْنِ آدَمَ شَيئاً لَمْ أُقَدِّرْهُ عَلَيهِ، وَلَكِنَّهُ شَيءٌ أَستَخرِجَ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»**.

الشرح: قوله ﷺ: **«قال الله عز وجل: لا يأتي النذر على ابن آدم بشيء لم أقدره عليه، ولكنه**

---

٢٤٢ ـ [رواه أحمد (٧٣٠١ و٨١٥٨/٣)، ومسلم (١٦٤) والبخاري (٦٦٠٩) وأبو داود (٣٢٨٨) والنسائي (٣٨٠٩) وابن ماجه (٢١٢٣).

شيء أستخرج به من البخيل، يؤتيني عليه ما لا يؤتيني على البخل» ورواه مسلم بلفظ: «**إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر، فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج»**(١) وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ يوماً ينهانا عن النذر، ويقول: «**إنه لا يردُ شيئاً، وإنما يُستخرج به من الشحيح»**(٢) وفي لفظ، أنه ﷺ قال: «**النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره، وإنما يستخرج به من البخيل»** وفي لفظ عند مسلم، أن النبي ﷺ نهى عن النذر، وقال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل»** ومعنى «**إنه لا يأتي بخير»** أي لا يرد شيئاً من القدر.

وعند مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تنذروا، فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل»** ومعنى قوله ﷺ «**وإنما يستخرج به من البخيل»** فمعناه: أنه لا يأتي بهذه القربة تطوعاً محضاً مبتدأ، وإنما يأتي بها في مقابلة شفاء المريض وغيره مما تعلق النذر عليه قال القاضي عياض رحمه الله تعالى، فيما نقله عن ابن عرفة؛ أن النذر، ما كان وعداً على شرط، فكل ناذر واعد، وليس كل واعد ناذراً. فلو قال: عليَّ أن أتصدق بدينار، لم يكن ناذراً. ولو قال: إن شفي الله مريضي فعليَّ صدقة دينار، فهو ناذر.

وقال الآبي: الفقهاء يقسمون النذر إلى محرم يمتنع فعله، وإلى جائز يُطلب أداؤه. وهذا التقسيم هو دليل حديث «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»** رواه البخاري وغيره.

وقال ابن الأثير: يُقال: نذرت أنذر، وأنذر نذراً، إذا أوجبت على نفسك شيئاً تبرعاً من عبادة، أو صدقة، أو غير ذلك.

وقد تكرر في أحاديثه عليه الصلاة والسلام ذكر النهي عنه وهو تأكيد لأمره ـ أي لأمر النذر ـ وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه. ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يُفعَلُ، لكان في ذلك إبطال حكمه، وإسقاطُ لُزوم الوفاء به، إذ كان بالنهي يصير معصية، فلا يلزم.

وإنما وجه الحديث، أنه عليه الصلاة والسلام قد أعلمهم، أن ذلك أمرٌ لا يَجُرُّ لهم في العاجل نفعاً، ولا يصرِفُ عنهم ضراً، ولا يُردُّ قضاءً، فقال ﷺ: «**لا تنذروا»** على أنكم قد تدركون بالنَّذْرِ شيئاً لم يُقَدِّرهُ الله لكم، أو تصرِفُونَ به عنكم ما جرى به القضاء عليكم، فإذا نذرتم ولم تعتقدوا هذا، فاخرجوا عنه بالوفاء، فإن الذي نذرتموه لازم لكم. انتهى.

قال عياض: ويحتمل أن النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة، أن النذر يردّ القدر، ويمنع من حصول المقدر، فنهى عنه خوفاً من جاهل يعتقد ذلك. قال: وأما حكم النذر فهو جائز، ولأن الله تعالى أمر بالوفاء به، ومدح فاعله، إلا أن يعلقه على أمر دنيوي، كقوله: إن شفى الله مريضي فعليَّ كذا. فيكره لما خالطه من عرض الدنيا، والإشراك في العمل. قال: والوفاء بالنذر لازم في الجملة

---

(١) رواه مسلم (١٦٤٠).
(٢) رواه مسلم (١٦٣٩) والبخاري (٦٦٠٨).

للأمر به في قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، ولحديث: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه..**».

وأما قوله جل وعلا: «لا يأتي ابن آدم النذرُ القدر بشيء لم أكن قدرته له..» الحديث، أي أن النذر لا يقدم مما قُدر له في سابق علم الله تعالى شيئاً، ولا يؤخر. وقد جاء في «الصحيحين» وغيرهما نهى النبي ﷺ لأمته عن النذر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تنذروا، فإن النذر، لا يغني من القدر شيئاً وإنما يستخرج به من البخيل**».

قال الإمام القرطبي: هذا النذر، محلُّه أن يقول: إن شفى الله مريضي، أو قدم غائبي، فعليّ عتق رقبة، أو صدقة كذا، أو صوم كذا. ووجه هذا النهي هو؛ أنه لما وقف فِعْل هذه القربة على حصول غرض عاجل، ظهر أنه لم يتمحض له نية التقرب إلى الله تعالى، بما صدر منه. بل سلك فيها مسلك المعاوضة. ألا ترى أنه؛ لو لم يَحْصُلْ غرضه لم يفعل! وهذه حال البخيل، فإنه لا يُخْرِجُ من ماله شيئاً إلا بعوضٍ عاجل يربي على ما أخرج. وهذا المعنى هو الذي أشار إليه بقوله ﷺ: «وإنما يُستخرج به من البخيل، ما لم يكن البخيل يخرجه».

ثم ينضاف إلى هذا اعتقاد جاهل يظن، أن النذر يوجب حصول ذلك الغرض. أو أن الله تعالى يفعل معه ذلك الغرض لأجل ذلك النذر، وإليهما الإشارة بقوله ﷺ: «**فإن النذر لا يرد من قدر الله شيئاً**» وهاتان جهالتان، فالأولى تقارب الكفر. والثانية خطأ صُراح. وإذا تقرر هذا، فهل هذا النهي محمول على التحريم، أو على الكراهة؟ المعروف من مذاهب العلماء، الكراهة.

والذي يظهر لي؛ حمله على التحريم في حق من يخاف عليه ذلك الاعتقاد الفاسد. فيكون إقدامه على ذلك محرماً. والكراهة في حق من لم يعتقد ذلك، والله تعالى أعلم.

قال: وإذا وقع هذا النذر على هذه الصفة لزمه الوفاء به قطعاً من غير خلافٍ، ولقوله ﷺ «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**». ولم يفرق بين النذر المعلق ولا غيره. ومما يلحق بهذا النهي في الكراهة؛ النذر على وجه التبرم والتَّحرُّج.

فالأول: كمن يستثقل عبداً لقلة منفعته، وكثرة مؤنته، فينذر عتقه تخلصاً منه، وإبعاداً له. وإنما يُكرهُ ذلك لعدم تمحض نية القربة.

والثاني: أن يقصد التضييق على نفسه، والحمل عليها، بأن ينذر كثيراً من الصوم، أو من الصلاة، أو غيرهما مما يؤدي إلى الحرج والمشقة مع القُدرة عليه. فأما لو التزم بالنذر ما لايطيقه لكان ذلك محرماً.

قال: وقد روى عن مالك كراهة النذر مطلقاً. فيمكن حمله على الأنواع التي بينا كراهتها. ويمكن حمله على جميع أنواعه. لكن من حيث إنه أوجب على نفسه ما يخاف عليه التفريط فيه، فيتعرض للوم الشرع وعقوبته.

قال: وعلى هذا، فتكون هذه الكراهة من باب تسمية ترك الأولى مكروهاً. ووجه هذا

واضح. وهو أن فِعْل القُرَبِ من غير التزامها خيرٌ محضٌ، عريٌّ عن خوف العقاب، بخلاف الملتزم لها، فإنه يُخاف عليه ذلك فيها.

وقوله ﷺ **«فييسر عليه ما لم يكن ييسر عليه من قبل ذلك، وقد قال الله أنفق أنفق عليك»** قال البيضاوي: عادة الناس، تعليق النذر على تحصيل منفعة، أو دفع مضرة، فنهى ﷺعنه، لأنه فعل البخلاء، إذ السخي إذا أراد أن يتقرب إلى الله تعالى، بادر إليه. والبخيل لا تطاوعه نفسه بإخراج شيء من يده إلا في مقابلة عوض يستوفيه أولاً، فيلتزمه في مقابلة ما يحصل له.

وذلك لا يغني من القدر شيئاً، فلا يسوق إليه خيراً لم يُقدر له، ولا يرد عنه شراً قضي عليه، لكن النذر قد يوافق القَدَر، فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن ليخرجه.

فائدة في وجه التقارب بين الصدقة والنذر: أخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه. **«إن الصدقة تدفع ميتة السوء»** فظاهره يعارض قوله ﷺ **«إن النذر لا يرد القدر»**. قال في «الفتح»: ويجمع بينهما، بأن الصدقة تكون سبباً لدفع ميتة السوء، والأسباب مقدرة كالمسببات، وقد قال ﷺ لمن سأله عن الرقى، هل تردّ من قدر الله شيئاً؟ قال ﷺ **«هي من قدر الله»** أخرجه أبو داود والحاكم.

ونحوه قول عمر رضي الله عنه: نفر من قدر الله إلى قدر الله ومثل ذلك مشروعية الطب والتداوي.

وقال ابن العربي رحمه الله تعالى ـ: النذر شبيه بالدعاء، فإنه لا يرد القدر، ولكنه من القدر أيضاً، ومع ذلك فقد نُهِيَ عن النذر وندب إلى الدعاء، والسبب فيه أن الدعاء عبادة عاجلة، ويظهر به التوجه إلى الله تعالى، والتضرع له والخضوع، وهذا بخلاف النذر، فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول وترك العمل إلى حين الضرورة.

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي الحديث أن كل شيء يبتدؤه المكلف من وجوه البر، أفضل مما يلتزمه بالنذر، قاله الماوردي. وفيه الحث على الإخلاص في عمل الخير وذم البخل، وأن من اتبع المأمورات واجتنب المنهيات، لا يُعد بخيلاً.

* * *

١٤ ـ كتاب السحر والكهانة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

١ ـ باب استراق الجن للسمع من الملائكة الكرام، وما جاء فيه

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠].

٢٤٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هٰذَا؟»** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ. وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«فَإِنَّهَا لاَ يُرْمَىٰ بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ. وَلٰكِنْ رَبُّنَا، تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَىٰ أَمْراً سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ. ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. حَتَّىٰ يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هٰذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ. قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضاً. حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْخَبَرُ هٰذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا. فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ. وَيُرْمَوْنَ بِهِ. فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ. وَلٰكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ»**. (رواه مسلم).

ورواه أحمد من طريق عبدُ الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمَرَ، أخبرنا الزهري، عن علي بن حسين، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه، قال عبد الرزاق: من الأنصار، فرُمِيَ بنجم عظيم فاستنار، قال: ما كنتم تقولون إذا كان مثلُ هذا في الجاهلية؟ قال: كنا نقولُ: يُولد عظيمٌ أو يموت عظيم! قلت للزهري: أكانَ يُرْمَى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكن غُلِّظَتْ حين بُعث النبيّ ﷺ

٢٤٣ ـ [رواه أحمد (١٨٨٢ ـ ١٨٨٣/ ١) ومسلم (٢٢٢٩) والترمذي (٣٢٢٤) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١٢٧٢) وابن حبان (٦١٢٩)].

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«فإنه لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربّنا تبارك اسمه إذا قضى أمراً سبّح حملةُ العرش، ثم سبح أهلُ السماء الذين يَلُونهم، حتى يبلغ التسبيحُ هذه السماء الدنيا، ثم يستخبرُ أهلُ السماء الذين يَلون حملةَ العرش، فيقول الذين يلون حملةَ العرش لحملةِ العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهلُ كل سماءٍ سماءً، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، ويَخطِفُ الجنُّ السمع، فَيُرْمَوْنَ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقٌّ ولكنهم يَقرفون ويزيدون»**.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: قال عبد الرزاق: ويُخْطَفُ الجنُّ ويُرْمَوْنَ ومعنى يقرفون: أي يخلطون فيه الكذب. يُقال: قرف عليه: أي كذب.

وفي لفظ آخر لأحمد من طريق الأوزاعيُّ، عن الزهريّ، عن علي بن حسين، عن ابن عباس: حدثني رجال من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ: أنهم كانوا جلوساً مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، إذ رُمي بنجم، فذكر الحديث، إلا أنه قال: **«إذا قضى ربنا أمراً سبَّحه حملةُ العرش، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيحُ السماءَ الدنيا؟ فيقولون الذين يلون حملةَ العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: الحقَّ وهو العلي الكبير، فيقولون كذا وكذا، فيخبر أهلُ السمٰوات بعضُهم بعضاً، حتى يبلغ الخبرُ السماء الدنيا»** قال: **«ويأتي الشياطينُ فيستمعون الخبر فيقْذِفُونَ به إلى أوليائهم ويَرْمونَ به إليهم، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقٌ، ولكنهم يزيدون فيه ويَقرِفون وَيَنْقُصُونَ»**.

وقد جاء عند الترمذي بعد أن ذكر قصة النجم الذي استنار بلفظ. . . فقال رسول الله ﷺ: **«فإنَّهُ لاَ يُرْمى بِهِ لِمَوْتِ أحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ، إِذَا قَضَى أَمْراً، سَبَّحَ لَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ إِلى هٰذِهِ السَّماءِ.**

ثُمَّ سَأَلَ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ لأَهْلِ السَّماءِ السَّابِعَةِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟».

قَالَ: **«فَيُخْبِرُونَهُم، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كلِّ سَمَاءٍ حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. وَيَخْتَطِفُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَيُرْمَوْنَ فَيَقْذِفُونَهَا إِلى أَوْلِيَائِهِمْ فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَ وَيَزِيدُونَ»**.

٢ ـ باب كيفية استراق الجن للسمع من الملائكة الكرام

٢٤٤ ـ عَنْ سُفيانَ، قَالَ: حَدثَنَا عَمرُو قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: إِنَّ نَبيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلىٰ صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ. فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ. وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ، هٰكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ»**.

---

٢٤٤ ـ [رواه البخاري (٤٧٠١) و(٤٨٠٠) و(٧٤٨١) وأبو داود (٣٩٨٩) والترمذي (٣٢٢٣) وابن ماجه (١٩٤) والحميدي (١١٥١) وابن منده في «الإيمان» (٧٠٠) وابن حبان (٣٦)].

ووصف سفيان بكفيه، فحرفها وبدد بين أصابعه. «فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن.

فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء». (رواه البخاري).

وفي لفظ آخر للبخاري أيضاً من طريق علي بن عبد الله، قال: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة يبلغ به النبي قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كالسلسلة على صفوان» قال علي: وقال غيره: «صفوان ينفذهم ذلك».

«فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق: وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع: ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر».

ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض.

«فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه، فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض.

وربما قال سفيان: «حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التي سمعت من السماء.

ورواه الترمذي بلفظ: «إذا قضى الله في السماء أمراً، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنها سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق، وهو العلي الكبير». قال: «والشياطين بعضهم فوق بعض».

ورواه ابن حبان بلفظ: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق وهو السميع العليم. فيستمعها مسترق السمع، فربما أدركه الشهاب قبل أن يرمي بها إلى الذي هو أسفل منه، وربما لم يدركه الشهاب حتى يرمي بها إلى الذي هو أسفل منه».

قال: «وهم هكذا بعضهم أسفل من بعض ـ ووصف ذلك سفيان بيده ـ فيرمي بها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى تصل إلى الأرض. فتلقى على فم الكافر والساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق، ويقال: أليس قد قال في يوم كذا وكذا، كذا وكذا. فصدق».

الشرح: قوله ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء» أي إذا تكلم الله تعالى بالوحي. وقد جاء صريحاً عند الطبراني من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا

تكلم الله بالوحي، أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع أهل السماء بذلك صعقوا وخروا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فينتهي به على الملائكة، كلما مر بسماء سأله أهلها، ماذا قال ربنا؟ قال: الحق، فينتهي به حيث أمر».

وقوله ﷺ: «**ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً**» أي خاضعين: «**القوله**» تعالى «**كأنه**» أي القول المسموع «سلسلة على صفوان» الصفوان: الحجر الأملس.

قال في «**الفتح**»: وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: «**إذا تكلم الله بالوحي،** يسمع أهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون، ويرون أنه من أمر الساعة» وقرأ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾. قال الخطابي: الصلصلة، صوت الحديد إذا تحرك وتداخل.

وقوله ﷺ: «**ينفذهم ذلك**» أي ينفذ الله القول إليهم.

وقوله ﷺ: «**فإذا فُزّع عن قلوبهم**» أي أُزيل الخوف عنهم.

وقوله ﷺ: «**فيسمعها مسترقو السمع**» أي من الشياطين، وهم الذين يعملون بأمر الكُهان والسحرة من الإنس «**ومسترقو السمع، هكذا واحد فوق واحد**» أي يركب بعضهم بعضاً، كما جاء في الرواية الأخرى «**ومسترق السمع، هكذا بعضه فوق بعض**».

وقوله ﷺ: «**فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه، فيحرقه**» أي ربما أدرك الشهاب الذي يُضرب به مسترق السمع من الشياطين، قبل أن يرمي بالكلمة التي سمعها من الملائكة ـ إلى صاحبه، فيدركه الشهاب فيحرقه. قال تعالى إخباراً عن هؤلاء الشياطين ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ٩].

وقوله ﷺ: «**وربما ألقاها**» أي الكلمة التي سمعها من الملائكة. «**قبل أن يدركه**» الشهاب «**فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيُصَدَّقُ بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**»، وفي «الصحيحين» عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت يا رسول الله، إن الكُهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقاً، قال: «**تلك الكلمة الحق، يخطفها الجني، فيقذفها في أذن وليه، ويزيد فيها مائة كذبة**»(١).

٣ ـ باب ما جاء في سحر اليهود للنبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١ ـ ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٢٨) والبخاري (٧٥٦١).

وقال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

٢٤٥ ـ عن هِشَام عَنْ أَبِيهِ عَنْ السَّيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قَالَتْ: سُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْم وَهُوَ عَنْدِي دَعَا الله وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ: **«أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ الله قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟»** قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: **«جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ: فِيمَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ»**. قَالَ: فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْرِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ: **«وَالله لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ»** قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَأَخْرَجْتَهُ قَالَ: **«لاَ أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي الله وَشَفَانِي وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرّاً»** وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ. (متفق عليه).

وفي لفظ عند البخاري أيضاً من طريق سُفيان بن عُيينةَ، قَالَ: أَوَّلَ مَنْ حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ جُرَيْجٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي آلُ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ فَسَأَلْتُ هِشَاماً عَنْهُ فَحَدَّثَنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلاَ يَأْتِيهِنَّ قَالَ سُفْيَانُ: وَهٰذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ إِذَا كَانَ كَذَا. فَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ أَعَلِمْتِ أَنَّ الله قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلآخَرِ، مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قال: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقاً، قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ تَحْتَ رَعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ»**.

قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْبِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ فَقَالَ: **«هٰذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَكَأَنَّ نَخلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ»**. قَالَ: **«فَاسْتُخْرِجَ»** قَالَتْ: فَقُلْتُ أَفَلاَ أَيْ تَنَشَّرْتَ فَقَالَ: **«أَمَا وَاللَّهِ فَقَدْ شَفَانِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرّاً»**.

ورواه أحمد في أحد ألفاظه من طريق رباح، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لَبِثَ رَسُولُ اللَّهُ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَرَىٰ أَنَّهُ يَأْتِي وَلاَ يَأْتِي، فَأَتَاهُ مَلَكَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُما عِنْدَ رَأسه، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: **«مَا بَالُهُ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لُبيدُ بنِ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشطٍ ومُشاطَةٍ فِي جُفِّ طُلَعة ذَكَرٍ فِي بِئْرِ ذَرْوانَ تحت رَعُوفة»**. فاستيقظَ النبيّ ﷺ من نومه فقال: **«أَيْ عائشةُ أَلَمْ ترين أَنَّ اللَّه أَفتاني فِيمَ اسْتَفْتَيْتُهُ»** فأتى

---

٢٤٥ ـ [رواه أحمد (٢٤٤٠١ ـ ٢٤٤٠٢/٩) والبخاري (٥٧٦٥) و(٥٧٦٦) ومسلم (٢١٨٩) والنسائي في «الكبرى» (٧٦١٥/ ٤) وابن ماجه (٣٥٤٥) وابن حبان (٦٥٨٣)].

البئر، فأمر به فأخرج فقال: «هٰذِهِ البئرُ التي أُرِيتُها والله كأنَّ ماءَها نقاعةُ الحِنَّاءِ، وكأن رؤوسَ نَخْلِها رؤوسَ الشَّياطينِ». فقالت عائشة: لو أنك، كأنها تعني: أن ينتشر، قال: «أما والله قَدْ عافاني الله وأنا أكْرَهُ أنْ أُثِيرَ على النّاسِ مِنْهُ شَرّاً».

٢٤٦ ـ وَعَنْ زَيْد بْنِ أَرْقَم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَاشْتَكَى لِذٰلِكَ أيَاماً، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: «إنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَداً في بِئْرِ كَذَا وَكَذَا». فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَخْرَجُوهَا فَجِيءَ بِهَا إلَيْهِ فَحَلَّلَهَا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ. فَمَا ذَكَرَ ذٰلِكَ لِذٰلِكَ اليَهُودِيِّ وَلاَ رَآهُ في وَجْهِهِ قَطُّ. (رواه النسائي).

الشرح: قولها رضي الله عنها: (سُحر رسول الله ﷺ، حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله) وفي الرواية الثانية (حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن) وفي رواية أحمد (لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي) قال الإمام القرطبي دل القرآن في غير آية، والسُّنَّة، في غير ما حديث على أن السحر موجود وله أثر في المسحور. فمن كذب بذلك فهو كافر مكذب لله تعالى ولرسوله ﷺ ومُنكر لما عُلم بالعيان.

ثم إن المنكر للسحر إن أنكره في السر فهو زنديق، وإن أنكره في الظاهر فهو مرتد.

والسحر ـ عند علمائنا ـ يريد علماء المالكية ـ حيل صناعية تُكتسب بالتعلم إلا أنها لخفائها ودقتها لا تحصل إلا لآحاد الناس، ومادته معرفة خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأزمان ذلك، وأكثره تخيلات لا حقيقة لها تعظم في عين من لا يعرفها، كما قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، وتكون في عين الناظر وعبَّر عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، لأن الحبال لم تخرج عن حقيقتها بخلاف العصي، فإنها انقلبت حقيقتها خرقاً للعادة وإظهاراً للمعجزة.

ولا يُنكَرُ أن للسحر تأثيراً في القلوب بالمحبة والبغضاء، وإلقاء الشر، والتفرقة بين المرء وزوجه ويحول بين المرء وقلبه، وإدخال الآلام والأسقام، كل ذلك مُدركٌ بالمشاهدة وإنكاره معاندة.

وعلى هذا الذي قررناه؛ فالسحر ليس بخرق عادة، بل هو أمر عادي يتوصل إليه بطلبه في الغالب، ولا يُقال إن الساحر تنخرق له العادة، خلافاً لمن قال ذلك من أئمتنا اهـ.

أقول: إن ما قاله القرطبي صحيح، وأن معظم أعمال السحر منشأها التعاطي مع الجن، بحيث إن الأمر يبدو لأول وهلة خرقاً للعادة. والحقيقة بخلاف ذلك. فإن لدى الجن قُدرات تفوق قدرات البشر في بعض الأحيان وهي قدرات خلقية جبلهم الله تعالى عليها، ويتجلى ذلك ملياً في قوله تعالى إخباراً عن سليمان ـ عليه السلام ـ ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٣٩].

---

٢٤٦ ـ [رواه النسائي في «المجتبى» (٤٠٩١) وفي «الكبرى» (٣٥٤٣/ ٢) وإسناده صحيح].

وأما الذي حصل مع النبي ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، إنما هو من تأثير السحر على بدنه ﷺ، دون أن يؤثر على عقله في شيء. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر، إنما تسلط على جسده ﷺ وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده. قال: فالمعنى على هذا أنه إذا أراد الجماع كان يخيل إليه أنه يقدر ويتأتى ذلك، فإذا دنا منهن لم ينهض لغلبة مرض السحر عليه.

وقال المهلب: صون النبي ﷺ من الشياطين، لا يمنع إرادتهم كيده، فقد جاء في «الصحيح» أن شيطاناً أراد أن يُفسد عليه صلاته، فأمكنه الله منه. فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يُدخل نقصاً على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول، ويُبطل الله تعالى كيد الشيطان.

قال في **«الفتح»**: واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض، بقوله في آخر الحديث: **«فأما أنا فقد شفاني الله»** وفي الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيد المدعي أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في **«الدلائل»**: فكان يدور ولا يدري ما وجعه. وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد في **«الطبقات»**: «مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان. . .» الحديث.

وقولها رضي الله عنها: (حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه) قال النووي رحمه الله تعالى: هذا دليل لاستحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره، وحسن الالتجاء إلى الله تعالى اهـ. وتعقبه الحافظ في «الفتح» بقوله: سلك النبي ﷺ في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب. ففي أول الأمر فوض وسلم لأمر ربه، فاحتسب الأجر في صبره على بلائه، ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه أن يضعفه عن أداء عبادته، جنح إلى الدعاء، ثم إلى التداوي، وكل من المقامين غاية في الكمال اهـ.

وقوله ﷺ: «أشعرت يا عائشة» أي أعلمت.

وقوله ﷺ: «أن الله قد أفتاني فيما أستفتيته فيه» أي أجابني فيما دعوته. وقد وقع في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في «الدلائل» بلفظ: **«إن الله أنبأني بمرضي»** أي أخبرني.

وقوله ﷺ: «جاءني رجلان. .» وفي رواية أحمد: (فأتاه ملكان. .) قال في «الفتح» وسماهما ابن سعد في رواية منقطعة: جبريل وميكائيل.

وأما قولها رضي الله عنها: (فاستيقظ النبي ﷺ من نومه فقال. .) فرؤيا الأنبياء وحي من الله تعالى. فلا يؤثر أن يكون قد رآهما في منامه أو في يقظته ﷺ.

وقوله ﷺ: «ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب» أي مسحور. يقال طب الرجل ـ بالضم ـ إذا سحر. يُقال: كنوا عن السحر بالطب تفاؤلاً، كما قالوا للديغ: سليم.

وقوله ﷺ: **«في مشط ومشاطة»** أما المشط، فهو الآلة المعروفة التي يُسرح بها الشعر. وأما الماشطة ـ بضم الميم ـ هو الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند تسريحها بالمشط.

وقوله ﷺ: **«وجف طلعة ذكر»** هو وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون عليه. وقيل: **الجف**: شيء يُنقر من جذوع النخل.

وقوله ﷺ **«والله لكأن ماءها نقاعة الحناء»** النقاعة ـ بضم النون ـ الماء الذي يُنقع فيه الحناء.

وقوله في رواية أحمد: **«تحت رعوفة» الرعوفة**: هي الصخرة تترك أسفل البئر إذا احتفرت، تكون ثابتة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها.

وقولها رضي الله عنها: (فقلت: أفلا تنشرت؟) ظاهر اللفظة، أنها من النشرة ـ بضم النون ـ وهي ضرب من العلاج يُعالج به من يُظن أن به سحراً أو مساً من الجن. والنشرة جائزة إذا كانت بالعربية وبالأدعية والرقى المشروعة. وإلا فهي محرمة. وقد أتى الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ على صفات النشرة في **«الفتح»** في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر.

وقوله ﷺ: **«وخشيت أن أثور على الناس منه شراً»** المراد بالناس هنا التعميم في الموجودين. قال النووي: خشي من إخراجه وإشاعته، ضرراً على المسلمين من تذكر السحر وتعلمه ونحو ذلك، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة.

وقال القرطبي: كره رسول الله ﷺ أن يثير على الناس شراً، أي بين المسلمين واليهود، لما كان لهم من العهد والذمة، فلو قتله ﷺ ثارت فتنة، وتحدث الناس، أن محمداً يقتل من عاهد.

وقوله رضي الله عنه: (كأنما نشط من عقال) قال ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ: كأنما أنشط من عقال؛ أي حلّ. قال: وكثيراً ما يجيء في الرواية: نشط، وليس بصحيح. يُقال: نشطت العقدة، إذا عقدتها، وأنشطتها: إذا حللتها اهـ.

تحذير فيمن أتى عرافاً: روى مسلم وغيره من حديث أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**[١].

قال الخطابي فيما نقله عنه النووي: العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة، ونحوهما، وأما عدم قبول صلاته فمعناه: أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة. ونظير هذه الصلاة في الأرض المغصوبة، مجزئة مسقطة للقضاء، ولكن لا ثواب فيها.

قال النووي: كذا قاله جمهور أصحابنا، قالوا: فصلاة الفرض وغيرها من الواجبات إذا أتى بها على وجهها الكامل ترتب عليها شيئان؛ سقوط الفرض عنه، وحصول الثواب. فإذا أداها في

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠).

أرض مغصوبة حصل الأول دون الثاني. ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث. فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلوات أربعين ليلة، فوجب تأويله.

وقال القاضي عياض: وأما تخصيص عدم القبول بالأربعين فمن أسرار الشريعة التي اختص الله سبحانه وتعالى بعلم حكمتها...

٤ ـ باب كفر من اعتقد أن الأمطار من الأنواء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨ ـ ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

٢٤٧ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ. فَلَمَّا انصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذا قَالَ رَبُّكُمْ**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ. وَأَمَا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذٰلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**» [متفق عليه].

ورواه النسائي في إحدى رواياته بلفظ: «**أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ رَبُّكُمْ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ اللَّيْلَةَ. قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ، إلاَّ أَصْبَحَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَأَمَّا مَنْ آمَنَ بِي وَحَمِدَنِي عَلَى سُقْيَايَ فَذَاكَ الَّذِي آمَنَ بِي وَكَفَرَ بِالْكَوْكَبِ. وَمَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَاكَ الَّذِي كَفَرَ بِي وَآمَنَ بِالْكَوْكَبِ**».

ورواه في «الكبرى» بلفظ: «**فَذَلِكَ الَّذِي آمَنَ بِي... فَذَلِكَ الَّذِي كَفَرَ بِي...**».

٢٤٨ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ**

---

٢٤٧ ـ [رواه مالك في «موطئه» (٤٥١) في الاستسقاء في آخره. وأحمد (٦/١٧٠٦٠) والبخاري (٨٤٦) و(١٠٣٨) و(٤١٤٧) و(٧٥٠٣) ومسلم (٧١) وأبو داود (٣٩٠٦) والنسائي في «المجتبى» (١٠٢٤) وفي «الكبرى» (١/١٨٣٤) و(١٠٧٦٠ ـ ٦/١٠٧٦١) والحميدي (٨١٣) وعبد الرزاق (٢١٠٠٣) وغيرهم. واللفظ الأول للبخاري].

٢٤٨ ـ [رواه أحمد (٣/٨٨١٩) ومسلم (٧٢) والنسائي في «المجتبى» (١٥٢٣) وفي «الكبرى» (١/١٨٣٥) و(٦/١٠٧٥٩) وفي «اليوم والليلة» (٩٢٣)].

رَبُّكُم، قَالَ: **مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إلاَّ أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بهَا كَافِرِينَ. يَقُولُونَ: الكَوَاكِبُ وَبِالكَوَاكِبِ»**. (رواه مسلم).

وفي لفظ عند أحمد ومسلم: **«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إلاَّ أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ. يُنْزِلُ اللَّهُ الغَيْثَ فَيَقُولُونَ: الكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا»**. وفي رواية **«بِكَوْكَبِ كَذَا وَكَذَا»** لفظ مسلم.

ورواه النسائي بلفظ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إلاَّ أَصْبَحَ فَرِيٌ مِنْهُم بِهَا كَافِرين، يَقُولُونَ: الكَوْكَبُ وَبِالكَوْكَبِ»**.

وفي لفظ له في إحدى النسخ: **«يَقُولُونَ: الكَوْكَبُ وَالكَوْكَبُ»**.

الشرح: قوله رضي الله عنه: (صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليلة) أي على أثر مطر، وأطلق عليه لفظ سماء لكونه ينزل من جهة السماء، وكل جهة علو تسمى سماء.

وقوله ﷺ: «هل تدرون ماذا قال ربكم» وعند النسائي **«ألم تسمعوا ما قال ربكم»** لفظ استفهام معناه التنبيه. قال في «الفتح» وهذا من الأحاديث الإلٰهية، وهي تحتمل أن يكون النبي ﷺ أخذها عن الله تعالى بلا واسطة، أو بواسطة.

قوله جل وعلا: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» لفظ «عبادي» يفيد العموم بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر، بخلاف قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فإنها إضافة تشريف.

قوله جل وعلا: «فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» قال ابن الأثير: **الأنواء**: هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]، ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة.

وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يَكُوْنُ مَطَراً، وينسبونه إليها، فيقولون: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا. وإنما سمي نوءاً، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءاً أي نهض وطلع. وقيل: أراد بالنوء الغروب، وهو من الأضداد. قال أبو عبيد: لم نسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع.

وإنما غلظ النبي ﷺ في أمر الأنواء، لأن العرب كانت تنسب المطر إليها. فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى، وأراد بقوله: مُطرنا بنوء كذا ـ أي في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني، فإن ذلك جائز، أي أن الله تعالى قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات. اهـ.

خاتمة في الأنواء والتنبيء بمجيء الأمطار: روى البخاري وغيره من حديث عبد الله بن عمر

رضيَ اللّهُ عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لا يَعْلَمُهَا إلاّ اللّهُ. لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ في غَدٍ، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ في الأَرْحَامِ، وَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ»**[١].

وفي لفظ له آخر: **«مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ اللّهُ، لاَ يَعْلَمُ مَا في غَدٍ إلاَّ اللّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إلاَّ اللّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إلاَّ اللّهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ. وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلاَّ اللّهُ»**.

وروى مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ. قَالُوا: هٰذِهِ رَحْمَةُ اللّهِ. وَقَالَ بَعْضُهُم: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا»**[٢].

قَالَ: فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٢].

قال النووي: وأما تفسير الآية، فقيل: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكركم، كذا قاله ابن عباس والأكثرون. وقيل: تجعلون شكر رزقكم، قال الأزهري وأبو علي الفارسي. وقال الحسن البصري: أي تجعلون حظكم.

* * *

(١) رواه البخاري (١٠٣٩).

(٢) رواه مسلم (٧٣).

١٥ ـ كتاب تحريم الربا

قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ»[1]. (رواه مسلم).

١ ـ باب تحريم الربا وعظيم عقوبة صاحبه في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٧٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

٢٤٩ ـ عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مما يقول لأصحابه: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيا؟**» قَالَ: فيقص عليه من شاء الله أن يقصَّ، قال: وإنه قال لنا ذات غداة: «**إِنَّهُ أَتاني اللَّيلَةَ آتِيانِ، وإِنَّهما ابتَعَثَاني، وإِنَّهما قالا لي: انطَلِقْ وإِنِّي انطَلَقْتُ مَعَهما، وإِنَّا أَتينا على رَجُلٍ مضطَجِعٍ وإِذا آخرُ قائِمٌ عَلَيهِ بِصَخرَةٍ، وَإِذا هُوَ يُهوِي بالصَّخرَةِ لِرأسِهِ، فَيَثْلَغُ بها رَأسَهُ فَيَتَدَهْدَهُ الحجرُ هٰهُنا، فيتبعُ الحجرَ يأخُذَهُ فَمَا يَرجِعُ إِلَيهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأسُهُ كما كانَ، ثُمَّ يعودُ عَلَيهِ فَيفعَلُ بِهِ مثلَ ما فَعَلَ المرةَ الأولى**» قال: «**قلت: سُبحانَ الله ما هٰذانِ؟**» قَالَ: «**قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ، فانطَلَقْتُ مَعَهُما فَأَتَينا على رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفاهُ وإِذا آخرُ قائِمٌ عَلَيهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وإِذا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّي وَجهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلى قَفَاهُ، وَمِنخَرَاهُ إِلى قفاهُ، وَعَينَاهُ إِلى قَفَاهُ**» قال: «**ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلى الجانِبِ الآخَرِ فَيَفعَلُ بِهِ مِثْلَ ما فَعَلَ بالجانِبِ الأَوَّلِ، فما يَفرَغُ من ذلكَ الجانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الأَوَّلُ كما كانَ، ثم يعودُ فَيَفعَلُ بِهِ مِثْلَ ما فَعَلَ بِهِ المرةَ الأولى**» قال: «**قُلْتُ: سُبحانَ اللَّه ما هٰذانِ؟**» قال: «**قالا لي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ**».

---

(١) رواه مسلم (١٥٩٨).

٢٤٩ ـ [رواه أحمد (٥/٢٠١١٥) والبخاري (١٣٨٦)... ومسلم (٢٢٧٥) والترمذي (٢٢٩٤) وغيرهم. وانظر أخي الكريم شرحه بتمامه في كتاب «الموبقات المهلكة» باب تحريم الربا].

قال: «فانطَلَقْنا فَأَتَيْنَا على مِثْله بناءِ التَّنُّورِ» قال عوف: وأحسب أنه قال: «وإذا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْواتٌ» قال: «فاطَّلَعْتُ فإذا فِيهِ رِجالٌ وَنِساءٌ عُراةٌ، وَإذا هُمْ يأتيهم لَهيبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فإذا أَتاهُمْ ذلك اللهبُ ضَوْضَوا» قال: «قلتُ: ما هٰؤلاء؟» قال: «قالا لي: انْطَلِقْ انطَلِقْ» قال: «فانطَلَقنا فَأَتَينا على نَهرٍ» حسبت أنه قال: «أَحْمَرَ مِثْلَ الدَّمِ، وَإذا في النَّهرِ رَجلٌ يسبحُ ثم يأتي ذلك الرَّجُل الذي قد جَمَعَ الحجارَةَ فَيَفغَرُ لَهُ فاهُ فَيُلْقِمُهُ حجَراً حَجَراً» قال: «فَينطلقُ فيسبحُ ما يسبحُ، ثم يَرْجِعُ إلَيْهِ كُلَّما رَجع إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فاهُ وَأَلْقَمَهُ حجَراً» قال: «قلتُ: ما هٰذا؟» قال: «قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ، فانطَلَقْنَا فَأتينا على رَجُلٍ كَريهِ المرْآةِ كأكْرَهُ ما أنتَ راءٍ أَنتَ رَجُلاً مرآة فإذا هُوَ عِنْدَ نارٍ لَهُ يَحُشُّها وَسْعَى حولَها» قال: «قلتُ لَهُما: ما هٰذا؟» قال: «قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ» قال: «فانطَلَقنا فأتَينا على رَوضَةٍ مُعْشيَةٍ فيها مِنْ كُلِّ نُورِ الرَّبيعِ» قال: «وإذا بَيْنَ ظَهْرَاني الرَّوضَةِ رَجلٌ قائِمٌ طَويلٌ، لاَ أكادُ أَنْ أَرى رَأْسَهُ طُولاً في السَّماءِ، وَإذا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ وَأَحْسَنِهِ» قال: «قُلْتُ لَهُما: ما هٰذا؟ وما هٰؤلاء؟» قال: «قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ».

قال: «فانطَلَقْنا فانتَهَينا إلى دَوْحَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنهَا ولا أَحْسَنَ» قال: «فقالا لي: ارقَ فيها فارْتَقَينا فيها، فانْتَهَيتُ إلى مَدِينَةٍ مبنيةٍ بِلَبِنٍ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَينا بابَ المدينةِ، فاستَفْتَحنا ففُتِحَ لنا، فَدَخَلْنا فَلَقِينا فِيها رِجالاً شَطْرٌ مِنْ خَلقِهِمْ كَأَحْسَنِ ما أَنتَ راءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ ما أَنتَ راءٍ» قال: «فقالا لَهُمْ: اذهَبُوا فَقَعُوا في ذٰلِكَ النَّهرِ فإذا نَهرٌ صَغِيرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّما هُوَ المحضُ في البَياضِ» قال: «فَذَهَبُوا فَوقعوا فيه ثُمَّ رَجَعُوا إلَينا وَقَدْ ذَهَبَ ذٰلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، وَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» قال: «فقالا لي: هٰذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهٰاذاكَ مَنْزِلُكَ» قال: «فَبَيْنَما بَصَرِي صَعِداً فَإذا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبابَةِ البَيْضاءِ قالا لي: وَهٰاذاكَ مَنْزِلُكَ» قال: «قُلْتُ لَهُما: بارَكَ الله فيكُما ذَرَاني فلأَدْخُلْهُ» قال: «قالا لي: الآنَ فَلاَ وَأَنْتَ داخِلُهُ».

قال: «فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيلَةِ عَجَباً فما هٰذا الَّذِي رَأَيتُ؟» قال: «قالا لي أما إنَّا سَنُخْبِرُكَ أمّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الذي أَتَيتَ عَلَيْهِ يَثْلَغُ رَأْسَهُ بالحَجَرِ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَينامُ عن الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَةِ.

وَأَمّا الرَّجُلُ الذي أَتَيتَ عَلَيهِ يُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إلى قَفاهُ، وَعَيناهُ إلى قَفَاهُ، وَمِنخراهُ إلى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكِذْبَةَ تَبْلُغُ الآفاقَ، وَأَمّا الرِّجالُ وَالنِّساءُ العُرَاةُ الذِينَ في بناءٍ مِثْلِ بناءِ التنور، فَإِنَّهُمُ الزُّناةُ وَالزَّوَاني.

وَأَمّا الرَّجُلُ الذي يَسْبَحُ في النَّهرِ وَيَلْقَمُ الحجارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبا، وَأَمّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المرآة الذي عِندَ النارِ يَحُشُّها فَإِنَّهُ مالِكٌ خازِنُ جَهَنم، وَأَمّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الذي رَأَيتَ في الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إبراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَأَمّا الوِلْدَانُ الذينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ ماتَ عَلَى الفِطْرَةِ».

قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَأَوْلادُ

المشركينَ، **وَأَمّا القَوْمُ الذينَ كانَ شَطْرٌ مِنهُمْ حَسَناً وَشَطْرٌ قَبِيحاً، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً فَتَجاوَزَ الله عَنْهُمْ»** (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: «فيثلغ بها رأسه فيتدهده الحجر» أي فيشدخ رأسه بالصخرة، أو الحجر، فيتدحرج ناحية ما.

وقوله ﷺ: **«فيشرر شدقه إلى قفاه» الشدق**: جانب الفم جمعه: أشداقه ومعنى **«فيشرر»** أي يقطع ويشق. **وقوله** ﷺ: **«فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا»** أي ضجوا وصاحوا. **وقوله** ﷺ: **«فيفغر له فاه»** أي فيفتح له فمه.

وقوله ﷺ: **«فإذا هو عند نار له يحشها»** أي يوقدها. يقال: حششت النار، أحشها؛ إذا ألهبتها وأضرمتها. ويقال حشَّ الحرب، إذا أسعرها وهيَّجها، تشبيهاً بإسعار النار.

وقوله ﷺ: **«فانتهينا إلى دوحة عظيمة» أي** فخلصنا إلى شجرة كبيرة الحجم، عظيمة. وفي لفظ البخاري: **«فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة»**.

وقوله ﷺ: **«فانتهيت إلى مدينة مبنية بلبن ذهب، ولبن فضة»**اللبنة ـ بفتح اللام، وكسر الباء ـ واحدة اللَّبِن، وهي التي يبنى بها الجدار، ويقال: بكسر اللام، وسكون الباء.

وقوله ﷺ؛ **«فإذا نهر صغير معترض يجري، كأنما هو المحض في البياض»** أي الخالص في البياض. والمحض: الخالص من كل شيء.

وقوله ﷺ: **«فقالا لي: هذه جنة عدن»** أي جنة الإقامة الدائمة. يُقال: عَدَنَ بالمكان، يَعْدِنُ عدْناً، إذا لزمه ولم يبرح منه.

وقوله ﷺ: **«فإذا قصر مثل الربابة»** أي مثل السحابة العظيمة التي قد ركب بعضها بعضاً. وجمعها: رباب. وقد جاء في لفظ عند أحمد: **«... فرفعت رأسي، فإذا هي كهيئة السحاب، فقال لي: وتلك دارك، فقلت لهما: دعاني أدخل داري، فقالا: إنه قد بقي لك عمل لم تستكمله، فلو استكملته دخلت دارك»**[١].

خاتمة في الربا: اعلم أخي الكريم أن الربا والعمل به كبيرة من الكبائر، ولا خلاف في ذلك، على ما جاء في كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ.

فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»**[٢].

---

(١) رواه أحمد (٢٠١٨٥).

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩) واللفظ للبخاري.

الموبقة: هي التي توبق صاحبها في النار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضرب عنقه. وقال قتادة: أوعد الله أهل الربا بالقتل فجعلهم بهرجاً أينما ثقفوا ـ أي شيئاً مباحاً أينما وجدوا ـ ذكره القرطبي في «تفسيره».

وقال أيضاً: قال علماؤنا: إن سبيل التوبة مما بيده من الأموال الحرام إن كانت من ربا فليردها على من أربى عليه، ويطلبه إن لم يكن حاضراً، فإن أيس من وجوده فليتصدق بذلك عنه.

وإن أخذه بظلم فليفعل كذلك في أمر من ظلمه. فإن التبس عليه الأمر ولم يدر كم الحرام من الحلال مما بيده، فإنه يتحرى قدر ما بيده مما يجب عليه ردَّه، حتى لا يشك أن يبقى قد خلص له فيردّه من ذلك الذي أزال عن يده إلى من عُرف ممن ظلمه أو أربى عليه. فإن أيس من وجوده تصدق به عنه.

فإن أحاطت المظالم بذمته، وعلم أنه وجب عليه من ذلك ما لا يُطيق أداءه أبداً لكثرته، فتوبته: أن يزيل ما بيده أجمع، إما إلى المساكين، وإما إلى ما فيه صلاح المسلمين، حتى لا يبقى في يده إلا أقل ما يجزئه في الصلاة من اللباس، وهو ما يستر العورة، وهو من سُرَّته إلى ركبتيه، وقوت يومه، لأنه الذي يجب له أن يأخذه من مال غيره إذا اضطر إليه، وإن كره ذلك من يأخذه منه. اهـ. ملخصاً.

* * *

١٦ ـ كتاب تحريم الغيبة والنميمة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١].

١ ـ باب تغليظ عقوبة المغتاب

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

٢٥٠ ـ عَنْ أَنس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُم أَظْفَارٌ مِنْ نُحاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُم وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰؤلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»**. (رواه أحمد).

وقد وقع عند الطبراني في «الأوسط» بلفظ: «... **هٰؤلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِم**».

ورواه الطبراني أيضاً في «مسند الشاميين» بلفظ: «... **هٰؤلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَنْتَقِصُونَ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ**».

٢ ـ باب في أمر المغتاب يوم القيامة بأكل لحم أخيه ميتاً كما أكله حياً [(١)]

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

٢٥٠ ـ [رواه أحمد (١٣٣٣٩/ ٤) وأبو داود (٤٨٧٨) والطبراني في «الأوسط» (٨/ ١) وفي «مسند الشاميين» (٩٣٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨١٦) وإسناده صحيح على شرط مسلم، واللفظ الأول لأحمد].

(١) انظر أخي الكريم ما جاء في «الموبقات المهلكة» باب تحريم الغيبة.

٢٥١ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يَغْتَابُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، فَيُقَالُ لَهُ: كُلْ لَحْمَ أَخِيكَ مَيتاً كَمَا أَكَلْتَهُ حَياً».

قَالَ: «فَإِنَّهُ لَيَأْكُلُهُ وَيَصِيحُ وَيَكْلَحُ» (رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد لا بأس به).

ويكلح: أي يعبس ويقبض وجهه من الكراهة.

ورواه أيضاً بإسناد مختلف بلفظ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ لَحْمِ أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا، قُرِّبَ إِلَيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: كُلْهُ حَياً كَمَا أَكَلْتَهُ مَيتاً. فَيَأْكُلُهُ، وَيَكْلَحُ وَيَصِيحُ».

* * *

٢٥١ ـ [رواه الطبراني في «الأوسط» (٦/٥٨٥٣) وإسناده حسن، والرواية الثانية رواها الطبراني في «الأوسط» أيضاً (١٦٥٦/ ٢) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/١٣١٢٩) وعزاه للطبراني في «الأوسط» وقال: وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، ومن لم أعرفه. اهـ. ويشهد له الحديث الأول فإن رجال إسناده ثقات، غير ابن إسحاق. والحديث أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٥٠٨ ـ ٣/٥٠٩) وتعقبه بقوله: رواه أبو يعلى والطبراني وأبو الشيخ في كتاب «التوبيخ» كلهم من رواية محمد بن إسحاق، وبقية رواته بعضهم ثقات].

١٧ ـ كتاب الرياء والسمعة

قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

١ ـ باب تحريم الرياء والسمعة، وأن عمل المرائي مشرك مردود عليه آثم به

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

٢٥٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ قَالَ: «**أَنَا خَيْرُ الشُّرَكَاءِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**». (رواه أحمد)

ورواه مسلم بلفظ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

ورواه الطيالسي بلفظ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ، مَنْ أَشْرَكَ بِي، كَانَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ لَهُ**».

الشرح: قوله جل وعلا: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري، فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك» وفي لفظ مسلم، «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه» أيْ أنا غني عن المشاركة، وغيرها. فمن عمل شيئاً لي ولغيري، لم أقبله منه، بل أتركه لذلك الغير. والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به. قاله النووي.

وقال الإمام القرطبي: أصل الشرك المُحرَّم؛ اعتقاد شريك لله تعالى في إلهيته، وهو الشرك

---

٢٥٢ ـ [رواه أحمد (٨٠٠٥ ـ ٨٠٠٦/٣) ومسلم (٢٩٨٥) وابن ماجه (٤٢٠٢)، والطيالسي (٢٥٥٩) وابن حبان (٣٩٥) وغيرهم].

الأعظم، وهو شرك الجاهلية. ويليه في الرتبة، اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجوداً ما، غير الله تعالى يستقل بإحداث فعلٍ وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلهاً.

ويلي هذا في الرتبة الإشراكُ في العبادة، وهو الرياء. وهو أن يفعل شيئاً من العبادات التي أمر الله تعالى بفعلها له لغير الله، وهذا هو الذي سيق الحديثُ لبيان تحريمه، وأنه مبطل للأعمال. لهذا أشار جل وعلا بقوله: **«من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشريكه»** وهذا هو المسمى بالرياء، وهو على الجملة مبطل للأعمال، وضدُّه الإخلاص، وهو من شرط صحة العبادات والقُرَبِ. اهـ.

وفي «صحيح مسلم» وغيره، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به»**[1] قال العلماء: معناه من رايا بعمله، وسمعه الناس ليكرموه، ويعظموه، ويعتقدوا خيره، سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه على رؤوس الأشهاد، كما جاء في غير رواية مسلم: **«يُسمع الله به سامع خلقه يوم القيامة»** أي كل من يسمع من الخلائق يوم الحشر.

وقيل: معناه من سمع بعيوب الناس وأذاعها، سمع الله به، أي أظهر عيوبه يوم القيامة. وقيل: أراه ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه، فيكون حسرة عليه. وقيل بـ المعنى من أراد بعمله الناس أسمع الله الناس، وكان ذلك حظه منه.

وقوله ﷺ: **«ومن راءى راءى الله به»** أي: من راءى بعمله فعمل شيئاً من العبادات لغير الله قابله الله تعالى يوم القيامة بعقوبة ذلك. فسمى ذلك العقوبة رياء، على جهة المقابلة، كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]. قاله القرطبي.

٢ ـ باب عقوبة من يامر الناس بالبر وينسى نفسه

قال الله تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

٢٥٣ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ قَوْماً

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٦).

٢٥٣ ـ [رواه أحمد (١٢٢١١ ـ ١٢٨٥٦ ـ ١٣٤٢١ ـ ١٣٥١٥/٤) وأبو يعلى (٣٩٩٢) و(٣٩٩٦) و(٤٠٦٩) و(٤١٦٠) والبزار (٣٣٢١) و(٣٣٢٢) كشف الأستار ـ وابن حبان (٥٣) والطبراني في «الأوسط» (٢٨٣٢) وعبد بن حميد في «مسنده» (١٢٢٢) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤٣ ـ ٤٤/٧) والبيهقي (٩٥/١٠) في أدب القاضي. وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (٣١٨/٥) والمنذري في «الترغيب والترهيب» (١٢٤/١) و(٢٣٤ ـ ٢٣٥/٣). وهو حديث صحيح. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد» (١٢١٨٠ ـ ١٢١٨١ ـ ١٢١٨٢/٧) وقال: رواها كلها أبو يعلى والبزار ببعضها، والطبراني في «الأوسط» وأحد أسانيد أبي يعلى (٤٠٦٩) رجاله رجال الصحيح. وهو كما قال].

تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ ـ أَوْ قَالَ ـ مِنْ حَدِيدٍ، قُلْتُ: مَنْ هٰؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ». (رواه أبو يعلى، ورجال إسناده رجال الصحيح).

ورواه البزار بلفظ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى نَاسٍ، تُقْرَضُ شِفَاهُهُم بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: ما هٰؤُلاءِ؟ قَالَ: هٰؤُلاءِ الخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُم».

ورواه أيضاً بلفظ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، بِقَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُم. فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلاءِ؟ قَالَ: الخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ ـ أَحْسَبُهُ قَالَ ـ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ».

ورواه ابن حبان وأحمد بلفظ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهُم بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هٰؤُلاءِ؟ قَالَ: هٰؤُلاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُم وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ، أَفَلاَ يَعْقِلُونَ» لفظ أحمد.

ورواه الطبراني في «الأوسط» بلفظ: «أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا فِيهَا رِجَالٌ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هٰؤُلاءِ؟ فَقَالَ: هٰؤُلاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ» وكذا رواه أبو يعلى في إحدى رواياته.

ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ. فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هٰؤُلاءِ؟ قَالَ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ».

وفي رواية للبيهقي بلفظ: «أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُم بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللّٰهِ، وَلاَ يَعْمَلُونَ بِهِ».

فائدة: أخرج ابن أبي الدنيا، بإسناد جيد، من مرسل الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلاَّ اللّٰهُ سَائِلُهُ عَنْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ: مَا أَرَدْتَ بِهَا؟»[1].

قال الحسن: فكان مالك بن دينار إذا حدثني بهذا بكى، ثم يقول: أتحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة: ما أردت به. أنت الشهيد على قلبي، لو أعلم أنه أحبُّ إليك لم أقرأ على اثنين أبداً.

وروى أحمد بإسناد فيه مقال، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا هٰذَا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» فقال له من

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» رقم (٥١٤/ ٥) مرسلاً، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٣٥/ ٣) وقال: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلاً بإسناد جيد اهـ. والحديث أورده أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٦٠/ ٢) والغزالي في «الإحياء» (١١٩/ ٣) والزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٥٢١/ ٧).

شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال ﷺ: «قولوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ»[١].

٣ ـ باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ [غافر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

٢٥٤ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُعْرَضُ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ يَدَي اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَصُحُفٌ مُخَتَّمَةٌ. فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلْقُوا هٰذا، وَاقْبَلُوا هٰذا. فَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ: يَا رَبِّ، مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلاَّ خَيْراً. فَيَقُولُ اللَّهُ: إِنَّ عَمَلَهُ كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي، وَلاَ أَقْبَلُ اليَوْمَ مِنَ العَمَلِ إِلاَّ مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهِي». (رواه البزار).

وَرَوَاهُ الطبراني في «الأَوْسطِ بِلَفْظِ: «يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِصُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. فَيقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَلْقُوا هٰذِهِ، وَاقْبَلُوا هٰذِهِ. فَتَقُولُ المَلائِكَةُ وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْنَا إِلاَّ خَيْراً. فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ هٰذا كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي، وَإِنِّي لاَ أَقْبَلُ اليَوْمَ مِنَ العَمَلِ إِلاَّ مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهِي».

قال الهيثمي في «المجمع»: وفي رواية: «فَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ: وَعِزَّتِكَ، مَا كَتَبْنَا إِلاَّ مَا عَمِلَ، قَالَ: صَدَقْتُم، إِنَّ عَمَلَهُ كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي».

٤ ـ باب إحباط عمل المنافق وسخط الله تعالى عليه

قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

٢٥٥ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟».

قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: بَلَى. قَالَ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِداً مِنِّي.

---

(١) رواه أحمد (١٩٦٢٥/٧) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٧٦٦٩/١٠) وعزاه لأحمد وللطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، وثقه ابن حبان.

٢٥٤ ـ [رواه البزار (٣٤٣٥) والطبراني في «الأوسط» (٢٦٠٣)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٣٩٥ ـ ١٨٣٩٦/١٠) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح].

٢٥٥ ـ [رواه مسلم (٢٩٦٩) وأبو يعلى (٣٩٧٧) وابن حبان (٧٣٥٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢١٧ ـ ٢١٨)، واللفظ لأبي يعلى].

قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ عَلَيْكَ شَهِيداً، وَبِالْكِرَامِ الكَاتِبِينَ شُهُوداً. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ.

ثُمَّ قَالَ: يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَلَامِ فَيَقُولُ: بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ». (رواه أبو يعلى).

خاتمة في الرياء:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذَجٌ ـ وَرُبَّمَا قَالَ ـ كَأَنَّهُ جَمَلٌ، فَيَقُولُ: ابْنَ آدَمَ، أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ انْظُرْ إِلَى عَمَلِكَ الَّذِي عَمِلْتَهُ لِي، فَأَنَا أَجْزِيكَ، وَانْظُرْ إِلَى عَمَلِكَ الَّذِي عَمِلْتَهُ لِغَيْرِي فَيُجَازِيكَ عَلَى الَّذِي عَمِلْتَ لَهُ»[1]. (رواه أبو يعلى).

* * *

(١) رواه أبو يعلى (٤١٢١) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٧٦٥٤) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه مدلسون. اهـ. وأورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٢٠٣) وعزاه لأبي يعلى.

١٨ ـ كتاب تحريم الغدر والخيانة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

١ ـ باب تحريم الغدر والخيانة، وما جاء في عقوبتها يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

٢٥٦ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»**. (رواه البخاري).

ورواه أحمد بلفظ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُه، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ»**.

ورواه ابن ماجه بلفظ: **«ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ. وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. . .»** وذكره بتمامه.

ورواه الطبراني بلفظ: **«ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ، رَجُلٌ أَعْطَانِي ثُمَّ غَدَرَ ـ يعني عَهْدَ اللهِ ـ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ»**.

---

٢٥٦ ـ [رواه أحمد (٣/٨٧٠٠) والبخاري (٢٢٢٧ و ٢٢٧٠) وابن ماجه (٢٤٤٢) وابن الجارود (٥٧٩) وأبو يعلى (٦٥٧١) وابن حبان (٧٣٣٩) والطبراني في «الصغير» (٨٨٥) والبغوي في «شرح السنة» (٢١٨٦) والبيهقي (١٤ ـ ١٢١/٦) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٨٧٨ و٣٠١٥).

ورواه ابن حبان بلفظ: «**ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُم في القِيَامَةِ، وَمَنْ كُنتُ خَصْمَهُ أَخصِمَهُ، رَجُلٌ أَعطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ**».

٢٥٧ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الغَادِرِ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَة، يُقَالُ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانٍ**». (متفق عليه).

وفي لفظٍ للبخاري أيضاً: «**إِنَّ الغَادِرِ يُنصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانٍ**».

ورواه مسلم بلفظ: «**إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِواءٌ، فَقِيلَ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانٍ**».

وفي لفظ له أيضاً: «**إِنَّ الغَادِرَ يَنْصِبُ اللَّهُ لَهُ لِوَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: أَلاَ هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلانٍ**».

ورواه أحمد بلفظ: «**الغَادِرُ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانٍ**».

ورواه النسائي بلفظ: «**إِنَّ الغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَيُقَالُ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانٍ**».

٢٥٨ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ**». (متفق عليه).

وفي لفظ لمسلم أيضاً: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ، يُقَالُ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ**».

ورواه ابن ماجه بلفظ: «**يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ**».

ورواه النسائي بلفظ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلانٍ**».

الشرح: قوله ﷺ: «**قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة**» قال ابن التين: هو سبحانه وتعالى خصم لجميع الظالمين، إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح. اهـ. وقد وقع في رواية أحمد «**ومن كنت خصمه خصمته**» وعند ابن حبان «**ومن كنت خصمه أخصمه**» قال أهل اللغة: الخصومة ـ بالضم ـ: الجدل، ورجل خصيم، أي مجادل، ويقال: خصمه يخصمه، أي غلبه. وعلى هذا فيكون معنى قوله جل وعلا «**ومن كنت خصمه خصمته**» أي ومن جادلته يوم القيامة، غلبته ولم يكن له حجة عندي يحتج بها، ولا يخفى أن المخاصمة لا بد لها من المناقشة وفي

---

٢٥٧ ـ [رواه أحمد (٢/ ٤٦٤٨) والبخاري (٦١٧٧ و ٦١٧٨) ومسلم (١٧٣٥) وأبو داود (٢٧٥٦) والنسائي في «الكبرى» (٨٧٣٦ - ٥/ ٨٧٣٧) وابن حبان (٧٣٤٢ و ٧٣٤٣) والترمذي (١٥٨١) وأبو عوانة (٤/ ٧٢) والبغوي في «شرح السنة» (٢٤٧٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٣٠) وفي «شعب الإيمان» (٥٥٤٦)].

٢٥٨ ـ [رواه أحمد (٢/ ٣٩٠٠) والبخاري (٣١٨٦) ومسلم (١٧٣٦) والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٨٧٣٨) وابن ماجه (٢٨٧٢) والدارمي (٢٥٤٢) والشاشي (٥٦٩) وأبو يعلى (٥٣٤٢) والقضاعي في «الشهاب» (٢١٠) وابن حبان (٧٣٤١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٤٢) وفي «شعب الإيمان» (٤٣٥٣ و ٥٢٧٠)].

«صحيح البخاري» وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك»** فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]، فقال رسول الله ﷺ: **«إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذب»**[١]. وفي رواية عند البخاري أيضاً بلفظ: **«.. ولكن من نوقش الحساب يهلك»**.

وقوله جل وعلا: **«رجل أعطى بي ثم غدر»** كذا جاء اللفظ في جميع الروايات على حذف المفعول، والتقدير: أعطى يمينه بي. أي عاهد عهداً، وحلف عليه بالله، ثم نقضه.

وقوله جل وعلا: **«ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»** هو في معنى من باع حراً، وأكل ثمنه، لأنه استوفى منفعته بغير عوض، وكأنه أكلها، ولأنه استخدمه بغير أجرة وكأنه استعبده.

وقوله ﷺ: **«إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة، يُقال: هذه غدرة فلان بن فلان»** وعند مسلم وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة»** أي عند مؤخرته. وفي رواية له أيضاً بلفظ: **«لكل غادر لواء يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة»**[٢].

وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»**[٣].

قال أهل اللغة: اللواء؛ الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب، أو صاحب دعوة الجيش، ويكون الناس تبعاً له. قالوا: فمعنى قوله ﷺ: **«لكل غادر لواء»** أي علامة يُشهر بها في الناس، لأن موضوع اللواء، الشهرة.

قال القرطبي: هذا خطاب منه للعرب، بنحو ما كانت تفعل، لأنهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء، وللغدر راية سوداء، ليلوموا الغادر ويذموه. فاقتضى الحديث وقوع مثل ذلك للغادر ليشتهر بصفته في القيامة فيذمه أهل الموقف.

وقال النووي: وأما الغادر فهو الذي يواعد على أمر ولا يفي به، يقال: غدر يغدر ـ بكسر الدال في المضارع ـ وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر، لا سيما من صاحب الولاية العامة، لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثيرين، وقيل لأنه غير مضطر إلى الغدر، لقدرته على الوفاء. انتهى مختصراً.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٧٣٨).

(٣) رواه مسلم (٥٨) والبخاري (٣٤)، واللفظ للبخاري.

١٩ ـ كتاب التصاوير

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

١ ـ باب تحريم صناعة التماثيل ونحوها وتحريم مضاهاة الله تعالى في خلقه

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

٢٥٩ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَخْلُقُ كَخَلْقِي! فَلْيَخْلُقُوا بَعُوضَةً أَوْ لِيَخْلُقُوا ذَرَّةً»**. (متفق عليه).

وفي لفظ عند مسلم: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقاً كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»**.

وفي لفظ للبخاري: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»**.

وفي رواية للبخاري أيضاً، مِنْ طريقِ أبي ذُرْعَةَ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبي هُرَيْرَةَ داراً بِالمدينةِ، فَرأَىٰ في أَعلاَهَا مُصَوراً يُصوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»**.

قال ابن حبان: قوله جل وعلا: **«فليخلقوا حبة، أو ليخلقوا ذرة»** من ألفاظ الأوامر التي مرادها التعجيز.

الشرح: **قوله جل وعلا: «ومن أظلم ممن يخلق كخلقي»** أي ليس هناك أظلم منه، وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤]، أي لا أحد أظلم منه.

---

٢٥٩ ـ [رواه أحمد (٣/٧٥٢٥) والبخاري (٥٩٥٣) و(٧٥٥٩) ومسلم (٢١١١) وابن حبان (٥٨٥٩) والبغوي في «شرح السنة» (٣٢١٧) واللفظ الأول لأحمد].

وقوله جل وعلا: «**فليخلقوا بعوضة أو ذرة**» المراد بالذرة: النملة. والمراد بالحبة، حبة القمح، بقرينة ذكر الشعير. أو الحبة أعم. والغرض تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان، وهو أشد، وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك.

وهذه الأحاديث وغيرها، صريحة في تحريم تصوير الحيوان، وأنه غليظ التحريم.

٢ ـ باب: «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله»

٢٦٠ ـ عَنْ أُمِّ الْمُؤمِنينَ السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَت: حَشَوْتُ لِلنبيِّ ﷺ وِسَادَةً فِيهَا تَماثِيلُ كَأَنَّهَا نُمْرُقَةٌ، فَجَاءَ فَقَامَ بينَ البابينِ وَجَعَلَ يَتَغَيَّرُ وَجْهُهُ.

فَقُلْتُ: مَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَا بَالُ هٰذِهِ؟**» قُلْتُ: وِسَادَةٌ جعلتُها لَكَ لِتَضْطجِعَ عَلَيْهَا. قَالَ: «**أَمَا عَلِمتِ، أَنَّ الملائِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتاً فيهِ صُورَةٌ! وَأَنَّ مَنْ صَنَعَ الصُّورَةَ يُعَذَّبُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُم**». (متفق عليه).

وفي لفظ للبخاري أيضاً: أَنَّها اشتَرتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى البَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ! فَعَرَفْتُ في وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلى اللَّهِ وَإِلى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا بَالُ هٰذِهِ النُّمْرُقَةِ؟**» قَالَت: فَقُلْتُ اشتَرَيْتُها لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هٰذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُم**» وَقَالَ: «**إِنَّ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ، لاَ تَدْخُلُهُ المَلاَئِكَةُ**».

زاد مسلم في روايته: قَالَتْ: فَأَخَذْتُهُ فَجَعَلْتُهُ مِرْفَقَتَيْنِ، فَكَانَ يَرْتَفِقُ بِهِمَا في البَيْتِ.

وفي لفظ للبخاري أيضاً: أنها اشتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى البَابَ فَلَمْ يَدْخُلْ. فَعَرَفْتُ في وَجْهِهِ الكَرَاهَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلىٰ اللَّهِ وَإِلىٰ رَسُولِهُ ﷺ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا بَالُ هٰذِهِ النُّمْرُقَةِ؟**» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُها لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هٰذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أُحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**» وَقَالَ: «**إِنَّ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ، لاَ تَدْخُلُهُ المَلاَئِكَةُ**».

٢٦١ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هٰذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». (متفق عليه).

ورواه أحمد بلفظ: «**إِنَّ المُصَوِّرِينَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**».

---

٢٦٠ ـ [رواه البخاري (٢١٠٥ و٥١٨١ و٥٩٥٧ و٥٩٦١ و٧٥٥٧)، ومسلم (٢١٠٧)، واللفظ الأول للبخاري].

٢٦١ ـ [رواه أحمد (٢/٤٤٧٥) والبخاري (٥٩٥١) ومسلم (٢١٠٨)، والنسائي في «المجتبى» (٥٣٧٩) وفي «الكبرى» (٩٧٨٧ و٩٧٨٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٢٢٠) واللفظ الأول للبخاري].

ورواه مسلم بلفظ: «**الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**».

٢٦٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَصْحَابَ الصُّوَرِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَهَا، يُعَذَّبُونَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». (رواه أحمد).

الشرح: قولها رضي الله عنها: (حشوت للنبي ﷺ وسادة فيها تماثيل كأنها نمرقة) والنمرقة: بضم النون والراء، ويقال: بكسرهما، ويقال: بضم النون وفتح الراء، ثلاث لغات، ويقال: نمرق ـ بلا هاء وهي وسادة صغيرة، وجمعها: نمارق. وهي الوسائد التي يُصف بعضها إلى بعض، وقيل: النمرقة الوسادة التي يُجلس عليها.

وقولها رضي الله عنها: (فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله ورسوله، ماذا أذنبت؟) يستفاد منه جواز التوبة من الذنوب كلها إجمالاً، وإن لم يستحضر التائب خصوص الذنب الذي حصلت به مؤاخذته.

وأما قولها في الرواية الأخرى: (أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهة) ففيه التصريح بعدم الدخول إلى الأماكن التي يظهر فيها المنكر مثل الصُّور وغيرها. قال ابن بطال رحمه الله تعالى: فيه أنه لا يجوز الدخول في الدعوة يكون فيها منكر مما نهى الله ورسوله ﷺ عنه لما في ذلك من إظهار الرضا بها اهـ.

وقوله ﷺ: «أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة» المراد بالصورة هنا صورة الحيوان، وأما صور الشجر ونحوه مما لا روح فيه، فلا دخل لها بذلك، والله أعلم. قال في «الفتح»: ويستفاد منه؛ أنه لا فرق في تحريم التصوير بين أن تكون الصورة لها ظل أو لا. ولا بين أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منقورة أو منسوجة، خلافاً لمن استثنى النسج وادعى أنه ليس بتصوير. انتهى مختصراً.

وقوله ﷺ: «وأن من صنع الصورة يُعذب يوم القيامة» وقد جاء في «صحيح البخاري» وغيره، أن المصور ممن لعنهم رسول الله ﷺ، وذلك فيما رواه من طريق عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، أنه اشترى غلاماً حجاماً، فقال: إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب، وكسب البغي، ولعن آكل الربا وموكله، والواشمة والمستوشمة، والمُصوِّر(١).

وفي «**الصحيحين**» وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون**»(٢).

وفي رواية أخرى، عن النضر بن أنس بن مالك قال: كنت جالساً عند ابن عباس، فجعل يفتي ولا يقول: قال رسول الله ﷺ، حتى سأله رجل فقال: إني رجل أُصَوِّر هذه الصور، فقال له ابن

---

٢٦٢ ـ [رواه أحمد (٣/٨٩٥٠)، وهو حديث حسن].

(١) رواه البخاري (٥٩٦٢).

(٢) رواه مسلم (٢١٠٩) والبخاري (٥٩٥٠).

عباس: ادنه، فدنا الرجل، فقال ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من صور صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ»**(١). وقد أخرج أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أصحاب الصور الذين يعملونها، يعذبون بها يوم القيامة، يُقال لهم أحيوا ما خلقتم»** وإسناده حسن.

قال الإمام النووي: وأما رواية: **«أشد عذاباً»** فقيل: هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد، وهو صانع الأصنام ونحوها. فهذا كافر، وهو أشد عذاباً. وقيل: هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك. فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره. فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير، ولا يُكفر كسائر المعاصي.

وقد أخرج أحمد وغيره بإسناد جيد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«أشد الناس عذاباً يوم القيامة، رجل قتله نبي، أو قتل نبياً، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين»**(٢). ورواه الطبراني بإسناد فيه مقال بلفظ: **«إن أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي، وإمام جائر، وهؤلاء المصورون»**(٣).

قوله جل وعلا: «أحيوا ما خلقتم» هو أمر تعجيز، ذلك أن الإحياء، ونفخ الروح في الأجساد إنما هو من أمر الله تعالى لا يشركه فيه غيره. وقد تقدم حديث ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعاً: **«من صور صورة في الدنيا، كُلِّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ»** ويستفاد منه صفة تعذيب المصور، وهو أن يكلف نفخ الروح في الصورة التي صورها، وهو لا يقدر على ذلك، فيستمر تعذيبه إلى ما شاء الله تعالى.

٣ ـ باب امتناع دخول الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة

٢٦٣ ـ عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: وَاعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، وَفِي يَدِهِ عَصاً، فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: **«مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلاَ رُسُلُهُ»**. ثُمَّ الْتَفَتَ، فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ، مَتَىٰ دَخَلَ هٰذَا الكَلْبُ هَهُنَا؟»** فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، مَا دَرَيْتُ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ. فَجَاءَ جِبْرِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ، فَلَمْ تَأْتِ»** فَقَالَ: **«مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ»**. (رواه مسلم).

---

(١) البخاري (٥٩٦٣) ومسلم (٢١١٠).

(٢) رواه أحمد (٣٨٦٨/ ٢).

(٣) رواه الطبراني (١٠٥١٥/ ١٠).

٢٦٣ ـ [رواه مسلم في «اللباس» (٢١٠٤)].

٢٦٤ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخْبَرَتْنِي مَيْمُونَةُ ـ زَوْجُ النَّبِيِّ ـ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ أَصْبَحَ يَوْماً وَاجِماً. فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ، لَقَدِ اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ. قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَلْقَنِي، أَمَ وَاللّٰهِ مَا أَخْلَفَنِي»**. قَالَ: فَظَلَّ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَوْمَهُ ذٰلِكَ عَلَى ذٰلِكَ. ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً فَنَضَحَ مَكَانَهُ. فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: **«قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي الْبَارِحَةَ»**.

قال: **«أَجَلْ، وَلٰكِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ»** فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ، يَوْمَئِذٍ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلاَبِ، حَتَّى إِنَّهُ يَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ، وَيَتْرُكُ كَلْبَ الْحَائِطِ الْكَبِيرِ. (رواه مسلم).

ورواه أحمد بلفظ: قَالَتْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا؛ أَصْبَحَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ خَاثِراً، فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَصْبَحْتَ خَاثِراً؟ قَالَ ﷺ: **«وَعَدَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أَنْ يَلْقَانِي فَلَمْ يَلْقَنِي وَمَا أَخْلَفَنِي»**. فَلَمْ يَأْتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَلاَ الثَّانِيَةَ وَلاَ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ اتَّهَمَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ جِرْوَ كَلْبٍ كَانَ تَحْتَ نَضَدِنَا، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَخَذَ مَاءً فَرَشَّ مَكَانَهُ.

فَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: **«وَعَدْتَنِي فَلَمْ أَرَكَ»** قَالَ: **«إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ»** فَأَمَرَ يَوْمَئِذٍ بِقَتْلِ الْكِلاَبِ.

قال ابن عباس: حَتَّى كَانَ يَسْتَأْذِنُ فِي كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ، فَيَأْمُرُ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ.

ومعنى **خاثر**: أي ثقيل النفس، غير نشيط. ومعنى **الحائط**: البستان. ومعنى **النضد**: السرير.

٢٦٥ ـ وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وَعَلَيْهِ الْكَآبَةُ. فَسَأَلْتُهُ مَالَهُ؟ فَقَالَ: **«لَمْ يَأْتِنِي جِبْرِيلُ مُنْذُ ثَلاثٍ»**. قَالَ: فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ بَيْنَ بُيُوتِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، فَبَدَا لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَبَهَشَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ حِينَ رَآهُ، فَقَالَ: **«لَمْ تَأْتِنِي»**؟ فَقَالَ: **«إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَصَاوِيرُ»**. (رواه أحمد).

٢٦٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

---

٢٦٤ ـ [رواه أحمد (٢٦٨٦٣/ ١٠) ومسلم (٢١٠٥) وأبو داود (٤١٥٧) والنسائي في «المجتبى» (٤٢٩٤) وفي «الكبرى» (٤٧٩٤/ ٣) وابن حبان (٥٨٥٦) والطبراني في «الكبير» (١٠٤٧/ ٢٣) و(٣٢/ ٢٤) والبيهقي في «الكبرى» (٢٤٣/ ١). واللفظ الأول لمسلم].

٢٦٥ ـ [رواه أحمد (٢١٨٣١/ ٨) وهو حديث صحيح].

٢٦٦ ـ [رواه أحمد (٨٠٥١ ـ ٨٠٨٥/ ٣) وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٤٨٨) والنسائي في «المجتبى» (٥٣٨٠) وفي «الكبرى» (٩٧٩٣/ ٥) وابن حبان (٥٨٥٣) والبغوي في «شرح السنة» (٣٢٢٣) والبيهقي (٢٧٠/ ٧) وإسناده صحيح. وأبو داود (٤١٥٨) والترمذي (٢٨٠٦) وغيرهم بإسناد فيه مقال].

فَعَرَف صَوْتَهُ، فَقَالَ: «ادْخُلْ»، فَقَال: «إِنَّ في البَيْتِ سِتْراً في الحائِطِ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَاقْطَعُوا رُؤُوسَها، وَاجْعَلُوهُ بِسَاطاً أَوْ وَسَائِدَ فَأَوْطِئُوهُ، فَإِنَّا لاَ نَدْخُل بَيْتاً فِيهِ تَماثِيلُ». (رواه أحمد).

وفي رواية له بلفظ: «أَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي جِئْتُ البَارِحَةَ، فَلَمْ يَمنَعْني أَنْ ادخُلَ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ في البَيْتِ صُورَةٌ ـ أَوْ ـ كَلْبٌ».

ورواه النسائي بلفظ: اسْتَأْذَنَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «ادْخُلْ فَقَالَ: كَيْفَ أَدْخُلُ وفي بَيْتِكِ سِتْرٌ فِيهِ تَصَاوِيرُ؟ فَإِمَّا أَنْ تَقْطَعَ رُؤُوسُهَا، أَوْ تَجْعَلَ بِسَاطاً يُوطَأُ، فَإِنَّا مَعْشَرَ المَلاَئِكَةِ لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ تَصَاوِيرُ».

ورواه ابن حبان بلفظ: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أَتىٰ النَّبيَّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وفي بَيْتِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ سِتْرٌ مُصَوَّرٌ فِيهِ تَماثِيلُ، فَقَالَ نَبيُّ اللَّهِ ﷺ: «ادْخُلْ، فَقَال: إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ تَماثِيلُ، فَإِنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ جَاعِلاً في بَيْتِكَ، فَاقْطَعْ رُؤُوسَهَا، أَوْ اقْطَعْهَا وَسَائِدَ، وَاجْعَلْهَا بُسُطاً».

٢٦٧ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وَعَدَ جِبْرِيلُ النَّبيَّ ﷺ فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مَا وَجَدَ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةٌ وَلاَ كَلْبٌ» (رواه البخاري).

ومعنى: فراث عليه: أي أبطأ.

الشرح: قوله عليه السلام: «إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة» قال الإمام النووي: قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة، كونها معصية فاحشة. وفيها مضاهاة ومشابهة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يُعبد من دون الله تعالى.

وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطاناً، كما جاء به الحديث. والملائكة ضد الشياطين. ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة، ولأنها منهي عن اتخاذها، فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له وتبريكها عليه، وفي بيته، ودفعها أذى الشيطان.

وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار.

وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت، ولا يفارقون بني آدم في كل حال، لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها. قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة، مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور. فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما، فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه.

وأشار القاضي إلى نحو ما قاله الخطابي. والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة، وأنهم

---

٢٦٧ ـ [رواه البخاري (٣٢٢٧ و٥٩٦٠)].

يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث. ولأن الجرو الذي كان في بيت النبي ﷺ تحت السرير، كان له فيه عذر ظاهر. فإنه ﷺ لم يعلم به، ومع هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت، وعلل بالجرو فلو كان العذر في وجود الصورة والكلب لا يمنعهم، لم يمتنع جبريل.

وقوله: (فأمر بقتل الكلاب، حتى أنه يأمر بقتل كلب الحائط الصغير، ويترك كلب الحائط الكبير). المراد بالحائط: البستان، وفرق بين الحائطين. لأن الحائط الكبير تدعو الحاجة إلى حفظ جوانبه، ولا يتمكن الناظور من المحافظة على ذلك بخلاف الحائط الصغير، والأمر بقتل الكلاب منسوخ.

٤ ـ باب في المصورين وأعناق جهنم يوم القيامة

٢٦٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ. فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ ادَّعىٰ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ، وَالمُصَوِّرِينَ**». (رواه أحمد).

الشرح: قوله ﷺ: «**إني وُكلت بثلاثة، بكل جبار عنيد، وبكل من ادعى مع الله إلهاً آخر، والمصورين**» جاءت صفة توكيله فيما رواه أحمد، من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت، يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال ﷺ: «**يا عائشة أما عند ثلاثٍ فلا. أما عند الميزان حتى يثقل، أو يخف فلا. وأما عند تطاير الكتب، فإما أن يُعطى بيمينه أو يُعطى بشماله فلا. وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويتغيظ عليهم، ويقول ذلك العنق: وُكِّلتُ بثلاثةٍ، وُكِّلتُ بمن ادَّعى مع الله إلهاً آخر. ووُكِّلتُ بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووُكِّلْتُ بكلِّ جبار عنيد**».

قال: «**فينطوي عليهم، ويرمي بهم في غمرات. ولجهنم جسر أدق من الشَّعرِ، وأَحَدُّ من السيف، عليه كلاليب وحسك، يأخذون من شاء الله، والناس عليه كالطَّرْفِ، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب. والملائكة يقولون: ربِّ سلِّمْ، ربِّ سلِّمْ، فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخدوش مُسَلَّمٌ، ومكورٌ في النَّارِ على وجهِهِ**»[1].

* * *

---

٢٦٨ ـ [رواه أحمد (٣/٨٤٣٨) والترمذي (٢٥٧٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٣١٧) وفي «البعث والنشور» (٥٢٤). وإسناده صحيح على شرط الشيخين. واللفظ لأحمد].

(١) رواه أحمد (٩/٢٤٨٤٧).

٢٠ ـ كتاب ذم البدع والأهواء

١ ـ باب في مصير من بدَّلَ سُنَّة النبي ﷺ، واتبع ما تملي عليه الشياطين

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١].

وقال تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١].

وقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

٢٦٩ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى المَقْبَرَةِ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ. وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا**».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُم أَصْحَابِي، وَإِخْوانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ**». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهُم يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ. وَأَنَا فَرَطُهُم عَلَى الحَوْضِ. فَلَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي، كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِم: أَلَا هَلُمَّ، أَلَا هَلُمَّ، أَلَا هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: فَسُحْقاً. فَسُحْقاً فَسُحْقاً**» (رواه مالك).

٢٧٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ. لَكُم سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُم. تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُم فَلَا يَصِلُونَ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي! فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**» (رواه مسلم).

---

٢٦٩ ـ [رواه مالك في «موطئه» في الطهارة (٦٠) باب جامع الوضوء. وأحمد (٧٩٩٩/٣) ومسلم (٢٤٩) وابن ماجه (٤٣٠٦) وابن خزيمة (٦) وابن حبان (١٠٤٦) والنسائي (١٥٠) والبيهقي (٨٢ ـ ٨٣/ ١) وغيرهم. واللفظ لمالك].

٢٧٠ ـ [رواه مسلم في الطهارة (٢٤٧) وابن ماجه (٤٢٨٢) واللفظ لمسلم].

٢٧١ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُم عَلَى الحَوْضِ، وَلأُنَازِعَنَّ أَقْوَاماً، ثُمَّ لأُغْلَبَنَّ عَلَيهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**». (متفق عليه).

وفي لفظ عند البخاري: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ رِجَالٌ مِنْكُم ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَتَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

٢٧٢ ـ وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الحَوْضَ، وَلَمْ أَسْمع ذٰلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْماً مِنْ ذٰلِكَ، وَالجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «**أَيُّهَا النَّاسُ**» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّما دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لَكُم فَرَطٌ عَلَى الحَوْضِ، فَإِيَّايَ، لاَ يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُم فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ البَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هٰذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ سُحْقاً**». (رواه مسلم).

٢٧٣ ـ وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الحَوضَ أَقْوَامٌ، فَإِذَا رَأَيْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**». (رواه أحمد).

٢٧٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ، اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ، أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**». (متفق عليه).

ورواه البخاري بلفظ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أُصيحابي الحَوْضَ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي؟ فَيَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

٢٧٥ ـ وعن أبي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَداً، لَيَرِدُنَّ عَلَيَّ أَقْوامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُم**» قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا

---

٢٧١ ـ [رواه أحمد (٣٦٣٩/٢) والبخاري (٦٥٧٦) ومسلم (٢٢٩٧) والشاشي (٥١٩) وأبو يعلى (٥١٦٨) وغيرهم، واللفظ الأول لأحمد].

٢٧٢ ـ [رواه مسلم في الفضائل (٢٢٩٥)].

٢٧٣ ـ [رواه أحمد (٢٣٤٥٣/٩) وإسناده صحيح].

٢٧٤ ـ [رواه أحمد (١٣٩٩٣/٤) والبخاري (٦٥٨٢) ومسلم (٢٣٠٤) واللفظ الأول له].

٢٧٥ ـ [رواه البخاري (٧٠٥٠ ـ ٧٠٥١)].

أُحَدِّثُهُمْ هذا فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلاً فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلى أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يزيدُ فِيهِ قَالَ: **«إِنَّهُم مِنِّي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»**. (رواه البخاري).

الشرح: قوله ﷺ: «وددت أني قد رأيت إخواننا» قالوا: ألسنا بإخوانكم؟ قال: **«بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»** قال العلماء: في هذا الحديث جواز تمني لقاء الفضلاء والعلماء وأهل الصلاح. قال القرطبي: وهذه الأخوة هي أخوة الإيمان اليقيني، والحب الصحيح للرسول ﷺ. وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث؛ أنه عليه الصلاة والسلام قال: **«إخواني الذين يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقون برسالتي ولم يلقوني، يودُّ أحدكم لو رآني بأهله وماله»**.

قال: وقد أخذ أبو عمر بن عبد البر من هذا الحديث، ومن قوله ﷺ: **«إن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين منكم»**[(١)].

أنه يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل ممن كان في جملة الصحابة، وذهب معظم العلماء إلى خلاف هذا، وأن من صحب النبي ﷺ ورآه ولو مرة من عمره، أفضل من كل من يأتي بعد، وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، وهو الحق الذي لا ينبغي أن يُصار لغيره.

قال: وأما قوله ﷺ: **«للعامل منهم أجر خمسين منكم»** فلا حجة فيه، لأن ذلك ـ إن صحَّ ـ إنما هو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه قد قال عليه الصلاة والسلام في آخره: **«لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون»**، ولا بُعد في أن يكون في بعض الأعمال لغيرهم من الأجور أكثر مما لهم فيه، ولا تلزم منه الفضيلة المطلقة التي هي المطلوبة بهذا الحديث والله تعالى أعلم. انتهى مختصراً.

وقوله ﷺ: **«وأنا فرطهم على الحوض»** قال الهروي وغيره: معناه؛ أنا أتقدمهم على الحوض، يُقال: فرط القوم، إذا تقدمهم ليرتاد لهم الماء ويهيىء لهم الدلا والرشا. وفي هذا الحديث بشارة لهذه الأمة زادها الله شرفاً فهنيئاً لمن كان رسول الله ﷺ فرطه.

وقوله ﷺ: **«خيل غر محجلة»** أي يتخلل جبهتها وقوائمها بياض و**«دهم»** جمع أدهم، وهو الأسود، والدهمة: السواد، وأما **«البهم»** قيل البهم: الذي لا يخالط لونه لوناً سواه، سواء كان أسود أو أبيض أو أحمر، بل يكون لونه خالصاً.

وقوله ﷺ: **«فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من الوضوء»** وفي **«الصحيحين»** من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»** قال أهل اللغة: الغرة بياض في جبهة

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) والبيهقي (٩١ ـ ٩٢/ ١٠) وغيرهم من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، بإسناد فيه مقال.

الفرس والتحجيل بياض في يديها ورجليها. قال العلماء: سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهاً بغرة الفرس.

وقوله ﷺ: **«فليذادن رجال عن حوضي، كما يزاد البعير الضال»** الذود: الدفع. واللام هنا لام القسم. وقد جاء في الحديث الآخر بلفظ «ولأنازعن» من النزع، وهو الأخذ بشدة وعنف، وفي الرواية الأخرى **«وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن»** أي يظهرهم الله تعالى لي حتى أراهم، ثم ينزعون أو يجذبون مني. يُقال: اختلجته منه، إذا نزعه منه أو جذبه بغير إرادته. وأما قوله ﷺ **«ولأنازعن أقواماً، ثم لأغلبن عليهم»** على بناء المفعول، أي الملائكة يغلبونني فيأخذون بهم ذات الشمال.

وقوله ﷺ: **«أناديهم، ألا هلم، ألا هلم...»** أي تعالوا، وفي «هلم» لغتان، إلحاق علامة التثنية، والجمع، وبهذه اللغة جاء القرآن في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨]. أي تعالوا إلينا.

وقوله ﷺ: **«فيقال إنهم قد بدلوا بعدك»** وفي اللفظ الآخر **«وهل تدري ما أحدثوا بعدك»**. وفي الرواية الثالثة: **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»** يحتمل أنهم المنافقون والمرتدون يحشرون بالغرة والتحجيل وذلك بفعل الوضوء في حياتهم الدنيا، فيناديهم عليه الصلاة والسلام، ظناً أنهم مؤمنون، ثم تزول عنهم هذه الغرة عند الحاجة إلى الورود على الصراط، نكالاً لهم ومكراً بهم ليزدادوا حسرة، والأرجح أنهم أهل الكبائر وأصحاب البدع، الذين لم تخرجهم بدعتهم عن الإيمان تلحقهم هذه الشدة، ويأخذون ذات الشمال ليلقون جزاءهم عند ربهم جل وعلا نتيجة ما أحدثوا وابتدعوا في دين الله تعالى. فضلوا وأضلوا.

وقوله ﷺ: **«فأقول: فسحقاً، فسحقاً، فسحقاً»** أي، بعداً، بعداً، والمكان السحيق: البعيد، والتكرار للتأكيد، والله تعالى أعلم.

وفي الحديث من أعلام نبوته ﷺ المتعلقة بالأخبار عن المغيبات أربعة، صفة أمته ﷺ في الآخرة وتبديلهم بعده، والثالث حالهم في الآخرة وتقرير الحكم فيهم، والرابع أن له حوضاً في الآخرة يشرب منه أهل الإيمان. جعلنا الله تعالى منهم.

٢ ـ باب فيمن ارتد على أعقابه وبدل بعد إسلامه

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

٢٧٦ ـ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُم، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِم»**.

فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا. (متفق عليه).

وفي لفظ عند مسلم من طريق السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ: **«إِنِّي عَلَى الحَوْضِ، أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُم، فَوَاللَّهِ، لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»**.

وفي لفظ البخاري: **«أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي، فيُقَالُ: لاَ تَدْرِي مَشُوا عَلَى القَهْقَرَىٰ»**.

٢٧٧ ـ وعن ابن المُسَيِّبِ أَنَّهُ كَانَ يُحدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّؤُونَ عَنْهُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى»**. (رواه البخاري).

٢٧٨ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ، فَإِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خرجَ رَجُل مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلىٰ النَّارِ وَاللَّه، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلىٰ أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلىٰ النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلىٰ أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرى فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلاَّ مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ»**. (رواه البخاري).

٢٧٩ ـ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَامَ فِينا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، خَطِيباً بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُم تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أَلاَ وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ.

---

٢٧٦ ـ [أخرجه البخاري (٦٥٩٣) و(٧٠٤٨) ومسلم (٢٢٩٣) و(٢٢٩٤) واللفظ الأول للبخاري].

٢٧٧ ـ [رواه البخاري في الرقاق (٦٥٨٦)].

٢٧٨ ـ [رواه البخاري في الرقاق (٦٥٨٧)].

٢٧٩ ـ [رواه البخاري (٣٣٤٩) ومسلم (٢٨٦٠) والترمذي (٢٤٢٣) والنسائي (٢٠٨١) وغيرهم. واللفظ لمسلم].

فأقولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨].

قال: «فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِينَ عَلَى أَعْقَابِهِم مُنْذُ فَارَقْتَهُم». (متفق عليه).

والعبد الصالح: عيسى عليه السلام.

الشرح: قوله ﷺ: «وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم» قال في «الفتح» وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين، أنهم إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام، فلا إشكال في تبري النبي ﷺ منهم وإبعادهم.

وإن كانوا ممن لم يرتد، لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من اعتقاد القلب، فقد أجاب بعضهم؛ بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم تباعاً لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنايتهم، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار.

وقوله ﷺ: **«فيحلؤون عنه»** أي فيطردون عن الحوض، وقد جاء في لفظ عند البخاري أيضاً: **«فيجلون عن الحوض»** أي يصرفون عنه.

وقوله ﷺ: **«فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»** أي مثل ضوالّ الإبل، أو الإبل بل راع، ولا يقال ذلك في الغنم. والله تعالى أعلم. قال الخطابي الهمل: ما لا يرعى ولا يستعمل، ويطلق على الضوالّ، والمعنى أنه لا يرد الحوض منهم إلا القليل، لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره.

وقوله ﷺ: **«قلت ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى»** أي رجعوا إلى خلف، والله أعلم.

٣ ـ باب فيمن خالف هدي النبي ﷺ ورجع بعده القهقرى

قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

٢٨٠ ـ عَنْ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنِّي مُمْسِكٌ بِحُجَزِكُم عَنِ النَّارِ، وَتَغْلِبُونَنِي تَقَاحَمُونَ فِيهَا تَقَاحُم الفِرَاشِ وَالجَنَادِبِ، فَأوشكَ أَنْ أُرسلَ بِحَجَزِكُم، وَأَنَا فَرَطُكُم عَلَى الحَوْضِ فَتَرِدُونَ عَلَيَّ مَعاً وَأَشْتَاتاً، فَأَعْرِفكُم بِسِمَاكُم وَأَسْمَائِكُم كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ الغَرِيبَةَ مِنَ الإِبلِ فِي إِبِلِهِ.**

---

٢٨٠ ـ [أورده ابن حجر في «المطالب العالية» (٢/٣٠٢٦) وعزاه لأبي يعلى، وأورده الإشبيلي في «العاقبة» (٤٣٥) وقال البوصيري في «إتحافه»: رواه أبو يعلى بإسناد حسن وأصله في «الصحيحين»].

وَيُذْهَبُ بِكُم ذَاتَ الشِّمَالِ، وَأُنَاشِدُ فِيكُم رَبَّ العَالَمِينَ، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَوْمِي، أَيْ رَبِّ، أُمَّتِي. فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُم كَانُوا يَمْشُونَ بَعْدَكَ القَهْقَرىٰ عَلَى أَعْقَابِهِمْ.

فَلاَ أَعْرِفَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَدَكُمْ يَحْمِلُ شَاةً لَهَا ثُغَاءٌ، فَيُنَادِي: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ. فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ بَلَّغْتُكَ وَلاَ أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُ فَرَساً لَهَا حَمْحَمَةٌ، فَيُنَادِي: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ بَلَّغْتُكَ، وَلاَ أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُ سقاءً مِنْ أَدَمٍ، فَيُنَادِي: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً. قَدْ بَلَّغْتُكَ». (رواه أبو يعلى).

والحجزة: مقعد الإزار. **والجنادب**: جمع جندب، وهو نوع من الجراد. **والثغاء**: صوت الغنم، **والحمحمة**: صوت الفرس. **والفَرَطُ**: ـ محركة ـ من يتقدم قومه إلى الماء.

❊ ❊ ❊

٢١ ـ كتاب التوبة والندم والاستغفار

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

١ ـ باب توبة الله تعالى على آدم ـ عليه السلام ـ

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

٢٨١ ـ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، كَانَ رَجُلاً طوالاً كَأَنَّهُ نَخلَةَ سَحُوقَ كَثِيرُ شَعْرَ الرَّأْسِ، فَلَمَّا وَقَعَ بِمَا وَقَعَ بِهِ، بَدَتْ لَهُ عَوْرَتُهُ، وَكَانَ لاَ يَرَاهَا قَبْلَ ذٰلِكَ. فَانطَلَقَ هَارِباً، فَأَخَذَتْ بِرَأْسِهِ شَجرةٌ مِنْ شَجَرِ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهَا: أَرْسِلِينِي! قَالَتْ: لَسْتُ مُرْسِلَتَكَ».

قَالَ: «فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَمِنِّي تَفِرُّ؟ قَالَ: أَيْ رَبِّ لاَ، أَسْتَحْيِيكَ».

قَالَ: «فَنَادَاهُ، وَإِنَّ المُؤْمِنَ يَسْتَحِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ بِهِ، ثُمَّ يَعْلَمُ بِحَمْدِ اللَّهِ أَيْنَ المَخْرجُ، يَعْلَمُ أَنَّ المَخْرجَ فِي الاسْتِغْفَارِ والتَّوبةِ إِلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». (رواه أحمد في الزهد).

ورواه الحاكم مختصراً بلفظ: «إِنَّ آدَمَ كَانَ رَجُلاً طوالاً كَأَنَّهُ نَخلَةَ سَحُوقَ، كَثِيرُ شَعْرَ الرَّأْسِ، فَلَمَّا رَكِبَ الخَطِيئَةَ بَدَتْ لَهُ عَوْرَتُهُ، وَكَانَ لاَ يَرَاهَا قَبْلَ ذٰلِكَ، فَانْطَلَقَ هَارِباً في الجَنَّةِ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شَجرةٌ، فَقَالَ لَهَا: أَرْسِلِينِي! قَالَتْ: لَسْتُ بِمُرْسِلَتِكَ. قَالَ: وَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا آدَمُ أَمِنِّي تَفِرُّ؟ قَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي اسْتَحْيَيْتُكَ».

٢٨٢ ـ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧].

---

٢٨١ ـ [رواه أحمد في «الزهد» (٢٨٥) والحاكم في «المستدرك» (٣٠٣٨) وصححه، وأقره الذهبي، وهو كما قالا].

٢٨٢ ـ [رواه الحاكم في «مستدركه» (٢/٤٠٠٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه =

«قال: أَيْ رَبِّ، أَلَمْ تَخْلُقْني بِيَدِكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَي رَبِّ، أَلَمْ تَنْفُخْ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَي رَبِّ أَلَمْ تُسْكِنِّي جَنَّتَكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَي رَبِّ، أَلَمْ تَسبِقْ رَحْمَتُكَ غَضَبَكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تُبْتُ وَأَصْلَحْتُ، أَرَاجِعِيَّ أَنْتَ إِلَى الجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَى».

قَالَ: «فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]».

الشرح: وقوله ﷺ: «**إن آدم عليه السلام، كان رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق**» أي كأنه نخلة طويلة. يُقال: نخلة سحوق، أي طويلة. وفي البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً. ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه؛ ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن**»[1].

قوله جل وعلا: «**أمني تفر**» أي تهرب، وإلى أين؟ «**قال: رب لا، أستحييك**» أي لا يا رب لا أهرب منك ولكني استحييت من ذنبي وقد اطلعت عليه!

وقوله جل وعلا: «**يعلم أن المخرج في الاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل**» أي يعلم بفضل الله وحمده وتوفيقه، أن المخرج من الذنوب والمعاصي والآثام إنما هو في الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى، وهو نحو قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]. ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقوله ﷺ: «**قال: أي رب، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى**» فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٢٩]. قال أهل العلم: ومعنى قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ أي أفضت عليه من الروح التي هي خلق من خلقي، فصار بشراً حياً ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ أي خروا له ساجدين، سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة. قالوا: وإنما أضاف الروح إليه سبحانه، على سبيل التشريف والتكريم، كقوله ـ بيت الله، ناقة الله، شهر الله ـ وهي إضافة المُلكُ إلى المالك. والصنعة إلى الصانع.

٢ ـ باب مناداة الله تعالى لعباده المخطئين ليستغفروه، وليتوب عليهم

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

= الذهبي في «التخليص» أقول: وإسناده جيد. وذكره ابن كثير في «تفسيره» (١٢٣ ـ ١٢٤/ ١) وذكر تصحيح الحاكم له].

(١) رواه البخاري (٣٣٢٦).

٢٨٣ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: **«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُم مُحَرَّماً، فَلاَ تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُم. يَا عِبَادِي، كُلُّكُم جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُم. يَا عِبَادِي، كُلُّكُم عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُم. يَا عِبَادِي، إِنَّكُم تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُم. يَا عِبَادِي، إِنَّكُم لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم وَإِنْسَكُم وَجِنَّكُم، كَانُوا عَلَى أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُم، مَا زَادَ ذٰلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم، وَإِنْسَكُم وَجِنَّكُم، كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذٰلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم، وَإِنْسَكُم وَجِنَّكُم، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذٰلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُم أُحْصِيهَا لَكُم، ثُمَّ أُوَفِّيكُم إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذٰلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ»**. (رواه مسلم).

٢٨٤ ـ والحديث رواه أحمد وغيره من طريق ليث بن أبي سليم، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَقُولُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلاَّ مَنْ عَافَيْتُ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، وَمَنْ عَلِمَ أَنِّي أَقْدِرُ عَلى المَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفَرَنِي بِقُدْرَتِي غَفَرْتُ لَهُ وَلاَ أُبَالِي، وَكُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْت، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلاَّ مَنْ أَغْنَيْتُ فَاسْأَلُونِي أُغْنِكُمْ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلى أَشْقَى قَلْبِ مِنْ قُلُوبِ عِبادِي مَا نَقَصَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلى أَتْقى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي مَا زَادَ فِي مُلْكِي مِنْ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا فَسَأَلَنِي كُلُّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَتُهُ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا سَأَلَ مَا نَقَصَنِي كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِشَفَةِ البَحْرِ فَغَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً ثُمَّ انْتَزَعَهَا، كَذٰلِكَ لاَ يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِي، ذلكَ بأنِي جَوَّادٌ مَاجِدٌ صَمَدٌ عَطَائِي كَلاَمٌ وَعَذَابِي كَلاَمٌ إِذَا أَرَدْتُ شَيْئاً فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ»**.

الشرح: قوله جل وعلا: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي» أي لا ينبغي لي، ولا يجوز عليَّ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢]. وقد اتفق العقلاء على أن الظلم على الله تعالى مُحال. ذلك أن الظلم إنما يتصور في حق من حُدَّتْ له حدود، وَرُسِمَتْ له مراسم، فمن تعداها كان ظالماً، والله تعالى هو الذي حدَّ الحدودَ ورسم الرسوم، إذ لا

---

٢٨٣ ـ [أخرجه أحمد (٨/٢١٤٧٧) ومسلم (٢٥٧٧) والطيالسي (٤٦٣) والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٠) والحاكم (٤/٧٦٠٦) وغيرهم. واللفظ لمسلم].

٢٨٤ ـ [رواه أحمد (٨/٢١٤٢٥) وهو حديث حسن، ويشهد له الحديث المتقدم من رواية مسلم (٢٥٧٧)].

حاكم فوقه، ولا حاجز عليه، فلا يجب عليه حكم، ولا يترتب عليه حق، فلا يُتصور الظلم في حقه.

وقوله جل وعلا: **«وجعلته بينكم محرماً»** أي حكمت بتحريمه عليكم، وألزمته إياكم، **«فلا تظالموا»** أي لا يظلم بعضكم بعضاً. وأصله تتظالموا، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً.

وقوله جل وعلا: **«كلكم ضال إلا من هديته»** قيل في معناه قولان:

أحدها: أنهم لو تركوا مع العادات، وما تقتضيه الطباعُ من الميل إلى الراحات، وإهمال النظر المؤدي إلى المعرفة لغلبت عليهم العادات والطباع، فضلوا عن الحق، فهذا هو الضلال المعني، لكن من أراد الله تعالى توفيقه ألهمه إلى إعمال الفِكر المؤدي إلى معرفة الله تعالى، ومعرفة الرسول ﷺ، وأعانه على الوصول إلى ذلك، وعلى العمل بمقتضاه، وهذا هو الهدى الذي أمرنا الله بسؤاله.

وثانيهما: أن الضلال هاهنا يعني به؛ الحال التي كانوا عليها قبل إرسال الرسل من: الشرك، والكفر، والجهالات، وغير ذلك، كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]. أي: على حالة واحدة من الضلال والجهل، فأرسل الله تعالى الرسل ليزيلوا عنهم ما كانوا عليه من الضلال، ويبين لهم مراد الحقّ منهم في حالهم، ومآل أمرهم. فمن نبهه الحق سبحانه وتعالى، وبصَّره، وأعانه فهو المهتدي، ومن لم يفعل الله به ذلك بقي على ذلك الضلال.

وعلى كل واحد من التأويلين، فلا معارضة بين قوله جل وعلا **«كلكم ضال إلا من هديته»** وبين قوله ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة»** لأن هذا الضلال المقصود في هذا الحديث هو الطارىء على الفطرة الأولى المغير لها الذي بينه النبي ﷺ بالتمثيل في بقية الخبر حيث قال: **«كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»**(١) رواه البخاري وغيره. وبقوله ﷺ فيما يروي عن ربه جل وعلا: **«إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»**(٢) الحديث رواه مسلم وغيره.

وهذا الحديث حجة لأهل الحق على قولهم: إن الهدى والضلال خَلْقُهُ وفِعْلُهُ يختص بما شاء منهما من شاء من خلقه، وأن ذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١]، وكما قال: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وكما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقد نطق الكتاب بما لا يبقى معه ريب لذي فهم سليم بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥).

﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، فعمَّ الدعوة، وخصَّ بالهداية من سبقت له العناية. والله تعالى أعلم. قاله في «المفهم».

وأما قوله جل وعلا: «إنكم تخطئون بالليل والنهار» وذلك كما جاء في الحديث «كل ابن خطّاء، وخير الخطائين التوابون».

وقوله جل وعلا: «وأنا أغفر الذنوب جميعاً» ما عدا الشرك كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وقوله جل وعلا: «فاستغفروني أغفر لكم» وهذا من رحمته تعالى، ولطف منه بأن طلب من عباده أن يستغفروه ليغفر لهم، ويمحو عنهم إصرهم وما اقترفوه من خطايا وذنوب. فله الحمد والشكر والمنة.

٣ ـ باب في رحمة الله تعالى لعباده ومغفرته لهم ولو تكررت معصيتهم، مع المداومة على التوبة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

٢٨٥ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَبْداً أَصَابَ ذَنْباً وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْباً فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْباً وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ فَاغْفِرْ فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغفِرُ الذَّنْبَ وَيأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ الله ثُمَّ أَصَابَ ذَنْباً أَوْ أَذْنَبَ ذَنْباً فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغفِرْهُ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ الله ثُمَّ أذنَبَ ذَنْباً، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْباً فَقَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ أَوْ قَالَ: أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لي فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدي أَنَّ لَهُ رَبًا يَغفِرُ الذَّنْبَ، وَيأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدي ثَلاثاً فَلْيَعْمَلْ مَا شَاء». (متفق عليه).

ورواه مسلم بلفظ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَباً يَغفِرُ الذَّنبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَي رَبِّ، اغْفِرْ لي

---

٢٨٥ ـ [رواه أحمد (٧٩٥٣ ـ ٩٢٦٧ ـ ١٠٣٨٣ ـ ١٠٣٨٤/٣) والبخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) والحاكم (٧٦٠٨/٤) وابن حبان (٦٢٢) وغيرهم. واللفظ الأول للبخاري].

ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَباً يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

الشرح: قوله جل وعلا: «أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. . .» قال الإمام القرطبي: يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته، وحلمه وكرمه، ولا شك في أن هذا الاستغفار ليس هو الذي ينطق به اللسان، بل الذي يثبت معناه في الجِنان، فيحلُّ به عقد الإصرار، ويندم معه على ما سلف من الأوزار.

فإذا الاستغفار ترجمة التوبة، وعبارة عنها، ولذلك قال ﷺ: **«خياركم كل مفتن تواب»**(١) قيل: هو الذي يتكرر منه الذنب والتوبة، فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة.

وأما من قال بلسانه؛ أستغفر الله، وقلبه مصرٌّ على معصيته، فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبار، إذ لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار.

وفائدة هذا الحديث؛ أن العود إلى الذنب، وإن كان أقبح من ابتدائه، لأنه انضاف إلى الذنب نقض التوبة، فالعود إلى التوبة أحسن من ابتدائها، لأنها انضاف إليها ملازمة الإلحاح بباب الكريم، وأنه لا غافر للذنوب سواه.

وقوله جل وعلا: «اعمل ما شئت فقد غفرت لك» قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: معناه: ما دمت تذنب ثم تتوب، غفرت لك، قال: وأنه لو تكرر الذنب مائة مرة، أو ألف مرة، أو أكثر، وتاب في كل مرة، قبلت توبته، وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحت توبته.

قال: **وأصل التوبة في اللغة؛** الرجوع، يقال: تاب، وثاب بالمثلثة، وآب، بمعنى: رجع. والمراد بالتوبة هنا؛ الرجوع عن الذنب. وللتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع، والندم على فعل تلك المعصية، والعزم على أن لا يعود إليها أبداً. فإن كانت المعصية لحق آدمي، فلها ركن رابع، وهو؛ التحلل من صاحب ذلك الحق، وأصلها الندم، وهو ركنها الأعظم.

واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة على الفور، لا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة، أو كبيرة.

وقال الحافظ ابن حجر: ورأيت في «الحلبيات» للسبكي الكبير: الاستغفار طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما، **فالأول** فيه نفع، لأنه خير من السكوت، ولأنه يعتاد قول الخير، **والثاني**

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٢٠) من حديث النعمان بن سعد.

نافع جداً، **والثالث** أبلغ منهما لكنهما لا يمحصان الذنب حتى توجد التوبة. فإن العاصي المصر، يطلب، ولا يستلزم ذلك وجود التوبة منه.

إلى أن قال: والذي ذكرته من أن معنى الاستغفار هو غير معنى التوبة، هو بحسب وضع اللفظ، لكنه غلب عند كثير من الناس، أن لفظ استغفر الله معناه: التوبة، فمن كان ذلك. معتقده فهو يريد التوبة لا محالة. ثم قال: وذكر بعض العلماء أن التوبة لا تتم إلا بالاستغفار لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

٤ ـ باب في فضل الاستغفار

قال الله تعالى إخباراً عن قول نوح ـ عليه السلام ـ لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

وقال تعالى إخباراً عن نبيه صالحاً: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

٢٨٦ ـ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بِعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ، لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الأَرْوَاحُ فِيهِم، فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: فَبِعِزَّتِي وَجَلالِي لاَ أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»**. (رواه أحمد).

٢٨٧ ـ وَعَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ: **«قَالَ ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، ابْنَ آدَمَ إِنْ تَلْقَنِي بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً بَعْدَ أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئاً، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تُذْنِبْ حَتَّى يَبْلُغَ ذَنْبُكَ عَنَانَ السَّماءِ، ثُمَّ تَسْتَغْفِرُنِي، أَغْفِرْ لَكَ وَلاَ أُبَالِي»**. (رواه أحمد).

٢٨٨ ـ وَعنْ ابنِ عبّاسٍ رَضِي الله عَنهُما، قالَ: قال رسُول الله ﷺ: **«قالَ الله عزَّ وجلَّ: يا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ فِيكَ، ولَوْ أَتَيْتَنِي بِمِلءِ الأرضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ بِمِلءِ الأَرْضِ مَغْفِرَةٍ مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي، وَلَوْ بَلَغَتْ خَطَايَاكَ عِنَانَ السَّماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي لَغَفرتُ لَكَ»**.

---

٢٨٦ ـ [أخرجه أحمد (١١٢٣٧ ـ ١١٢٤٤ ـ ١١٣٦٧ ـ ١١٧٢٩/ ٤) وأبو يعلى (١٣٩٩) والطبراني في «الكبير» (١١٢٤٤) والحاكم (٧٦٧٢/ ٤) والبغوي في «شرح السنة» (١٢٩٣) وهو حديث حسن، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧٥٧٣/ ١٠) وتعقبه بقوله: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه وقال: «لا أبرح أغوي عبادك» والطبراني في «الأوسط» وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي أبي يعلى].

٢٨٧ ـ [رواه أحمد (٢١٥٢٨/ ٨) والدارمي (٢٧٨٨) والبغوي في «شرح السنة» (١٢٩٢) وهو حديث حسن وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عند الترمذي في الدعوات (٣٥٤٠)].

٢٨٨ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٤٦) وفي «الصغير» (٨٢٠) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٧٦٢٨/ ١٠) وقال رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه إبراهيم بن إسحاق الصيني، وقيس بن الربيع، وكلاهما مختلف فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح].

الشرح:قوله ﷺ «إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك، لا أبرح» أي لا أزال «أغوي بني آدم» من الأغواء، وهو الضلال.

وقوله جل وعلا: **«لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني»** أي لا أزال أعفو عنهم إذا استغفروني، وفيه بيان لسعة رحمة الله تعالى بعباده قال السندي: فيه بيان لسعة رحمته تعالى، وترغيب لهم في الإكثار من الاستغفار، وبيان أن تابع الشيطان المذكور في القرآن، هو من يُصِرُّ ولا يستغفر، وفي التنزيل: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٥].

وقوله جل وعلا: **«ابن آدام إنك إن تذنب حتىٰ يبلغ ذنبك عنان السماء»** قال البغوي: عنان السماء، قيل هو ما عَنَّ لك منها، ويقال: أراد به السحاب، الواحدة عنانة، ويروى **«أعنان السماء»** أي نواحيها.

٥ ـ باب فضل الله تعالى على المسلمين، وفتح باب التوبة والرحمة لهم، وشفقة النبي ﷺ على أمته

٢٨٩ ـ عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَتْ قُرَيشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَفَا ذَهباً، وَنُؤْمِنَ بِكَ! قَالَ ﷺ **«وَتَفْعَلُونَ؟»** قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: **«إنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُم الصَّفَا ذَهباً، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْته عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أحداً مِنَ العَالَمينَ، وَإنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوبَةِ وَالرَّحْمَةِ»**.

قَالَ: **«بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»** (رواه أحمد).

ورواه الحاكم بلفظ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ادْعُ لَنَا أَنْ يَجْعَلْ لَنَا الصَّفَا ذَهَباً وَنُؤْمِنُ بِكَ. قَالَ: **«أَتَفْعَلُونَ؟»** قَالُوا: نَعَمْ. فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: **«إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْرَأُ عَلَيك السَّلاَمَ وَيَقُولُ: إنْ شِئْتَ أَصْبحَ الصَّفَا ذَهَباً، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ عَذَّبْتُهُ عَذاباً لاَ أُعَذِّبهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ، وَإنْ شِئْتَ فَتَحتَ لَهُم بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»**. قَالَ: **«بَلْ بَابَ التَوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»**.

---

٢٨٩ ـ [رواه أحمد (٢١٦٦ ـ ٣٢٢٣ ـ ٣٣٣٣/ ١) والحاكم (٣٢٢٥/ ٢) و (٧٦٠١/ ٤) والبزار (٢٢٢٤ و ٢٢٢٥ و٢٢٢٦) والنسائي في «الكبرى» (١١٢٩٠/ ٦) والطبراني في «الكبير» (١٢٧٣٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٧١ ـ ٢٧٢/ ٢)، وإسناده على شرط مسلم عدا رواية أحمد المشار إليها على شرط الشيخين. والحديث أورده الهيثمي في «المجمع» (١١١٢٩ و١١١٣٠/ ٧) من طريقين، وتعقبهما، بقوله: ورجال الروايتين رجال الصحيح قال: ورواه البزار بنحوه. وأورده أيضاً برقم (١٧٤٩٦/ ١٠) وعزاه للطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح].

وفي رواية عند أحمد بلفظ: قَالتْ قُريشٌ لِلنَّبيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُصْبِحْ لَنَا الصَّفَا ذَهَبَةً، فَإِنْ أَصْبَحتْ ذَهبَةً اتَّبَعْنَاكَ، وَعَرَفْنا أَنَّ مَا قُلْتَ كَمَا قُلتَ! فَسَأَلَ رَبَّهُ عزَّ وجلّ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: **«إِنْ شِئْتَ أَصْبحتْ لَهُمْ هٰذِهِ الصَّفَا ذَهَبَةً، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ عَذَّبْتُه عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْنَا لَهُم أَبْوَابَ التَّوْبَةِ»**. قَالَ: **«يَا رَبِّ، لاَ، بلِ افْتَحْ لَهُم أَبْوَابَ التَّوْبةِ»**.

وفي رواية عند أحمد أيضاً على شرط الشيخين بلفظ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ الصَّفا ذَهباً، وَأَنْ يُنَحّيَ الجِبَالَ عَنْهُم، فَيَزْرَعُوا. فَقِيلَ لَهُ: **«إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِي بِهِم، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهم الَذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا، أُهلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُم»**.

قال ﷺ: **«لاَ، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِم»** فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ هٰذِهِ الآيَة: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩].

ومعنى: **«إن شئت أن تستأني بهم»** قال السندي رحمه الله تعالى: **«تستأني»** استفعال من ـ أَنِيَ ـ كَرَضِيَ، أي تنتظر وتتربص إلى أن يهديهم الله تعالى ويوفقهم.

* * *

٢٢ ـ كتاب أخبار الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام

قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

أخبار آدم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣٩].

١ ـ باب خلق آدم ـ عليه السلام ـ وصورته التي خُلق عليها

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ ـ ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١].

٢٩٠ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولَهُ سِتُّونَ ذِراعاً، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ مِنَ المَلائِكَةِ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَتِكَ. فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ. فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ**». (متفق عليه).

وفي لفظ للبخاري أيضاً وغيره: «**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ على صُورتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِراعاً، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ، نَفَرٍ مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوسٍ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فإنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَتِكَ. فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُم. فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرحمَةُ اللَّهِ. فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ**».

---

٢٩٠ ـ [رواه أحمد (٨١٧٧/٣) والبخاري (٣٣٢٦ و ٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١) وغيرهم].

الشرح: قوله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً**» الضمير في «صورته» عائد إلى آدم، والمراد أن الله تعالى خلق آدم في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض، وتوفي عليها، وهي ستون ذراعاً في السماء، ولم ينتقل أطواراً كذريته. وكانت صورته في الجنة، هي صورته في الأرض لم تتغير. وقد تقدم الكلام فيه.

وقد أخرج الحاكم بإسناد حسن، عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، قال: كان آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق[(١)]. أي عالية.

٢ ـ باب بيان تكوين الإنسان وأنه خُلق أجوفاً لا يتمالك

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ [الصافات: ١١].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤].

٢٩١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ في الجَنَّةِ، تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ. فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يَطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ: فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقاً لاَ يَتَمَالَكُ**» [رواه مسلم].

ورواه ابن حبان بلفظ: «**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، جَعَلَ إِبْلِيسَ يَطِيفُ بِهِ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ، قَالَ: ظَفِرْتُ بِهِ، خَلَقٌ لاَ يَتَمَالَكُ**».

٢٩٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ طِيناً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ حَمَأً مَسْنُوناً، خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ صَلْصَالاً كَالْفَخَّارِ**».

قَالَ: «**فَكَانَ إِبْلِيسُ يَمُرُّ بِهِ فَيَقُولُ: لَقَدْ خُلِقْتَ لأَمْرٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ نَفَخَ اللَّهُ فِيهِ رُوحَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ جَرَىٰ فِيهِ الرُّوحُ. بَصَرُهُ وَخَيَاشِيمُهُ. فَعَطَسَ فَلَقَّاهُ اللَّهُ حَمْدَ رَبِّهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ.**

---

(١) رواه الحاكم (٣٩٩٨/٢).

٢٩١ ـ [رواه أحمد (١٢٥٤١ ـ ١٣٣٩٠ ـ ١٣٥١٦ ـ ١٣٦٦٢/٤) ومسلم (٢٦١١) وابن حبان (٦١٦٣) والحاكم (١٠٥/١) وغيرهم].

٢٩٢ ـ [رواه أبو يعلى (٦٥٨٠/١١) ورجال إسناده رجال الصحيح، غير إسماعيل بن رافع. فيه كلام. والبخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١) والترمذي (٣٣٦٨) وغيره على شرط مسلم، والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد (١٣٧٤٧/٨) وعزاه لأبي يعلى، وقال: وفيه إسماعيل بن رافع، قال البخاري: ثقة مقارب الحديث. وضعفه الجمهور. وبقية رجاله رجال الصحيح].

ثُمَ قالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ اذْهَبْ إلى أُولئِكَ النَّفَرِ، فقُلْ لَهُمْ، وَانْظُرْ مَا يَقُولُونَ، فَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِم فَقَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَجَاءَ إِلى رَبِّهِ، فَقَالَ: مَاذَا قَالُوا لَكَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالُوا لَهُ. قَالَ: يَا رَبِّ، لِمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَ: يَا آدَمُ، هٰذِهِ تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ.

قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ: اخْتَرْ يَدَيَّ يَا آدَمُ. قَالَ: أَخْتَارُ يَمِينَ رَبِّي ـ وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ ـ فَبَسَطَ اللَّهُ كَفَّهُ، فَإِذَا كُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فِي كَفِّ الرَّحْمٰنِ، فَإِذَا رِجَالٌ مِنْهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمُ النُّورُ، وَإِذَا رَجُلٌ يُعْجِبُ آدَمَ مِنْ نُورِهِ.

قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: ابْنُكَ دَاوُدُ. قَالَ: يَا رَبِّ فَكَمْ جَعَلْتَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ؟ قَالَ: جَعَلْتُ لَهُ سِتِّينَ. قَالَ: يَا رَبِّ فَأَتِمَّ لَهُ مِنْ عُمُرِي حَتَّى يَكُونَ عُمُرُهُ مِئَةَ سَنَةٍ. فَفَعَلَ اللَّهُ وَأَشْهَدَ عَلَى ذٰلِكَ.

فَلَمَّا نَفِدَ عُمُرُ آدَمَ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَ الْمَوْتِ، فَقَالَ آدَمُ: أَوَ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ الْمَلَكُ؟ أَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ فَجَحَدَ ذٰلِكَ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ» (رواه أبو يعلى).

الشرح: قوله ﷺ: «لما صور الله آدم في الجنة» وذلك قبل نفخ الروح فيه «تركه ما شاء الله أن يتركه» وقد أخرج الطبري بإسناده عن سفيان، في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] قال: آدم.

قال الطبري: وقوله تعالى ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ اختلف أهل التأويل في قدر هذا الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو أربعون سنة، وقالوا: مكثت طينة آدم مُصوَّرة لا تنفخ فيها الروح أربعين عاماً، فذلك قدر الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع. قالوا: ولذلك قيل ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، لأنه أتى عليه وهو جسم مصوَّر لم تُنفخ فيه الروح أربعون عاماً. فكان شيئاً، غير أنه لم يكن شيئاً مذكوراً. قالوا: ومعنى قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾؛ لم يكن شيئاً له نباهة ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طيناً لازباً وحمأ مسنوناً.

وقال آخرون: لا حدَّ للحين في هذا الموضع، وقد يدخل هذا القول من أن الله تعالى أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر. وغير مفهوم في الكلام أن يقول: أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد، وقبل أن يكون شيئاً، وإذا أُريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يُخلق، ولم يقل: أتى عليه. وأما الدهر في هذا الموضع، فلا حدَّ له يوقف عليه.

وقوله ﷺ: «فجعل إبليس يطيف به» أي يدور حوله، يقال: طاف بالشيء طوفاً وطوافاً، وأطاف يطيف، إذا استدار حواليه.

وقوله ﷺ: «فلما رآه أجوف» أي صاحب جوف، مفتقر إلى ما يسد جوفه «عرف أنه خُلق خلقاً لا يتمالك» أي لا يملك نفسه، ويحبسها عن الشهوات، وعن تحصيل ما تحتاج إليه من

أغراضها. وفي رواية ابن حبان: «قال: طفرت به، خَلق لا يتمالك» أي ظفرت به، خلق ضعيف. قال أهل اللغة: **الطفرة**: الوثب في ارتفاع. كما يطفر الإنسان حائطاً. أي يثبه. **والطفرة**: الوثبة.

٣ ـ باب موت آدم عليه السلام، وتجهيز الملائكة له ودفنه

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١ و٢٢].

٢٩٣ ــ وَعَنْ عُتَيِّ بْنِ ضَمْرَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ شَيْخاً بِالمدينةِ يَتَكَلَّمُ فَسَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: هٰذا أُبَيُّ ابْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ: إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيْ بُنَيَّ إِنِّي أَشْتَهِي مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، فَذَهَبُوا يَطْلُبُونَ لَهُ، فَاسْتَقْبَلَتْهُمُ المَلائِكَةُ وَمَعَهُم أَكْفَانُهُ وَحَنُوطَهُ وَمَعَهُم الفُؤوسُ وَالمَسَاحِيّ وَالمَكَاتِلُ، فَقَالُوا لَهُمْ: يَا بَني آدَمَ مَا تُرِيدُونَ وَمَا تَطْلُبُونَ؟ أَوْ مَا تُرِيدُونَ وَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ قَالُوا: أَبُونَا مَرِيضٌ فَاشْتَهىٰ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، قَالُوا لَهُم: ارْجِعُوا فَقَدْ قُضِيَ قَضَاءُ أَبِيكُم فَجَاؤُوا، فَلَمَّا رَأَتْهُم حَوَّاءُ عَرَفَتْهُم فَلاذَتْ بِآدَمَ، فَقَالَ: إِلَيْكِ إِلَيْكِ عَنِّي فَإِنِي إِنَّمَا أُوتِيتُ مِنْ قِبَلَكِ، خَلِّي بَيْني وَبَيْنَ مَلائِكَةِ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعالَىٰ.

فَقَبضُوهُ وَغَسَّلُوهُ وَكَفنوهُ وَحَنَّطُوهُ وَحَفَرُوا لَهُ وَأَلْحَدُوا لَهُ وَصَلوا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلُوا قَبْرَهُ فَوَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ اللَّبِنَ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ القَبْرِ، ثُمَ حَثُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ، ثُمَّ قَالُوا: يَا بَني آدَمَ هٰذِهِ سُنَّتُكُم. (رواه أحمد).

والمساحي: آلة المزارع التي يحفر بها الأرض. **وأما المكاتل**، ـ جمع مكتل ـ والمراد به هنا الوعاء المعد لحمل التراب به. وإنما جاؤوا بالفؤوس وهذه الآلات لحفر قبره ـ عليه السلام ـ وقد تقدم أنه عليه السلام كان طويلاً كأنه نخلة سحوق.

وقد جاء عند ابن سعد في «طبقاته» من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنة الجنة جُرْداً مُرْداً جِعَاداً، مُكحلينَ أبناءَ ثلاثٍ وثلاثينَ، عَلَى خَلْقِ آدمَ، سِتينَ ذِراعاً، في سبعِ أذرعٍ»**[1].

---

٢٩٣ ـ [رواه أحمد (٢١٢٩٨/٨) والحاكم (٤٠٠٤/٢) مختصراً. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٧٥٦/٨) وقال: رواه عبد الله بن أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عتي بن ضمرة، وهو ثقة. والحديث أورده ابن سعد في «طبقاته» (٣٣ ـ ٣٤/١).

(١) رواه ابن سعد في طبقاته (٣٢/١).

أخبار يونس عليه السلام

قال الله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٣٩ ـ ١٤٨].

٤ ـ باب في فضل نبي الله يونس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢٩٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال ـ يعني الله عز وجل ـ: **«لاَ يَنْبَغي لِعَبْدِي أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ»**. (متفق عليه).

وفي لفظ لمسلم أيضاً: **«لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لي أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ، عَلَيْهِ السَّلامُ»**.

ورواه البخاري وغيره من حديث النبي ﷺ بلفظ: **«لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ»**.

الشرح: قوله جل وعلا: «لا ينبغي لعبدي أن يقول أنا خير من يونس بن متى» وفي اللفظ الأخير **«لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»** قال في «الفتح»: قال العلماء: إنما قال ﷺ ذلك تواضعاً، إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال.

وقيل: خُصَّ يونس بالذكر لِمَا يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة. وقد روى قصته السدي في تفسيره بأسانيده عن ابن مسعود وغيره «إن الله بعث يونس إلى أهل نينوى وهي من أرض الموصل فكذبوه، فوعدهم بنزول العذاب في وقت معين، وخرج عنهم مغاضباً لهم، فلما رأوا آ ثار ذلك خضعوا وتضرعوا وآمنوا، فرحمهم الله فكشف عنهم العذاب، وذهب يونس فركب سفينة فلججت به، فاقترعوا فيمن يطرحونه منهم فوقعت القرعة عليه ثلاثاً، فالتقمه الحوت».

وروى ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بإسناد صحيح إليه نحو ذلك وفيه: «وأصبح يونس فأشرف على القرية فلم ير العذاب وقع عليهم، وكان في شريعتهم من كذب قتل، فانطلق مغاضباً حتى ركب سفينة ـ وقال فيه ـ فقال لهم يونس إن معهم عبداً آبقاً من ربه وإنها لا تسير حتى تلقوه، فقالوا: لا نلقيك يا نبي الله أبداً، قال فاقترعوا فخرج عليه ثلاث مرات، فألقوه

---

٢٩٤ ـ [رواه بالسياق الأول مسلم في الفضائل (٢٣٧٦) وبالسياق الثاني رواه أحمد (٣/٩٢٦٦) والبخاري (٣٤١٦) وأبو داود (٤٦٦٩) والطيالسي (٢٥٣١) وغيرهم].

فالتقمه الحوت فبلغ به قرار الأرض، فسمع تسبيح الحصى ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وروى البزار وابن جرير من طريق عبد الله بن نافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت، أوحى إلى الحوت، أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر عظماً. فأخذه، ثم هوى به إلى مسكنه من البحر. فلما انتهى به إلى أسفل البحر، سمع يونس حساً، فقال في نفسه، ما هذا؟». قال: «فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت؛ إن هذا تسبيح دواب البحر. قال: فسبح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة! قال: «ذاك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر. قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم». قال: «فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تبارك وتعالى ﴿وَهُوَ سَقِيمٞ﴾»**[1].

أخبار أيوب عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

٥ ـ باب في بلاء نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ وصبره على محنته وكرامة الله تعالى له

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤١ ـ ٤٤].

٢٩٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَيُوبَ نَبِيَّ اللَّهُ ﷺ لَبِثَ فِي بَلائِهِ ثَمانِ عَشْرَةَ سَنَةً. فَرَفَضَهُ القَرِيبُ والبَعِيدُ إلاَّ رَجُلَيْنِ مِن إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوانِ إِليهِ وَيَرُوحَانِ.

فَقَالَ أَحَدُهُما لِصَاحِبِه: تَعْلَمُ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيوبُ ذَنْباً ما أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ العَالمينَ! قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفَ ما بِهِ.

---

(١) ابن جرير (١٨٧٢٣/ ١٠) وفتح الباري (١١٦ ـ ٧/١١٧ بتصرف).

٢٩٥ ـ [رواه ابن حبان (٢٨٩٨) والبزار (٢٣٥٧) وأبو يعلى (٦/٣٦١٧)، والطبراني في الأحاديث الطوال رقم (٤٠) والحاكم (٢/٤١١٥) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧٤ ـ ٣/٣٧٥) وإسناده صحيح على شرط مسلم، والأشبه أن يكون موقوفاً. وأورده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/٧٨) وعزاه لابن أبي حاتم وابن جريج وابن حبان والحاكم. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/١٣٨٠٠) وقال: رواه أبو يعلى والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح].

فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ. فَقَالَ أَيوبُ: لا أَدْرِي مَا تَقُولُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِي كُنتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ إِلاَّ في حَقٍّ».

قال: «وَكَانَ يَخْرُجُ إِلى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرأَتُهُ بِيَدِهِ. فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحىٰ اللَّهُ إِلَى أَيوبَ في مَكَانِهِ ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]، فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَبَلَغَتْهُ.

فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ البَلاءِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ. فَلَمَّا رَأَتْهُ، قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هٰذا المُبْتَلَى؟ وَاللَّهِ عَلَى ذٰلِكَ، مَا رَأَيْتُ أَحداً كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحاً! قَالَ: فَإِنِّي هُوَ.

وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ، أَنْدَرُ القَمحِ وأَنْدَرُ الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ. فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ القَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَتْ، وَأَفْرَغَتْ الأُخْرَىٰ عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الوَرِقَ حَتَّى فَاضَتْ». (رواه ابن حبان).

والأندر: البيدر، وهو الموضع الذي يُدرس فيه القمح والشعير.

٦ ـ باب في فطنة أيوب عليه السلام وحسن معاملته لربه جل وعلا

٢٩٦ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَيُوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْتَثِي في ثَوْبِهِ، فَنَادَى رَبُّهُ: يَا أَيوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ؟ قَالَ: بَلَى يَا ربِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنىٰ لِي عَنْ بَرَكَتِكَ». (رواه البخاري).

وفي رواية عند البخاري أيضاً: «بَيْنَا أَيُوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِن ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُوبُ يَحْتَثِي في ثَوْبِهِ. فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

ورواه ابن حبان بلفظ: «بَيْنَمَا أَيُوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، أُمْطِرَ عَلَيْه جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُوبُ يَحْثي في ثوبِه، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُوبُ، أَلَمْ أُغْنِكَ عَمَّا تَرى؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ رَحْمَتِكَ».

ورواه الحاكم بلفظ: «لَمَّا عَافَى اللَّهُ أَيُوبَ، أَمْطَرَ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَأْخُذُهُ بِيَدِهِ وَيَجْعَلُهُ في ثَوْبِهِ. فَقِيلَ لَهُ: يَا أَيُوبُ، أَمَا تَشْبَعُ؟ قَالَ: وَمَنْ يَشْبَعُ مِنْ رَحْمَتِكَ».

وفي رواية عند ابن حبان أيضاً بلفظ: «أُمْطِرَ عَلَى أَيُوبَ فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَأْخُذُهُ،

---

٢٩٦ ـ [رواه أحمد (٨١٦٥/ ٣) والبخاري (٢٧٩ و٣٣٩١ و٧٤٩٣) والنسائي (٤٠٧) وابن حبان (٦٢٢٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٨/ ١) وفي «الأسماء والصفات» (٢٠٦) والبغوي في «شرح السنة» (٢٠٢٧) والحميدي (١٠٦٠) والحاكم (٤١١٦/ ٢)].

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ فَقَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ فَضْلِكَ».

وقد جاء في إحدى روايات أحمد، موقوفاً على أبي هريرة، قال: **«أُرْسِلَ عَلَى أَيُّوبَ رِجْلٌ من جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجعلَ يَقْبِضُها في ثَوْبِهِ فَقِيلَ لَهُ: أَلَمْ يَكْفِكَ مَا أعطيناكَ؟ قَالَ: رَبِّ، وَمَنْ يَسْتَغْنِي عَنْ فَضْلِكَ»**، ورواه بنحوه الحميدي مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

ومعنى: **رجل من جراد**: الرجل الجماعة الكثيرة من الجراد، ووقع الكلام على التشبيه، أي أن الذهب كان كثيراً كجماعة الجراد، والله تعالى أعلم ومعنى: **يحثي**: أي يأخذ بيده جميعاً. وقد جاء صريحاً في رواية الحاكم.

أخبار نوح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٤ ـ ١٥].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٩ ـ ١٦].

٧ ـ باب تبليغ نوح ـ عليه السلام ـ لرسالة ربه جل وعلا، وتكذيب قومه له يوم العرض على الله، وشهادة المسلمين له بالتبليغ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ١ ـ ٢٧].

٢٩٧ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُم؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُه جَلَّ ذِكْرُهُ** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]» (رواه البخاري).

ورواهُ ابن حبان بلفظ: **«يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُم؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لك؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ. والوسط: العدل».**

---

٢٩٧ ـ [رواه أحمد (٤/١١٢٨٣) والبخاري (٣٣٣٩ و٤٤٨٧ و٧٣٤٩) والترمذي عقب الحديث (٢٩٦١) وابن ماجه (٤٢٨٤) وأبو يعلى (١١٧٣) وابن حبان (٦٤٧٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢١٦).

قال ﷺ: «**فَيَشهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]».

ورواه الترمذي بلفظ: «**يُدْعَى نُوحٌ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُم؟ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ. فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ**».

قال ﷺ: «**فَيُؤْتَىٰ بِكُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، فَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، **والوسط: العدل**».

وفي لفظ عند البخاري وأبي يعلى: «**يُدْعَىٰ نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ نَعَمْ. فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُم؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ! فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ**».

قال: «**فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُم شَهِيداً، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، قَالَ: **وَالوَسَطُ: العَدْلُ**». (رواه أبي يعلى).

ورواه البخاري في الاعتصام بلفظ: «**يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ شُهُودُكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ**» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ـ قال: **عدلاً** ـ ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾».

الشرح: قوله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة» وإنما بدأ بنوح لأنه أول الرسل بعد آدم عليه السلام، وقد تقدم عند البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في حديث الشفاعة: «**فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض**...»[1] الحديث.

وأما الفترة ما بين آدم ونوح عليهما السلام فقد امتدت ألف سنة كما جاء في «صحيح ابن حبان» وغيره، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم؟ قال: «**نعم، مُكَلَّم**» قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**»[2]. وأخرج ابن سعد في «طبقاته» بإسناده عن عكرمة، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام[3]. وهكذا جاء عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ: «فيقول: لبيك وسعديك يا رب» أي أنا رهن استجابتك يا رب، ألبي أمرك من غير تردد أو مماطلة. وأما **سعديك**، أي ساعدت طاعتك مساعدة، بعد مساعدة. قال الخطابي: وأما المساعدة فعامة في كل معونة، يقال إنها من وضع الرجل يده على ساعد صاحبه إذا تماشيا في

---

(١) البخاري (٣٣٤٠).

(٢) رواه ابن حبان (٦١٩٠).

(٣) رواه ابن سعد في طبقاته (١/٤٢).

حاجة. أقول: والمراد في قوله «لبيك وسعديك» استعداده التام لتلبية نداء ربه جل وعلا، والقيام به على أكمل وجه بكل ما أوتي من عون وقوة.

وقوله جل وعلا: **«هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير»** فيه مدى جحود قومه لرسالته، ومدى عمق الكفر في نفوسهم. مع طول دعوته عليه السلام لهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٤ ـ ١٥].

وقوله جل وعلا: **«من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾»** [البقرة: ١٤٣].

وقوله ﷺ: **«والوسط: العدل»** ليس بمدرج، بل هو من كلام النبي ﷺ كما جاء صريحاً في رواية البخاري في الاعتصام: ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ـ قال: **عدلاً** ـ ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾»[(١)].

قال الإمام الطبري الوسط في كلام العرب: **الخيار**. يقولون: فلان وسط الحسب في قومه؛ أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه. قال: وأنا أرى، أن الوسط في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، قال: وأرى أن الله تعالى ذكره، إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهيب، وقولهم في عيسى ـ عليه السلام ـ وما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود ـ عليهم لعنة الله ـ الذين بدلوا كتاب الله وقتلهم أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به. ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله تعالى بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوسطها.

خاتمة في وصية نوح عليه السلام لابنه:

روى الإمام أحمد من حديث عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُول اللّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أهلِ الباديةِ، عَلَيْه جُبَّةُ سِيجَانٍ، مَزْرُورَةٌ بالديباج، فَقَالَ: **«ألاَ إنّ صاحبَكم هذا قد وَضَعَ كلَّ فارسٍ ابنِ فارسٍ!»** قال: يريد أن يَضَعَ كلَّ فارسِ ابْنِ فارسٍ، ويَرْفَعَ كُلَّ رَاعِ ابنَ رَاعٍ! قَال: فأَخَذَ رسول الله ﷺ بمَجَامِعِ جُبَّته، وقال: **«ألاَ أَرَىٰ عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لاَ يَعْقِلِ!»**. ثم قال: **«إنَّ نَبِيَّ الله نُوحاً ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ قالا لابْنِهِ: إنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الوصية: آمُرُكَ بِاْثْنَتَيْنِ، وأنهاكَ عَنِ اْثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بـ(لا إله إلا اللّه)، فإن السمٰوات السَّبْعَ، والأَرَضِينَ السَّبْعَ، لو وُضِعَتْ في كَفَّةٍ وَوُضِعَتْ (لا إله إلا اللّه) في كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ (لا إله إلا اللّه).**

ولو أن السمٰوات السبعَ، والأَرَضِينَ السبعَ، كنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَة، قَصَمَتْهُنَّ (لا إله إلا اللّه)، و(سبحان اللّه وبحمده)، فإنها صلاةُ كلِّ شيءٍ، وبها يُرْزَقُ الخَلْقُ، وأَنهاكَ عن الشِّرْكِ والكِبْرِ».

---

(١) رواه البخاري (٧٣٤٩).

قال: قلت، أو قيل: يا رسول الله، هذا الشِّرْكُ قد عرفناه، فما الكِبْر؟ قال: أن يكون لأحدنا نعلانِ حَسَنَتَانِ لهما شِرَاكانِ حَسَنانِ؟ قال: «لا»، قال: هو أن يكونَ لأحدنا حُلَّةٌ يَلْبَسُها؟ قال: «لا»، قال: الكِبْرُ هو أن يكونَ لأحدنا دابةٌ يركبُها؟ قال: «لا»، قال: أفَهُوَ أنْ يَكُونَ لأحدنا أصحابٌ يَجْلِسُون إلَيْهِ؟ قال: «لا»، قيل: يا رسول الله، فما الكِبْر؟ قال: «**سَفَهُ الحَقِّ، وغَمْصُ الناسِ**»[1]. (رواه أحمد).

قوله: عليه جبة سيجان ـ أي خضراء اللون. **والسيجان**: جمع ساج، **والساج**: الطيلسان الأخضر.

وقوله ﷺ: «**كُلَّ حلقة مبهمة**» أي غير معلومة المدخل والطرف.

وقوله ﷺ: «**سفه الحق**» أي أن الكبر، هو الاستخفاف بالحق، وأن لا يراه على ما هو عليه من الرجحان والرزانة. وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**»[2] أي إن الكبر هو أن يدفع الحق وينكره ترفعاً وتجبراً. وأما غمط الناس، احتقارهم.

وقوله ﷺ: «**وغمص الناس**» مثل غمط الناس، بالصاد وبالطاء. بمعنى احتقارهم وازدرائهم.

أخبار إبراهيم عليه السلام

٨ ـ باب في قول إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٢٩٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، إِذَا قَالَ: رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ؛ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.**

وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطاً لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفَ، لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ». (متفق عليه).

الشرح: قوله ﷺ: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**» قال ابن عطية وأما الحديث، فمبني على نفي الشك، والمراد بالشك فيه الخواطر التي لا تثبت. وأما الشك المصطلح، وهو التوقف بين

---

(١) رواه أحمد (٦٥٩٤/ ٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨) والبزار (٣٠٦٩) وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧١٢٣ ـ ٧١٢٤/ ٤) وعزاه لأحمد والبزار، وقال: ورجال أحمد ثقات.

(٢) رواه مسلم (٩١).

٢٩٨ ـ [رواه أحمد (٨٣٣٦/ ٣) والبخاري (٣٣٧٢) ومسلم (١٥١). وابن ماجه (٤٠٢٦) وابن منده في «الإيمان» (٣٦٨) وابن حبان (٦٢٠٨) وغيرهم. واللفظ للبخاري].

الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر فهو منفي عن الخليل قطعاً لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة.

قال: وأيضاً فإن السؤال لما وقع بـ ـ كيف ـ دلَّ على حال شيء من موجود مقرر عند السائل والمسؤول، كما تقول؛ كيف علم فلان؟ فكيف في الآية سؤال عن هيئة الإحياء لا عن نفس الإحياء فإنه ثابت مقرر.

وقال ابن الجوزي: إنما صار أحق من إبراهيم لِمَا عانى من تكذيب قومه وردهم عليه وتعجبهم من أمر البعث، فقال: أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم، لعظيم ما جرى لي مع قومي المنكرين لإحياء الموتى ولمعرفتي بتفضيل الله لي، ولكن لا أسأل في ذلك.

قال الإمام النووي: وأما سؤال إبراهيم ـ عليه السلام ـ فذكر العلماء في سببه أوجهاً، **أظهرها**:

أنه أراد الطمأنينة بعلم كيفية الإحياء مشاهدة بعد العلم بها استدلالاً، فإن علم الاستدلال، قد تتطرق إليه الشكوك في الجملة، بخلاف علم المعاينة، فإنه ضروري.

قال: **والثاني**: أراد اختبار منزلته عند ربه في إجابة دعائه، وعلى هذا قالوا: معنى قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾، أي تُصدق بعظم منزلتك عندي واصطفائك وخلتك.

والثالث: سأل زيادة يقين. وإن لم يكن الأول شكاً. فسأل الترقي من علم اليقين إلى عين اليقين. فإن بين العلمين تفاوتاً. قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه: سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكناً.

الرابع: أنه لما احتج على المشركين، بأن ربه سبحانه وتعالى، يحيي ويميت، طلب ذلك منه سبحانه وتعالى ليظهر دليله عياناً. اهـ. ملخصاً.

وقوله ﷺ: «ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد» قال النووي: المراد بالركن الشديد، هو الله سبحانه وتعالى، فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها. ومعنى الحديث، والله أعلم؛ أن لوطاً لما خاف على أضيافه، ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين، ضاق ذرعه، واشتد حزنه عليهم، فغلب ذلك عليه. فقال في ذلك الحال: لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو آوي إلى عشيرة تمنع لمنعتكم.

وقصد لوط عليه السلام إظهار العذر عند أضيافه، وأنه لو استطاع دفع المكروه عنهم بطريق ما، لفعله. وأنه بذل وسعه في إكرامهم والمدافعة عنهم، ولم يكن ذلك إعراضاً منه عليه السلام عن الاعتماد على الله تعالى. وإنما كان لما ذكرناه من تطييب قلوب الأضياف. اهـ. مختصراً.

وأما قوله ﷺ: «ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف، لأجبت الداعي» فهو ثناء على يوسف عليه الصلاة والسلام، وبيان لصبره، وتأنيه. والمراد بالداعي، رسول الملك الذي أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠].

وراسل الملك في كشف أمره الذي سُجن بسببه، ولتظهر براءته عند الملك وغيره، ويلقاه مع اعتقاده براءته مما نُسب إليه.

ولا خجل من يوسف ولا غيره، فبين نبينا ﷺ فضيلة يوسف عليه السلام في هذا، وقوة نفسه في الخير وكمال صبره وحسن نظره. وقال النبي ﷺ عن نفسه، ما قاله تواضعاً وإيثاراً للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف عليه السلام. قاله النووي.

٩ ـ باب في صفة المناسك، كما علمها جبريل لإبراهيم ـ عليهما السلام ـ

قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧ ـ ٢٨].

٢٩٩ ـ عن سريج ويونس، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل. قال: قلت لابن عباس؛ يَزْعَمُ قومُكَ أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ رَمَلَ بالبيتِ، وأن ذٰلك سُنَّةٌ، فقال: صَدَقُوا وَكَذَبوا! قلتُ: وَمَا صَدَقُوا وكَذَبوا؟! قال: صَدَقُوا، رَمَلَ رسول الله ﷺ بالبيتِ، وَكَذَبوا، لَيسَ بِسُنَّةٍ، إنَّ قُريشاً قالت: زمَن الحُدَيْبِية: دَعُوا محمداً وأصحابَه حتى يموتوا موتَ النَّغَفِ، فلما صالَحوهُ على أن يَقْدَمُوا من العام المُقْبِل ويُقِيمُوا بمكة ثلاثةَ أيام، فَقَدِمَ رسولُ الله ﷺ والمشركونَ، من قِبَلِ قُعَيْقِعانَ، فقال رسولُ الله ﷺ لأَصحابِهِ: **«ارمُلوا بالبيتِ ثلاثاً، وليس بِسُنَّةٍ»**.

قلت: وَيزْعَم قومُك أنه طافَ بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ على بَعيرٍ، وَأن ذلك سُنَّةٌ؟ فقال: صدَقوا وكَذَبُوا! فقلتُ: وما صَدَقوا وَكَذَبُوا؟! فقال: صَدَقوا، قد طافَ بين الصَّفا والمَرْوَةِ على بعيرٍ، وَكَذَبُوا، ليست بِسُنَّةٍ، كان الناس لا يُدْفَعون عن رسولِ الله ﷺ ولا يُصرِفُونَ عنه، فطافَ على بعيرٍ، لِيَسْمَعُوا كلامَه، ولا تنالُه أيدِيهم.

قلتُ: ويَزْعُمُ قومُكَ أن رسولَ الله ﷺ سَعَى بين الصفا والمروة، وأَنَّ ذَلك سُنَّةٌ، قال: صَدَقوا: إن إبراهيم لما أُمِرَ بالمناسك عَرَضَ له الشيطانُ عند المسعَىٰ، فسابقه، فسَبَقه إبراهيمُ، ثم ذهب به جبريلُ إلى جمرةِ العَقَبة، فَعَرَضَ لَهُ شيطانٌ، قال يُونس: الشيطانُ، فرماهُ بسبع حَصَياتٍ حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبعِ حصياتٍ، قال: قد تَلَّهُ للجَبِين، قال يونس: وَثَمَّ تَلَّهُ للجبين، وعلى إسماعيلَ قميصٌ أبيضُ، وقال يا أبتِ، إنَّهُ ليس لي ثَوْبٌ تُكَفِّنُني فيه غيرُه، فاخلعْهُ حتى تُكَفِّنَني فيه، فعالَجه لِيخْلَعَهُ، فنُودي مِنْ خلفِه ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٤ ـ ١٠٥]، فالتَفَتَ إبراهيمَ فَإذا هو بِكَبْشٍ أبيضَ أَقْرَنَ أَعْيَنَ قال ابن عباس: لقد رأَيْتُنا

---

٢٩٩ ـ [رواه أحمد (٢٧٠٧/ ١) والطبراني في «الكبير» (١٠٦٢٨) والطيالسي (٢٦٩٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٧٧) وأخرج الفقرة الأولى والثانية، مسلم (١٢٦٤) وأبو داود (١٨٨٥) وابن حبان (٣٨٤٥) والبيهقي في «الكبرى» (٨١ ـ ٨٢ ـ ١٠٠/ ٥). والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٧٥٩/ ٨) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي، وهو ثقة اهـ. وهو كما قال].

نَبيَّعُ، هذا الضَّرْبَ من الكِباشِ، قال: ثم ذَهَبَ بِهِ جِبريلُ إلى الجمرةِ القُصْوَى، فَعَرَضَ له الشيطانُ، فرماهُ بسبع حَصَيَاتٍ حتى ذَهَبَ، ثم ذَهَبَ بِهِ جِبريلُ إلى مِنىً، قال: هذا مِنَى، قال يُونس: هذا مُناخُ الناس، ثم أتى به جَمْعاً فقال: هذا المَشْعَرِ الحرامُ، ثم ذَهَبَ بِهِ إلى عرفَةِ.

فقال ابن عباس: هَلْ تَدْرِي لِمَ سُمِّيَتْ عرفَةَ؟ قُلْتُ لا، قَالَ: إنّ جبريلَ قَالَ لإبراهيمَ: عَرَفْتَ؟ قَالَ: يونُسُ: هَلْ عَرَفْتَ؟ قَالَ: نعم، قَالَ ابنُ عباس: فمن ثَمَّ سميتْ عَرَفَة. ثم قال: هَلْ تَدْرِي كَيْفَ كانت التَّلْبِيةُ؟ قلت: وَكَيْفَ كَانَتْ؟ قَالَ: إنَّ إبراهيمَ لما أُمِرَ أن يُؤَذِّنَ في الناسِ بالحَجِّ خَفَضَتْ لَهُ الجِبَالُ رؤُوسَها وَرُفِعَتْ لَهُ القُرَى، فَأَذَّنَ في الناسِ بالحجِّ.

ومعنى قوله: «حتى يموتوا موت النغف»: النغف ـ بفتحتين ـ: الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم. الواحدة: نَغَفَة ـ بفتحتين أيضاً ـ وفي الحديث: **«إن يأجوج ومأجوج يُسلط عليهم النغف فيأخذ في رقابهم»**.

وقوله: كان الناس لا يدفعون عن رسول الله ﷺ ولا يصرفون عنه؛ أي لم يكن من عادته ﷺ أنهم إذا ازدحموا عليه دُفعوا عنه كما هو عادة الأمراء، وقيقعان: جبل بمكة مقابل قبيس. ومعنى تله للجبين: أي ألقاه أرضاً.

١٠ ـ باب رؤية رسول الله ﷺ لأبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ في السماء وسلامه عليه، وما جاء في وجه الشبه بينهما

٣٠٠ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: أَسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إلَى بَيْتِ المَقْدِسِ. ثُمَّ جَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ، وَبِعَلَامَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَبِعِيرِهِمْ.

قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ؛ نَحْنُ لاَ نُصَدِّقُ مُحَمَّداً فَارْتَدُّوا كُفَّاراً، فَضَرَبَ اللَّهُ أَعْنَاقَهُمْ مَعَ أَبِي جَهْلٍ.

قَالَ: وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرَةِ الزَّقُومِ؟ هَاتُوا تَمْراً وَزُبْداً تَزَقَّمُوا، قَالَ: وَرَأَى الدَّجَّالَ فِي صُورَتِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ لَيْسَ رُؤْيَا مَنَامٍ، وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَإِبْرَاهِيمَ!.

قَالَ: فَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ، فَقَالَ: **«رَأَيْتُهُ فَيلَمَانِيّاً أَقْمَرَ هِجَاناً، إحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ. كَأَنَّ شَعْرَهُ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ. وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ شَاباً أَبْيَضَ جَعْدَ الرَّأْسِ، حَدِيدَ**

---

٣٠٠ ـ [رواه أحمد (٣٠٣٦/ ٥) وأبو يعلى (٢٧٢٠) وإسناده صحيح. وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٢٦٢/ ٤) وعزاه للنسائي. بعد أن ذكر إسناده. وقال: وهو إسناد صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٣٤/ ١) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، إلا أن هلال بن خباب، قال يحيى القطان أنه تغير قبل موته. وقال يحيى بن معين: لم يتغير ولم يختلط، ثقة مأمون. اهـ. وزاد نسبته إلى أبي يعلى أيضاً. اهـ. والحديث أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٤٨٠/ ٦) بطوله بلفظ قريب، و (١١٤٨٤/ ٦) مختصراً على قول أبي جهل فقط].

البَصَرِ، مُبَطَّنَ الخَلْقِ. وَرَأَيْتُ مُوسَىٰ أَسْحَمَ، آدَمَ، كَثِيرَ الشَّعْرِ، شَدِيدَ الخَلْقِ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ، فَلَا أَنْظُرُ إِلَى إِرْبٍ مِنْ آرابِهِ إِلاَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ صَاحِبُكُمْ». قَالَ: «وَقَالَ لِي جِبْرِيلُ: سَلِّمْ عَلَى أَبِيكَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ». (رواه أبو يعلى).

الشرح: قوله: (وقال أبو جهل: يخوفنا محمد بشجرة الزقوم؟ هاتوا تمراً وزبداً تزقموا) أي كلوا. قال ابن الأثير الزَّقْم: اللَّقْمُ الشديد، والشرب المفرط...

وأما قوله ﷺ: «رأيته فيلمانياً أقمر هجاناً» قال أهل اللغة: الفَيْلَمَاني: منسوب إلى الفَيْلَم، أي العظيم الضخم الجثة. والأقمر: الشديد البياض، والهجان: الأبيض، ويقع على الواحد، والاثنين، والجميع والمؤنث، بلفظ واحد.

وقوله ﷺ: «حديد البصر» أي قويُّ البصر. وجعد الشعر: هو خلاف الشعر المسترسل. ومبطن الخلق: الضامر. والأسحم: الأسود. وقيل: هو الشديد الأدمة. والأرب: العضو.

وأما قوله ﷺ: «كأنه صاحبكم» يشير إلى شخصه ﷺ.

١١ ـ باب لقاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأبيه آزر يوم القيامة

وقوله ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧].

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٨].

٣٠١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي؟**

فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَومَ لاَ أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَىٰ مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ». (رواه البخاري).

---

٣٠١ ـ [رواه البخاري (٣٣٥٠) و(٤٧٦٨) و(٤٧٦٩) والحاكم (٢/٢٩٣٦) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣١٠). واللفظ للبخاري].

٣٠٢ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَيَأْخُذَنَّ رَجُلٌ بِيَدِ أَبِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَيَقْطَعَنَّهُ نَاراً يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ! قَالَ: فَيُنَادَىٰ؛ أَنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا مُشْرِكٌ. إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ الجَنَّةَ عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ.**

قَالَ: **فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَبِي؟ قَالَ: فَيُحَوَّلُ فِي صُورَةٍ قَبِيحَةٍ، وَرِيحٍ مُنْتِنَةٍ. قَالَ: فَيَتْرُكُهُ**».

قَالَ فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرَوْنَ أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ. وَلَمْ يَزِدْهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذٰلِكَ.
(رواه أبو يعلى).

ورواه البزار بلفظ: «**لَيَأْخُذَنَّ رَجُلٌ بِيَدِ أَبِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيَقْطَعَ بِهِ النَّارَ، يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ.** قَالَ: **فَيُنَادِي ـ أو يُنَادِي ـ مُنَادٍ: أَنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا مُشْرِكٌ.** قَالَ: **فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَبِي. فَيَتَحَوَّلُ فِي غَيْرِ صُورَتِهِ فَيَتْرُكُهُ**».

٣٠٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَلْقَىٰ رَجُلٌ أَبَاهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا أَبَتِ هَلْ أَنْتَ مُطِيعِيَ اليَوْمَ؟ ـ أَوْ هَلْ أَنْتَ تَابِعِيَ اليَوْمَ؟ ـ فَيَقُولُ: نَعَمْ.**

فَيَأْخُذُهُ بِيَدِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ حَتَّى يَأْتِي بِهِ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ يَعْرِضُ الخَلْقَ. أَيْ رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِنِي. فَيُعْرِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعالى ـ عَنْهُ. ثُمَّ يَقُولُ مِثْلَ ذٰلِكَ. فَيَمْسَخُ اللَّهُ أَبَاهُ ضِبْعَاناً. فَيَهْوِي فِي النَّارِ. فَيَقُولُ: أَبُوكَ، فَيَقُولُ: لاَ أَعْرِفُكَ». (رواه البزار).

والضبعان: ذكر الضبع، وهو سبع معروف.

الشرح: قوله ﷺ: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة» قال في «الفتح»: هذا موافق لظاهر القرآن ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠ ـ ٤١]، أي يغشاها قترة، فالذي يظهر أن الغبرة، الغبار من التراب، والقترة: السواد الكائن عن الكآبة.

وقوله ﷺ: «فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني» قال الحافظ ابن حجر: في رواية إبراهيم بن طهمان: **«فقال له قد نهيتك عن هذا فعصيتني. قال: لكني لا أعصيك واحدة»**.

قوله ﷺ: «فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون» فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٦٩ ـ ٨٩].

---

٣٠٢ ـ [رواه أبو يعلى (١٠٤٩) و(١٤٠٦) والبزار (٩٤) و(٩٥) وابن حبان (٦٩) ـ موارد الظمآن ـ وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٤٦٢) وقال: رواه أبو يعلى والبزار ورجالهما رجال الصحيح. اهـ. وهو كما قال].

٣٠٣ ـ [رواه البزار (٩٧)، وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٤٦٣) وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات].

وقوله عليه السلام: **«فأي خزي أخزى من أبي الأبعد»** قال في «الفتح»: وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه، وقيل: الأبعد، صفة أبيه. أي أنه شديد البعد من رحمة الله، لأن الفاسق بعيد منها، فالكافر أبعد. وقيل: الأبعد بمعنى البعيد، والمراد الهالك.

ويؤيد الأول، أن في رواية إبراهيم بن طهمان: **«وإن أخزيت أبي فقد أخزيت الأبعد»** وفي رواية أيوب: **«يلقى رجل أباه يوم القيامة، فيقول له: أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقول هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم. فيقول خذ بإرزتي، ـ أي بطرف ثوبه ـ فيأخذ بإرزته، ثم ينطلق حتى يأتي ربه وهو يعرض الخلق، فيقول الله: يا عبدي ادخل من أيّ أبواب الجنة شئت، فيقول: أي رب، أبي معي، فإنك وعدتني أن لا تخزني»**.

قوله ﷺ **«فيقول الله تعالى، إني حرمت الجنة على الكافرين»** قال في «الفتح»: في حديث أبي سعيد: **«فينادي، إن الجنة لا يدخلها مشرك»**.

قوله ﷺ **«ثم يُقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟، فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»** قال في «الفتح» في رواية إبراهيم بن طهمان: **«فيؤخذ منه فيقول: يا إبراهيم أين أبوك؟ قال: أنت أخذته مني، قال: انظر أسفل، فينظر، فإذا ذيخ يتمرغ في نتنه»**. وفي رواية أيوب: **«فيمسخ الله أباه ضبعاً، فيأخذ بأنفه فيقول: يا عبدي. أبوك هو! فيقول: لا وعزتك»** وفي حديث أبي سعيد: **«فيحول في صورة قبيحة وريح منتنة في صورة ضبعان»** زاد ابن المنذر من هذا الوجه: «فإذا رآه كذا تبرأ منه. قال: لست أبي».

والذِيخـ بكسر الذال المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ـ ذَكَرُ الضباع. وقيل لا يُقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر والضبعان: لغة في الضبع.

وقوله: **«ملتطخ»** أي متلوث في رجيع أو دم أو طين. وقد عينت الرواية الأخرى المراد، وأنه الاحتمال الأول حيث قال: **«فيتمرغ في نتنه»**.

قيل: الحكمة في مسخه، لتنفر نفس إبرا هيم منه، ولئلا يبقى في النار على صورته، فيكون فيه غضاضة على إبراهيم. وقيل: الحكمة في مسخه ضبعاً، أن الضبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر، لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات، أصر على الكفر حتى مات.

واقتصر في مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط في التشويه بالنسبة إلى ما دونه، كالكلب والخنزير وإلى ما فوقه كالأسد مثلاً، ولأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالغ في الخضوع له وخفض الجناح، فأبى واستكبر وأصر على الكفر، فعومل بصفة الذل يوم القيامة، ولأن للضبع عوجاً فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه في الدين.

قال الكرماني إن قيل: إن الله أدخل آزار النار فقد أخزى إبراهيم، لقوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وخزي الوالد خزي الولد، فيلزم الخلف في الوعد وهو محال.

ولو أنه أدخل الجنة لزم الخلف في الوعيد، وهو المراد بقوله: «إن الله حرم الجنة على الكافرين».

والجواب: أنه إذا مسخ في صورة ضبع وأُلقي في النار، لم تبق الصورة التي هي سبب الخزي، فهو عمل بالوعد والوعيد.

وجواب آخر، وهو أن الوعد كان مشروطاً بالإيمان، وإنما استغفر له وفاء بما وعده. فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

١٢ ـ باب استجابة المولى سبحانه وتعالى لشفاعة نبيه إبراهيم عليه السلام، لمن كان في قلبه ذرة أو شعيرة من إيمان

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وقال تعالى) ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣].

٣٠٤ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا رَبَّاهُ، فَيَقُولُ الرَّبُّ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ: يَا لَبَّيْكَاهُ فَيَقُولُ إِبراهيمُ: يَا رَبِّ، حَرَّقْتَ بَنِيَّ فَيَقُولُ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ ذَرَّةٌ أَوْ شَعِيرَةٌ مِنْ إِيمَانٍ». (رواه ابن حبان).

أخبار موسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١ ـ ٥٣].

١٣ ـ باب سؤال موسى عليه السلام رب العالمين عن أدنى أهل الجنة منزلة، وعن أعلاهم منزلة

قال الله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [يوسف: ٧٦].

٣٠٥ ـ عَنْ المُغيرةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ؛ مَا أَدْنَى

---

٣٠٤ ـ [رواه ابن حبان (٧٣٧٨) بإسناد صحيح على شرط الشيخين].

٣٠٥ ـ [رواه مسلم (١٨٩) والحميدي (٧٦١) والترمذي (٣١٩٨) وابن منده في «الإيمان» (٨٤٥) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨٦/٥) و(٣١٠/٧) وفي «صفة الجنة» (١٢٣) وأبو الشيخ في «العظمة» (٦١١) والطبراني في «الكبير» (٩٨٩/٢٠) وابن حبان (٦٢/٦) و(٧٤٢٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/٣١٧/٣١٨) موقوفاً ومرفوعاً. قال الترمذي: والمرفوع أصح].

أَهلِ الجَنة مَنزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُم وَأَخَذُوا أَخذاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنيا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذٰلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ في الخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ.

فَيَقُولُ: هٰذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ. وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ.

قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولٰئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُم بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا. فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية. [السجدة: ١٧].

الشرح: قوله ﷺ: «**فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم**» قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: هو ما أخذوه من كرامة مولاهم وحصلوه. أو يكون معناه: قصدوا منازلهم.

وقوله جل وعلا: «**أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها. . .**» الحديث. قال النووي رحمه الله تعالى: معناه: اصطفيتهم وتوليتهم، فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير. وفي آخر الكلام حذف، اختصر للعلم به، تقديره: ولم يخطر على قلب بشر ما أكرمتهم به وأعددته لهم. وقوله: ومصداقه، أي دليله وما يصدقه.

١٤ ـ باب في الخصال السبعة التي سال موسى ـ عليه السلام ـ ربه عنها

٣٠٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ سِتِّ خِصَالٍ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَهُ خَالِصَةً. والسَّابِعةُ لَمْ يَكُنْ مُوسَى يُحِبُّها. قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَتقىٰ؟ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُ وَلاَ يَنْسَى. قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَهْدَىٰ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَّبِعُ الهُدىٰ. قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُم لِنَفْسِهِ. قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: عَالِمٌ لاَ يَشْبَعُ مِنَ العِلْم، يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ. قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعزُّ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدَرَ غَفَرَ. فَأَيُّ عِبَادِكَ أَغْنىٰ؟ قَالَ الَّذِي يَرْضىٰ بِمَا يُؤْتىٰ. قَالَ: فَأَيُّ عِبَادَكَ أَفْقَرُ؟ قَالَ: صَاحِبٌ مَنْقُوصٌ».

قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ ظَهْرٍ، إِنَّمَا الغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَإِذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِعَبْدٍ خَيْراً، جَعَلَ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ، وَتُقَاهُ فِي قَلْبِهِ. وَإِذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِعَبْدٍ شَراً، جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ». (رواه ابن حبان).

قال أبو حاتم: قوله ﷺ: «**صاحب منقوص**». يريد به، منقوص حالته، يَسْتَقِلُّ ما أُوتيَ، ويطلبُ الفَضْلَ.

---

٣٠٦ ـ [رواه ابن حبان (٦٢١٧) وإسناده حسن].

١٥ ـ باب في خبر موسى عليه السلام مع السامري، ومع قومه وتوبتهم بقتل بعضهم بعضاً

قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ إلى قوله ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٨٣ ـ ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨ ـ ١٥٣].

٣٠٧ ـ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**لَمَّا تَعَجَّلَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ، عَمَدَ السَّامِرِيُّ فَجَمَعَ مَا قَدَرَ عَلَيهِ مِنَ الحُلِيِّ، حُلِيِّ بَنِي إِسْرَائِيل، فَضَربهُ عِجلاً، ثُمَّ أَلقىٰ القَبْضَةَ في جَوْفِهِ فَإِذَا هُوَ عِجلٌ لَهُ خوارٌ فَقَالَ لَهُمْ السَّامِرِيّ:** ﴿هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨]، **فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ:** ﴿يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ﴾ [طه: ٨٦]. **فَلَمَّا أَنْ رَجعَ مُوسَى إِلَى بني إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ أَضَلَّهُم السَّامِرِيّ أَخَذَ بِرأسِ أَخِيهِ، فَقَالَ لَهُ هَارُونَ مَا قَالَ.**

فَقَالَ مُوسَى لِلسَّامِرِيّ: مَا خَطْبُكَ؟ قَالَ السَّامِرِيّ: قَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. قَالَ: فَعَمَدَ مُوسَى إِلَى العِجْلِ فَوَضَعَ عَلَيْهِ المَبَارِدَ فَبَرَدَهُ بِهَا وَهُوَ عَلَى شَفِّ نَهرٍ، فَمَا شَرِبَ أَحَدٌ مِنْ ذٰلِكَ الماءِ مِمَّنْ كَانَ يَعْبُدُ ذٰلِكَ العِجلَ إلاَّ اصْفَرَّ وَجْهُهُ مِثْلَ الذَّهَبِ.

فَقَالُوا لِمُوسَى: مَا تَوْبَتُنَا؟ قَالَ: يَقْتُلُ بَعْضُكُم بَعْضاً. فَأَخَذُوا السَّكَاكِينَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقْتُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ وَلاَ يُبَالِي مَنْ قَتَلَ حَتى قُتِلَ مِنْهم سَبْعُونَ أَلفاً.

فَأَوْحىٰ اللَّهُ إِلَى مُوسَى: مرْهُم فَليرفَعُوا أَيْدِيَهُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لِمَنْ قُتِلَ، وَتُبْتُ عَلَى مَنْ بَقِيَ».
(رواه الحاكم).

١٦ ـ باب في حجم قوم موسى عليه السلام يوم القيامة

٣٠٨ ـ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيد بْن جُبَيْرٍ فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطَ وَالنَّبِيُّ لَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ. قُلْتُ: مَا هٰذَا؟ أُمَّتِي هٰذِهِ؟ قِيلَ: هٰذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ.**

---

٣٠٧ ـ [رواه الحاكم (٢/٣٤٣٤) وصححه على شرط الشيخين. وقال الذهبي في «التلخيص»: على شرط البخاري ومسلم].

٣٠٨ ـ [رواه أحمد (١/٢٤٤٨) والبخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠) والترمذي (٢٤٤٦) وابن منده (٩٨٣) وغيرهم واللفظ للبخاري].

قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ هٰهُنَا وَهٰهُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ هٰذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هٰؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ».

ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». (متفق عليه).

والحمة: السمُّ، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة، لأن السم منها يخرج. قاله ابن الأثير.

وقال السندي رحمه الله: **وقوله**: (لا رقية إلا من عين أو حمة). لم يرد به الحصر، بل أراد أنها أحق بالرقية لشدة الضرورة فيهما. وسيأتي شرحه بأتم من هذا.

وأما السواد؛ ضد البياض، هو الشخص الذي يُرى من بعيد. ووصفه بالعظيم، إشارة إلى أن المراد، بلفظ الجنس لا الواحد.

الحوار الذي حصل في السماء بين آدم وموسى عليهما السلام:

روى البخاري ومسلم وغيرهما، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: يا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَىٰ، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ. أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً! فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ» ثلاثاً[1]. لفظ البخاري.

ورواه أبو داود أيضاً بإسناد حسن، من حديثِ عُمرَ بْنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَىٰ قَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنا وَنَفْسَهُ مِنَ الجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللَّهُ آدَمَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللَّهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الجَنَّةِ؟

فَقَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَىٰ، قَالَ: أَنْتَ نَبِي بَنِي إِسرَائِيلَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الحجابِ، لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولاً مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَفَمَا وَجَدْتَ أَنَّ ذٰلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَبِمَا تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ سَبَقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِيهِ القَضَاءُ قَبْلِي؟».

---

(١) رواه البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذٰلِكَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»(١).

قال الإمام ابن أبي العز في شرحه لهذا الحديث في شرحه للعقيدة الطحاوية. قال: تتلقاه بالقبول والسمع والطاعة، لصحته عن رسول الله ﷺ ولا نتلقاه بالرد والتكذيب لراويه، كما فعلت القدرية، ولا بالتأويلات الباردة، بل الصحيح؛ أن آدام لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه بلطل، وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم عليه السلام على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه، واجتباه وهداه.

وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، واحتج آدم عليه السلام، بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعايب.

وهذا المعنى، أحسن ما قيل في الحديث، فما قُدر من المصائب يجب الاستسلام له، فإنه من تمام الرضى بالله ربًا، وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب، فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعايب، ويصبر على المصائب. قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

١٧ ـ باب كسر موسى ـ عليه السلام ـ للألواح حينما عاين ما فعله قومه من عبادتهم للعجل!

٣٠٩ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ. قَالَ اللَّهُ لِمُوسَىٰ: إِنَّ قَوْمَكَ صَنَعُوا كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا عَايَنَ، أَلْقَىٰ الْأَلْوَاحَ**» (رواه ابن حبان).

والمعاينة: المشاهدة.

عبرة وعظة:

٣١٠ ـ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ أعرابياً فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: ائْتِنَا، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**سَلْ حَاجَتَكَ**» قَالَ: نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا وَأَعْنُزٌ يَحْلِبُهَا أَهْلِي. فَقَالَ: «**أَعَجَزْتُم أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيل**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيل؟

قَالَ ﷺ «**إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيل مِنْ مِصْرَ ضَلُّوا الطَّرِيقَ فَقَالَ: مَا هٰذَا؟ فَقَالَ عُلَمَاؤُهُم: يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ بَنِيَامِينُ عَلَيْنَا مُوْثِقاً مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرجَ**

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٢).

٣٠٩ ـ [رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٣) وهو حديث صحيح. وأخرجه أحمد (١/٢٤٤٧) والحاكم (١/٣٢٥٠) والطبراني في «الأوسط» (٢٥) وغيرهم بلفظ قريب. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٦٨٧) وعزاه لأحمد والبزار والطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح. وصححه ابن حبان اهـ].

٣١٠ ـ [رواه ابن حبان (٢٤٣٥) ـ كشف الأستار ـ والحاكم (٢/٣٥٢٣) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي].

مِنْ مَصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا. قَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ»؟ قَالَ: عَجوزٌ مِنْ بَني إِسْرائيل، فبعثَ إِلَيْهَا فأَتَتْ فَقَالَ: دُلّيني عَلَى قَبْرِ يُوسفَ، قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِيَني حُكمي، قَالَ: وَمَا حُكْمُكِ؟ قَالتْ: أَكُونُ معك في الجَنَّةِ. فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذٰلِكَ.

فأَوْحىٰ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فانطَلَقَتْ بِهِمْ إِلى بُحَيْرَةٍ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ فَقَالَتْ: انْضُبُوا هٰذَا المَاءَ، فَأَنْضَبُوهُ، فَقالَتْ: احْتَفِروا، فاحْتَفَرُوا. فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يوسف، فَلَمَّا أَلْقَوهُ إِلى الأَرْضِ فَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهارِ».

١٨ ـ باب في قصة ماشطة ابنة فرعون، وما حلَّ بها بسبب إيمانها برب موسى ـ عليه السلام ـ

٣١١ ـ عَنْ ابْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هٰذِهِ الرَّائِحَةُ الطَيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هٰذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَونَ وَأَوْلادِهَا».

قَالَ: «قُلْتُ: وَمَا شَأْنُها؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمشُطُ ابنةَ فِرْعَونَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتْ المِدْرَى مِنْ يَدِهَا. فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابنةُ فِرْعَونَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لاَ، وَلٰكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ.

قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذٰلِكَ! قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلاَنَةُ، وَإِنَّ لَكَ رَبّاً غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ.

فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا. قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لي إِلَيْكَ حَاجةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامي وعِظَامَ وَلَدِي في ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا. قَالَ: ذٰلِكَ لَكِ عَلَيْنا مِنَ الحَقِّ».

قَالَ: «فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا، فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيها، وَاحِداً وَاحداً، إِلَى أَنْ انْتَهى ذٰلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، كَأَنَّها تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ. قَالَ: يَا أُمَّهْ، اقْتَحِمي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنيا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ».

قَالَ ابْنُ عَبَاسٍ: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةُ صِغَارٍ: عِيسىٰ ابْنُ مَريمَ عليه السَّلامُ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسف، وَابْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَونَ. (رواه أحمد).

---

٣١١ ـ [رواه أحمد (١/٢٨٢١)، وأبو يعلى (٢٥١٧) والبزار (٥٤) وابن حبان (٣٦) والطبراني في «الكبير» (١٢٢٨٠) ورجال إسناده رجال الصحيح، غير عطاء بن السائب، وقد اختلط بآخرة. قال الطحاوي: وإنما حديث عطاء، الذي كان منه قبل تغيره يؤخذ من أربعة لا من سواهم وهم: شعبة، وسفيان الثوري، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد اهـ. وهذا واحد منها فقد رواه عطاء عن حماد بن سلمة وهو على ذلك حديث صحيح. والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٢٣٠) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة، ولكنه اختلط].

ورواه أبو يعلى بلفظ: «**مَرَرْتُ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي بِرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، فَقُلْتُ: مَا هٰذِهِ الرَّائِحَةُ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذه مَاشِطَةُ بِنْتُ فِرْعَونُ، كَانَتْ تَمْشِطُها فَوَقَعَ المِشْطُ مِنْ يَدِهَا. فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ.**

قَالَتْ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبي؟ قَالَتْ: رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكَ. قَالَتْ: أَقُولُ لَهُ إِذاً. قَالَتْ: قُولِي لَهُ. قَالَ لَهَا: أَوَ لَكِ رَبٌّ غَيْرِي! قَالَتْ: رَبِّي وَرَبُّكَ الَّذِي فِي السَّماءِ».

قال: «**فَأَحمىٰ لَهَا بَقَرَةً مِنْ نُحَاسٍ. فَقَالَتْ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أَنْ تَجْمَعَ عِظَامي وَعِظَامَ وَلَدِي. قَالَ: ذٰلِكَ لَكِ عَلَيْنَا لِمَا كَانَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ.**

فَأَلْقَىٰ وَلَدَها فِي البَقَرَةِ وَاحِداً وَاحِداً. فَكَانَ آخِرَهُم صَبِيٌّ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ».

الشرح: المدرى: ـ بكسر الميم وسكون الدال، وآخره ألف مقصورة ـ ما يسوى به شعر الرأس.

وقوله: «**فأمر ببقرة من نحاس**» قال ابن الأثير، نقلاً عن الحافظ أبي موسى: الذي يقع لي في معناه: أنه لا يريد شيئاً مصوغاً على صورة البقرة، ولكنه ربما كانت قِدْراً كبيرة واسعة، فسماها. بقرة، مأخوذة من التبقر، أي التوسع. أو كان شيئاً يسع بقرة تامة بتوابلها، فسميت بذلك.

ومعنى: تقاعست، أي تأخرت.

أخبار عيسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٤٦].

١٩ ـ باب في وصف عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ

٣١٢ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا، فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً مُتَّكِئاً عَلَى رَجُلَيْنِ ـ أَوْ ـ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ. فَسَأَلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ فَقِيلَ لِي: المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.**

وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أَعْوَرِ العَيْنِ اليُمْنَىٰ، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ. فَسَأَلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ فَقِيلَ: المَسِيحُ الدَّجَّالُ». (متفق عليه).

وفي رواية عند البخاري. من طريق سالم عن أبيه ـ عبد الله بن عمر ـ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، مَا قَالَ

---

٣١٢ ـ [أخرجه مالك في «موطئه» (١٧٠٨) في صفة النبي ﷺ. وأحمد (٢/٦١٠٧) والبخاري (٣٤٤٠) و(٣٤٤١) و(٥٩٠٢) و(٦٩٩٩) و(٧٠٢٦) و(٧١٢٨) ومسلم (١٦٩) والطيالسي (١٨١١) وابن منده (٧٣٠) وغيرهم. واللفظ كله للبخاري].

النَّبيُّ ﷺ لِعِيسىٰ أَحْمَرُ، وَلَكِنْ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً ـ أَوْ ـ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً. فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ. فَذَهَبْتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ عَيْنِهِ اليُمْنَىٰ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ. قُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: الدَّجَّالُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً ابْنُ قَطَنٍ» قال الزهري: رجل من خزاعة، هلك في الجاهلية.

وفي لفظ عند البخاري أيضاً: «وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ فِي المَنَامِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَىٰ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالبَيْتِ. فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ فَقَالُوا: هٰذَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.

ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلاً وَرَاءَهُ جَعْداً قَطِطاً أَعْوَرَ عَيْنِ اليُمْنَىٰ، كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَي رَجُلٍ يَطُوفُ بِالبَيْتِ. فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: المَسِيحُ الدَّجَّالُ.

وقد جاء في لفظ: «. . لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قَدْ رَجَّلَهَا، تَقْطُرُ مَاءً. .» الحديث.

٣١٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: «لَقِيتُ مُوسَىٰ» قَالَ: فَنَعَتَهُ «فَإِذَا رَجُلٌ ـ حَسِبْتُهُ قَالَ ـ مُضْطَرِبٌ، رَجِلُ الرأسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ».

قَالَ: «وَلَقِيتُ عِيسىٰ» فَنَعَتَهُ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: «رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ ـ يعني الحمام ـ وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ» قَالَ: «وَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُما لَبَنٌ، والآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُما شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ. فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الفِطْرَةَ ـ أَوْ ـ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ». (متفق عليه ـ وقد تقدم).

٣١٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ. فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كَرْباً، مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ. فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي، أَنْظُرُ إِلَيْهِ. فَمَا سَأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ.

وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَإِذَا مُوسَىٰ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَىٰ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً، عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ.

وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ، صَاحِبُكُم ـ يَعْنِي نَفْسَهُ ﷺ ـ فَحَانَتِ الصَّلاةُ، وَأَمَمْتُهُمْ. فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاةِ قَالَ لِي قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ؛ هٰذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلامِ». (رواه النسائي).

الشرح: قوله ﷺ: «فرأيت رجلاً آدم» أي أسمر «كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال» أي

---

٣١٣ ـ [رواه البخاري (٣٤٣٧) ومسلم (١٦٨) والترمذي (٣١٣٠) وغيرهم واللفظ للبخاري].

٣١٤ ـ [رواه النسائي في «الكبرى» (١١٤٨٠/٦) وأحمد (٣٠٣٦/٣) وأبو يعلى (٢٧٢٠/٥) وإسناده صحيح].

كأحسن ما أنت راء من سمرة الرجال.

وقوله ﷺ : «له لمة لأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها» اللمة ـ بكسر اللام ـ أي شعر الرأس. ويقال له إذا جاوز شحمة الأذنين، وألم بالمنكبين: لمة. وإذا جاوزت المنكبين؛ فهي جمة. وإذا قصرت عنهما فهي: وفرة.

ومعنى**«قد رجلها»** أي سرحها ودهنها. وأما قوله ﷺ : **«فهي تقطر ماء»** يحتمل أنها تقطر من الماء الذي سرحها به. وقد جاء في الرواية الثانية أنه عليه السلام: **«سبط الشعر أي مسترسله. وهو ضد الجعد»**.

وقد جاء عند البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ : **«رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر.»**[١] الحديث وقد جاء في لفظ أحمد: **«ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس»**[٢] . قال في «الفتح» والجعد ضد السبط، فيمكن أن يجمع بين الروايتين، بأنه سبط الشعر، ووصفه لجعودة في جسمه، لا شعره. والمراد بذلك: اجتماعه واكتنازه. وهذا الاختلاف نظير الاختلاف في كونه آدم أو أحمر. والأحمر عند العرب: الشديد البياض مع الحمرة. والآدم: الأسمر. ويمكن الجمع بين الوصفين؛ بأنه احمرَّ لونه بسبب، كالتعب، وهو في الأصل أسمر. وقد وافق أبو هريرة على أن عيسى أحمر، فظهر أن ابن عمر أنكر شيئاً حفظه غيره. ـ يشير إلى الحديث الأخير الذي رواه البخاري وفيه: **«ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال: ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس»**[٣] ـ يعني الحمام. والمراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان في الحمام فخرج منه والعرق يتصبب منه.

والربعة ـ هو المربوع. والمراد؛ أنه ليس بطويل جداً ولا قصير جداً، بل هو وسط بين ذلك.

وأما وصفه لموسى عليه السلام بأنه «مضطرب» وقد تقدم أن المضطرب الطويل غير الشديد. وقيل الخفيف اللمم. وقد ذكرته للفائدة.

وقوله ﷺ : «متكئا على رجلين ـ أو ـ على عواتق رجلين» وفي اللفظ الآخر **«واضعاً يديه على منكبي رجلين»** والعاتق: هو ما كان بين المنكب والعنق.

وقوله ﷺ : «وإذا أنا برجل جدع قطط» أما القطط: فهو شديد الجعودة. قال الهروي رحمه الله تعالى ـ الجعد في صفات الرجال يكون مدحاً ويكون ذماً، فإذا كان ذماً فله معنيان: أحدهما القصير المتردد، والآخر البخيل. يُقال رجل جعد اليدين، جعد الأصابع، أي بخيل. وإذا كان مدحاً، فله أيضاً معنيان. أحدهما أن يكون معناه شديد الخلق، والآخر يكون شعره جعداً غير سبط،

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٨).

(٢) رواه أحمد (١/٢١٩٧).

(٣) رواه البخاري (٣٤٣٧).

فيكون مدحاً لأن السبوطة أكثرها في شعور العجم. اهـ. وقال غيره: الجعد في صفة الرجال ذم، وفي صفة عيسى عليه السلام مدح.

فائدة: قد جاء أن سيدنا عيسى عليه السلام رجلاً آدم. وثبت أيضاً في حديث الإسراء أنه عليه السلام «**ربعة أحمر كأنه خرج من ديماس**» ـ يعني الحمام.

أقول - وبالله التوفيق -: أن الإخبار بأنه رجلاً آدم، إنما كان وصفاً له وهو على الأرض. ووصفه بأنه «**ربعة أحمر**» إنما هو وصفه في السماء. وفيه إشارة إلى أن أهل السماء من النبيين إنما يُعطون لوناً مزهراً غير ما كانوا عليه على الأرض.

٢٠ ـ باب في الأوامر الخمسة التي علمها الله تعالى لنبيه يحيى ـ عليه السلام ـ ليعمل بها ويعلمها لبني إسرائيل. وموقف عيسى ـ عليه السلام ـ منها

٣١٥ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلّامٍ أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ حَدَّثَهُ أَنَّ الحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِىءَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَىٰ: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَامْتَلأَ المَسْجِدُ وَتَعَدَّوْا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:**

أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْداً مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ: هٰذِهِ دَارِي وَهٰذَا عَمَلِي فَاعمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذٰلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ.

وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ.

وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعاً حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى

---

٣١٥ ـ [أخرجه أحمد (٦/١٧١٧٠) والترمذي (٢٨٦٣ ـ ٢٨٦٤) والطيالسي (١١٦١ ـ ١١٦٢) وأبو يعلى (١٥٧١) وابن خزيمة (٩٣٠) و (١٨٩٥) والحاكم (٤٠٤ ـ ٤٠٥ ـ ١/٤٠٦) وابن حبان (٦٢٣٣) والطبراني في «الكبير» (٣٤٢٨) و (٣٤٣٠). وإسناده صحيح. واللفظ للترمذي].

حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذٰلِكَ الْعَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللَّهِ».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ».**

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: **«وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ. عِبَادَ اللَّهِ».** (رواه الترمذي).

الشرح: قوله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة» قال الطيبي رحمه الله تعالى: المراد بالجماعة، الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعي التابعين من السلف الصالحين، أي آمركم بالتمسك بهديهم وسيرتهم والانخراط في زمرتهم.

وقوله ﷺ: «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه...» قال ابن الأثير: الربقة في الأصل؛ عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام، أي حدوده، وأحكامه، وأوامره ونواهيه، والله تعالى أعلم. اهـ مختصراً.

وقوله ﷺ: «ومن ادعى دعوى الجاهلية، فإنه من جثا جهنم» أي من جماعاتها، والجثا ـ مقصوراً ـ جمع جثوة ـ بالضم ـ وهو الشيء المجموع وروي: «من جثى من جُثِّي جهنم» بضم الجيم وتشديد الياء ـ جمع جاثٍ، من جثا على ركبتيه يجثو، ويجثي جُثياً وجِثياً ـ بضم الجيم وكسرها. والأصل ضمها، وجاء كسرها اتباعاً لكسرة الثاء.

٢١ ـ باب في نزول عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان وقتله للمسيح الدجال. مع وصف لبعض العلامات الكبرى لقيام الساعة

قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝١٧ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧ ـ ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ ـ ٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

٣١٦ ـ عن النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هٰذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَوْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ. أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا. لَقَدْ

---

٣١٦ ـ [رواه أحمد (٢/٦٥٦٦) ومسلم (٢٩٤٠) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١٦٢٩) وابن حبان (٧٣٥٣) والحاكم (٨٦٣٢ ـ ٤/٨٦٥٤)].

هَمَمْتُ أَنْ لاَ أُحَدِّثَ أَحَداً شَيْئاً أَبَداً. إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْراً عَظِيماً. يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، ويَكُونُ، وَيَكُونُ.

ثُمّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «يَخرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ (لاَ أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْماً، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْراً، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامَاً). فَيَبْعَثُ اللّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ. فَيَطْلُبُه فَيُهْلِكُهُ. ثُمّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ. لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ. ثُمّ يُرْسِلُ اللّهُ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأمِ. فَلاَ يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلاَّ قَبْضَتْهُ. حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ». قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ.

قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ. لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَراً. فَيَتَمَثَّلُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلاَ تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ. وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ. ثُمّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ. فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً قَالَ وَأَوّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ. قَالَ فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ.

ثُمّ يُرْسِلُ اللّهُ ـ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللّهُ ـ مَطَراً كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ ـ نُعْمَانُ الشَّاكُّ ـ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ. ثُمّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. ثُمّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ قَالَ ثُمّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ. فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ، تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً. وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». (رواه مسلم).

ورواه النسائي في «الكبرى» بأخصر منه، بلفظ: «يَخرُجُ الدَّجَّالُ، فَيَبْعَثُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَريم عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَأَنَّهُ عُروةَ بْنِ مَسْعودٍ الثقفِيّ. فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمّ يَلْبَثُ النَّاسُ بَعْدَهُ تِسْعَ سِنِينَ لَيسَ بيْن اثنين عَدَاوَةٌ.

ثُمّ يُرْسِلُ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلَ الشَّام، فَلاَ تُبْقِي أَحَداً في قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ كَانَ في كَبِدِ جَبلٍ، دَخَلَتْ عَلَيهِمْ».

قَالَ: «وَيَبْقَىٰ شِرارُ النَّاسِ في خِفَّةِ الطَّيرِ وَأَحلاَمِ السِّبَاعِ، لاَ يَعرِفُونَ مَعروفاً وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَراً. فَيَتَمَثَّلُ لهم الشيطَانُ فَيَأْمُرَهُم بِالأَوْثَانِ فَيَعْبُدونَهَا، وَهُمْ في ذَلِكَ دَارَّةٌ أَرْزَاقُهم، حَسَنَةٌ عِيْشَتُهُمْ ثُمّ يُنْفَخُ في الصُّورِ فَلا يَبْقَىٰ أَحَدٌ إِلاَّ صَعِقَ، ثُمّ يُرْسِلُ اللّهُ ـ أَوْ يُنْزِلُ مَطَراً فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرونَ.

ثُمّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إلى رَبِّكُم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]. ثُم قَالَ: أَخرِجُوا بَعْثَ النَّارِ. فَيُقَالُ: كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعمائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسعِينَ، فَيومَئِذٍ يُبْعَثُ الوِلدَانُ شِيباً. ويَوْمَئِذٍ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ».

الشرح: قوله ﷺ: **«يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ـ لا أدري، أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً ـ»** الشك من كلام عبد الله بن عمرو، يريد أنه أبهم مقدار ـ الأربعين ـ ولم يعين.

وقوله: **«فيبعث الله عيسى ابن مريم...»** أي ينزله من السماء. كما جاء في البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال. حتى لا يقبله أحد»**[١].

وقوله ﷺ: **«حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل»** أي وسطه، وداخله، وكبد كل شيء، وسطه. وقوله ﷺ: **«فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً»** الليت ـ بكسر اللام ـ صفحة العنق. وهي جانبه. ومعنى أصغى: أي أمال. ومعنى قوله ﷺ **«يلوط حوض إبله»** أي يصلحه. ويطينه. والطل المطر الخفيف.

وقوله ﷺ: **«فذلك يوم يكشف عن ساق»** أي يوم يكشف عن شدة، وهول عظيم، أي يظهر ذلك. يقال: كشفت الحرب عن ساقها، إذا اشتدت، وأصله أن من جَدَّ في أمره كشف عن ساقه مستمراً في الخفة، والنشاط له. قاله النووي.

وأما قوله ﷺ: **«فيبقى شرار الناس، في خفة الطير، وأحلام السباع»** قال أهل العلم: معناه أنهم يضطربون وينفرون بأدنى توهم، شبه عليه الصلاة والسلام، حال الأشرار في تهتكهم، وعدم وقارهم، واختلال رأيهم، وميلهم إلى الفجور والفساد، بحال الطير.

وأراد بأحلام السباع: العقول الناقصة. وفيه إيماء إلى أنهم خالون عن العلم والحلم، بل الغالب عليهم؛ الطيش والغضب والوحشة والإتلاف والإهلاك وقلة الرحمة.

وقوله ﷺ: **«لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً»** وفيه إشارة إلى تماديهم في الفسوق وشدة كفرهم وعظيم طغيانهم وفي الحديث عند أحمد وغيره بإسناد صحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة على أحد يقول: لا إله إلا الله»**[٢]. ورواه مسلم بلفظ: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله»**[٣]. وفي الباب عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند الحاكم[٤].

ورواه الحاكم من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة على رجل يقول لا إله إلا الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر»**[٥].

---

(١) رواه البخاري (٢٢٢٢).
(٢) رواه أحمد (١٢٦٦٠/٤).
(٣) رواه مسلم (١٤٨).
(٤) رواه الحاكم (٨٥١١/٤).
(٥) رواه الحاكم (٨٥١٤/٤).

وقوله ﷺ: «فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها» وقد جاء في «صحيح البخاري» وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية»(١) قيل يحتمل أن يكون المراد، أنهن يتزاحمن بحيث تضرب عجيزة بعضهن الأخرى عند الطواف حول الصنم المذكور.

وقوله ﷺ: «وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه» أي يطينه ويصلحه. وروى مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب، مما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلطُ في حوضه، مما يصدر حتى تقوم»(٢) ورواه البخاري وغيره بأتم منه.

وأما قوله ﷺ: «ثم ينفخ في الصور... ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون» روى البخاري ومسلم وغيرهما، واللفظ لمسلم، من طريق أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة؛ أربعون يوماً؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ. «ثم يُنزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل» قال: «وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(٣) أقول وأما الآثار التي أخبرت بأن بين النفختين أربعون سنة، فإنها آثار ضعيفة الأسانيد لا يعتد بها. والله تعالى أعلم. وأما عجب الذنب، فهو كما أهل العلم، هو عظم لطيف في أسفل الصلب، وأصله. وهو رأس العصص. وهو الذي يبقى من الإنسان ليعاد تركيب خلقه مرة أخرى. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١].

٢٢ ـ باب في مخاطبة عيسى عليه السلام رسولاً عن الأنبياء عليهم السلام، لنبينا محمد ﷺ

٣١٧ ـ عَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حدثني نبيُّ الله ﷺ: «إنِي لَقائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ الصِّرَاطَ، إذْ جاءَني عيسى، فقالَ: هٰذه الأنبياءُ قد جاءتْكَ يا محمدُ يَسْأَلُونَ ـ أو قال: يَجْتمعونَ إليكَ ـ، ويدعونَ الله أنْ يُفرِّقَ بين جَمْعِ الأُمَمِ إلى حَيْثُ يَشاءُ اللَّهُ لِغَمِّ ما هُمْ فيه، فالخَلْقُ مُلْجَمُونَ في العرَق، فأمَّا المُؤمِنُ فهو عليه كالزُّكْمَة، وأمَّا الكافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ الموتُ».

---

(١) رواه البخاري (٧١١٦).

(٢) رواه البخاري (٧١٢١) ومسلم (٢٩٤٥).

(٣) رواه البخاري (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥).

٣١٧ ـ [رواه أحمد (١٢٨٢٤/ ٤) وابن خزيمة في «التوحيد» (٦١٦ ـ ٦١٧/ ٢) وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٥٠٦/ ١٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ].

قال: «قال عِيسى: انتَظِرْ حتَّى أَرْجِعَ إليك» قال: «فَذَهَبَ نبيُّ الله حتى قام تحتَ العَرْشِ، فلَقِيَ ما لم يَلْقَ مَلَكٌ مُصطَفى، ولا نبيٌّ مُرْسَل، فأوحَى اللَّهُ إلى جبريلَ: أن اذهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ له: ارْفَعْ رأسَكَ، سَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ».

قال: «فَشَفَعْتُ في أُمَّتي: أَنْ أُخرِجَ مِن كلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إنساناً، واحِداً».

قال: «فما زِلْتُ أَتَرَدَّدُ على رَبِّي، فلا أقُومُ مَقاماً إلا شَفَعْتُ، حتى أعطاني اللَّهُ مِنْ ذلك أَنْ قالَ: يا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ خَلْقِ الله مَن شَهِدَ أَنَّهُ لا إله إلا الله يوماً واحِداً مُخلِصاً، وماتَ على ذلكَ». (رواه أحمد).

٢٣ ـ باب في إخبار عيسى عليه السلام بفضل أمة محمد ﷺ

٣١٨ ـ عَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا القَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يا عِيسىٰ إِنِّي بَاعِثٌ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا اللَّهَ وَشَكَروا، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا. وَلاَ حِلْمَ وَلاَ عِلْمَ! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ هٰذَا لَهُمْ، وَلاَ حِلْمَ وَلاَ عِلْمَ؟ قَالَ: أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي». (رواه أحمد).

بُشرى وخاتمة: روى البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنزِلَ فِيكُم ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الحَرْبَ، وَيَفِيضَ المالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ. حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خيراً مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا».

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1] [النساء: ١٥٩].

وروى أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الأنبياءُ إِخوَةٌ لِعَلاَّتٍ دِينُهُمْ وَاحِدٌ وأُمَّهاتُهُمْ شَتَّى وَأَنا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ نَازِلٌ فإِذا رَأَيْتُمُوهُ فاعرِفُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبوعٌ إِلى الحُمْرَةِ وَالبياضِ، سبطٌ كأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وإن لَم يُصِبه بَلَلٌ بَيْنَ مُمَصَّرتَيْنِ فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الجِزْيَةَ وَيُعَطِّل المِلَلَ حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ في زَمانِهِ المِلَلَ كُلَّها غَيْرَ الإِسْلامِ، وَيَهْلِكُ اللَّهُ في زمانِهِ المسِيح الدَّجال الكَذَّابَ وَتَقَعُ الأَمَنَةُ في الأرض حَتَّى تَرْتَعَ الإِبلُ مَعَ الأَسَدِ جَميعاً، وَالنُّمورُ مَعَ البَقَر، والذِّئابُ مَعَ الغَنَم، وَيَلْعَبُ

---

٣١٨ ـ [رواه أحمد (٢٧٦١٥/ ١٠) والبزار (٢٨٤٥) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٧٠٤/ ١٠) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير الحسن بن سوار، وأبي حلبس يزيد بن ميسرة، وهما ثقتان اهـ. وقال البزار: لا نعلم رواه من الصحابة إلا أبو الدرداء، ومعاوية بن صالح، وأبي حلبس شاميان، عابدان، ثقتان، وإسناده حسن].

(١) رواه البخاري (٣٤٤٨).

الصِّبيانُ وَالغِلمانُ بالحَيّاتِ لا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعضاً. فَيَمْكُثُ ما شاء الله أن يمكث ثُمَّ يُتوفى فَيُصَلّي عَلَيهِ المُسْلِمون وَيَدفِنُونَهُ»[1].

ومعنى قوله ﷺ: «لِعَلاّت» أي دينهم واحد من أمهات شتى.

أخبار نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦].

٢٤ ـ باب في بدء الوحي، ولقاء رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام لأول مرة. وما تبعه من أحوال اعترضت رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

٣١٩ ـ عَنْ السيدةَ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنينَ وَزَوْجِ النَّبيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يرَىٰ رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فكَانَ يَأْتي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلىٰ خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وَهُوَ في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ فَقَالَ:

«اقْرَأْ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ٱقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجهْدَ، ثُمّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ٱقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ـ حَتَّى بَلَغَ ـ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾**»**.

فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ فَقَالَ: **«زَمِّلُوني زَمِّلُوني»** فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ: **«يَا خَدِيجَةُ مَا لي»** وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ وَقَالَ: **«قَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسي»**.

فَقَالَتْ لَهُ: كَلاَّ أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَداً إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ، ثُمَّ ٱنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ

---

(١) رواه أحمد (٣/٩٦٣٨).

٣١٩ ـ [رواه أحمد (٢٦٠١٨/ ١٠) والبخاري (٣) و(٣٣٩٢) و(٤٩٥٣) و(٤٩٥٥) و(٤٩٥٦) و(٦٩٨٢) ومسلم (١٦٠) والطيالسي (١٤٦٧) وعبد الرزاق (٩٧١٩) وأبو عوانة (١١٠ ـ ١١٣/ ١) وابن حبان (٣٣) والبغوي في «شرح السنة» (٣٧٣٥) وغيرهم، واللفظ للبخاري].

نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإنْجِيلِ مَا شَاءَ الله أنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ.

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أي ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: ابْنَ أخي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ ما رَأى فَقَالَ وَرَقَةُ: هٰذَا النَّامُوسُ الَّذي أُنزِلَ عَلَىٰ مُوسىٰ، يَا لَيْتَنِي فيهَا جَذَعاً أَكُونُ حَيّاً حينَ يُخْرِجُكَ قَوْمَكَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إلاّ عُودِيَ وَإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّىٰ حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْناً مِنْهُ مِرَاراً كَيْ يَتَرَدَّىٰ مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ الله حَقّاً، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَالِقُ الإصْبَاحِ ضَوْءُ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ وَضَوْءُ القَمَرِ بِاللَّيْلِ. (متفق عليه).

الشرح: قولها رضي الله عنها: (فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح) أي إلا جاءت مطابقة لما يقع في اليقظة تماماً. وقد جاء قول ابن عباس رضي الله عنهما في آخر الحديث مفسراً لقولها: مثل فلق الصبح. فقال: فالق الإصباح: ضوء الشمس بالنهار. وضوء القمر بالليل.

قولها: (فكان يأتي حراء) حراء ـ بالكسر ـ جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، وهو معروف. وفي أعلاه غار معروف يزار، لا يُبلغ إلا بالجهد والمشقة، وفي الصعود إليه من الخطورة ما فيه. وقد صعدت إليه وعاينت ذلك بنفسي. وهو غار فريد من نوعه من حيث مدخله ومخرجه. وهو غار مُطل على البيت الحرام يُرى من بُعد. ومن جلس فيه فكأنما يسبح في عالم الفضاء! حيث تتجلى عظمة الباري سبحانه وتعالى من خلال ما يحيط به من جبال وقمم وصحراء وسماوات وآفاق لا يستشعر عظمتها إلا من عاينها. وسبحان من خلق فأبدع، وصنع فأتقن.

قال في «الفتح»: قال ابن أبي جمرة ـ رحمه الله تعالى ـ: الحكمة في تخصيصه بالتخلي فيه، أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات. الخلوة، والتعبد، والنظر إلى البيت.

وتعقبه الحافظ بقوله: وكأنه مما بقي عندهم من أمور الشرع على سنن الاعتكاف، وقد تقدم أن الزمن الذي كان يخلو فيه، كان شهر رمضان، وأن قريشاً كانت تفعله، كما كانت تصوم عاشوراء.

ويزاد هنا؛ أنهم لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره، لأن جده عبد المطلب، أول من كان يخلو فيه من قريش، وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه. فتبعه على ذلك

من كان يتأله، فكان ﷺ يخلو بمكان جده، وسلم له ذلك أعمامه لكرامته عليهم، والله أعلم.

وقولها: (فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك..) أما معنى يتحنث. يتحنف. أي يتبع الحنيفية وهي دين إبراهيم عليه السلام. والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم. وقد وقع في رواية ابن هشام في «السيرة النبوية»: يتحنف. بالفاء. أو التحنث، إلقاء الحنث، هو الإثم، كما قيل: يتأثم ويتحرج ونحوهما. وأما لفظ: التعبد، فهو مدرج من تفسير الزهري. وأما التزود، فهو استصحاب الزاد.

وأما قوله ﷺ: «فأخذني فغطني» أي ضمني **«حتى بلغ مني الجهد»** أي بلغ مني الجهد مبلغه. ومعنى قوله ﷺ: **«ثم أرسلني»** أي أطلقني. **وأما قوله ﷺ: «فقال ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾»** أي لا تقرأه بقوتك ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته، فهو يعلمك.

وقولها: (فرجع بها) أي بالآيات، أو بالقصة، (ترجف بوادره) البوادر: جمع بادرة، وهي اللحمة ما بين المنكب والعنق. جرت العادة بأنها تضطرب عند الفزع.

وقوله ﷺ: «زملوني» أي غطوني بالرداء ولفوني به. وأما الروع، فهو الفزع. وأما قوله ﷺ: **«قد خشيت على نفسي»** وذلك لشدة ما رأى، فإنه خارج عن المألوف.

وقولها: (وتحمل الكَلَّ) ـ بفتح الكاف ـ وهو الأخرق، لا يستطيع القيام على أمره بنفسه. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل: ٧٦]. والنوائب: الفواجع.

وأما قوله: (هذا الناموس الذي أنزل على موسى) الناموس: صاحب السر. والمراد به هنا جبريل عليه السلام. وقوله: (الذي أنزل على موسى) ولم يقل على عيسى مع كونه نصرانياً، لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام. بخلاف الإنجيل.

وقولها: (كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال) أي يسقط من رؤوس أعالي الجبال. ومعنى (فيسكن لذلك جأشه) أي يهدىء اضطراب قلبه، وتقر نفسه، أي ترتاح وتطمئن. ومعنى (فإذا أوفى) أي أشرف (بذروة جبل) أي بقمة جبل (تبدى) أي ظهر له جبريل عليه السلام. فيرطب له قلبه، ويعيد عليه ما أكده له بأنه رسول الله حقاً.

فائدة: روى البخاري ومسلم وغيرهما، واللفظ للبخاري أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، قال، وهو يحدث عن فترة الوحي ـ فقال في حديثه ـ: **«بينا أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاء في بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه. فرجعت فقلت: زملوني. فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾** [المدثر: ١ ـ ٥]. **فحمي الوحي وتتابع»**[1]. أي جاء كثيراً وتواتر. والرجز: الأوثان.

---

(١) رواه البخاري (٤) ومسلم (١٦١).

٢٥ ـ باب الحيلولة بين الشياطين وبين خبر السماء ببعثة النبي ﷺ. واستماع الجن للقرآن، وتبليغ بعضهم بعضاً ما سمعوه من الهدى

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ إلى قوله ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ١٩].

٣٢٠ ـ عَنْ ابْنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انطَلَقَ النَّبيُّ ﷺ في طَائِفَةٍ مِنْ أَصحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكاظَ، وقدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِين وَبَيْنَ خَبرِ السَّماءِ، وأرسِلَتْ عَلَيهِمُ الشُّهبُ، فَرَجَعَتِ الشَّياطِينُ إلى قَوْمِهِم وَقالُوا: مَا لَكُم؟ فَقَالُ: حِيلَ بَيْنَنا وبينَ خَبر السَّماءِ، وأُرسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهبُ. قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُم وَبَيْنَ خَبرِ السَّماءِ إلاّ شَيءٌ حَدَثَ، فاضرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغارِبَها فانظُروا مَا هٰذا الَّذي حَالَ بَيْنَكم وبَيْنَ خَبرِ السَّماءِ.

فَانصرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوجَّهوا نَحْوَ تِهامَةَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ وهوَ بِنَخْلةَ عامِدِينَ إِلى سُوقِ عُكاظَ وهو يُصلي بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الفَجْرِ، فَلمَّا سَمِعوا القرآنَ استَمعوا لَهُ فَقَالُوا: هٰذا واللهِ الَّذي حَالَ بَيْنَكُم وبَيْنَ خبرِ السَّماءِ. فَهُنالِكَ حِينَ رَجِعُوا إِلى قَومِهم وقَالُوا: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ فأَنزلَ الله تعالى عَلَى نَبيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وإنما أُوحيَ إليهِ قَوْلُ الجِنّ. (متفق عليه).

زاد الترمذي بنفس الإسناد عن ابن عباس قال: قَوْلُ الجِنِّ لِقَوْمِهِمْ ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: لَمَّا رَأَوْهُ يُصَلِّي وَأَصْحَابُهُ يَصَلُّونَ بِصَلاتِهِ فَيَسْجُدُونَ بِسُجودِهِ. قَالَ: فَعَجِبُوا مِنْ طَوَاعِيَةِ أَصْحَابُهُ لَهُ. فَقَالُوا لِقَومِهِم: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

٣٢١ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ الجِنُّ يَسْمَعُونَ الوَحيَ فَيسْتَمِعُونَ الكَلِمةَ فَيَزِيدُونَ فِيهَا عَشْراً، فَيَكُونُ مَا سَمِعُوا حَقاً، وَمَا زَادُوهُ بَاطِلاً. وَكَانَتْ النُّجُومُ لاَ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذٰلِكَ. فَلَمَّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ كَانَ أَحَدُهم لاَ يَأْتِي مَقْعَدَهُ إِلاَّ رُمِيَ بِشِهَابٍ يُحْرِقُ مَا أَصَابَ فَشَكَوْا ذٰلِكِ إِلَى إِبْلِيسَ، فَقَالَ: مَا هٰذا إِلاَّ مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ. فَبَثَّ جُنُودَهُ، فَإِذَا هُمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْ نَخْلَةَ. فَأَتَوْهُ

---

٣٢٠ ـ [رواه أحمد (١/٢٢٧١) والبخاري (٧٧٣ و٤٩٢١) ومسلم (٤٤٩) والترمذي (٣٣٢٣) والنسائي في «الكبرى» (١١٦٢٤ ـ ٦/١١٦٢٥) وابن حبان (٦٥٢٦) وأبو يعلى (٣٣٦٩) وغيرهم، واللفظ للبخاري].

٣٢١ ـ [الرواية الأولى أخرجها أحمد (١/٢٤٨٢) والترمذي (٣٣٢٤) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١٦٢٦) والطبراني في «الكبير» (١٢٨٣١) بإسناد صحيح على شرط الشيخين. ورواه أبو يعلى (٤/٢٥٠٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٣٩ ـ ٢/٢٤١) وأبو نعيم (١٧٧) بإسناد حسن، بألفاظ متقاربة. والرواية الثانية أخرجها أحمد (١/٢٩٧٧) بإسناد على شرط مسلم].

فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: هٰذا الحَدَثُ الَّذِي حَدَثَ في الأَرْضِ. (رواه احمد).

وفي رواية عند أحمد أيضاً بلفظ: كَانَتْ لِلشيَاطِينِ مَقَاعِدُ في السَّماءِ، فَكَانُوا يَسْتَمِعُونَ الوَحْيَ، وَكَانَتِ النُّجُومُ ـ لاَ يُرْمىٰ بِهَا ـ وَكَانَتْ الشَّيَاطِينُ لا تُرْمىٰ. قَالَ: فَإِذَا سَمِعُوا الوَحْيَ، نَزَلُوا إِلَى الأَرْضِ، فَزَادُوا في الكَلِمَةِ تِسْعاً.

فَلَمَّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ، جَعَلَ الشَّيْطَانُ إِذَا قَعَدَ مَقْعَدَهُ، جَاءَهُ شِهَابٌ فَلَمْ يُخطِه حَتَّى يُحْرِقَهُ. قَالَ: فشكُوا ذٰلِكَ إِلَى إِبْلِيسَ، فَقَالَ: مَا هٰذا إلاَّ مِنْ حَدَثٍ حَدَثَ. قَالَ: فَبَثَّ جُنُودَهُ. قَالَ: فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَي نَخْلَةَ. قَالَ: فَرَجِعُوا إِلَى إِبْلِيسَ، فَأَخْبَرُوهُ. قَالَ: فَقَالَ هُو الَّذِي حَدَثَ.

الشرح: عكاظ: هو نخل في وادٍ بين مكة والطائف، وهو إلى الطائف أقرب. بينهما عشرة أميال. وكانت موسم معروف للعرب، كانوا يقيمون به جميع شوال يتبايعون ويتفاخرون وتنشد الشعراء ما تجدد لهم. ثم يأتون مجنة فيقيمون بها عشرين ليلة من ذي القعدة. ثم يأتون ذا المجاز، وهو خلف عرفة. فيقيمون به إلى وقت الحج.

وتهامة ـ بكسر التاء ـ فحدها من جهة الشرق: ذات عرق. ومن قبل الحجاز: السَّرج ـ بفتح السين وسكون الراء ـ قرية من عمل الفرع، بينها وبين المدينة اثنان وسبعون ميلاً.

وأما نخلة ـ بفتح النون ـ موضع بين مكة والطائف، على ليلة من مكة.

وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن، وأنهما لمسمى واحد. وإنما صار صنفين باعتبار الكفر والإيمان. فلا يُقال لمن آمن منهم إنه شيطان. وفيه أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة. وفيه مشروعيتها في السفر. والجهر بالقراءة في صلاة الصبح، وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة، لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر، ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها. ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون. والله تعالى أعلم. قاله الحافظ في «الفتح».

٢٦ ـ باب تحمل النبي ﷺ الصعاب والشدائد في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ورحمته ﷺ لمن آذاه وتطاول عليه.

وتجلي قول الله تعالى فيه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ الآية. [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٣٢٢ ـ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ؛ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ. وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ: إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ ابْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ. فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ.**

فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي. فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي. فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ. فَنَادَانِي. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ. وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ. وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ. وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ. فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**». (متفق عليه).

الشرح: قوله ﷺ: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال. فلم يجبني إلى ما أردت» قال في «الفتح»: وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف. قال: وذكر موسى بن عقبة في «المغازي» عن ابن شهاب أنه ﷺ لمَّا مات أبو طالب، توجه إلى الطائف رجاء أن يؤووه، فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم، وهم إخوة عبد ياليل، وحبيب ومسعود بنو عمرو فعرض ﷺ عليهم نفسه، وشكى إليهم ما انتهك منه قومه. فردوا عليه أقبح ردٍّ. وكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد مطولاً. وذكر ابن سعد؛ أن ذلك كان في شوال سنة عشر من المبعث، وأنه كان بعد موت أبي طالب وخديجة.

وقوله ﷺ: **«فانطلقت وأنا مهموم على وجهي»** أي سرت في الجهة المواجهة لي من غير دراية ولا تحديد لمسار معين.

وقوله ﷺ: **«فلم أستفق إلا بقرن الثعالب»** أي فما وجدت نفسي إلا وأنا بقرن الثعالب. وذلك لما غشيه ﷺ من الهم، فلم يشعر بطريقه إلا وهو في هذا الموضع، وهو قريب من قرن المنازل، الذي هو ميقات أهل العراق، وهو على يوم من مكة. وأفاد ابن سعد أن مدة إقامته ﷺ بالطائف كانت عشرة أيام. **وقوله عليه السلام: «يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال»** أي الموكل بها وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، وما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» الأخشبان: جبلا مكة. و«أطبق» أي: أجعلهما عليهم كالطبق.

وقوله ﷺ: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً»** يتجلى

---

٣٢٢ ـ [رواه البخاري (٣٢٣١) و(٧٣٨٩) ومسلم (١٧٩٥) والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٧٧٠٦) والآجري في «الشريعة» (ص/ ٤٥٩) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢١٣) وابن حبان (٦٥٦١) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٤٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٧٦) واللفظ لمسلم].

فيه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وعظيم صبره وحلمه، وعدم انتصاره لنفسه، وكذا عميق فكره وبُعْد نظره لما فيه مصلحة البشرية بأسرها. وصدق من قال فيه ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] والله تعالى أعلم، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

٢٧ ـ باب بشرى السيدة خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩].

٣٢٣ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبيَّ ﷺ: فَقَالَ: **«يَا رَسُولَ اللَّهِ، هٰذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ»** (متفق عليه).

ورواه ابن حبان بلفظ: أَتَى جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: **«يَا رَسُولَ اللَّهِ، هٰذِهِ خَدِيجَةُ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلاَمَ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ سَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ»**.

٣٢٤ ـ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبي لَيْلَى: أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ، فَجَاءَتْ خَدِيجَةُ. فَقَالَ النَّبيّ ﷺ: **«يَا جِبْرِيلُ هٰذِهِ خَدِيجَةُ»** فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: **«اقْرَأْهَا مِنَ اللَّهِ السَّلاَمَ وَمِنِّي»** (رواه الطبراني).

٣٢٥ ـ وَعنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إلى النَّبيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ خَدِيجَة، قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ يُقْرِىءُ خَدِيجَةَ السَّلاَمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَعَلَى جِبْرِيلُ السَّلاَمُ، وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»** (رواه النسائي).

الشرح: قوله عليه السلام: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت» أي توجهت إليك «معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب» الشك من الراوي «فإذا هي أتتك» أي فإذا وصلت إليك **«فاقرأ عليها**

---

٣٢٣ ـ [رواه أحمد (٣/٧١٥٩) والبخاري (٣٨٢٠) و(٧٤٩٧) ومسلم (٢٤٣٢) والنسائي في «الكبرى» (٥/٨٣٥٨) والحاكم (٣/٤٨٥١) وابن حبان (٧٠٠٩) والبغوي في «شرح السنة» (٣٩٥٣) واللفظ الأول للبخاري].

٣٢٤ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (٢٤/١٥) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/١٥٢٨٢) وقال: رواه الطبراني مرسلاً، ورجاله رجال الصحيح].

٣٢٥ ـ [رواه النسائي في «الكبرى» (٥/٨٣٥٩) وإسناده حسن].

السلام من ربها ومني» أي فبلغها السلام من الله تعالى جل جلاله. ومني **«وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»** أما الصخب، فهو اختلاط الأصوات وارتفاعها، والنصب: التعب.

وأما قوله: **«ببيت في الجنة من قصب»** قال جمهور العلماء: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف، كالقصر المنيف. وقيل: قصب من ذهب منظوم بالجوهر. قال أهل اللغة: القصب من الجوهر، ما استطال منه في تجويف. قالوا: ويقال لكل مجوف: قصب. وقد جاء في الحديث مفسراً «ببيت من لؤلؤة محياة» وفسروه بمجوفة قال الخطابي وغيره: المراد بالبيت هنا: القصر. ذكره النووي.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال ابن التين: المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف.

وقد روى البخاري وغيره من طريق إسماعيل بن أبي خالد. قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما؛ بشَّر النبي ﷺ خديجة؟ قال: نعم، ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب[١].

قال الحافظ ابن حجر: ورواه الطبراني في «الأوسط» من طريق أخرى عن ابن أبي أوفى «يعني قصب اللؤلؤ» وعنده في «الكبير» من حديث أبي هريرة «بيت من لؤلؤة مجوفة» وأصله في مسلم. وعنده في «الأوسط» من حديث فاطمة رضي الله عنها، قالت: قلت يا رسول الله، أين أمي خديجة؟ قال: **«في بيت من قصب»** قلت: أمن هذا القصب؟ قال: **«لا، من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت»**.

قال السهيلي: النكتة في قوله ﷺ: **«من قصب»**، ولم يقل من لؤلؤ، في أن لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها. ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع هذا الحديث. اهـ.

قال الحافظ: وفي القصب، مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها، إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن ولم يصدر منها ما يغضبه قط، كما وقع لغيرها.

أما قوله ﷺ: **«ببيت»** فقال أبو بكر الاسكاف في «فوائد الأخبار»: المراد به بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها، ولهذا قال: **«لا نصب فيه»** أي لم تتعب بسببه.

قال السهيلي: لذكر البيت معنى لطيف، لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث، ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به. فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضاً غيرها. قال: وجزاء الفعل يُذكر غالباً بلفظه وإن كان أشرف منه. فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر.

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٩).

٢٨ ـ باب دخول النبي ﷺ الجنة، ورؤيته لبعض ما أعده الله تعالى لبعض صحابته

٣٢٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتنِي في الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلى جَانِبِ قَصْرٍ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هٰذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غِيرتَهُ. فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً» فَبَكَىٰ عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! (متفق عليه).

٣٢٧ ـ وَعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ: «رَأَيْتُني دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فإذَا أَنَا بالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ مَنْ هٰذَا؟ فَقَالَ: هٰذَا بِلالٌ. وَرَأَيْتُ قَصْراً بِفِنَائِهِ جَارِيةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هٰذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيهِ، فَذَكَرْتُ غِيرَتَكَ». فَقَالَ عُمرُ: بِأَبي وَأُمي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ!

٣٢٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قَصْراً مِنْ ذَهَبٍ. فَقُلْتُ لِمَنْ هٰذَا؟ قَالُوا لِفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ. فَظَنَنْتُهُ لِي، فَإِذَا هُوَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ».

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ إِلاَّ مَا أَعْرِفُ مِنْ غِيرتُكَ» قَالَ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كُنتُ أَغَارُ عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَغَارُ عَلَيْكَ. (رواه أحمد).

وفي لفظ له: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هٰذَا القَصْرُ؟ قَالُوا لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ. قُلْتُ لِمَنْ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» قَالَ: «فَلَوْلاَ مَا عَلِمْتُ مِنْ غِيرَتِكَ لَدَخَلْتُهُ» فَقَالَ عُمرُ: عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ!

وفي لفظ له أيضاً: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قَصْراً مِن ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هٰذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ. فَظَنَنْتُ أَنّي أَنَا هُوَ، فَقُلْتُ: مَنْ؟ قَالُوا: عُمَرُ بْنِ الخَطَّابِ».

٣٢٩ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: هٰذِهِ الغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ، أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ» (رواه مسلم).

٣٣٠ ـ وَعَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلالاً فَقَالَ: «يَا

---

٣٢٦ ـ [رواه أحمد (٨٤٧٨/ ٣) والبخاري (٣٢٤٢) ومسلم (٢٣٩٥) والنسائي في «الكبرى» (٨١٢٩/ ٥) وابن ماجه (١٠٧) وابن حبان (٦٨٨٨) والبغوي في «شرح السنة» (٣٢٩١) واللفظ للبخاري].

٣٢٧ ـ [رواه أحمد (١٤٣٢٥/ ٥) والبخاري (٣٦٧٩) ومسلم (٢٣٩٤) والنسائي في «الكبرى» (٨٢٣٥/ ٥) والحميدي (١٢٣٥) والبغوي في «شرح السنة» (٣٨٧٨) وغيرهم].

٣٢٨ ـ رواه أحمد (١٢٠٤٦ ـ ١٢٨٣٤ ـ ١٢٩٨٢ ـ ١٣٧٧٧/ ٤) والترمذي (٣٦٨٨) والنسائي في «الكبرى» (٨١٢٧/ ٥) وابن حبان (٥٤) و(٦٨٨٧) بألفاظ متقاربة. وإسناده صحيح على شرط مسلم].

٣٢٩ ـ [رواه أحمد (١٢٠٣٥ ـ ١٢٢٥٨/ ٤) ومسلم (٢٤٥٦) واللفظ له].

٣٣٠ ـ [رواه أحمد (٢٣٠٥٧ و ٢٣١٠٢/ ٩) والبغوي (١٠١٢)، والترمذي (٣٦٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٨٦) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

بلالُ بِمَ سَبقتني إلى الجنّةِ! إنّي دَخلتُ الجنّةَ البَارِحَةَ فَسَمِعتُ خشخشتَكَ أمامي فأتيتُ على قصرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرَبّعٍ فقُلْتُ: لِمَنْ هذا القصْرُ؟ قالوا: لِرَجُلٍ مِنْ أُمّةِ محمدٍ، قلتُ: فأنا محمدٌ لمنْ هذا القصْرِ؟ قالوا: لِرَجُلٍ مِنَ العَرَبِ، قُلتُ: أنا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هذا القصْرُ؟ قالوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قلتُ: فأنا قُرَشِيٌّ، لِمَنْ هذا القصْرُ؟ قالوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطّابِ».

فَقَالَ بلالٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ما أَذَّنتُ قَطُّ إلاَّ صَليتُ رَكْعَتينِ، وَمَا أَصَابَني حَدَثٌ قَطُّ إلاَّ تَوَضَّأتُ عِندَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِهذَا». (رواه أحمد).

ورواه الترمذي بلفظ قريب، وفيه قول بلال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إلاَّ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابني حَدَثٌ قَطُّ إلاَّ تَوَضَّأْتُ عِندَهَا، وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بِهِمَا**».

ورواه ابن حبان بلفظ: «**مَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ إلاَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هذَا؟ فَقَالُوا: بِلالٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِقَصْرٍ مَشِيدٍ بَدِيعٍ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هذَا؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، لِمَنْ هذَا القَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنَ العَرَبِ، فَقُلْتُ: أَنَا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هذَا القَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ لِبِلال: «**بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ؟**» قَالَ: مَا أَحْدَثْتُ إلاَّ تَوَضَّأْتُ، وَمَا تَوَضَّأْتُ إلاَّ صَلَّيْتُ.

وَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ: «**لَوْلاَ غِيرَتُكَ لَدَخَلْتُ القَصْرَ**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَكُنْ لأَغَارُ عَلَيْكَ.

٣٣١ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ خَشْخَشَةً أَمَامَهُ، فَقَالَ: «**مَنْ هذَا؟ قَالُوا: بِلالٌ**» فَأَخْبَرَهُ وَقَالَ: «**بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْدَثْتُ إلاَّ تَوَضَّأْتُ، وَلاَ تَوَضَّأْتُ إلاَّ رَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ أُصَلِّيهِمَا. قَالَ ﷺ: «**بِهَا**». (رواه ابن حبان).

الشرح: قوله رضي الله عنه: (أعليك أغار يا رسول الله) هو من المقلوب، والأصل: أعليها أغار منك.

وقوله ﷺ: «**فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب القصر**» أي أنها تتوضأ خارجة منه، والجنة لا تكليف فيها، فتحتمل التأويل، ذلك أن رؤيا المنام لا تُحمل دائماً على الحقيقة. قال أهل التعبير: رؤية الوضوء في المنام وسيلة إلى سلطان أو عمل.

قال القرطبي: إنما توضأت لتزداد حسناً ونوراً، لا أنها تزيل وسخاً ولا قذراً، إذ الجنة منزهة عن ذلك.

وقوله ﷺ: «**رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء، امرأة أبي طلحة**» قال ابن عبد البر: أم سليم

---

٣٣١ ـ [رواه ابن حبان (٧٠٨٧) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٥٠/١) وإسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه الحاكم (١١٧٩/١) بلفظ قريب].

هي الرميصاء، والغميصاء. والمشهور فيه ـ للغين ـ وأختها: أم حرام الرميصاء. ومعناهما متقارب. والرمص والغمص: قذى يابس وغير يابس يكون في أطراف العين. وهذا منقبة ظاهرة لأم سليم.

وقوله ﷺ: **«وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال»** قال أبو عبيد: الخشفة: الصوت ليس بالشديد، قيل: وأصله صوت دبيب الحية. ومعنى الحديث هنا، ما يُسمع من حس وقع القدم. وفي «الصحيح» عند البخاري ومسلم وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الغداة: **«يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة»** قال بلال: ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار، إلا صليت بذلك الطهور، ما كتب الله لي أن أصلي(١). لفظ مسلم.

قال ابن الجوزي فيه الحث على الصلاة عقب الوضوء لئلا يبقى الوضوء خالياً عن مقصوده. وقال المهلب: فيه أن الله يعظم المجازاة على ما يسره العبد من عمله. وفيه سؤال الصالحين عما يهديهم الله له من الأعمال الصالحة ليقتدي بها غيرهم في ذلك. وفيه أيضاً سؤال الشيخ عن عمل تلميذه ليحضه عليه ويرغبه فيه إن كان حسناً، وإلا فينهاه. واستدل به على جواز هذه الصلاة في الأوقات المكروهة لعموم قوله: في كل ساعة.

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث منقبة عظيمة لبلال. وفيه استحباب إدامة الطهارة. ومناسبة المجازاة على ذلك بدخول الجنة؛ لأن من لازم الدوام على الطهارة، أن يبت المرء طاهراً، ومن بات طاهراً عرجت روحه فسجدت تحت العرش، كما رواه البيهقي في «شعب الإيمان» موقوفاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه قال: **«إن الأرواح يُعرج بها في منامها وتؤمر بالسجود عند العرش، فمن كان طاهراً سجد عند العرش ومن كان ليس بطاهر سجد بعيداً من العرش»**(٢)، والعرش سقف الجنة، كما جاء في «الصحيح». وفي الحديث أن الجنة موجودة الآن خلافاً لمن أنكر ذلك.

٢٩ ـ باب في صفة الكوثر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

٣٣٢ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ المَاءُ. فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ. قُلْتُ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ»**. (رواه أحمد).

---

(١) رواه البخاري (١١٤٩) ومسلم (٢٤٥٨).

(٢) رواه البيهقي (٢٧٨١/ ٣).

٣٣٢ ـ [أخرجه أحمد (١٢٦٧٥/ ٤) والبخاري (٤٩٦٤) و(٦٥٨١) وأبو داود (٤٧٤٨) والترمذي (٣٣٥٩) و(٣٣٦٠) والنسائي في «الكبرى» (١١٧٠٦/ ٦) وابن حبان (٦٤٧١) و(٦٤٧٢) و(٦٤٧٣) و(٦٤٧٤) وغيرهم].

ورواه البخاري بلفظ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِيبُهُ ـ أَوْ ـ طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ».

وفي لفظ عند البخاري أيضاً. قال أنس: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّماءِ، قَالَ: «أَتَيتُ عَلَى نَهرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفٌ، فَقُلْتُ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا الكَوْثَرُ».

وفي رواية عند ابن حبان بلفظ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهرٍ يَجْرِي، بَيَاضُهُ بَيَاضُ اللَّبنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَحَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ. فَضَرَبْتُ بِيَدِي، فَإِذَا الثَّرى مِسْكٌ أَذْفَرُ. فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَا هٰذَا؟ فَقَالَ: هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعطَاكَهُ اللَّهُ».

وفي لفظ له أيضاً: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذْ عُرِضَ لِي نَهرٌ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ» فَقَالَ المَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: «أَتَدرِي مَا هٰذَا؟ هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعطَاكَ رَبُّكَ. وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى أَرْضِهِ، فَأَخرَجَ مِنْ طِينِهِ المِسْكَ».

ورواه أبو داود بلفظ: لَمَّا عُرِجَ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فِي الجَنَّةِ، عُرِضَ لَهُ نَهْرٌ حَافَتَاهُ اليَاقُوتُ المُجَيَّبُ ـ أَوْ قَالَ ـ المُجَوَّفُ. فَضَرَبَ المَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكاً. فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِلْمَلَكِ الَّذِي مَعَهُ: «مَا هٰذَا؟» قَالَ: «هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعطَاكَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ».

ورواه الترمذي في إحدى روايته بلفظ: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذْ عَرَضَ لِي نَهرٌ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ. قُلْتُ لِلْمَلَكِ: مَا هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعطَاكَهُ اللَّهُ» قَالَ: «ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينَةٍ فَاسْتَخرَجَ مِسكاً، ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهى، فَرَأَيتُ عِنْدَهَا نُوراً عَظِيماً».

ورواه النسائي بلفظ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهرٍ حَافَتَاهُ اللُّؤْلُؤِ. فَغَرَفْتُ بِيَدِي فِي مَجْرَىٰ مَائِهِ، وَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ. قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعطَاكَهُ اللَّهُ».

٣٣٣ ـ وَعَنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذَا أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً. فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ». فَقَرَأَ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. عَلَيهِ خَيرٌ كَثِيرٌ. هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ. آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ. فَيُخْتَلَجُ العَبْدُ مِنْهُمْ. فَأَقُولُ: رَبِّ! إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ».

وفي رواية له بلفظ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي المَسْجِدِ. وَقَالَ: «مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ». (رواه مسلم).

---

٣٣٣ ـ [رواه أحمد (٤/١١٩٩٦) ومسلم (٤٠٠) وأبو داود (٧٨٤) و(٤٧٤٧) والنسائي في «المجتبى» (٩٠٣) وفي «الكبرى» (٦/١١٧٠٢)].

الشرح: قوله جل وعلا: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ روى البخاري وغيره، بإسناده عن أبي عبيدة، عن عائشة قال: سألتها عن قوله تعالى: **﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾** قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه دُرٌ مُجوفٌ، آنيته كعدد نجوم السماء. ورواه النسائي في «الكبرى» بلفظ: «قلت لعائشة: ما الكوثر قالت: نهر أُعْطِيهُ رَسول الله ﷺ في بُطنان الجنة. قلت: وما بُطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافتاه دُرُ مُجوف»(١).

وفي البخاري أيضاً من طريق أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بِشر لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة. فقال سعيد: النهر الذي في الجنة، من الخير الذي أعطاه الله إياه(٢).

وعند النسائي في «الكبرى» من حديث أنس، أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: **«نهر أعطانيه ربي في الجنة، هو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل. فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر»** قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله إنها لناعمة. قال: **«أكلها أنعم منها»**(٣).

وقد أخرج الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الكوثر، نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه من الدُرّ والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل. وأبيضُ من الثلج»**(٤) قال الترمذي: هذا حديث صحيح. وأكثر أهل العلم على أن المراد بالكوثر، النهر الذي يصب في الحوض. وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في أحوال يوم القيامة.

قوله ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ» أي على حافتاه خيام اللؤلؤ. وفي الرواية الثانية **«حافتاه قباب الدرّ المجوف»** وفي الرواية الأخرى **«حافتاه اللؤلؤ مجوف»**، أي ليكون هذا التجويف الذي لا يمكن وصفه، مسكناً لأهل الجنة. جعلنا الله تعالى من أهلها ومن سكانها في فردوسه الأعلى اللهم آمين.

وفي «صحيح البخاري» وغيره، من طريق أبي بكر بن عبد الله بن قيس الأشعري، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: **«الخيمة دُرَّةٌ مجوفة، طولها في السماء ثلاثون ميلاً، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون»**(٥)، وفي رواية عند البخاري أيضاً بلفظ: **«عرضها ستون ميلاً»**(٦).

وأما قوله ﷺ: «فيختلج العبد منهم» أي ينتزع ويقتطع.

بشرى: روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال

---

(١) رواه النسائي (٦/١١٧٠٥).
(٢) رواه البخاري (٤٩٦٦).
(٣) رواه النسائي (٦/١١٧٠٣).
(٤) رواه الترمذي (٣٣٦١).
(٥) رواه البخاري (٣٢٤٣).
(٦) رواه البخاري (٤٨٧٩).

رسول الله ﷺ: «**قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**»[1].

٣٠ ـ باب في رحمته ﷺ لأمته، واستجابة رب العالمين لدعوته

٣٣٤ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمرو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ في إبْراهِيمَ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**» وَبَكَى.

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ـ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ـ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ فَسَأَلَهُ. فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ**» (رواه مسلم).

الشرح: قوله عن النبي ﷺ أنه: **رفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي» وبكى. فقال الله عز وجل «يا جبريل، اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ فسأله. فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»**.

قال الإمام النووي: **هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد**:

منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم. ومنها استحباب رفع اليدين في الدعاء.

ومنها: البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً بما وعدها الله تعالى بقوله: «**سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**» وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها.

ومنها: بينا عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ والحكمة في إرسال جبريل ـ عليه السلام ـ لسؤاله ﷺ إظهار شرف النبي ﷺ وأنه بالمحل الأعلى فيسترضى ويكرم بما يرضيه.

وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، وأما قوله تعالى «ولا نسوؤك» فقال صاحب «التحرير»: هو تأكيد للمعنى، أي؛ لا نحزنك، لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم، ويُدخل الباقي النار. فقال تعالى ـ ما معناه ـ نرضيك، ولا ندخل عليك حزناً بل ننجي الجميع، اهـ.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤).

٣٣٤ - [رواه مسلم (٢٠٢) وابن منده (٩٢٤) وابن حبان (٧٢٣٤) و(٧٢٣٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٤١ ـ ٣٤٢/٢) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٣٧)].

٣١ ـ باب في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨].

قال الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١ ـ ١١].

٣٣٥ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**سَأَلْتُ اللَّهَ مَسْأَلَةً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ. ذَكَرْتُ رُسُلَ رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ سَخَّرتَ لِسُلَيمانَ الرِّيحَ، وَكَلَّمْتَ مُوسىٰ. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَيْتُكَ. وَضَالاً فَهَدَيْتُكَ. وَعَائِلاً فَأَغْنَيْتُكَ**.

قَالَ: «**فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَوَدِدْتُ أَنْ لَمْ أَسْأَلْهُ**» (رواه الحاكم).

* * *

٣٣٥ ـ [رواه الحاكم في «مستدركه» (٢/٣٩٤٤) وصححه، وأقرّه الذهبي. وهو كما قالا. فالحديث رواه حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به، وعطاء بن السائب قد تغير بآخرة، غير أن روايته عن حماد ومحله الصدق قبل أن يختلط. قال النسائي؛ ثقة في حديثه القديم، إلا أنه تغير. ورواية حماد بن زيد، وشعبة وسفيان عنه جيدة. اهـ. أقول: وهذا منها. وباقي رجال الإسناد ثقات. وقال أبو النعمان عن يحيى القطاف: سمع منه حماد بن زيد قبل أن يتغير. اهـ. وقد روى له البخاري حديثاً واحداً متابعه في الحوض. «التهذيب» (٥/٤٧٢٨)].

٢٣ ـ كتاب المناقب

١ ـ باب في فراسة عمر رضي الله عنه، وصدق ظنه

روى البخاري، من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُم مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ»**[١].

وفي لفظ له أيضاً: **«لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُم مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ»**.

فائدة في موافقات القرآن لعمر رضي الله عنه: روى الإمام أحمد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»**[٢].

وقد صنف العلماء الأفاضل رحمهم الله تعالى فصولاً في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي كل ما ورد من موافقته للقرآن ونحو ذلك. وقد جمعها الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه «تاريخ الخلفاء» (١١٤ ـ ١١٦).

٢ ـ باب بشرى جبريل عليه السلام للنبي ﷺ بأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة. رضي الله عنهم

٣٣٦ ـ عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلتني أُمّي: منذُ مَتى عَهْدَكَ بِالنبيِّ ﷺ؟ قَالَ: فقلتُ لهَا: مُنذُ كَذا وكَذَا، قَالَ: فَنَالتْ مني وسبتني، قالَ: فقلتُ لها: دَعِيني. فإني آتيَ النبيَّ ﷺ فَأُصلِّي مَعَهُ المغرِبَ، ثُمَّ لا أَدَعَهُ حَتَّى يَسْتَغفر لي ولَكِ، قالَ فأتيتُ النبيَّ ﷺ فَصَلّيتُ معهُ المغربَ، فَصَلَّىٰ النبيُّ ﷺ العِشَاءَ، ثُمَّ انْتَقَلَ فتبعته فعرضَ لَهُ عَارِضٌ فنَاجَاهُ، ثُمَّ ذَهَبَ، فَأَتبعتهُ فَسَمِعَ صَوْتي فَقَالَ: **«مَنْ هٰذَا؟»** فَقُلتُ: حُذيفة، قالَ: **«مَا لَكَ»** فَحدثتُهُ بِالأَمْرِ، فَقَالَ: **«غَفَرَ اللَّه لَكَ وَلأُمِّكَ»**. ثُمَّ قالَ: **«أَما رَأَيتَ العَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ»** قَالَ: قلتُ: بَلَى.

قال: **«فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ لَمْ يَهْبِطْ الأَرْضَ قَبْلَ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ فَاسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ**

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٩).

(٢) رواه الإمام أحمد (٩٢٢٤/٣) وغيره بإسناد صحيح.

٣٣٦ ـ [رواه أحمد (٢٣٣٨٩ ـ ٢٣٣٩٠/٩) والترمذي (٣٧٨١) والحاكم (٥٦٣٠/٣) وابن حبان (٦٩٦٠) والطبراني (٢٦٠٧/٣) والنسائي في «الكبرى» (٨٢٩٨ و٨٣٦٥/٥) وإسناده جيد، واللفظ الأول لأحمد، وبنحوه لفظ النسائي].

وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». (رواه أحمد).

ورواه ابن حبان مختصراً بلفظ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ المَغْرِبَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ. ثُمَّ خَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ، فَقَالَ: «عَرَضَ لي مَلَكٌ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَبَشَّرَنِي: أَنَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ».

ورواه الحاكم بلفظ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَقَالَ: إِنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ» ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غَفَرَ اللهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ يَا حُذَيْفَةُ».

ورواه أحمد أيضاً من طريق الشعبي، عن حذيفة قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الظُّهْرَ والعَصْرَ والمَغْرِبَ والعِشَاءَ، ثُمَّ تَبِعْتُهُ وَهُوَ يُرِيدُ يَدْخُلُ بَعْضَ حِجَرِهِ، فَقَامَ وَأَنَا خَلْفَهُ، كَأَنَّهُ يُكَلِّمُ أَحَداً، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «مَنْ هٰذَا»؟ قُلْتُ: حُذَيْفَةُ: قَالَ: «أَتَدْرِي مَنْ كَانَ مَعِي»؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ يُبَشِّرُنِي أَنَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ» قَالَ: فَقَالَ حُذَيْفَةُ: فَاسْتَغْفِرْ لِي وَلِأُمِّي. قَالَ: «غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا حُذَيْفَةُ وَلِأُمِّكَ».

٣ ـ باب من فضل أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه

٣٣٧ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيٍّ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]، قَالَ: وَسَمَّانِي. قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَىٰ. (متفق عليه).

وفي لفظ عند مسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ لِي» قَالَ أَنَس: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي.

وفي لفظ للبخاري: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ القُرْآنَ» قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ.

٣٣٨ ـ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» فَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] فَقَرَأَ فِيهَا: إِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللهِ الحَنِيفِيَّةُ المُسْلِمَةُ، لاَ اليَهُودِيَّةُ وَلاَ النَّصْرَانِيَّةُ، مَنْ يَعْمَلْ خَيْراً فَلَنْ يُكْفَرَهُ. وَقَرَأَ

---

٣٣٧ ـ [رواه أحمد (١٣٨٨٥/ ٤) والبخاري (٣٨٠٩ و٤٩٥٩ و٤٩٦٠ و٤٩٦١) ومسلم (٧٩٩) والترمذي (٣٧٩٢) والنسائي في «الكبرى» (١١٦٩١/ ٦) و (٨٢٣٨/ ٥) وابن حبان (٧١٤٤) وأبو يعلى (٢٨٤٣ و٢٩٩٥) وابن سعد في «الطبقات» (٣٤٠/ ٢) و (٤٩٩/ ٣) وغيرهم، واللفظ الأول للبخاري].

٣٣٨ ـ [رواه أحمد (٢١١٩٤ ـ ٢١٢٦٠ ـ ٢١٢٦١/ ٨) والترمذي (٣٧٩٣ و ٣٨٩٨) والطيالسي (٥٣٩) والحاكم (٢٨٨٩/ ٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. واللفظ الأول له. وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، عند أحمد (٢١١٦٩/ ٨) وابن حبان (٣٢٣٧) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

عَلَيْهِ: وَلَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِياً مِنْ مَالٍ لابْتَغَىٰ إِلَيْهِ ثَانِياً، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِياً لاَبْتَغَىٰ إِلَيْهِ ثَالِثاً، ولاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ». (رواه الترمذي).

وفي رواية له أيضاً بلفظ: «. . . إِنَّ ذَاتَ الدِّين عِنْدَ اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ المُسْلِمَةُ، لاَ اليَهُودِيَّةُ وَلاَ النَّصْرَانِيَّةُ، وَلاَ المَجُوسِيَّةُ. . .» ثم ذكره بنحوه.

ورواه أحمد بنحو اللفظ الأول غير أن فيه: «وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ سَأَلَ وَادِياً مِنْ مَالٍ فَأُعْطِيهِ لَسَأَلَ ثَانِياً، فَأُعْطِيهِ لَسَأَلَ ثَالِثاً، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنَ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ، وَإِنَّ ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ عِنْدَ اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ غَيْرُ المُشْرِكَةُ، وَلاَ اليَهُودِيَّةُ وَلاَ النَّصْرَانِيَّةُ، وَمَنْ يَفْعَلْ خَيْراً فَلَنْ يُكْفَرَهُ».

الشرح: وقوله ﷺ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك» ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]، قال: وسماني. قال: «نعم» فبكى. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: أما بكاؤه فبكاء سرور واستصغار لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة، وإعطائه هذه المنزلة.

والنعمة فيها من وجهين:

أحدهما: كونه منصوصاً عليه بعينه. ولهذا قال: وسماني. معناه نص علي بعيني أو قال: اقرأ على واحد من أصحابك. قال ﷺ: «بل سماك» فتزايدت النعمة.

والثاني: قراءة النبي ﷺ فإنها منقبة عظيمة له لم يشاركه فيها أحد من الناس. وقيل: إنما بكى خوفاً من تقصيره في شكر هذه النعمة. وأما تخصيص هذه السورة بالقراءة، فلأنها مع وجازتها جامعة لأصول وقواعد ومهمات عظيمة. وكان الحال يقتضي الاختصار.

وأما الحكمة في أمره بالقراءة على أُبيّ: قال المازري، والقاضي: هي أن يتعلم أُبيّ ألفاظه، وصيغة أدائه، ومواضع الوقوف، وصنع النغم في نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع، وقدره، بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره. ولكل ضرب من النغم مخصوص في النفوس. فكانت القراءة عليه ليتعلم منه.

وقيل: قرأ عليه ليسن عرض القرآن على حفاظه البارعين فيه المجدين لأدائه، وليسن التواضع في أخذ الإنسان القرآن، وغيره من العلوم الشرعية من أهلها، وإن كانوا دونه في النسب، والدين، والفضيلة، والمرتبة، والشهرة، وغير ذلك. ولينبه الناس على فضيلة أُبيّ في ذلك، ويحثهم على الأخذ منه، وكان كذلك، فكان بعد النبي ﷺ رأساً وإماماً مقصوداً في ذلك مشهوراً به. والله أعلم.

قال: وفي الحديث فوائد كثيرة:

منها: المنقبة الشريفة لأُبيّ بقراءة النبي ﷺ عليه، ولا يُعلم أحد من الناس شاركه في هذا. ومنها منقبة أخرى له، بذكر الله تعالى، ونصه عليه في هذه المنزلة الرفيعة. البكاء للسرور والفرح مما يُبشر الإنسان به، ويُعطاه من معالي الأمور.

وأما قوله في الحديث الثاني: . . . إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة. . إلى آخره

فيحتمل أنه كان من القرآن ثم رُفع. وعليه أكثر أهل العلم.

٤ ـ باب من فضائل حارثة بن النعمان رضي الله عنه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

٣٣٩ ـ عَنِ السيدةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«نِمْتُ فَرَأَيْتني في الجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِىءٍ يَقْرَأ. فَقُلْتُ: مَنْ هٰذا؟ قَالُوا: هٰذَا حَارِثَةُ بنِ النُّعْمانِ»**.

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«كَذٰلِكَ البِرُّ، كَذٰلِكَ البِرُّ»** وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ. (رواه أحمد).

ورواه النسائي بلفظ: **«نِمْتُ فَرَأَيْتني في الجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قِرَاءةٍ تُقْرَأ! فَقُلْتُ: قِرَاءَةُ مَنْ هٰذا؟ فَقيل: قِرَاءَةُ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ»**.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«كَذٰلِكَ البِرُّ، كَذٰلِكَ البِرُّ، كَذٰلِكَ البِرُّ، كَذٰلِكَ البِرُّ»** وَكَانَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ بِأُمِّهِ.

ورواه ابن حبان بلفظ: **«بَيْنَا أَنَا أَدُورُ في الجَنَّةِ، سَمِعْتُ صَوْتَ قَارِىءٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰذا؟ فَقَالُوا: حَارِثَةُ بْنِ النُّعْمانُ، كَذٰلِكَ البِرُّ»** وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ.

٣٤٠ ـ وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَامُ جَالِسٌ في المَقَاعِدِ، فَسلمتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَجزْتُ، فَلَمَّا رَجَعتُ وَانْصَرَفَ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: **«هَلْ رَأَيْتَ الَّذِي كَانَ مَعِي»؟** قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: **«فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ»**. (رواه أحمد).

٣٤١ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ حَارِثَةُ بنِ النُّعْمَانِ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَاجِيهِ، فَلَمْ يُسَلِّمْ فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«مَا مَنَعَهُ أَنْ يُسَلِّمَ؟ إِنَّهُ لَوْ سَلَّمَ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ»** ثُمَّ قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُ مِنَ الثَّمَانِينَ»**.

---

٣٣٩ ـ [رواه أحمد (٩/٢٥٢٣٧) والنسائي في «الكبرى» (٥/٨٢٣٣) وابن حبان (٧٠١٤) و(٧٠١٥) وأبو يعلى (٤٤٢٥) والحاكم (٣/٤٩٢٩) والبغوي في «شرح السنة» (٣٤١٨) وعبد الرزاق (٢٠١١٩) وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» وعزاه لأحمد ولأبي يعلى وقال: ورجاله رجال الصحيح اهـ. وفي الباب عن أبي هريرة عند النسائي في الكبرى» (٥/٨٢٣٤)].

٣٤٠ ـ [رواه أحمد (٩/٢٣٧٣٨) والطبراني في «الكبير» (٣٢٢٦) وإسناده صحيح، وأورده ابن حجر في «الإصابة» (١/٣١٢) وقال: إسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/١٥٧٣٧) وعزاه لأحمد والطبراني، وقال: ورجالهما رجال الصحيح].

٣٤١ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (٣/٣٢٢٥) والبزار (٣/٢٧١٠) و(٢٧١١) ـ كشف الأستار ـ وأورده الحافظ في «الإصابة» (١/٣١٢/٣١٣) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/١٥٧٤١) وقال: رواه الطبراني والبزار بنحوه، وإسناده حسن، رجاله كلهم وثقوا، وفي بعضهم خلاف].

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«وَمَا الثَّمَانُونَ»**؟ قَالَ: **«يَفِرُّ النَّاسُ عَنْكَ غَيْرَ ثَمَانِينَ، فَيَصْبِرُونَ مَعَكَ. رِزْقُهُمْ وَرِزْقُ أَوْلَادِهِمْ عَلَى اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ»**.

فَلَمَّا رَجَعَ حَارِثَةُ، سَلَّمَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَلَا سَلَّمْتَ حِينَ مَرَرْتَ»**! قَالَ: رَأَيْتُ مَعَكَ إِنْسَاناً، فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَ حَدِيثَكَ. قَالَ: **«فَرَأَيْتَهُ»**؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: **«ذَاكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ قَالَ»** فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (رواه الطبراني).

٣٤٢ ـ وَعَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ: حَدثني أَبُو سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُنَاجِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَزَعَمَ أَبُو سَلَمَةَ: أَنَّهُ تَجَنَّبَ أَنْ يَدْنُو مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَخَوُّفاً أَنْ يَسْمَعَ حَدِيثَهُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا مَنَعَكَ أَنْ تُسَلِّمَ إِذْ مَرَرْتَ بِي الْبَارِحَةَ»**؟ قَالَ: رَأَيْتُكَ تُنَاجِي رَجُلاً فَخَشِيتُ أَنْ تَكْرَهَ أَنْ أَدْنُوَ مِنْكُمَا.

قَالَ: **«وَهَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ»**؟ قَالَ: لَا: قَالَ: **«فَذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَوْ سَلَّمْتَ لَرَدَّ السَّلَامَ»**.

وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ غَيْرِ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّهُ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ. (رواه أحمد).

٥ ـ باب من فضائل أسيد بن حضير رضي الله عنه

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

٣٤٣ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، بَيْنَمَا هُوَ، لَيْلَةً، يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ. إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ. فَقَرَأَ. ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى. فَقَرَأَ. ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً. قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى. فَقُمْتُ إِلَيْهَا. فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي. فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ. عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا.

قَالَ فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي. إِذْ جَالَتْ فَرَسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اقْرَأِ. ابْنَ حُضَيْرٍ!»** قَالَ: فَقَرَأْتُ. ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اقْرَأِ. ابْنَ حُضَيْرٍ!»** قَالَ: فَقَرَأْتُ. ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اقْرَأِ. ابْنَ حُضَيْرٍ!»** قَالَ فَانْصَرَفْتُ. وَكَانَ يَحْيَى قَرِيباً مِنْهَا. خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ. فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ. فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ. وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ. مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ»**. (رواه مسلم).

---

٣٤٢ ـ [رواه أحمد (١٦٢١٩/ ٥) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥٧٣٨/ ٩) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح].

٣٤٣ ـ [رواه أحمد (١١٧٦٦/ ٤) ومسلم (٧٩٦) والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٤/ ٥) واللفظ لمسلم].

الشرح: قوله رضي الله عنه: (إذ جالت فرسه) أي وثبت وراحت تنفر وتذهب وتجيء. يقال: جال واجتال: إذا ذهب وجاء. ومنه الجولان في الحرب. وجال يجول جولة، إذا دار.

وقوله رضي الله عنه: (فإذا مثل الظلة فوق رأسي. فيها أمثال السرج) يريد أنها كانت مضيئة يشع منها النور. ومعنى (عرجت في الجو حتى ما أراها) أي صعدت في السماء حتى لم يعد يستطيع أن يراها لبعدها عنه.

والمربد: ـ بكسر الميم ـ هو الموضع الذي ييبس فيه التمر، كالبيدر للقمح ونحوها.

وقوله ﷺ: «اقرإ ابن حضير» أي كان ينبغي أن تستمر على القرآن، وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة، وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها. قاله النووي.

قوله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس، ما تستتر منهم» وذلك لبقائها تستمع القرآن. وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: قرأ رجل الكهف، وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته. قال: فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: **«اقرأ، فلان! فإنها السكينة تنزلت عند القرآن، أو تنزلت للقرآن»**(١)، لفظ مسلم. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة، وفيه فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة، وفيه فضيلة استماع القرآن.

٦ ـ باب من فضائل السيدة عائشة رضي الله عنها

قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣].

في هذه الآية الكريمة الإخبار الصريح، بأن أزواج النبي ﷺ يدخلن في أهل بيته ﷺ. وقال عطاء وعكرمة وابن عباس: أهل بيته: هم زوجاته خاصة لا رجل معهن. والله أعلم.

٣٤٤ ـ عَن السيدةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: **«أُرِيتُكِ في المَنَام مَرَّتَيْنِ، أَرَىٰ أَنَّك في سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هٰذِهِ امْرَأَتُكَ. فَاكْشِفْ، فَإِذَا هِيَ أَنتِ! فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ»**. (متفق عليه).

وفي رواية للبخاري بلفظ: **«أُرِيتُكِ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَكِ مَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُ المَلَكَ يَحْمِلُكِ في سَرَقَةٍ مِنْ**

---

(١) رواه البخاري (٥٠١١) ومسلم (٧٩٥).

٣٤٤ ـ [رواه أحمد (٢٤١٩٧ ـ ٢٥٠٢٥ ـ ٢٥٣٤٠/٩) والبخاري (٣٨٩٥ و٥٠٧٨ و٥١٢٥ و٧٠١١ و٧٠١٢) ومسلم (٢٤٣٨) وأبو يعلى (٤٤٩٨) و(٤٦٠٠) وابن حبان (٧٠٩٣) والطبراني في «الكبير» (٤١/٢٣)، والبيهقي (٨٥/٧)، واللفظ الأول للبخاري].

حَرِيرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ. فَإِذَا هِيَ أَنْتِ. فَقُلْتُ: إِنْ يَكُنْ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ يُمْضِهِ. ثُمَّ أُرِيتُكِ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقُلْتُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ يُمْضِهِ».

وفي لفظ له أيضاً: **«أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ يَجِيءُ بِكِ المَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: هٰذِهِ امْرَأَتُكَ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ هِيَ. فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ يُمْضِهِ»**.

وفي لفظ له أيضاً: **«أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ مَرَّتَيْنِ، إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هٰذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُنْ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ يُمْضِهِ»**.

ورواه مسلم بلفظ: **«أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ المَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هٰذِهِ امْرَأَتُكَ. فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ يُمْضِهِ»**.

ومعنى **«سرقة من حرير»**: أي قطعة من جيد الحرير، وقيل هي الشقق البيض من الحرير.

٣٤٥ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا. أَنَّ جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ هٰذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». (رواه الترمذي).

وَرواه ابن حبان في «صحيحه» بلفظ: جَاءَ بِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ في خِرْقَةِ حَرِيرٍ، فَقَالَ: **«هٰذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»**.

٣٤٦ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: **«يَا عَائِشَةُ: هٰذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ»** فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَىٰ مَا لاَ أَرَىٰ. تُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ. (متفق عليه).

ورواه مسلم بلفظ: **«إِنَّ جِبْرِيلَ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ»** قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ.

وفي لفظ له أيضاً: **«يَا عَائِشُ، هٰذا جِبْرِيلُ يُقْرِأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ»** فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ، قَالَتْ: وَهُوَ يَرَىٰ مَا لاَ أَرَىٰ.

ورواه ابن حبان بلفظ: **«هٰذا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ»** فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ. تَرَىٰ مَا لاَ نَرَىٰ يَا رَسُولَ اللّٰهِ.

٣٤٧ ـ ورواه الطبراني في «الكبير» عَنْهَا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: **«جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ»** قَالَتْ: فَلِرَبِّي السَّلاَمُ، وَمِنْهُ السَّلاَمُ وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلاَمُ.

---

٣٤٥ ـ [رواه الترمذي في المناقب (٣٨٨٠) وابن حبان (٧٠٩٤) وإسناده صحيح].

٣٤٦ ـ [رواه أحمد (٢٤٣٣٥ ـ ٢٤٦٢٨ ـ ٢٤٨٦٩ ـ ٢٤٩١١ ـ ٢٥٨٠٤ ـ ٢٥٩٨/٩ ـ ١٠) والبخاري (٣٢١٧) و(٣٧٦٨) و(٦٢٠١) و(٦٢٤٩) و(٦١٥٣) ومسلم (٢٤٤٧) وأبو داود (٥٢٣٢) والترمذي (٣٨٨١) والنسائي في «المجتبى» (٣٩٦٤) وفي «الكبرى» (٨٨٩٦/ ٥) وابن ماجه (٢٦٩٦) وابن حبان (٧٠٩٨) وغيرهم. واللفظ الأول للبخاري].

٣٤٧ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥) ورواه ابن سعد في «طبقاته» (٦٧ ـ ٨/٦٨) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٠ ـ ١٣١/ ١٢)].

ورواه أيضاً بلفظ: اسْتَأْذَنَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ هٰذِهِ عِنْدَكَ**»؟ قَالَ: «**عَائِشَةَ**» قَالَ: «**فَأَقْرِأْهَا مِنِّي السَّلَامُ**» قَالَ ﷺ: «**بَخٍ بَخٍ يَا عَائِشَةُ، هٰذا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامُ**» و«بخ» بفتح الباء. معناها تفخيم الأمر والإعجاب به.

ورواه أيضاً من طريق الشعبي، عن مسروق، قال: أخبرتني عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي البَيْتِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجِعَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هٰذا؟ قَالَ: «**هٰذا جِبْرِيلُ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكِ السَّلَامُ**». فَقُلْتُ: ارْجِعِ السَّلَامَ إِلَيْهِ. مِنِّي السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

٣٤٨ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. قَالَتْ. رَأَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاضِعاً يَدَكَ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ، وَأَنْتَ قَائِمٌ تُكَلِّمُ دُحْيَةَ الكَلْبِي. فَقَالَ ﷺ: «**وَقَدْ رَأَيْتِهِ؟**» قَالَتْ: نَعَمَ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، وَهُوَ يُقْرِئُكِ السَّلَامُ**». قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْ زَائِرٍ وَمِنْ دَخِيلٍ، فَنِعْمَ الصَّاحِبِ وَنِعْمَ الدَّخِيل.

ومعرفة الفرس: منبت العرف.

٣٤٩ ـ ومن طريق سعيد بن كثير، مَوْلَىٰ عُمر بن الخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِماً مَعَ صَاحِبَ فَرَسٍ أَبْيَضِ أَخَذَ بِمَعْرِفَةِ فَرَسِهِ. فَلَمَّا أَتَانِي قُلْتُ: مَنْ صَاحِبِ الفَرَسِ؟ قَالَ ﷺ: «**وَقَدْ رَأَيْتِيهِ**»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**وَمَنْ يُشْبِهُهُ**»؟ قُلْتُ: دُحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الكَلْبِيّ. قَالَ: «**ذَاكَ جِبْرِيلُ، وَهُوَ يُقْرِئُكِ السَّلَامُ**». قُلْتُ: وَعَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ، وَعَلَيْكَ، وَعَلَيْهِ السَّلَامُ.

الشرح: قوله ﷺ: «أريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سرقة من حرير» السرقة ـ بفتح السين والراء والقاف ـ هي القطعة. وقد جاء في رواية الترمذي بلفظ: إن جبريل عليه السلام جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء. . . الحديث.

وقوله ﷺ: «**ويقول: هذه امرأتك**» أي جبريل عليه السلام كما جاء صريحاً في غير من الروايات. وأما قوله ﷺ: «**فاكشف، فإذا هي أنت**» وفي الرواية الأخرى: «**فكشفت عن وجهك الثوب. .**» وفيه جواز نظر الخاطب إلى المخطوبة. وفي «صحيح مسلم» وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي ﷺ، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنظرت إليها**»؟ قال: لا. قال: «**فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً**» قيل: يريد النبي ﷺ أن في أعين الأنصار صغر.

---

٣٤٨ ـ [رواه الحميدي (٢٧٧) وأحمد (٢٤٥١٦/ ٩) والطبراني في «الكبير» (٩٠/ ٢٣) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» وإسناده صحيح].

٣٤٩ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (٨٤/ ٢٣)].

وقوله ﷺ: «**فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه**» قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون ذلك قبل البعثة، فلا إشكال فيه. وإن كان بعدها ففيه ثلاث احتمالات، **أحدها**: التردد هل هي زوجته في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط. **ثانيها**: أنه لفظ شك لا يراد به ظاهره، وهو أبلغ في التحقق، ويسمى في البلاغة: مزج الشك باليقين. **ثالثها**: وجه التردد، هل هي رؤيا وحي على ظاهرها وحقيقتها، أو وهي رؤيا وحي لها تعبير؟ وكلا الأمرين جائز في حق الأنبياء عليهم السلام، قال الحافظ ابن حجر: والأخير هو المعتمد. وبه جزم السهيلي عن ابن العربي، ثم قال: وتفسيره باحتمال غيرها، لا أرضاه، والأول يرده أن السياق يقتضي، أنها كانت قد وجدت، فإن ظاهر قوله ﷺ: «**فإذا هي أنت**» مُشعر بأنه قد رآها وعرفها قبل ذلك. والواقع أنها ولدت بعد البعثة. ويردُ أول الاحتمالات الثلاث، رواية ابن حبان قوله ﷺ: «**فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة**»[1] والثاني بعيد.

٧ ـ باب فضل أمة الإسلام على سائر الأمم، ومضاعفة أجورها على غيرها. فضل من الله تعالى وكرم منه

٣٥٠ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إنَّما مَثَلُكم واليهود والنصارَى كَرجُلٍ استعمَلَ عمالاً فقالَ: مَنْ يَعْمَلُ لي إلى نِصفِ النَّهارِ عَلَى قِيراطٍ قِيراطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليهودُ على قِيراطٍ قيراط ثمَّ عملَتِ النصارَى على قِيراطٍ قِيراطٍ، ثُمَّ أَنتُمُ الَّذينَ تَعْمَلُونَ مِن صَلاةِ العَصْرِ إلَى مَغارِبِ الشَّمسِ عَلَى قِيراطَينِ قيراطَين. فغَضِبَتِ اليهُودُ والنَّصارَىٰ وقَالُوا: نَحْنُ أَكثرُ عَمَلاً وأَقلُّ عَطَاءً، قَالَ: هَلْ ظَلَمتُكم مِنْ حَقِّكم شَيئاً؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَذٰلكَ فضلي أُوتيهِ مَنْ أشاءُ**». (رواه البخاري).

وفي رواية له أيضاً بلفظ: «**مَثَلُكم ومَثَلُ أَهلِ الكِتابَينِ كَمَثَلِ رَجُلٍ استأجَرَ أُجَراءَ فقال: مَنْ يَعمَلُ لِي مِن غُدوة إلى نِصْفِ النَّهارِ عَلَى قِيراطٍ؟ فعَمِلَتِ اليهودُ. ثمَّ قال: مَن يَعملُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهارِ إلى صَلاةِ العَصْرِ عَلَى قِيراطٍ؟ فعَملتِ النَّصارَى. ثمَّ قال: مَن يَعمَلُ لي مِنَ العَصْرِ إلى أن تَغيبَ الشَّمسُ على قِيراطَينِ؟ فأَنْتُم هُمْ. فغَضِبَتِ اليَهُودُ والنَّصَارَى فَقَالُوا: مَا لَنا أكثرُ عَمَلاً وأقلُّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُم مِنْ حَقِّكم؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فذٰلك فَضْلي أُوتيهِ من أشاءُ**».

وفي رواية له أيضاً بلفظ: «**إنما أَجَلُكم ـ في أَجَلِ من خَلا من الأُمم ـ ما بينَ صلاةِ العصرِ إلى مغربِ الشمس. وإنما مَثَلُكم ومَثَلُ اليهودِ والنصارَى كرجُلٍ استعمل عُمالاً فقال: مَن يَعملُ لي إلى نصفِ النهار على قيراطٍ قيراط؟ فعملتِ اليهودُ إلى نصفِ النهارِ على قيراط قيراط. ثمَّ قال: مَن يَعمَلُ لي من نصفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراطٍ قيراط؟ فعمِلَتِ النصارَى نصفَ النهار إلى صلاةِ العصرِ على قيراطٍ قيراط.**

---

(١) رواه ابن حبان (٧٠٩٥).

٣٥٠ ـ [رواه البخاري (٥٥٧ و٢٢٦٨ و٢٢٦٩ و٣٤٥٩ و٥٠٢١ و٧٤٦٧ و٧٥٣٣)].

ثمَّ قال: مَن يَعمل لي من صلاةِ العصر إلى مَغربِ الشمس على قيراطينِ قيراطين؟ ألا فأنتُمُ الذينَ يَعملونَ مِن صلاةِ العصرِ إلى مَغربِ الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكمُ الأجرُ مرَّتين. فغضِبَتِ اليهودُ والنصارىٰ فقالوا: نحنُ أكثرُ عملاً وأقلُّ عطاءً، قال الله: هل ظلمتُكم من حقِّكم شيئاً؟ قالوا: لا. فإنه فضلي، أُعطيهِ مَن شئتُ».

وفي رواية له من طريق سالم بن عبدِ اللَّه أنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ: **«إنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ، فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً، ثُمَّ أُعْطِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّىٰ صَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً ثُمَّ أُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِيتُم قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، قَالَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ: رَبَّنَا هٰؤُلاَءِ أَقَلُّ عَمَلاً وأَكْثَرُ أَجْراً. قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟»** قَالُوا: لاَ، فَقَالَ: **«فَذٰلِكَ أُوتيهِ مَنْ أَشَاءُ».**

وفي رواية له أيضاً بلفظ: **«إنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فيمَنْ سَلَفَ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ، فَعَمِلُوا بِهِ حَتَى صُلِّيَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً، ثُمَّ أُوتِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: هٰؤُلاَءِ أَقَلُّ مِنَّا عَمَلاً وَأَكْثَرُ أَجْراً قَالَ اللَّه هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً؟ قَالُوا: لاَ قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».**

خاتمة:

روى البخاري وغيره، من حديث أبي موسى الأشعري رضيَ الله عنهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«مَثَلُ المُسْلِمينَ واليهودِ والنصارَى كمثَلِ رجُلٍ استأجَرَ قَوماً يَعملونَ له عملاً يَوماً إِلَى اللَّيلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُوم، فَعملوا لهُ نصفَ النهار، فقالوا: لا حَاجةَ لَنَا إلى أَجرِكَ الَّذِي شَرَطتَ لنا وما عمِلنا بَاطِلٌ. فَقَالَ لَهُم: لا تَفعَلوا، أكمِلوا بقيةَ عَمَلَكُم وخُذوا أَجرَكُم كَامِلاً، فَأَبَوا وَتَرَكُوا. واستأجَرَ آخَرِينَ بَعدَهم فَقَالَ: أكمِلُوا بقيَّةَ يومِكم هذا ولَكُم الَّذِي شَرَطْتُ لهم مِنَ الأجرِ فَعَمِلُوا، حَتَّى إذا كَانَ حِينَ صَلاةِ العَصرِ قَالُوا: لكَ ما عَمِلْنَا بَاطِلٌ، ولكَ الأجرُ الذي جَعلتَ لنا فيهِ. فَقَالَ لَهُم أكمِلوا بقيَّةَ عَمَلَكُم فَإِنَّ مَا بقيَ مِنَ النهارِ شيءٌ يَسيرٌ، فَأَبَوا، فاستأجَر قَوماً أن يعمَلوا له بقيةَ يومِهم، فعملوا بقيةَ يومِهم حَتَّى غابتِ الشَّمسُ، واستكمَلوا أجرَ الفريقَينَ كِلَيهِمَا، فَذٰلكَ مَثلُهم ومَثَلُ ما قَبِلُوا مِن هٰذا النُّور»**[١].

الشرح: قوله ﷺ: **«إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً... فذلك فضلي أوتيه من أشاء»**. قال الحافظ في «الفتح»:

---

(١) رواه البخاري (٢٢٧١).

استدل به وبغيره من الأحاديث، على أن بقاء هذه الأمة يزيد على الألف، لأنه يقتضي أن مدة اليهود نظير مدتي النصارى والمسلمين. وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفي سنة، ومدة النصارى من ذلك ستمائة، وقيل أقل، فتكون مدة المسلمين أكثر من ألف قطعاً.

وتضمن الحديث، أن أجر النصارى كان أكثر من أجر اليهود، لأن اليهود عملوا نصف النهار بقيراط، والنصارى نحو ربع النهار بقيراط، ولعل ذلك باعتبار ما حصل لمن آمن من النصارى بموسى وعيسى، فحصل لهم تضعيف الأجر مرتين، بخلاف اليهود، فإنهم لما بُعث عيسى كفروا به. وفي الحديث تفضيل هذه الأمة وتوفير أجرها مع قلة عملها اهـ. مختصراً.

٨ ـ باب شهادة المسلمين على الأمم يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٨ ـ ٧٠].

٣٥١ ـ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ مَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ. فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُدْعَوْنَ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُم؟ فَيَقُولُونَ: لا! فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.**

فَتُدْعَىٰ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هٰذا؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ، فَيَقُالُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذٰلِكَ، فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ـ قَالَ: عدْلاً ـ ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]» (رواه النسائي).

ورواه أحمد بلفظ: «**يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلانِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ. فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُم هٰذا؟ فَيَقُولُونَ: لاَ. فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٍ وَأُمَّتُهُ.**

---

٣٥١ ـ [رواه أحمد (٤/١١٥٥٨) والبخاري (٣٣٣٩) والترمذي عقب الحديث (٢٩٦١) والنسائي في «الكبرى» (١١٠٠٦ ـ ٦/١١٠٠٧). وابن ماجه (٤٢٨٤) وأبو يعلى (١١٧٣) وغيرهم].

فَيُدْعَىٰ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَ هٰذَا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ـ فَيُقَالُ: وَمَا عِلْمُكُم؟ فَيَقُولُونَ: جاءَنَا نَبِيُّنَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ـ قالَ: عَدْلاً ـ ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾».

ورواه ابن ماجه بلفظ: «يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلاَثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُم؟ فَيَقُولُونَ: لاَ. فَيُقَالُ: مَنْ شَهِدَ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَتُدعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هٰذا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُم بِذٰلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذٰلِكَ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَصَدَّقْنَاهُ».

قَالَ: «فَذٰلِكُم قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾».

٩ ـ باب شفقة النبي ﷺ بامته، ودعاءه لها، وبيان ما سيبلغ ملكها، وما خصها الله تعالى به من كرامة

٣٥٢ ـ عَنْ شَدادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ زَوَىٰ لِيَ الأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا. وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ مِنْهَا. وَإِنِّي أُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَبْيَضَ وَالأَحْمرَ.

وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسِنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوّاً فَيُهْلِكَهُم بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يَلْبِسَهُمْ شِيَعاً، وَلاَ يُذِيقَ بَعْضَهُم بَأْسَ بَعْضٍ.

وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ. وَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُم بِسِنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلاَ أُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوّاً مِمَّنْ سِوَاهُمْ، فَيُهْلِكُوهُمْ بِعَامَّةٍ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، وَبَعْضُهُم يَقْتُلُ بَعْضاً، وَبَعْضُهُم يَسْبِي بَعْضاً».

قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَإِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلاَّ الأَئمةَ المُضِلِّينَ، فَإِذَا وُضِعَ السَّيفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يَرْفَعْ عَنْهُم إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ». (رواه أحمد).

٣٥٣ ـ وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَىٰ لِي الأَرْضَ.

---

٣٥٢ ـ [رواه أحمد (٦/١٧١١٤) والبزار (٣٢٩١) ـ كشف الأستار ـ وإسناده صحيح، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١٩٦٥) وقال: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح].

٣٥٣ ـ [أخرجه أحمد (٢٢٤٥٨ ـ ٨/٢٢٥١٥) ومسلم (٢٨٨٩) وأبو داود (٤٢٥٢) والترمذي (٢١٧٦) وابن حبان (٧٢٣٨) والبغوي في «شرح السنة» (٤٠١٥)].

فرَأَيتُ مَشارِقَها وَمَغَارِبَهَا. وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ.

وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوّاً مِن سِوَىٰ أَنفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ. وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَن لاَ أُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُم، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيهِم مَنْ بِأَقْطَارِهَا ـ أَوْ قَالَ ـ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُم يُهْلِكُ بَعْضاً، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً». (رواه مسلم).

ورواه أحمد بلفظه، وزاد فيه: **«وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ في أُمَّتي السَّيْفَ، لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ حَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ.**

وَإِنَّهُ سَيَكُونُ في أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُم حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

الشرح: قوله ﷺ: «إن الله عز وجل زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي منها» معنى: **«زوى لي الأرض»** أي قبضها وجمعها لي حتى أراها. وهذا من معجزات نبوته ﷺ. قال القرطبي: معناه، أي جمعها لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها. وظاهر هذا اللفظ يقتضي؛ أن الله تعالى قوى إدراك بصره، ورفع عنه الموانع المعتادة، فأدرك البعيد من موضعه، كما أدرك بيت المقدس من مكة، وأخذ يخبرهم عن آياته، وهو ينظر إليه.

وقوله ﷺ: **«وإني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر»** يعني به، كنز كسرى، وهو مَلِكُ الفرس، ومُلك قيصر، وهو مَلِكُ الروم، وقصورهما، وبلادهما، وقد دلَّ على ذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر حين أخبر عن هلاكهما: **«لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»**(١)، وعبَّر بالأحمر عن كنز قيصر، لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى، لأن الغالب كان عندهم الفضة والجوهر. وقد ظهر ذلك ووجِدَ كذلك في زمان الفتوح في خلافة عمر رضي الله عنه، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر لمَّا فتحت بلاده. اهـ.

أقول: ولم يكن على زمان القرطبي قد اكتشفت آبار الوقود ـ البترول ـ في جزيرة العرب، وكذا في معظم بلاد المسلمين، ومدى المكاسب التي حُقِّقَتْ بسببها.

---

(١) رواه مسلم (٢٩١٨).

وقوله ﷺ: «وإني سألت ربي عز وجل لا يُهلك أمتي بسنة عامة» السنة: الجدب العام الذي يكون به الهلاك العام، ويُسمَّى الجدب والقحط: سنة، ويجمع سنين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، أي بالجدب المتوالي.

وأما قوله ﷺ: «وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم» بيضة المسلمين: معظمهم وجماعتهم. وفي «الصحاح»: بيضة كل شيء: حوزته، وبيضة القوم: ساحتهم. وعلى هذا فيكون معنى الحديث: أن الله تعالى، لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم كلُّ من بين أقطار الأرض، وهي جوانبها.

١٠ ـ باب فضل بعثة النبي ﷺ، وما فتح الله تعالى على يديه وما فُتح وما سيفتح على يدي أمته من بعده

٣٥٤ ـ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَبِيلِ. فَقَالَ: **«يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟»** قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: **«فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرةِ حَتَّى تَطُوفَ بالكعبة لا تخافُ أحداً إلا اللّه»** ـ قلتُ: فيما بيني وبينَ نفسي فأينَ دُعَّارُ طَيىءٍ الذينَ قد سَعَّروا البلادَ؟ ـ **«ولئنْ طالَتْ بكَ حياةٌ لتُفتَحنَّ كُنوزُ كِسرَى»**. قلتُ: كِسرَى بن هُرمُزَ؟ قال: **«كِسرَى بنِ هُرمُزَ. ولئنْ طالت بكَ حياةٌ لَتَرينَّ الرجلَ يُخرجُ مِلْءَ كَفِهِ من ذهبٍ أو فضةٍ يَطلُبُ مَن يَقبلهُ منهُ فلا يَجدُ أحداً يَقبلهُ منه. ولَيلقيَنَّ اللّه أَحدُكم يومَ يَلْقاهُ وليسَ بينَهُ وبينهُ ترجمانٌ يُترجمُ لَهُ، فَيقولَنَّ: أَلم أبعَثْ إليكَ رسولاً فيبلِّغكَ؟ فيقول: بلىٰ. فيقول: أَلم أُعطِكَ مالاً وأُفضِلْ عليكَ؟ فيقول: بلىٰ. فيَنظرُ عن يَمينه فلا يَرىٰ إلا جهنَّم، وينظرُ عن يَسارِهِ فلا يَرى إلا جهنمَ»**.

قال عَدِيٌّ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **«اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فمن لم يَجِدْ شِقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ»**.

قال عديٌّ: فرأيتُ الظعينة ترتحلُ منَ الحِيرةِ حتىٰ تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلاّ الله، وكنتُ فيمن افتتحَ كنوزَ كسرَى بنِ هُرمُزَ، ولئنْ طالت بكم حياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ يخرجُ مِلءَ كفه. (متفق عليه).

الشرح: **قوله: (فشكا إليه الفاقة)**: أي الفقر والعوز.

وأما **الحيرة**: فكانت بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس. **والظعينة**: المرأة في الهودج، وهو في الأصل اسم للهودج.

وقوله: (قلت: فيما بيني وبين نفسي، فأين دعّار طيىء). الدعار: جمع داعر. وهو الشاطر

---

٣٥٤ ـ [رواه أحمد (٦/١٨٢٧٤) والبخاري (٣٥٩٥) ومسلم (١٠١٦) والطيالسي (١٠٣٦) والنسائي (٢٥٥٢) والطبراني في «الكبير» (١٧/٢٠٧) وغيرهم مطولاً ومختصراً وبألفاظ متقاربة، واللفظ للبخاري].

قاطع الطريق الخبيث المفسد، وطيىء: قبيلة مشهورة، منها عدي بن حاتم المذكور، وبلادهم ما بين العراق والحجاز. وكانوا يقطعون الطريق على من مرَّ عليهم بغير جواز، ولذلك تعجب عدي كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة.

وأما قوله: (قد سعروا البلاد)، أي أوقدوا نار الفتنة، أي ملأوا الأرض شراً وفساداً، وهو مستعار من: استعار النار، وهو توقدها.

وقوله ﷺ: «**لتفتحن كنوز كسرى**» وكسرى اسم علم على من ملك الفرس، وما كان استغراب عدي، إلا لعظمة كسرى وملكه في نفسه إذ ذاك.

وقوله ﷺ: «**ولئن طالت بك حياة لترين الرجل ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه**» وذلك لاكتفاء الناس يومئذ وعدم حاجتهم. والأرجح أن ذلك يكون في زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

وفي الحديث الحث على المسارعة بالصدقة مهما قلَّتْ من قبل أن يأتي عليه يوماً لا يجد فيه من يقبل منه صدقته.

خاتمة في شفاعة النبي ﷺ بامته، وأنه اختبىء دعوته لهم ليوم الدين

٣٥٥ ـ عن عبادة بن الصامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قال: فَقَدَ النبيّ ﷺ ليلة أصحابهُ، وكَانُوا إِذَا نَزَلُوا أَنْزَلُوهُ أَوْسَطهم. ففزِعُوا وظَنُّوا أنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لَهُ أصحاباً غيرهُم. فإِذَا هُمْ بِخَيالِ النَّبيِّ ﷺ فَكَبروا حينَ رأوهُ، وقالوا: يا رسولَ اللَّهِ؛ أَشْفقنا أن يكونَ اللَّهَ اختارَ لكَ أصحاباً غيرنا!

فقال رسول الله ﷺ: «**لاَ بَلْ أنْتُم أَصْحابِي في الدُّنيا والآخرةِ. إنَّ اللَّهَ تعالى أَيقَظني فقال: يا مُحَمَّدُ إني لم أبْعَثْ نَبِياً ولا رسولاً إلاَّ وقد سَأَلَني مسألةً أَعْطَيْتُها إيَّاهُ. فَاسْأَلْ يَا مُحَمَّدُ تُعْطَ. فقلت: مَسْأَلتي شَفَاعةٌ لأمتي يومَ القيامةِ**» فقال أبو بكر: يا رسول الله، وما الشفاعة؟ قال: «**أقول: يا رَبِّ شفاعتي التي اخْتَبأْتَ عِنْدَكَ. فيقول الرَّبُ تَبَارَكَ وتعالَى: نَعَمْ. فَيُخْرِجُ رَبِّي ـ تبارَكَ وتعالَىٰ ـ بَقيَّةَ أُمَّتي مِنَ النَّار، فَيَنْبُذُهُمْ في الجَنَّةِ**».

٣٥٦ ـ ومن حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجيبَ. فجعلتُ دَعْوتي شَفَاعةً لأُمَّتي يَوْمَ القِيامةِ**».

٣٥٧ ـ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِىءَ دَعْوتي شَفَاعةً لأُمَّتي في الآخرةِ**».

---

٣٥٥ ـ [رواه أحمد (٨/٢٢٨٣٥) في «مسنده» بإسناد قابل للتحسين].

٣٥٦ ـ [رواه البخاري (٥٣٠٥) ومسلم (٢٠٠)].

٣٥٧ ـ [رواه البخاري (٦٣٠٤)].

١١ ـ باب البشارة برسول الله سيدنا محمد ﷺ، فيما سبق من الكتب السماوية

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

٣٥٨ ـ عَنْ عَطَاءَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمرو بْنِ العَاصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قلتُ: أخبرني عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في التَّوراةِ، قَالَ: أجل، واللَّهِ إنَّهُ لَمَوصوفٌ في التَّوراةِ بِبَعْضِ صِفتهِ في القُرآنِ: **«يا أيُّها النَّبيُّ إنّا أرسلناكَ شاهِداً ومبَشراً ونذيراً وحِرزاً للأميين، أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوكِّلَ، ليس بِفظٍّ وَلا غَليظٍ ولا سَخّابٍ في الأسواقِ، ولا يدفعُ بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ، ولكن يَعفو ويَغفِرُ، ولن يَقبِضَهُ اللّه حتى يُقيمَ بهِ المِلَّةَ العَوجاءَ بأن يقولوا: لا إلهَ إلاَّ اللّه ويُفتحُ بها أعيُنٌ عميٌ وآذانٌ صُمٌّ وَقُلُوبٌ غُلفٌ»**. (رواه البخاري).

وفي لفظ للبخاري أيضاً، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمرو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ الَّتي في القُرآنِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، قَالَ: في التَّوْرَاةِ: **«يا أيُّهَا النَّبيُّ إنَّا أرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَحِرزاً لِلأُمِّيينَ. أنتَ عَبْدِي وَرَسُولي، سَمَّيتُكَ المُتَوَكِّلَ. لَيسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ بالأَسْوَاقِ. وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ. وَلَنْ يَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلهَ إلاَّ اللَّهُ، فَيَفْتَحَ بِهَا أعْيُناً عُمياً، وَآذَناً صُمّاً، وَقُلُوباً غُلفاً»**.

الشرح: قوله: (أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) أي شاهداً على الأمة، ومبشراً للمطيعين بالجنة، وللعصاة بالنار. أو شاهداً للرسل قبله بالإبلاغ.

وحرزاً: ـ بكسر الحاء ـ أي حصناً. وحافظاً. وأصل الحرز: الموضع الحصين، وهو استعارة. والأميين: العرب، لغلبة الأمية عليهم.

---

٣٥٨ ـ [رواه البخاري في «البيوع» (٢١٢٥) وفي «التفسير» (٤٨٣٨) وفي «الأدب المفرد» (٢٤٦). وأحمد (٢/٦٦٢٢) والدارمي في المقدمة رقم (٦) وابن سعد في «الطبقات» (١/٣٦٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/٣٧٥ ـ ٣٧٣) واللفظ للبخاري].

وقوله جل وعلا: «سميتك المتوكل» وذلك لتوكلهِ على الله تعالى، وقناعته باليسير، والصبر على ما كان يكره.

وقوله جل وعلا: «ليس بفظ ولا غليظ» وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. أي لو كنت جافي الطبع قاسي القلب، تعاملهم بالغلظة والجفا، لتفرقوا عنك، ونفروا منك. ولما كانت الفظاظة في الكلام، نفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه ﷺ. بأمي وأبي هو. ما أرحمه وألين كلامه.

وقوله جل وعلا: «ولا سخاب بالأسواق» قال أهل اللغة: سخاب وصخاب، بالسين والصاد. وبالصاد أشهر. وكلاهما بمعنى واحد. وهو رفع الصوت بالخصام.

وقوله جل وعلا: «ولن يقبضه» أي يتوفاه «حتى يقيم به الملة العوجاء» أي ملة العرب، ووصفها بالعوج، لما دخل فيها من عبادة الأصنام. والمراد بإقامتها؛ أن يُخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان.

وقوله جل وعلا: «فيفتح بها أعيناً عمياً» أي يفتح بكلمة التوحيد أعيناً لا تبصر الحق. وآذاناً لا تعي ما تسمع. قال الله تعالى إخباراً على أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وقوله جل وعلا: «وقلوباً غلفاً» أي مغلفة بالكفر أو بظلمات الجهل والهوى. والغلف كل شيء في غلاف.

١٢ ـ باب فكاك المسلمون من النار، باليهود، والنصارى، وفضيحة من كذب على الله تعالى في يوم الحشر على رؤوس الأشهاد

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

٣٥٩ ـ عَنْ أَبي مُوسىٰ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً، فَيَقُولُ: هٰذا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ». (رواه مسلم).

٣٦٠ ـ وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في النَّجْوىٰ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ. فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَىٰ في نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ. قَالَ: سَتَرْتُهَا

---

٣٥٩ ـ [رواه مسلم في التوبة (٢٧٦٧)].

٣٦٠ ـ [رواه أحمد (٢/٥٤٣٧) والبخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨) وابن منده في «الإيمان» (٧٩٠) وغيرهم. واللفظ الأول للبخاري].

عَلَيكَ في الدُّنيا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ. فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾» [هود: ١٨]. (متفق عليه).

ورواه مسلم بلفظ: «يُدْنَي المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنيا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ. فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الكُفَّارُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ: هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ».

خاتمة: روى ابن ماجه بإسناد صحيح على شرط الشيخين، من حديثِ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ إلاَّ لَهُ مَنْزِلاَنِ، مَنْزِلٌ في الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ في النَّارِ. فَإِذَا مَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾»[1] [المؤمنون: ١٠].

الشرح: قوله ﷺ «إذا كان يوم القيامة، دفع الله عز وجل إلى كل مسلم، يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار» وفي رواية لمسلم أيضاً بلفظ: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه، النار يهودياً أو نصرانياً»[2] وفي لفظ له آخر: «يجيء يوم القيامة، ناس من المسلمين، بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى»[3].

الفكاك ـ بفتح الفاء وكسرها ـ والفتح أفصح وأشهر. وهو الخلاص، والفداء. قال الإمام النووي: ومعنى هذا الحديث: ما جاء في حديث أبي هريرة: «لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار» فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره.

ومعنى فكاكك من النار؛ أنك كنت معرضاً لدخول النار، وهذا فكاكك، لأن الله تعالى قدر لها عدداً يملؤها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم، وذنوبهم صاروا بمعنى الفكاك للمسلمين. اهـ.

وأما قوله ﷺ «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين، بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها لها، ويضعها على اليهود والنصارى» فمعناه أن اليهود والنصارى بسبب فسادهم وإفسادهم في الأرض أذاعوا وأفشوا المعاصي فارتكب كثير من المسلمين الذنوب أمثال الجبال بسبب فسادهم ومجاهرتهم بالآثام والفواحش. فإذا جاء يوم القيامة غفر الله تعالى لهؤلاء المذنبين من المسلمين، بفضل رحمته وما قدموه لأنفسهم من أعمال البر، فيلقي بهذه الذنوب كأمثال الجبال على من كان سببها من اليهود والنصارى، ويكون في ذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]. وفي هذا غاية العدل، فمن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها.

وأما قوله ﷺ «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه» إلى آخر الحديث. أما كنفه ـ بفتح

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٤١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٧/ ٥٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٦٧/ ٥١).

النون ـ الستر. ومعنى الحديث أن الله يستر المؤمن ويحيطه برعايته من كل الجوانب. وفي هذا مبالغة في حجبه عن كشف ذنوبه عن البشر وربما تعدى ذلك ليشمل ستره عن الملائكة. والله أعلم.

وأما الدنو هنا، فهو دنو كرامة، وتفضل وإحسان، لا دنو مسافة. والله تعالى منزه عن المسافة وقربها.

خاتمة مشرفة:

روى الإمام مسلم وغيره من حديثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»** قَالَ: **«فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُم: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لاَ. إِنَّ بَعْضَكُم عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةَ اللَّهِ هٰذِهِ الأُمَّةَ»**[1].

❊ ❊ ❊

٢٤ ـ كتاب أحوال يوم القيامة
العلامات الكبرى

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد ﷺ: ١٨].

فصل: العلامات الكبرى لقيام القيامة

١ ـ باب في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ من السماء وقتله للدجال

٣٦١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَنزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقَ. فَيَخْرُجُ إِلَيهِمْ جَيشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ. فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبُوا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللَّهِ! لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا.

فَيُقَاتِلُونَهُمْ. فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيهِمْ أَبَداً. وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُم، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ. وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ. لاَ يُفْتَنُونَ أَبَداً. فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنطِينِيَّةَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُم فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ. وَذٰلِكَ بَاطِلٌ.

فَإِذَا جَاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ. فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ. فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ. فَلَوْ تَرَكَهُ لاَنْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ. وَلٰكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ. فَيُرِيهِم دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ». (رواه مسلم).

٣٦٢ ـ وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ، عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ. فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَىٰ[1] إِلاَّ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ! جاءَتِ السَّاعَةُ. قَالَ فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئاً. فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ، حَتَّىٰ لاَ يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هٰكَذَا (وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ)

---

٣٦١ ـ [رواه مسلم (٢٨٩٧) وابن حبان (٦٨١٣) والحاكم (٨٤٨٦/ ٤) واللفظ لمسلم].

٣٦٢ ـ [رواه أحمد (٣٦٤٣ـ٤١٤٦/ ٢) ومسلم (٢٨٩٩) والطيالسي (٣٩٢) وأبو يعلى (٥٣٨١) وعبد الرزاق (٢٠٨١٢) وابن حبان (٦٧٨٦) والحاكم (٨٤٧١/ ٤) والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٤٧) واللفظ لمسلم].

(١) أي ليس له إلا هذا القول، والهجري: العادة والدأب.

فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ. قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ. وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ.

فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً. فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّىٰ يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ. فَيَفِيءُ هٰؤُلاَءِ وَهٰؤُلاَءِ. كُلٌّ غَيْرَ غَالِبٍ. وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ. لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ. حَتَّىٰ يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ. فَيَفِيءُ هٰؤُلاَءِ وَهٰؤُلاَءِ. كُلٌّ غَيْرَ غَالِبٍ. وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ. لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً. فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّىٰ يُمْسُوا. فَيَفِيءُ هٰؤُلاَءِ وَهٰؤُلاَءِ. كُلٌّ غَيْرَ غَالِبٍ. وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ.

فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ. فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً ـ إِمَّا قَالَ لاَ يُرَىٰ مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا ـ حَتَّىٰ إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّىٰ يَخِرَّ مَيْتاً. فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ، كَانُوا مِائَةً. فَلاَ يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلاَّ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ. فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذٰلِكَ. فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ؛ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ. فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَيُقْبِلُونَ. فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ. هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ. أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ**». (رواه مسلم).

والشرطة: أول طائفة من الجيش تشهد القتال.

الشرح: معنى قوله: «**نهد إليهم**» إذا صمدوا للعدو وشرعوا في قتاله.

وقوله: «**فيجعل الله الدبرة عليهم**» من الإدبار، وهو الهزيمة في القتال. وأما موت الطائر الذي يمر من فوقهم فبسبب شدة نتنهم وريحهم ومعنى «فيتعاد بنو الأب» أي يعدُّ بعضهم بعضاً. والمراد بني الأب، أصحاب العشيرة الواحدة.

فائدة: أخرج أحمد بإسناده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عمرانُ بَيْتِ المَقْدِسِ، خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجَ المَلْحَمَةِ. وَخُرُوجُ المَلْحَمَةِ فَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ**».

ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى فَخِذِهِ ـ أو على مَنْكِبِهِ ـ ثم قال: «**إِنَّ هٰذَا الحَقُّ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ**»(١).

٢ ـ باب خروج يأجوج ومأجوج عقب قتل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ للمسيح الدجال. وقيام الساعة على شرار أهل الأرض

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ

(١) رواه أحمد (٨/٢٢٠٨٤).

ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦ـ ٩٧].

٣٦٣ ـ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخفضَ فِيهِ وَرَفعَ. حَتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخلِ. فَلَمَّا رُحنا إلَيْهِ عَرَفَ ذٰلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُم»؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً. فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ. حَتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ.

فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخوَفُنِي عَلَيكُم. أَنْ يَخرُجْ، وَأَنَا فِيكُم، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونكم. وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فيكُم، فَامْرُوءٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ. عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بْنِ قَطَنٍ. فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنكُم فَلْيَقرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ. إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَأْمِ وَالْعِرَاقِ. فَعَاثَ يَمِيناً وَعَاثَ شِمَالاً، يا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْماً، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَذٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لاَ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟

قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِر، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُراً، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً. وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا؛ أَخرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ. فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ.

فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي، لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ

---

٣٦٣ ـ [رواه مسلم (٢٩٣٧) وأبو داود (٤٣٢١) والترمذي (٢٢٤٠) وابن ماجه (٤٠٧٥) واللفظ لمسلم].

فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهٰذِهِ مَرَّةً، مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللّٰهِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَأَصْحَابُهُ. حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللّٰهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللّٰهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللّٰهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ، فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ، وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللّٰهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللّٰهِ، فَيُرْسِلُ اللّٰهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللّٰهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللّٰهُ مَطَراً لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ. وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ بَعَثَ اللّٰهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ». (رواه مسلم).

خاتمة: روى الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ لَيَحْفِرُنَّ السدَّ كُلَّ يَوْم حتى إذا كادُوا يَرَوْنَ شعاعَ الشَّمْسِ قالَ الذي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غداً فَيَعُودُونَ إليهِ كأشَدِّ ما كانَ حَتَّى إذا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأرادَ الله عَزَّ وَجَلَّ أنْ يَبْعَثَهُمْ إلى الناسِ حَفَرُوا حَتى إذا كادُوا يَرَوْنَ شُعاعَ الشَّمْسِ قالَ الذي عَلَيهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غداً إنْ شاءَ الله وَيَسْتَثْنِي فَيَعُودُونَ إليهِ وَهُو كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ على الناسِ فَيُنَشِّفُونَ المياهَ وَيَتَحَصَّنُ الناسُ مِنهم في حُصُونِهم فَيَرْمُونَ بِسِهامِهِمْ إلى السماءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْها كَهَيْئَةِ الدَّمِ فيقولونَ قَهَرْنا أهْلَ الأرْضِ وَعَلَوْنا أهْلَ السَّماءِ فَيَبْعَثُ الله عَلَيْهِم نَغَفاً فِي أقْفائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بها» فَقَالَ رَسول الله ﷺ: «وَالذِي نَفْسُ مُحمدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دوابَّ الأرْضِ لَتَسْمَنُ شُكراً مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ»(١).

الشرح: **قوله رضي الله عنه:** (ذات غداة) ذاتِ صباح (فخفض فيه ورفع) أي حقر أمره وكذا عظمه وفخمه، وذلك لهوانه على الله تعالى، ولعظيم فتنته. ويحتمل أن النبي ﷺ خفض من صوته لكثرة ما تكلم فيه، فخفض بعد طول الكلام ليستريح، ثم رفع ليبلغ صوته كل الموجودين من صحابته.

قوله ﷺ: «غير الدجال أخوفني عليكم» أي غير الدجال أخاف عليكم **«أن يخرج، وأنا فيكم»** أي إذا خرج وأنا بين أظهركم **«فأنا حجيجه دونكم»** أي فأنا أتصدى له من دون معاونتكم لي، **«وإن يخرج ولست فيكم»** أي ولكن أخاف عليكم إن خرج بعد موتي ولست معكم **«فامرؤ حجيج نفسه»**

---

(١) رواه أحمد (٣/١٠٦٣٧).

أي فكل واحد منكم فليدافع وليرد عن نفسه ما استطاع من فتنته **«والله خليفتي على كل مسلم»** وهو نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

وقوله ﷺ: **«إنه شاب قطط»** أي شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة.

وقوله ﷺ: **«إنه خارج خَلَّة بين الشام والعراق»** أي من ناحية بين الشام والعراق، وقال في «العين»: **الخَلَّة**: موضع حَزَن وصخور اهـ. **والحَزَن**: الأرض ملؤها الهضاب والتعرجات.

وقوله ﷺ: **«عينه طافئة»** وقد جاء عند البخاري من حديث عبد الله بن مسعود، قوله ﷺ في وصف الدجال: **«... ثم رأيت رجلاً وراءه ـ أي لعيسى عليه السلام ـ جعداً قِططاً أعور عين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قطن»**[١].

قال الزهري ـ عقب رواية البخاري: ابن قطن: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية[٢].

وقوله ﷺ: **«فعاث يميناً وعاث شمالاً»** العيث: الفساد، أو أشد الفساد، والإسراع فيه. والمراد باليمين والشمال، مدى اتساع فساده، ليشمل كل الاتجاهات.

وقوله ﷺ: **«يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»**. قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله ﷺ: **«وسائر أيامه كأيامكم»**. وأما قولهم: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، أقدروا له قدره، فقال القاضي: وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع. قالوا: ولولا هذا الحديث، ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ومعنى أقدروا له قدره أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه، وبين الظهر كل يوم، فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها، وبين العصر، فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها، وبين المغرب، فصلوا المغرب، وكذا العشاء، والصبح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها. وأما الثاني الذي كشهر، والثالث الذي كجمعة، فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه والله أعلم.

وقوله ﷺ: **«فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر»**. أما **تروح**، فمعناه ترجع آخر النهار. **والسارحة** هي: الماشية التي تسرح أي: تذهب أول النهار إلى المرعى. وأما **الذرى**، فبضم الذال المعجمة، وهي: الأعالي، والأسنمة، جمع ذروة بضم الذال، وكسرها.

وقوله: **«وأسبغه»**. بالسين المهملة، والغين المعجمة أي: أطوله لكثرة اللبن، وكذا أمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع.

وقوله ﷺ: **«فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل»**. هي ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة،

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٩).
(٢) رواه البخاري (٣٤٤١).

وآخرون. قال القاضي، المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته.

وقوله ﷺ: «**فيقطعه جزلتين رمية الغرض**». بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابن دريد كسرها أي: قطعتين ومعنى رمية الغرض: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته، هذا هو الظاهر المشهور. وحكى القاضي هذا، ثم قال: وعندي أن فيه تقديماً، وتأخيراً، وتقديره، فيصيبه إصابة رمية الغرض، فيقطعه جزلتين، والصحيح الأول.

قوله «**فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين**» أما المنارة: فبفتح الميم، وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق، ودمشق: بكسر الدال، وفتح الميم، وهذا هو المشهور، وحكى صاحب المطالع كسر الميم، وهذا الحديث من فضائل دمشق. وفي عند ثلاث لغات كسر العين، وضمها، وفتحها، والمشهور الكسر. وأما المهروذتان، فروي بالدال المهملة، والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين، والمتأخرين من أهل اللغة، والغريب، وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة، كما هو المشهور، ومعناه: لابس مهروذتين أي: ثوبين مصبوغين بورس، ثم بزعفران وقيل: هما شقتان، والشقة نصف الملاءة.

وقوله ﷺ: «**تحدر منه جمان كاللؤلؤ**». الجمان: بضم الجيم، وتخفيف الميم هي: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته، فسمى الماء جماناً لشبهه به في الصفاء.

وقوله ﷺ: «**فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات**». هكذا الرواية: «**فلا يحل**» بكسر الحاء: «**ونفسه**»، بفتح الفاء. ومعنى (**لا يحل**): لا يمكن، ولا يقع. وقال القاضي: معناه عندي، حق، وواجب قال: ورواه بعضهم بضم الحاء، وهو وهم، وغلط.

وقوله ﷺ: «**يدركه بباب لد**» هو بضم اللام، وتشديد الدال مصروف، وهو: بلدة قريبة من بيت المقدس.

قوله ﷺ: «**ثم يأتي عيسى ﷺ قوماً قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم**». قال القاضي: يحتمل أن هذا المسح حقيقة على ظاهره، فيمسح على وجوههم تبركاً، وبراً، ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه من الشدة، والخوف. قوله تعالى: «أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور» فقوله (لا يدان) بكسر النون تثنية يد. قال العلماء: معناه لا قدرة، ولا طاقة، يقال: مالي بهذا الأمر يد، ومالي به يدان، لأن المباشرة، والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه.

ومعنى: «**حرزهم إلى الطور**». أي: ضمهم، واجعله لهم حرزاً، يقال: أحرزت الشيء أحرزه إحرازاً إذا حفظته، وضممته إليك، وصنته عن الأخذ، ووقع في بعض النسخ حزب بالحاء،

والزاي، والباء أي: أجمعهم. قال القاضي: وروي حوز بالواو، والزاي، ومعناه: نحهم، وأزلهم عن طريقهم إلى الطور.

قوله: «وهم من كل حدب ينسلون» الحدب: النشز، وينسلون: يمشون مسرعين.

قوله ﷺ: «فيرسل الله تعالى عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى» النغف: بنون، وغين معجمة مفتوحتين، ثم فاء وهو دود يكون في أنوف الإبل، والغنم الواحدة نغفة. **والفرسى** بفتح الفاء مقصور أي: قتلى واحدهم فريس.

قوله: «ملأه زهمهم، ونتنهم» هو بفتح الهاء أي: دسمهم، ورائحتهم الكريهة.

قوله ﷺ: «لا يكن منه بيت مدر». أي: لا يمنع من نزول الماء بيت. المدر بفتح الميم، والدال، وهو: الطين الصلب.

قوله ﷺ: «فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة». روي بفتح الزاي، واللام، والقاف. وروي الزلفة: بضم الزاي، وإسكان اللام، وبالفاء. وروي الزلفة: بفتح الزاي، واللام، وبالفاء. وقال القاضي: روي بالفاء والقاف، وبفتح اللام، وبإسكانها، وكلها صحيحة. قال في المشارق، والزاي مفتوحة، واختلفوا في معناه، فقال ثعلب، وأبو زيد، وآخرون معناه: كالمرآة. وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضاً شبهها بالمرآة في صفائها، ونظافتها. وقيل: كمصانع الماء أي: أن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيد معناه: كالإجانة الخضراء وقيل: كالصحفة. وقيل: كالروضة.

قوله ﷺ: «تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها». العصابة: الجماعة. **وقحفها**: بكسر القاف هو: مقعر قشرها شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ. وقيل: ما انفلق من جمجمته، وانفصل.

قوله ﷺ: «ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس». الرسل: بكسر الراء، وإسكان السين هو: اللبن. واللقحة: بكسر اللام، وفتحها، لغتان مشهورتان، الكسر أشهر، وهي: القريبة العهد بالولادة، وجمعها لقح بكسر اللام، وفتح القاف، كبركة، وبرك، واللقوح ذات اللبن، وجمعها لقاح. والفئام: بكسر الفاء، وبعدها همزة ممدودة، وهي: الجماعة الكثيرة، هذا هو المشهور، والمعروف في اللغة وكتب الغريب ورواية الحديث: أنه بكسر الفاء وبالهمز. قال القاضي ومنهم من لا يجيز الهمز بل يقوله بالياء. وقال في المشارق، وحكاه الخليل: بفتح الخاء، وهي رواية القابسي. قال: وذكره صاحب العين غير مهموز، فأدخله في حرف الياء وحكى الخطابي أن بعضهم ذكره بفتح الفاء، وتشديد الياء، وهو غلط فاحش.

قوله ﷺ: «لتكفي الفخذ من الناس». قال أهل اللغة: الفخذ الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن والبطن دون القبيلة، قال القاضي: قال ابن فارس: الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال إلا بإسكانها بخلاف الفخذ التي هي العضو، فإنها تكسر، وتسكن.

قوله ﷺ: «**يتهارجون تهارج الحمير**». أي: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك. والهرج بإسكان الراء: الجماع. يقال: هرج زوجته، أي: جامعها، يهرجها بفتح الراء، وضمها، وكسرها. ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم» بتصرف.

٣ ـ باب خروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

٣٦٤ ـ عن أَبي زَرْعةَ قالَ: جَلَسَ ثَلاثةُ نَفَرٍ مِنَ المُسْلمينَ إلى مروانَ بن الحكم، فَسمعوهُ يحدثُ عن الآياتِ أَنَّ أولها، خُروجُ الدَّجالِ.

فانصرفَ النَّفر إلى عبدِ اللَّهِ بْنِ عَمرو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عنهما، فحدثوه بالَّذي سمعوهُ من مروان بن الحكم في الآياتِ، أن أَوَّلَها خروج الدجال.

فقال عبد الله: لم يقل مروانُ شيئاً. وقد حفظتُ من رسولِ اللَّهِ ﷺ حديثاً لم أَنْسَهُ بَعْدَمَا سَمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ الآياتِ خُروجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ـ أَوْ ـ خُرُوجُ الدَّابَةِ عَلَى النَّاسِ ضُحىً، وَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا قَرِيباً**».

ثم قال عبدُ اللَّهِ ـ وكانَ يقرأُ الكُتُبَ ـ: وأظن أَوَّلُهما خُروجاً طُلوعُ الشمسِ من مَغْرِبِهَا، وذٰلكَ أَنَّها كُلَّمَا غَرَبَتْ أَتَتْ تحتَ العرشِ، فَسَجَدَتْ، فَاسْتَأْذَنتْ في الرُّجُوعِ فَأَذِنَ لَهَا في الرجوعِ. حتَّى إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَطْلُعَ من مَغْرِبِهَا، أَتَتْ تحتَ العرشِ فَسَجدتْ واسْتَأْذَنَتْ فَلَمْ يُرَدَّ عليها بشيءٍ.

ثُم تَعودُ فَتَسْتأْذن في الرُّجوعِ، فلا يُرَدَّ عليها بشيءٍ. ثم تعودُ فَتستأْذنُ في الرُّجوعِ، فلا يُرَدَّ عليها بشيءٍ. حَتَّى إِذَا ذَهَبَ من الليلِ ما شاءَ اللَّهُ أن يذهبَ، وعرفتْ أنها لَوْ أذِنَ لها لم تُدرك

---

٣٦٤ ـ [رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» في كتاب الفتن رقم (١٨٠) باب: من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها. وهو في «مصنف عبد الرزاق» (٢٠٨١٠) وعند أحمد (٦٨٩٨/ ٢) وأخرجه مسلم (٢٩٤١) والبزار (٣٤٠١) وعبد بن حميد في «المنتخب» رقم (٣٢٦) والحاكم (٨٦٤٥/ ٤) مطولاً ومختصراً. وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/١٢٥٧٩) وقال: في «الصحيح» طرف من أوله. وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح. اهـ. وهو كما قال. ولم أعثر عليه عند الطبراني].

المشرق، قالتْ: رَبِّ، ما أَبْعَدَ المشرقَ! قالتْ: من لي بالنَّاسِ.

حَتَّى إِذَا أضاءَ الأُفقُ كأَنَّهُ طَوْقٌ استأذنتْ في الرُّجوع قِيلَ لَهَا: مَكَانَكِ فاطْلَعي، فَطَلَعَتْ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، ثُمَّ تَلاَ عَبْدُ اللَّهِ هٰذِه الآيَة. وذٰلِكَ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. (رواه ابن أبي شيبة).

٣٦٥ ـ وَعَنْ إبراهيمَ التيميِّ عَنْ أَبيهِ عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ لأَبي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: **«أتَدْري أَيْنَ تَذْهَبُ»**؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«فَإِنَّها تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحتَ العَرْشِ. فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنَ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلا يُؤْذَنَ لَهَا، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا»** فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]». (متفق عليه).

ورواه مسلم بلفظ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ يَوْماً: **«أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هٰذِهِ الشَّمْسُ»**؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«إِنَّ هٰذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِي إِلى مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ العَرْشِ. فَتَخِرُّ سَاجِدَةً. فَلا تَزَالُ كَذٰلِكَ حَتَّى يُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي. ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا.**

ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ العَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً. وَلاَ تَزَالُ كَذٰلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي. ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا.

ثُمَّ تَجْرِي لاَ يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئاً حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ، تَحتَ العَرْشِ. فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي. أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُم؟ حِينَ** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وفي لفظ لمسلم أيضاً من طريق الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: دَخَلْتُ المَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ. فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هٰذِهِ»**؟ قَالَ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ في السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا. وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**.

ورواه أحمد بلفظ: قال أبو ذر: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في المَسْجِدِ حِينَ وَجَبَتْ الشَّمْسُ. قَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ، أَيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ»**؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ،**

---

٣٦٥ ـ [رواه أحمد (٢١٥١٥ ـ ٢١٥٩٧) والبخاري (٣١٩٩) ومسلم (١٥٩) والترمذي (٢١٨٦) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١١٧٦) وابن حبان (٦١٥٣) و(٦١٥٤) والطيالسي (٤٦٠) والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٩٢). واللفظ الأول للبخاري].

فَتَطْلُعُ مِنْ مَكَانِهَا، وَذٰلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا» قَالَ محمد ـ أحد رواة الحديث ـ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨].

وفي رواية لأحمد أيضاً بلفظ: كُنْتُ مع النَّبيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَيْهِ بَرْذَعَةٌ أو قَطِيفَةٌ. قَالَ: فَذَاكَ عِنْدَ غُروبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ لي: **«يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغِيبُ هٰذِهِ»**؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِئَةٍ، تَنْطَلِقُ حَتَّى تَخِرَّ لِرَبِّهَا ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ سَاجِدَةً تَحْتَ العَرْشِ، فَإِذَا حَانَ خُرُوجُها أَذِنَ اللَّهُ لَهَا فَتَخْرُجُ فَتَطْلُعُ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُطْلِعَها مِنْ حَيْثُ تَغْرُبُ، حَبَسَهَا، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ مَسِيرِي بَعِيدٌ. فَيَقُولُ لَهَا: اطْلَعِي مِنْ حَيْثُ غِبْتِ. فَذٰلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا»**.

وقد جاء عند ابن حبان في إحدى روايته بلفظ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في المَسْجِدِ عِنْدَ غُروبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ: **«أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَغْرِبُ الشَّمْسُ»**؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: تَذْهَبُ حَتَّى تَنْتَهِي تَحتَ العَرْشِ عِنْدَ رَبِّهَا، ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَتُوشِكُ أَنْ تَسْتَأْذِنَ، فَلاَ يُؤْذَنُ لَهَا، وَتَسْتَشْفِعَ وَتَطْلُبَ. فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ، قِيلَ لَهَا: اطْلَعِي مِنْ مكانك، فهو قوله ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

الشرح: قوله ﷺ: «إن أول الآيات» أي الدالة على قرب قيام الساعة **«خروج الشمس من مغربها أو خروج الدآبة على الناس ضحى، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريباً»** يعني أنهما متتابعتين يكاد لا يفصل بينهما وقت يُذكر. وقد روى مسلم وغيره عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً؛ طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»**(١).

وروى مسلم والترمذي وغيرهما، من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر الساعة، فقال النبي ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها. ويأجوج ومأجوج، والدابة، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس ـ أو ـ تحشر الناس، فتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا»**(٢) لفظ الترمذي.

وقد نقل البيهقي عن الحليمي قوله: إن أول الآيات، خروج الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وذلك لأن الكفار يسلمون في زمان عيسى حتى تكون الدعوة واحدة، ولو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال ونزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم أيام عيسى، ولو لم ينفعهم، لما صار الدين واحداً، ولذلك أوَّل بعضهم هذا الحديث بأن الآيات إما أمارات دالة على قرب قيام الساعة أو على وجودها، ومن

---

(١) رواه مسلم (١٥٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠١) والترمذي (٢١٨٣).

الأول الدجال ونحوه. ومن الثاني طلوع الشمس ونحوه، فأولية طلوع الشمس إنما هي بالنسبة للقسم الثاني.

وتعقبه السندي بقوله: لكن قول الحليمي، ولو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال لم ينفع الكفار إيمانهم... الخ، مبني على أن الإيمان لا ينفع من بعد طلوع الشمس إلى قيام الساعة، وفيه أنه يمكن أن يُقال: إنه لا ينفع من علم به بالمشاهدة أو بالتواتر، وينفع بعد ذلك من عدم فيه أحدهما، فقد تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أي: فلم يقل: لم ينفع منه إلى يوم القيامة، بل قال: لا ينفع ذلك اليوم، فليتأمل.

ثم رأيت بعض من صنّف في ـ البعث والنشور ـ قال مثل ما قلت، قال: يحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ أنْفُسَ القَرْنِ الذين شاهدوا تلك الآية العظيمة، فإذا مضى ذلك القرنُ، وتطاول الزمان، وعاد الناس إلى ما كانوا عليه من الأديان، عاد تكليفُ الإيمان بالغيب.

وأما قوله ﷺ عن الشمس: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾»، قال الإمام الخطابي في قوله عز وجل ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾، إن أهل التفسير وأصحاب المعاني قالوا فيه قولين. قال بعضهم: معناه: أي لأجل قدّرَ لها، يعني انقطاع مدة بقاء العالم.

وقال بعضهم: مستقرها: غاية ما ينتهي إليه في صعودها وارتفاعها لأطول يوم في الصيف، ثم تأخذ حتى تنتهي إلى أقصى مشارق الشتاء لأقصر يوم في السنة.

وأما قوله عليه السلام: «**مستقرها تحت العرش**»، فلا ننكر أن يكون لها استقرارٌ تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما أخبر عن غيب، فلا نكذِّب به، ولا نكيفه، لأن علمنا لا يحيط به، ويحتمل أن يكون المعنى: أن علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه مبادىء أمور العالم ونهاياتها، والوقت الذي تنتهي به مدتها، فينقطع دوران الشمس، وتستقر عند ذلك، فيبطل فعلها وهو اللوح المحفوظ.

قال: وفي هذا إخبارٌ عن سجود الشمس تحت العرش، فلا يُنكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، وليس في سجودها تحت العرش ما يُعَوِّقُهَا عن الدأب في سيرها، والتصرف لما سُخِّرتْ له.

وأما قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]. فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب، وليس معنى قوله تعالى: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أنها تسقط في تلك العين فتغمرها، وإنما هو خبر عن الغاية التي بلغها ذو القرنين في مسيرها حتى لم يجد وراءها مسلكاً، فوجد الشمس تتدلى عند غروبها فوق هذه

العين، وكذلك غروب الشمس لمن كان في البحر، وهو لا يرى الساحل، كأنها تغيب في البحر.

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥] وقوله عز وجل: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: ٩٦]، أي يجريان بحساب معلوم، وعلى منازل ومقادير لا يجاوزانها. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

وقيل: حسبان: جمع حساب، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ أي في رأي العين، فمن قرأها ﴿حَامِيَةٗ﴾ بلا همز، أراد الحارة. ومن قرأ ﴿حَمِئَةٖ﴾ بلا ألف، مهموزاً، أراد عيناً ذات حمأة، يقال: حمأت البئر إذا نزعت منها الحمأة، وأحمأتها: إذا ألقيت فيها الحمأة. انتهى.

خاتمة: روى الإمام مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت من مغربها، آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ** ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾[1] [الأنعام: ١٥٨].

٤ ـ باب في تظليل السحابة السوداء للأرض قبل قيام الساعة، والمناداة على الناس يومئذ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١].

قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

وقال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الدخان: ١٠ و١١].

٣٦٦ ـ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَطْلُعُ عَلَيْكُم قِبَلَ السَّاعَةِ سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ مِن المَغْرِبِ مِثْلُ التُّرْسِ. فَمَا تَزَالُ تَرْتَفِعُ في السَّمَاءِ وَتَنْتَشِرُ حَتَّى تَمْلأَ السَّمَاءَ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَيُقْبِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ هَلْ سَمِعْتُم؟ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَعَمْ ثُمَّ يُنَادِي الثَّانِيَةَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ**».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلاَنِ لَيَنْشُرَانِ الثَّوْبَ فَمَا يَطْوِيَانِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَدُرَ حَوْضَهُ فَمَا يَسْقِي مِنْهُ شَيْئاً أَبَداً، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْلِبَ نَاقَتَهُ فَمَا يَشْرَبُهُ أَبَداً**» (رواه الطبراني).

وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَاكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خيراً**.

---

(١) رواه مسلم (١٥٧).

٣٦٦ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١٧/٨٩٩). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٨٣١١) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله مولى المغيرة وهو ثقة].

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ، وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوبهمَا بَيْنَهُما فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُم أُكْلَتَهُ إِلى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُها» [(١)].

الشرح: قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي الساعة، وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه، أي قَرُبَ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ أي فلا تطلبوه قبل حينه، فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزه وتقدس وعلا عما أشركوا به غيره.

وقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي فانتظر يا محمد عذابها يوم تأتي السماء بدخان كثيف، بَيّنٍ واضح يراه كل أحد. قال ابن عباس: لم يمض الدخان، بل هو من أمارات الساعة، وهو يأتي قُبيل القيامة، يصيب المؤمن منه مثل الزكام، وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين، حتى يصبح رأس الواحد كالرأس المشوي، ويغدو كالسكران فيملأ الدخان جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره.

وقوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يعم الناس من كل جانب، ويقولون حين يصيبهم الدخان: هذا عذاب أليم. يصل وجعه إلى قلوبهم.

٥ ـ خبر وقصة الجساسة والدجال

٣٦٧ ـ عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت: خَرَجَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَوْماً مِنَ الأيام فَصَلىٰ صَلاَةَ الهَاجِرَةِ، ثُمَّ قَعَدَ فَفَزِعَ النَّاس، فَقَال: «اجْلِسُوا أيُها النَّاسُ، فَإنِّي لَمْ أَقُمْ مَقامي هٰذَا لِفَزَعٍ، وَلٰكِنَّ تَميماً الدَّارِيَّ أتاني فَأَخْبَرَنِي خبَراً مَنَعَنِي القَيْلُولَةَ مِنَ الفَرَحِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ، فَأَحْبَبْتُ أن أَنْشُرَ عَلَيْكُمْ فَرَحَ نَبِيِّكُمْ ـ ﷺ ـ أَخْبَرَنِي أَنَّ رَهْطاً مِنْ بَنِي عَمِّهِ رَكِبُوا الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ رِيحٌ عاصِفٌ فَأَلْجَأَتْهُمْ الرِّيحُ إِلى جَزِيرَةٍ لاَ يَعْرِفُونَها، فَقَعَدُوا فِي قُوَيْرِبٍ بالسَّفِينَةِ حَتَّى خَرَجُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ، فَإذَا هُمْ بِشَيْءٍ أَهْلَبَ كَثِيرِ الشَّعَرِ لا يَدْرُونَ أَرَجُلٌ هُوَ أَوْ امرَأَةٌ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، قَالُوا: أَلا تُخبِرُنا؟ قال: ما أنا بِمُخْبِرُكُم وَلا بِمُسْتَخْبِرِكُمْ، وَلٰكِنَّ هٰذَا الدَّيْرَ قَدْ رَهَقْتُمُوهُ، فَفِيهِ مَنْ هُوَ إِلَى خَبَرِكُمْ بالأشْوَاقِ أَنْ يُخبِرَكُمْ وَيَسْتَخْبِرَكُمْ، قَالَ: قلنا: فما أنتَ؟ قال: أنا الجَسَّاسَةُ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوُا الدَّيْرِ فإذَا هُمْ بِرَجلٍ مُوثَقٍ شَدِيدِ الوَثاقِ، مُظْهِرِ الحُزنِ، كَثِيرَ التَّشَكِّي فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: مِنَ الْعَرَبِ قال: ما فَعَلَتِ الْعَرَبُ؟ أخرَجَ نَبِيُّهُمْ بَعْد؟ قالوا: نَعَم قال: فَما فَعَلُوا؟ قالوا: خيراً آمنوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ. قال: ذلكَ خَيْرٌ لَهُمْ، وَكانَ لَهُ عَدُوٌّ فَأَظْهَرَهُ الله عَلَيْهِمْ، قال: فالعربُ الْيَوْمَ إلٰهُهُمْ وَاحِدٌ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ؟ قالوا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فَعَلَتْ عَيْنُ زُغَر؟ قالوا: صالحةٌ يشرب منها أهلُها لِشَفَتِهِمْ وَيَسْقُونَ مِنْها زَرْعَهُمْ قَالَ: فَما فَعَلَ نَخْلٌ بَيْنَ عُمانَ وَبَيْسَانَ؟ قالوا: صَالِحٌ يُطْعِمُ جَناهُ كُلَّ عَامٍ قال: فما فَعَلَتْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟ قالوا: ملأى قال: فَزَفَرَ ثُمَّ زَفَرَ ثُمَّ

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٦) ومسلم (٢٩٥٤).

٣٦٧ ـ [رواه مسلم في «صحيحه» (٢٩٤١)، وأحمد في المسند (٢٧١٦٩/ ١٠)، واللفظ له].

زَفَرَ ثُمَّ حلف لَوْ خَرَجْتُ مِنْ مَكانِي هٰذَا مَا تَرَكْتُ أَرْضاً مِنْ أَرْضِ الله إِلاَّ وَطِئْتُها غَيْرَ طَيْبَةَ لَيْسَ لِي عَلَيْهَا سُلْطَانٌ».

قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِلَىٰ هٰذَا انْتَهَى فَرَجِي ـ ثلاث مرار ـ إِنَّ طَيْبَةَ الْمَدِينَةَ إِنَّ الله حَرَّمَ حَرَمِي عَلَىٰ الدَّجَّالِ أَنْ يَدْخُلَها»** ثم حلف رسول الله ﷺ: **«وَالَّذِي لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ مَا لَهَا طَرِيقٌ ضَيِّقٌ وَلا وَاسِعٌ فِي سَهْلٍ وَلا فِي جَبَلٍ إِلاَّ عَلَيْهِ مَلَكٌ شَاهِرٌ بِالسَّيفِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَا يَسْتَطِيعُ الدَّجَّالُ أَنْ يَدْخُلَها عَلَى أَهْلِهَا».**

الشرح: وقوله ﷺ: «فإذا هم بشيء أهلب كثير الشعر» الأهلب: غليظ الشعر كثيره. وقد جاء عند مسلم: **«فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قُبلُهُ من دُبُره، من كثرة الشعر»** أقول ـ والله تعالى أعلم ـ لعل هذه الدابة هي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وأما عين زُغر: فهي عين معروفة بزغر. وزغر بلدة في الجانب القبلي من الشام. قال ياقوت الحموي ـ رحمه الله تعالى. وحدثني الثقة، **أن زغر هذه في طرف البحيرة المنتنة في وادٍ هناك.** بينها وبين البيت المقدس ثلاثة أيام. وهي من ناحية الحجاز. ولهم هناك زروع. **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: لما هلك قوم لوط مضى لوط عليه السلام، وبناته يردون الشام، **فماتت الكبرى** من بناته، وكان يُقال لها ريَّة. ثم ماتت بعد ذلك الصغرى، وكان اسمها زُغَرْ فدفنت عند عين، فسميت عين زغر.

٦ ـ باب قبض الأرضين وطي السماوات بيمين الرحمن

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٧ ـ ٧٠].

٣٦٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الحِبْرِ. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا

---

٣٦٨ ـ [رواه أحمد (٢/٤٣٦٨) والبخاري (٤٨١١ و٧٤١٤ و٧٤١٥ و٧٥١٣) ومسلم (٢٧٨٦) والترمذي (٣٢٣٨ و٣٢٣٩) والنسائي في «الكبرى» (٤/٧٦٨٧) و (٦/١١٤٥٠) وأبو يعلى (٥١٦٠) وابن حبان (٧٣٢٥) وغيرهم].

قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. (متفق عليه).

وفي رواية عند البخاري أيضاً بلفظ: جَاءَ حِبْرٌ مِنَ اليَهُودِ فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ السَّماوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالماءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبعٍ، وَالخَلاَئِقَ عَلَىٰ إصبعٍ. ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ. فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّباً وَتَصْدِيقاً لِقَوْلِهِ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿يُشْرِكُونَ﴾.

٣٦٩ ــوَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّماوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**». (متفق عليه).

ورواه أحمد بلفظ: «**يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّماءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**».

٣٧٠ ــوَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّماوَاتِ يَومَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ**». (رواه مسلم وقد علقه البخاري مختصراً، من غير ذكر الشمال).

وفي رواية لمسلم أيضاً من طريق عُبيدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسِم، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحكي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَأْخُذُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدِهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ ــ وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا ــ أَنَا المَلِكُ**» حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى المَنْبِرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ورواه أحمد من طريق ابن أبي طلحة، عن عبيد الله بن مقسم، عن ابن عمر؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ ذاتَ يَوْمٍ عَلَى المِنْبَرِ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ

---

٣٦٩ ـ [رواه أحمد (٨٨٧٢/ ٣) والبخاري (٤٨١٢) ومسلم (٢٧٨٧) والنسائي في «الكبرى» (٧٦٩٢ و١١٤٥٥) وابن ماجه (١٩٢) والدارمي (٢٧٩٩) وأبو يعلى (٥٨٥٠) والطبراني في «الأوسط» (٦٧١) والآجري في «الشريعة» (٣٢٠) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٠٣) وغيرهم، واللفظ الأول للبخاري].

٣٧٠ ـ [رواه أحمد (٥٤١٤/ ٢) ومسلم (٢٧٨٨) وأبو داود (٤٧٣٢) والنسائي في «الكبرى» (٧٦٨٩ و٧٦٩٥) وابن ماجه (١٩٨ و٤٢٧٥) وأبو يعلى (٥٥٥٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (٩٥ و٩٦) وابن حبان (٧٣٢٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٤ و٣٣٩) وعبد بن حميد (٧٤٢) والطبراني في «الكبير» (١٣٣٢٧ ـ ١٣٤٣٧/ ١٢) وغيرهم. وعلقه البخاري في «صحيحه» (٧٤١٣) مختصراً، من غير ذكر الشمال. وقد تكلم العلماء على أسانيد الروايات التي جاءت بذكر الشمال وبيّنوا ضعفها. قالوا: وكيف يصح ذلك، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه سمّى كلتا يديه يميناً؟].

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ، أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا العَزِيزُ، أَنَا الكَرِيمُ». فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ المِنْبَرُ، حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ.

ورواه أبو داود من طريق محمد بن العلاء، أن أبا أسامة أخبرهم عن عمر بن حمزة، قال: قال سالم: أخبرني عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ السَّماواتِ يَوْمَ القِيامةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ» قَالَ ابنُ العَلاَءِ: «بِيَدِهِ الأُخرىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ»؟.

ورواه ابن ماجه بلفظ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، يَقُولُ: «يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ بِيَدِهِ ـ وَقَبَضَ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُهَا ـ ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا الجَبَّارُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ»؟ قَال وَيَتَمَيَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى المِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيءٍ مِنْهُ. حَتَّى إِنِّي أَقُولُ؛ أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

الشرح: قوله ﷺ: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»؟ قال الإمام البغوي في «شرح السنة»: كل ما جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل، في صفاته تعالى، كالنفس والوجه والعين، والإصبع واليد والرجل، والإتيان والمجيء، والنزول إلى السماء، والاستواء على العرش، والضحك والفرح.

فهذه ونظائرها، صفات الله تعالى عز وجل، ورد بها السمع. فيجب الإيمان بها وإبقاؤها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه. معتقداً أن الباري سبحانه وتعالى لا تشبه صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذواته ذوات الخلق. قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السُّنة، تلقوها جميعاً بالقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل. ووكلوا العلم فيها إلى الله تعالى، كما أخبر سبحانه عن الراسخين في العلم. فقال عزَّ وجلَّ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه، في كتابه، فتفسيره قراءته، والسكوت عليه. ليس لأحد أن يفسره إلا الله عز وجل، ورسله.

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول. والكيف غير معقول. والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وما أراك إلا ضالاً. وأمر به أن يخرج من المجلس.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان بن عيينة ومالكاً عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية؟ فقال: أقرُوها كما جاءت بلا كيف.

لطيفة: روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري، من حديث أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ، قالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً واحِدَةً يَتَكَفَّؤُها الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَما يَكْفأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلاً لأَهْلِ الجَنَّةِ»**، فَأَتى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ فَقَالَ: بارَكَ الرَّحْمٰنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القاسِمِ، أَلا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: **«بلى»** قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ. فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ ثُمَّ قَالَ: **«أَلا أُخْبِرُكَ بِإِدامِهِم؟»** قالَ: **«إِدامُهُمْ بالامٌ وَنُونٌ»** قالُوا: وَما هٰذا؟ قالَ: **«ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زائِدَةِ كَبِدِهِما سَبْعُونَ أَلْفاً»**(1).

ومعنى قوله ﷺ: **«يتكفؤها»** أي يميلها. من كفأت الإناء، إذا قلبته. والخبزة: هي الطلمة ـ بضم الطاء ـ وهي عجينة الرغيف قبل مدِّها وبسطها. وهو الخبز الذي يصنعه المسافر، فإنها لا تدحى كما تدحى الرقاقة، وإنما تقلب على الأيدي حتى تستوي قاله الخطابي بمعناه.

والنون: هو الحوت. **والإدام**: هو ما يُأكل به الخبز.

وقوله ﷺ: **«يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً»** قال عياض زيادة الكبد وزائدتها هي القطعة المنفردة المتعلقة بها وهي أطيبه ولهذا خص بأكلها السبعون ألفاً ولعلهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب فضلوا بأطيب النزل، ويحتمل أن يكون عبر بالسبعين عن العدد الكثير ولم يرد الحصر فيها، وقد جاء في مسائل عبد الله بن سلام أن أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت، وأن عند مسلم في حديث ثوبان **«تحفة أهل الجنة زيادة كبد النون»** وفيه **«غذاؤهم على أثرها أن ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»** وفيه **«وشرابهم عليه من عين تسمى سلسبيلاً»** وأخرج ابن المبارك في «الزهد» بسند حسن عن كعب الأحبار: **أن الله تعالى يقول لأهل الجنة إذا دخلوها: «إن لكل ضيف جزوراً وإني أجزركم اليوم حوتاً وثوراً، فيجزر لأهل الجنة»** قاله في **«الفتح»**.

٧ ـ باب النار التي تحشر الناس قبل قيام الساعة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

٣٧١ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المدينة أُخْبِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلام بِقُدُومِهِ وهو في نَخْلَهُ، فَأَتاهُ فَقَالَ: إني سَائِلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لا يَعْلمهَا إلاَّ نَبيّ، فَإنْ أَخْبرتني بِهَا آمنتُ بِكَ، وَإِنْ لَمْ تَعلمهنَّ عرفتُ أنكَ لَسْتَ بنبيٍّ قالَ: فَسَأَلَهُ عَنِ الشَّبهِ، وعنْ أوّلِ شيءٍ يَأْكُلهُ أَهل الجَنَّةِ، وعنْ أَوَّلِ شيءٍ يَحْشُر النَّاسَ.

قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفاً»** قال: ذاكَ عَدوّ اليهود قالَ: **«أمّا الشَّبَهُ: إذا سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المرأةِ ذَهَبَ بالشَّبَهِ، وإذا سَبَقَ ماءُ المرأةِ ماءَ الرَّجُلِ ذَهَبَتْ بالشَّبَهِ، وأمّا أَوَّلُ شَيْءٍ**

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢).

٣٧١ ـ [رواه أحمد (١٣٨٦٩/ ٤) والبخاري (٣٣٢٩) والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٩٢/ ٦) وغيرهم. واللفظ لأحمد].

يأكُلُهُ أهلُ الجَنّةِ: فَزِيادَةُ كَبِدِ الحُوتِ، وَأمّا أوَّلُ شَيْءٍ يَحشُرُ النّاسَ: فَنارٌ تَخرُجُ مِنْ قِبَلِ المَشرِقِ فَتَحشُرُهُمْ إلى المَغرِبِ» فآمَنَ وقالَ: أَشهَدُ أنكَ رَسُولُ اللهِ.

قالَ ابنُ سَلامَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنَّ اليَهودَ قَومٌ بُهتٌ، وَإنهُمْ إنْ سَمِعُوا بإسْلامي يَبهتوني فَأخْبئني عِندَكَ وَابعَثْ إلَيْهِم فَتَسْألَهُمْ عَني، فَخَبأهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺوَبَعَثَ إلَيْهِمْ فَجَاؤوا فَقَالَ: **«أيُّ رَجُلٍ عَبْدُ الله بْنُ سَلام فِيكُمْ؟»** قَالُوا: هُوَ خَيْرِنَا، وابْنِ خَيرِنَا، وَسَيدِنَا، وابْنِ سَيدِنَا، وعَالِمنَا، وابنِ عَالمنَا. فقالَ: **«أرأيتم إن أسلم تُسْلِمُونَ؟»** فقالوا: أعاذه الله من ذلك.

فقالَ: يا عَبْدَ الله بْنَ سَلام **«اخرُجْ إلَيهِمْ فَأخبِرْهُمْ»** فَخرَجَ فقالَ؛ أَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللّهُ، وَأَشهَدُ أن مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ ﷺفَقَالُوا: أَشرُّنَا وابن أَشرِّنَا، وَجَاهِلنا وابن جَاهِلنا، فقالَ ابنُ سَلامٍ: قَدْ أخبرتُكَ يَا رَسُولَ اللّهِ أنَّ اليَهودَ قَومٌ بُهتٌ. (رواه أحمد).

والبهت: الكذب والافتراء، والمراد: أن اليهود قوم كَذَّابُونَ مُفترونَ لعنهم الله تعالى.

الشرح:قوله ﷺ **«وأما أول شيء يحشر الناس، فنار تخرج من قبل المشرق، فتحشرهم إلى المغرب»** فآمن، وقال: أشهد أنك رسول الله. وفي هذا إشارة إلى وجود معنى أجوبته ﷺفيما سبق من الكتب السابقة كالتوارة والإنجيل.

والمراد بالمشرق هنا، اليمن كما جاء صريحاً عنه ﷺ ففي «صحيح مسلم» وغيره، من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، قال: اطلع النبي ﷺعلينا ونحن نتذاكر، فقال: **«ما تذاكرون»**؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: **«إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات»** فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابنَ مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسفٌ بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم [١].

وروى الإمام أحمد وغيره بإسناده صحيح على شرط الشيخين، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: **«تخرج نار من حضرموت ـ أو ـ بحضرموت، فتسوق الناس»** قلنا يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: **«عليكم بالشام»** [٢].

وروى مسلم وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺقال: **«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى»** [٣].

وبصرى: مدينة معروفة بالشام في حوران، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل. والمراد: عظم لهب النار التي تحشر الناس، وعظيم نورها.

بشرى وفضيلة: روى الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح على شرط الشيخين، من حديث

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠١). (٢) رواه أحمد (٢/٤٥٣٦).

(٣) رواه مسلم (٢٩٠٢).

معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُم، وَلَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»**[1].

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» وغيره، بإسناد صحيح على شرط مسلم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال. قال رسول الله ﷺ يوماً ونحن عنده: **«طُوبىٰ للشَّامِ»** قالَ: **«إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمٰنِ لَبَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَها عَلَيْهِ»**[2].

فائدة: قال ابن حبان رحمه الله تعالى: أول الشام: بالس، وآخر: عريش مصر. اهـ. وبالس: بلدة بالشام شرق حلب على ستين ميلاً منها. عندها يتحول مجرى الفرات من الجنوب إلى الشرق. فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

فصل فيمن يخاصمهم الله تعالى يوم القيامة، ولا ينظر إليهم وفيمن يفضحهم الله على رؤوس الأشهاد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٧٧].

٣٧٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَىٰ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً، فَاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»**. (رواه البخاري).

٣٧٣ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَبِي فُضَالَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِذَا جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَىٰ مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَداً فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ»**. (رواه أحمد).

٣٧٤ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ. فَقِيلَ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»** (متفق عليه واللفظ لمسلم).

---

(١) رواه أحمد (٢٠٣٨٩/٧).

(٢) رواه ابن حبان (٧٣٠٤).

٣٧٢ ـ [رواه أحمد (٨٧٠٠/٣) والبخاري (٢٢٢٧) وابن ماجه (٢٤٤٢) وابن الجارود في «المنتقى» (٥٧٩) وغيرهم. واللفظ للبخاري].

٣٧٣ ـ [رواه أحمد (١٥٨٣٨/٥).. والترمذي (٣١٥٤) والطبراني (٧٧٨/ ٢٢) وابن حبان (٤٠٤) و(٧٣٤٥) وهو حديث حسن].

٣٧٤ ـ [رواه أحمد (٤٦٤٨/ ٢) والبخاري (٦١٧٨) ومسلم (١٧٣٥) والنسائي في «الكبرى» (٧٨٣٧/ ٥) وغيرهم].

وفي لفظ له: **«إِنَّ الغَادِرَ يَنْصِبُ اللَّهُ لَهُ لِوَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: أَلاَ هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلانٍ»**.

الشرح: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي يستبدلون بالعهد الذي عاهدوا عليه من التصديق بمحمد ﷺ وبأيمانهم الكاذبة، حطام الدنيا وعَرَضَها الخسيس الزائل ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي ليس لهم حظ ولا نصيب من رحمة الله تعالى ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي لا يكلمهم كلام أُنسٍ ولطف، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة يوم القيامة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي لا يطهرهم من تبعات ذنوبهم، ولهم عذاب مؤلم يصل وجعه إلى قلوبهم، على ما ارتكبوه من المعاصي.

ومن هؤلاء الأصناف الذين لا ينظر الله تعالى إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم ولا يزكيهم، ما جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»** قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا. من هم يا رسول الله؟ قال: **«المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»** (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر»** (٢).

والعائل: الفقير.

وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه، وهو على غير ذلك. ورجل بايع إماماً إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطها منها لم يفِ»** (٣).

٨ ـ باب أول ما يقال للعبد يوم القيامة

٣٧٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ـ يَعْنِي العَبْدَ ـ مِنَ النَّعِيمِ، أَنْ يُقَالَ لَهُ أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيكَ مِنَ الماءِ البَارِدِ»** (رواه الترمذي).

ورواه ابن حبان بلفظ: **«أَوَّلَ مَا يُقَالُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَلَمْ أُصَحِّحْ جِسْمَكَ، وَأَرْوِيَكَ مِنَ الماءِ البَارِدِ»**.

ورواه الحاكم بلفظ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَأَرْوِكَ مِنَ الماءِ البَارِدِ»**.

---

(١) رواه مسلم (١٠٦). (٢) رواه مسلم (١٠٧).

(٣) رواه مسلم (١٠٨).

٣٧٥ ـ [رواه الترمذي (٣٣٥٨) وابن حبان (٧٣٦٤) والحاكم (٤/٧٢٠٣)، وغيرهم، وهو حديث صحيح].

٩ ـ باب لقاء العبد لربه جل وعلا يوم القيامة، ليس بينهما ترجمان. وبيان ما يُقال لبعضهم

٣٧٦ ـ عَنْ عديِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلانِ، أحدُهما يَشْكُو العَيْلَةَ، وَالآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أمَا قَطْعُ السَّبِيلِ، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكَ إِلاَّ قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ العِيرُ إِلى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ. وَأَمَّا العَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُم بِصَدَقَتِهِ لاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبلهَا مِنْهُ.

ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُم بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تُرْجُمَانٌ لَهُ. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلى. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرسِلْ إِلَيْكَ رَسُولاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلى. فَيَنظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلاَّ النَّار، ثُمَّ يَنظُر عَنْ شِمَالِهِ فَلا يَرَى إِلاَّ النَّارَ. فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُم النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». (رواه البخاري).

ورواه ابن حبان بلفظ: **«إِنَّ أَحَدَكُم لاقِي اللَّهِ جَلَّ وَعَلاَ، فَقَائِلٌ مَا أَقُولُ، أَلَمْ أَجْعَلْكَ سَمِيعاً بَصِيراً؟ أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالاً وَوَلَداً؟ فَماذَا قَدَّمتَ؟ فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، فَلاَ يَجِدُ شَيئاً، فَلا يَتَّقِي النَّارَ إِلاَّ بِوَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».**

وفي رواية للبخاري أيضاً مختصرة، بلفظ: **«مَا مِنْكُم أَحَدٌ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرجُمان. فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَىٰ إِلاَّ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ. وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»** وفي رواية بزيادة: **«وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».**

٣٧٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ، يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ!.**

يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ. قَالَ: [...] علِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعمتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي.

يا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ. قَالَ: [...] تَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي» (رواه مسلم).

---

٣٧٦ ـ [رواه البخاري (١٤١٣ و٣٥٩٥ و٦٠٢٣ و٦٠٣٩ و٦٥٤٠ و٦٥٦٣ و٧٤٤٣ و٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦) [...]، أحمد (٦/١٨٢٧٦) وابن حبان (٧٣٦٥) وغيرهم].

٣٧٧ ـ [...] مسلم (٢٥٦٩) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥١٧) وغيرهما].

٣٧٨ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُم، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ.**

فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْقَارِىءِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي ﷺ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ المَلائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَارَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ! فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ! فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ المَلائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ».

ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُكْبَتِي فَقَالَ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»**. (رواه ابن حبان).

٣٧٩ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لاَ يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟ قَالَ: **«يَرَى أَمْراً لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لاَ يَقُولُ فِيهِ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيَّ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاسِ. فَيَقُولُ: فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى»**. (رواه ابن ماجه).

٣٨٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَيَلْقَيَنَّ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبْلَ؟ أَلَمْ أَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ أَلَمْ أُزَوِّجْكَ فُلانَةَ خَطَبَهَا الخُطَّابُ، فَمَنَعْتُهُمْ وَزَوَّجْتُكَ»**. (رواه ابن حبان).

---

٣٧٨ ـ [رواه أحمد (٨٢٨٤/ ٣) ومسلم (١٩٠٥) والترمذي (٢٣٨٢) والحاكم (٣٦٤/ ١) و(٢٥٢٤/ ٢) وابن حبان (٤٠٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٤٣) والبيهقي (١٦٨/ ٩) واللفظ لابن حبان].

٣٧٩ ـ [رواه ابن ماجه (٤٠٠٨) و(٤٠١٧) وأحمد (١١٧٣٥/ ٤) والحميدي (٧٣٩) وابن حبان (٧٣٦٨) وأبو يعلى (١٠٨٩) وغيرهم. وإسناده قوي].

٣٨٠ ـ [رواه ابن حبان (٧٣٦٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص/ ١٥٤) وإسناده حسن].

١٠ ـ باب ما يقال للكافر يوم القيامة

٣٨١ ـ عَنْ أَنس بْنِ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**يُجَاءُ بِالكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذٰلِكَ**». (متفق عليه).

وفي لفظ لمسلم: «**يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِياً بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هٰذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لاَ تُشْرِكَ ـ أَحْسَبُهُ قَالَ ـ وَلاَ أُدْخِلَكَ النَّارَ، فَأَبَيْتَ إِلاَّ الشِّرْكَ**».

وفي رواية في «الصحيح» أيضاً: «**يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ. قَدْ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذٰلِكَ**».

ورواه الحاكم بلفظ: «**يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ من أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فيقولُ: أَيْ رَبِّ، خَيرَ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ. فَيَقُولُ: مَا أَسْأَلُكَ وَأَتَمنَّى. أَسْأَلُكَ أن تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلُ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ. لِمَا رَأَىٰ مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ**».

قَالَ: «**وَيُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ شَرَّ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: فَتَفْتَدِي مِنْهُ بِطِلاَعِ الأَرْضِ ذَهَباً؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: كَذَبْتَ، قَدْ سَأَلْتُكَ دُونَ ذٰلِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ**» وإسناده صحيح على شرط مسلم، وطلاع الأرض: أي ما طلعت عليه الشمس.

شهادة جوارح العبد عليه يوم القيامة بما كسب على الأرض

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤ ـ ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ إلى قوله ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ١٩ ـ ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ١ ـ ٣].

---

٣٨١ ـ [رواه أحمد (١٢٢٩١/ ٤) والبخاري (٣٣٣٤) ومسلم (٢٨٠٥) وأبو يعلى (٤١٨٦) والحاكم (٢٤٠٥/ ٢) وابن حبان (٧٣٥٠) والنسائي (٣١٦٠) وغيرهم].

٣٨٢ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ»؟ قَالَ: قُلْنَا، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِداً مِنِّي.

قَالَ فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً، وَبِالْكِرَامِ الكَاتِبِينَ شُهُوداً. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ. فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَلاَمِ قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ». (رواه مسلم).

ورواه أبو يعلى في إحدى روايته بلفظ: ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ـ أَوْ تَبَسَّمَ ـ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: «أَلاَ تَسْأَلُونِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتُ»؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟.

قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ العَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَلاَّ تَظْلِمَنِي؟ قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: فَإِنِّي لاَ أَقْبَلُ عَلَيَّ شَاهِداً إِلاَّ مِنْ نَفْسِي. فَيَقُولُ: أَوَ لَيْسَ كَفَانِي شَهِيداً، وَالْمَلاَئِكَةَ الكِرَامَ الكَاتِبِينَ؟

فَقَالَ: فَيُرَدِّدُ الكَلاَمَ مِرَاراً. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، وَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً، عَنْكُنَّ كُنْتُ أُجَادِلُ».

٣٨٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لاَ. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا.

قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي.

ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. أَيْ رَبِّ! فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ فَيَقُولُ: لاَ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي.

---

٣٨٢ ـ [رواه مسلم (٢٩٦٩) وأبو يعلى (٣٩٧٧/٧) وابن حبان (٧٣٥٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/٢١٧/٢١٨) باللفظ الأول، واللفظ الثاني رواه أبو يعلى (٣٩٧٥/٧) بإسناد لا يخلو من مقال، لكن يشهد له اللفظ الأول فيصح به، والله أعلم].

٣٨٣ ـ [رواه مسلم (٢٩٦٨) والحميدي (١١٧٨) وأبو داود (٤٧٣٠) وابن منده في «الإيمان» (٨٠٩) وغيرهم. واللفظ لمسلم].

ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ فَيَقُولُ: هٰهُنَا إِذاً.

قَالَ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ. وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ. وَذٰلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ. وَذٰلِكَ الْمُنَافِقُ. وَذٰلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ». (رواه مسلم).

الشرح: قوله ﷺ: «فيقال لأركانه» أي لجوارحه. ومعنى قوله: فعنكن كنت أناضل: أي أدافع وأجادل.

وقوله جل وعلا: **«أي فل»** معناه: يا فلان. وهو ترخيم على خلاف القياس. وقيل هي لغة بمعنى فلان. حكاها القاضي عياض.

ومعنى قوله جل وعلا: **«وأسودك»** أي أجعلك سيداً على غيرك ومعنى **«أذرك ترأس وتربع»** أي تركتك تكون رئيس القوم وكبيرهم، وتأخذ مرباع ما يغنمون. حيث كانت الملوك في الجاهلية تأخذه من الغنيمة. وهو ربعها. والمراد: ألم أجعلك رئيساً مطاعاً وفيه إشارة إلى شدة محاسبة من يتولى مصالح الناس ويسوس أمورهم.

وقوله جل وعلا: **«فإني أنساك كما نسيتني»** هو نحو قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]. وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤]، وهو من المجاز، ذلك أن الله تعالى منزه عن النسيان. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، قال أهل العلم. ومعناه أن الله تعالى يمنعه الرحمة كما امتنع عن الطاعة، وقيل هو من باب الجزاء من جنس العمل، لقوله تعالى ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

ومعنى قوله ﷺ: **«وذلك ليعذر من نفسه»** من الإعذار. أي ليزيل الله عذره من قِبَلِ نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه، بحيث لم يبق له عذر يتمسك به. ذكره النووي في شرح صحيح مسلم.

خاتمة: روى الإمام أحمد وغيره بإسناد حسن، من طريق بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده، قال: أتيت النبي ﷺ حين أتيته فقلت: والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاء أن لا آتيك. ولا آتي دينك ـ وجمع بهز بين كفيه ـ وقد جئت أمراً لا أعقل شيئاً، إلا ما علمني الله تبارك وتعالى ورسوله، وإني أسألك بوجه الله، بم بعثك الله إلينا؟ قال: **«بالإسلام»** قلت: وما آيات الإسلام؟ قال: **«أَنْ تَقُولَ: أَسْلَمْتُ وَجْهِي لله وَتَخَلَّيْتُ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، كُلُّ مُسْلِمٍ على مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ أخوانِ نَصِيرَانِ، لا يَقْبَلُ الله مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلاً، وَتُفَارِقَ المُشْرِكِينَ إلى المُسْلِمِينَ، مالي أُمْسِكُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ألا إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ دَاعِيَّ، وَإِنَّهُ سَائِلِي: هَلْ بَلَّغْتَ عِبَادَهُ، وَإِنِّي قَائِلٌ: رَبِّ إِنِّي قَدْ بَلَّغْتُهُمْ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغائِبَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَدْعُوُّونَ مُفَدَّمَةً أَفْوَاهُكُمْ**

بالفدام، ثم إنَّ أَوَّلَ ما يُبِينُ عَنْ أَحَدِكُمْ لَفَخِذُهُ وَكَفُّهُ» قلت: يا نبي الله هذا ديننا؟ قال: «هذا دِينُكُمْ وَأَيْنما تُحسِنْ يَكْفِكَ»[١].

وفي رواية لأحمد أيضاً بلفظ: «. . . **تحشرون ههنا** ـ وأومأ بيده نحو الشام ـ **مشاة وركباناً، وعلى وجوهكم، تعرضون على الله تعالى، وعلى أفواهكم الفدام، وأول ما يعرب عن أحدكم فخذه**»[٢]. **والفدام**: الحزام الذي يُشد به فم الدابة.

وقد جاء في رواية البغوي في «شرح السنة»: «. . . **وإنكم تحشرون على وجوهكم، وعلى أقدامكم وركباناً**»[٣].

ومعنى قوله ﷺ: «**كل مسلم على مسلم محرم**» يقال: محرَّم عنك، أي يحرم أذاك عليه. قاله البغوي.

وقد روى أحمد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن أوَّل عظم من الإنسان يتكلم يوم يُختم على الأفواه، فخذهُ من الرجل الشمال**»[٤].

١١ ـ باب ما يقال لأنعم أهل الأرض ـ من أهل الشقاوة ـ إذا غمس غمسة في النار. وما يقال لأشقى أهل الأرض ـ من أهل السعادة ـ إذا غمس غمسة في الجنة

٣٨٤ ـ عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ القِيَامَةِ. فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً. ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. وَاللَّهِ يَا رَبِّ.**

وَيُؤْتَىٰ بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيا، مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ. فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ. فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». (رواه مسلم).

الشرح: ومعنى قوله ﷺ: «فيصبغ في النار صبغة» أي يُغمس غمسة، وفي الحديث، أن نعيم الدنيا ولذتها، إن لم يكن بطاعة الله تعالى، لا يعادل غمسة واحدة في النار، لشدة هولها وعظيم عذابها وألمها. أجارنا الله منها والمسلمين. وفيه أيضاً أن البؤس والشدة التي يعانيها المسلم في الدنيا محتسباً أجره عند ربه، لا تعادل غمسة واحدة في الجنة، وذلك لما فيها من نعيم وسعادة وسرور، جعلنا الله تعالى من أهلها.

والبؤس: الشدة.

---

(١) رواه أحمد (٢٠٠٦٣/٧).
(٢) رواه أحمد (٢٠٠٤٢/٦).
(٣) رواه البغوي (٤٣٣٠).
(٤) رواه أحمد (١٧٣٧٩/٦).
٣٨٤ ـ [رواه مسلم (٢٨٠٧)].

١٢ ـ باب المناداة على آدم بإخراج بعث النار

قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

٣٨٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَزَلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ ـ ٢]، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي مَسِيرٍ لَهُ.

فَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ حَتَّى ثَابَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ: **«أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هٰذَا؟ يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ: قُمْ فَابْعَثْ بَعْثاً إِلَى النَّارِ، مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِداً إِلَى الجَنَّةِ»**.

فَكَبُرَ ذٰلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُم فِي النَّاسِ إِلاَّ كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ إِنَّ مَعَكُم لَخَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ كَثَّرَتَاهُ، يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ كَفَرَةِ الجِنِّ وَالإِنْسِ»**. (رواه أبو يعلى).

٣٨٦ ـ وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِي ﷺ فِي سَفَرٍ فَتَفَاوَتَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ ـ ٢]. فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا المَطِيَّ وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ، فَقَالَ ﷺ: **«هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذٰلِكَ»** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ. قَالَ: **«ذَاكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُول: يا آدَمُ، ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الجَنَّةِ»**. فَيَئِسَ القَوْمُ، حَتَّى مَا أَبْدَوْا بِضَاحِكَةٍ. فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ، قَالَ: **«اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحمَدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُم لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ، مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلاَّ كَثَّرَتَاهُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَبَنِي إِبْلِيسَ»**.

قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ القَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ، فَقَالَ: **«اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُم فِي النَّاسِ، إِلاَّ كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ»**. (رواه الترمذي).

---

٣٨٥ ـ [رواه أبو يعلى (٣١٢٢/٥) والحاكم (٨٠/١) وابن حبان (٧٣٥٤) في «صحيحه» وبرقم (١٧٥٢) ـ موارد الظمآن ـ وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٦٢٤/ ١٠) وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن مهدي، وهو ثقة اهـ. أقول: وإسناد ابن حبان إسناد صحيح على شرط الشيخين].

٣٨٦ ـ [رواه أحمد (١٩٩٢٢/٧) والترمذي (٣١٦٨ و٣١٦٩) والنسائي في «الكبرى» (١١٣٤٠/٦) والحاكم (٧٨ ـ ٧٩/ ١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال].

٣٨٧ ـ وَعَنْ أَبي الدرداءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامَ: قُمْ فَجَهِّزْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ تِسْعَمائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلى النَّارِ، وَوَاحِداً إِلى الجَنَّةِ**».

فَبَكَىٰ أَصْحَابُهُ وَبَكُوا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ارْفَعُوا رُؤُوسَكُم، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُمَّتِي في الأُمَمِ إلاَّ كالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ**». فَخَفَّفَ ذٰلِكَ عَنْهُمْ. (رواه أحمد).

٣٨٨ ـ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعالَىٰ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ في يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمائةٍ وَتِسعةً وتِسْعينَ. فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**».

قالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذٰلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: «**أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُم رَجُلاً وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ**».

ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ. فَكَبَّرنَا. فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ: مَا أَنْتُم في النَّاسِ إِلاَّ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ في جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ**». (متفق عليه).

وفي رواية عند البخاري؛ «**يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخرِجَ مِنْ ذُرِّيتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ**».

٣٨٩ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ مَنْ يُؤتَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: هٰذَا أَبُوكُم آدَمُ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ لَهُ رَبُّنَا: أَخْرِجْ نَصِيبَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيتِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَكَمْ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ مائَةٍ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ**».

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مائةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فَماذَا يَبْقَىٰ مِنَّا؟

قَالَ: «**إِنَّ أُمَّتي في الأُمَمِ كَالْشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ في الثَّوْرِ الأَسْوَدِ**». (رواه أحمد).

ورواه البخاري بلفظ: «**أَوَّلُ مَنْ يُدْعىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ، فَيُقَالُ: هٰذَا أَبُوكُم آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّم مِنْ ذُرِّيَّتِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَمْ أُخرِجُ؟**

---

٣٨٧ ـ [رواه أحمد (٢٧٥٥٩/ ١٠) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٦٢١/ ١٠) وعزاه لأحمد والطبراني وقال: وإسناده جيد، وهو كما قال، ولم أجده عند الطبراني في «الثلاثة»].

٣٨٨ ـ [رواه البخاري (٣٣٤٨ و٤٧٤١ و٦٥٣٠ و٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢) والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٩/ ٦) وأحمد (١١٢٨٤/ ٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢١٩)، واللفظين للبخاري].

٣٨٩ ـ [رواه أحمد (٨٩٢٢/ ٣) والبخاري (٦٥٢٩)].

فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الأُمَمِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ».

الشرح: قوله ﷺ: «يوم يقوم الله لآدم: قم فابعث بعثاً إلى النار» وفي الرواية الثانية **«فيقول: يا آدم: ابعث بعث النار»** قال أهل العلم: البعث هنا، بمعنى المبعوث الموجه إليه، ومعناه: ميز أهل النار من غيرهم. وإنما خُصَّ بذلك آدم، لكونه والد الجميع، ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء، فقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء، وعن يمينه أسودة، وعن شماله أسودة. .

وأما قوله جل وعلا: «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الجنة» فكبر ذلك على المسلمين. وقد تقدم في رواية أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، في أخبار آدم عليه السلام، قوله ﷺ: **«فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»** ومعناه موافق للآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ١ ـ ٢]، إلى آخرها. وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]، قال الإمام النووي: وقد اختلف العلماء في وقت وضع كل ذات حمل حملها وغيره من المذكور، فقيل؛ عند زلزلة الساعة، قبل خروجهم من الدنيا. وقيل: هو في القيامة، فعلى الأول، هو على ظاهره وعلى الثاني، يكون مجازاً، لأن القيامة ليس فيها حمل ولا ولادة، وتقديره ينتهي به الأهوال والشدائد إلى أنه لو تصورت الحوامل هناك، لوضعن أحمالهن، كما تقول العرب: أصابنا أمر يشيب منه الوليد. يردون: شدته.

وقوله ﷺ: «اعملوا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده، إنكم لمع خليقتين، ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج، ومن مات من بني آدم، وبني إبليس» وقد تقدم من رواية أبي سعيد **«أبشروا، فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف»** قال القرطبي في **«المفهم»**: ويعني بالألف هنا: التسعمائة والتسعة والتسعين المتقدمة الذكر.

ويأجوج ومأجوج؛ خَلْقٌ كفار، وراء سدّ ذي القرنين، والمراد بهم في هذا الحديث، هم ومن كان على كفرهم، كما أن المراد بقوله ﷺ: **«منكم»** أصحابه ومن كان على إيمانهم، لأن مقصود هذا الحديث، الإخبار بقلة أهل الجنة من هذه الأمة بالنسبة إلى كثرة أهل النار من غيرهم من الأمم. ألا ترى أن قوله عليه الصلاة والسلام: **«إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار»** يدل على ذلك المقصود.

وأما نسبةُ هذه الأمة إلى من يدخل الجنة من الأمم، فهذه الأمة شطر أهل الجنة كما نصَّ عليه، والشطر: النصف. ومنه يُقال: شاطرته مشاطرة، إذا قاسمته فأخذت نصف ما في يديه. اهـ.

والرقمة: ـ بفتح الراء وإسكان القاف ـ قال أهل اللغة: الرقمتان في الحمار هما الأثران في باطن عضديه. وقيل: هي الدائرة في ذراعيه. وقيل: هي الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل. والله تعالى أعلم بالصواب.

١٣ ـ باب صفة جسر جهنم، وصفة وروده، وحال آخر من يخرج من النار من الموحدين

قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨ ـ ٧٢].

٣٩٠ ـ عَنْ أَبي سَعيد الخُدْريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ **«يَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّم، وَعَلَيهِ حَسَكٌ وَكَلاَلِيبُ وَخَطَاطِيفُ تَخْطُفُ النَّاسَ يَميناً وَشِمَالاً. وَعَلَى جَنْبَتَيْهِ مَلاَئِكَةٌ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ».**

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ البَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الرِّيحِ، وَمِنْهُم مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسعىٰ سَعْياً، وَمِنْهُم مَنْ يَمْشي مَشْياً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْواً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفاً.

فَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُها، فَلاَ يَمُوتُونَ وَلاَ يَحْيَوْنَ، وَأَمَا أُنَاسٌ فَيُؤْخَذُون بِذُنوبٍ وَخَطَايا» قَالَ: **«فَيَحْتَرِقُونَ فَيَكُونُونَ فَحْماً. ثُمَّ يُؤْذَنُ في الشَّفَاعَةِ. فَيُؤْخذون ضُبَارَاتٍ ضُبَارَاتٍ، فَيُقْذَفُونَ عَلَى نَهرٍ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنبتُ الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيْلِ».**

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَمَا رَأَيْتُم الصَّبْغاءَ شَجَرَةً تَنْبُتُ في الغُثَاءِ. فَيَكُونَ مِنْ آخِرِ مَنْ أُخرِجَ مِنَ النَّارِ رَجلٌ عَلَى شَفَتِهَا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنْهَا. فَيَقُولُ: عَهْدَكَ وذِمَّتَكَ، لاَ تَسْأَلَني غَيْرَهَا».**

قَالَ: **«وَعَلَى الصِّرَاطِ ثَلاثُ شَجَراتٍ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، حَوِّلْني إِلى هٰذِهِ الشَّجَرَةِ آكُلُ مِنْ ثَمرِهَا، وَأَكُونُ في ظِلِّهَا فَيَقُولُ: عَهْدَكَ وَذِمَّتَكَ، لاَ تَسْأَلْني غَيْرَهَا».**

قَالَ: **«ثُمَّ يَرَىٰ أُخرىٰ أَحْسَنَ مِنها، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، حَوِّلْني إِلَى هٰذِهِ آكُلُ مِنَ ثَمَرِهَا وَأَكُونُ في ظِلِّهَا»** قَالَ: **«فَيَقُولُ: عَهْدَكَ وَذِمَّتَكَ، لاَ تَسْأَلْني غَيْرَهَا»** قَالَ: **«ثُمَّ يَرىٰ أُخرىٰ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَوِّلْني إِلَى هٰذِهِ آكُلُ مِنْ ثَمرِهَا وَأَشْرَبُ في ظِلِّهَا. ثُمَّ يَرىٰ سَوادَ النَّاسِ، وَيَسْمَعُ كَلاَمَهُمْ»** قَالَ: **«فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَدْخِلْني الجَنَّةَ».**

قَالَ أَبُو نَضْرَةَ ـ وهو أحد رواة الحديث ـ: اخْتَلَفَ أَبُو سَعيدٍ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحابِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ أَحَدهما: **«فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ فَيُعْطَىٰ الدُّنْيا وَمِثْلُها»** وقال الآخر: **«يَدْخُلُ الجَنَّةَ فَيُعطىٰ الدُّنْيا وَعَشْرَةَ أَمْثالِهَا»** (رواه أبو يعلى).

---

٣٩٠ ـ [رواه أحمد (١١٢٠٠/ ٤) وأبو يعلى (١٢٥٣) وابن حبان (٧٣٧٩) وابن منده في «الإيمان» (٨٢٧) و(٨٢٨) والنسائي في «الكبرى» (١١٣٢٧/ ٦) والحاكم (٨٧٣٧/ ٤) واللفظ لأبي يعلى. وإسناده صحيح على شرط مسلم].

الشرح: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أقسم سبحانه وتعالى بنفسه بأنه يحشرهم من قبورهم إلى المعاد، كما يحشر المؤمنين ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرنون كل كافر مع شيطان في سلسلة. ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ أي جثياً على ركبهم، عن مجاهد وقتادة: أي أنهم لشدة ما هم في، لا يقدرون على القيام ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ المعنى: ثم لننزعن من كل فرقة الأعتى فالأعتى، كأنه يبتدأ بالتعذيب بأشدهم جراة وعناداً للحق ثم الذي يليه: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ أي من أحق بدخول النار من غيره. قال الجوهري: يقال صليت الرجل ناراً، إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها. فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق، قلت: أصليته ـ بالألف ـ وصليته تصلية.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي وما منكم من أحد إلا وسيرد جهنم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا﴾ أي أمراً مبرماً ﴿مَقْضِيًّا﴾ أي قضاه فلا يتركه. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ أي نخلص المؤمنين ونترك فيها الظالمين يصلونها وهم جثاة على الركب. زيادة في تعذيبهم وإلامهم. والله تعالى أعلم. وفي «صحيح مسلم» من حديث أم مُبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: **«لا يدخل النار، إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»** قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها. فقالت حفصة ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال النبي ﷺ: **«قد قال الله عز وجل ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾»**[1].

وقوله ﷺ: «فيؤخذون ضبارات ضبارات» أي جماعات، جماعات. جمع ضبارة، ويجمع أيضاً على ضبائر. وكل شيء جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فقد ضبرته.

وأما قوله ﷺ: «فيقذفون على نهر من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل» حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين أو غُثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شطِّ مجرى السَّيْل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشُبِّه بها سرعة عَوْد أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها قاله ابن الأثير.

وقوله ﷺ: «أما رأيتم الصبغاء شجرة تنبت في الغثاء» الغثاء بالضم والمدّ ـ ما يجيء فوق السَّيل مِمَا يَحْمِله من الزَّبد والوسخ وغيره. والصبغاء: نبت ضعيف من نبات القف. قال ابن قتيبة: شُبِّه نبات لحومهم بعد احتراقها بنبات الطاقة من النبت حين تطلع، وذلك أنها حين تطلع تكون صبغاء فيها يلي الشمس من أعاليها أخضر، وما يلي الظل أبيض.

وقوله ﷺ: «وعلى الصراط ثلاث شجرات» أي على جانبه وقد جاء عند أحمد صريحاً بلفظ: «وعلى النار ثلاث شجرات».

وقوله ﷺ: «ثم يرى سواد الناس» أي جماعاتهم، أو أشخاصهم.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٦).

فائدة: روى مسلم وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «**على الصراط**»[(١)].

وروى مسلم أيضاً من طريق أبي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَأَبُو مَالِكٍ عَنْ رِبْعِيٍّ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالاَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ. فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ. اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ**».

قَالَ: «**فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ. إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيماً. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ. اذْهَبُوا إِلَى عِيسَىٰ كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ. فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ. فَتَقُومَانِ جَنْبَتَي الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً. فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ. ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ. تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ. وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ! سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ. حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفاً. قَالَ وَفِي حَافَتَي الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ. مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**»[(٢)].

والذي نفس أبي هريرة بيده، إن قعر جهنم لسبعون خريفاً.

١٤ ـ باب في صفة من يجتاز الصراط مشياً وحال مآله إذا اجتازه

٣٩١ ـ عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ آخِرِ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ، فينكبُ مَرَّةً وَيَمْشِي مَرَّةً، وتَسْفَعُه النَّارُ مَرَّةً، فَإِذا جَاوَزَ الصِّرَاطِ التفت إِليها فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجاني مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَداً مِنَ الأَوَّلينَ والآخرينَ**».

قَالَ: «**فَتُرْفَع لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَنْظُرُ إِلَيهَا، فَيقولُ: يَا رَبِّ، أدنني مِنْ هٰذِهِ الشجرةِ فَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وأَشربُ من مَائِهَا، فَيقولُ: أي عَبْدي، فَلعلّي إِنْ أدنيتُكَ مِنْهَا سَأَلتَني غَيْرَها، فَيقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، ويُعَاهِدُ اللَّهُ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَها، والرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَعْلمُ أَنَّهُ سَيَسْأَلُهُ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ، يعني عليه**.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٩١).

(٢) رواه مسلم (١٩٥).

٣٩١ ـ [رواه أحمد (٣٧١٤/ ٢) ومسلم (١٨٧) وأبو يعلى (٤٩٨٠) والطبراني في «الكبير» (٩٧٧٥) وا بن منده (٨٤١) وابن حبان (٧٤٣٠) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٥٥) وغيرهم].

فيدنيه منهَا، ثُمّ تُرفَعُ لَهُ شَجرةٌ، وهيَ أَحْسنُ مِنهَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَدنني مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرة فَأَستظلُّ بظِلِّهَا وأَشرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ: أَيْ عَبْدِي، أَلَمْ تُعَاهِدني؟ يعني أنّكَ لاَ تَسْأَلَنّي غَيرَها! فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هٰذِهِ لاَ أَسأَلُكَ غَيرَها، وَيُعَاهِدُهُ، والرَّبُّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَسْأَلُهُ غَيرَهَا، فَيُدْنِيهِ مِنهَا.

فتُرفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِندَ بَابِ الجَنَّةِ، هِيَ أَحْسَنُ مِنهَا، فَيَقُولُ: رَبِّ، أَدنني مِنْ هٰذِهِ الشَّجرةِ أَستَظِلُّ بِظِلِّهَا وَأَشرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ: أَيْ عَبْدِي، أَلَمْ تُعَاهِدْني أَنْ لا تَسأَلني غَيرَهَا؟! فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذِهِ الشَجرة، لاَ أَسْأَلُكَ غَيرَها، وَيُعَاهِدهُ، والرَّبُّ يَعْلَمُ أَنّهُ سَيسأَلُهُ غَيرَها، لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيها، فَيُدْنِيهِ مِنهَا.

فَيَسمعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، الجَنَّةَ الجَنَّةَ، فَيَقُولَ: عَبدِي، أَلَمْ تُعَاهِدْني أَنّكَ لاَ تَسأَلني غيرَهَا؟! فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَدخِلْني الجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: مَا يَصْرِيني مِنْكَ أَيْ عَبدِي؟ أَيَرضِيكَ أَنْ أُعطِيكَ مِنَ الجَنَّةِ الدُّنيَا وَمثلَها مَعَهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَهزَأُ بي وَأَنتَ رَبُّ العِزَّةِ؟».

فَضَحِكَ ابنُ مسعودٍ، فَقَالَ: أَلاَ تَسأَلُونّي مِمَّ أَضحكُ؟ فقالُوا: مِمَّ تَضحَكُ؟ فَقَالَ: هٰكَذا ضَحِكَ رَسُولُ اللّهِ، فَقَال: «أَلاَ تَسْأَلُونّي مِمَّ أَضْحَكُ»؟ فقالوا: مِمَّ تَضحَكُ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّي حِينَ قَالَ: أَتَستَهزِىءُ مِنّي وَأَنتَ رَبُّ العَالَمينَ، فَيَقُولُ: إني لاَ استَهزِىءُ مِنكَ، وَلكِنّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ». (رواه احمد).

ورواه مسلم بلفظ: «آخِرُ مَنْ يَدخُلُ الْجَنةَ رَجُلٌ. فَهوَ يَمْشِي مَرّةً وَيَكْبو مَرّةً. وَتَسفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً. فإذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ. لَقَدْ أَعطَانِي اللّهُ شَيئاً مَا أَعطَاهُ أَحداً مِنَ الأوّلِينَ وَالآخرِينَ. فَتُرْفَعُ لَهُ شَجرَةٌ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَستَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشرَبَ مِنْ مَائِهَا.

فَيَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجلَّ: يَا ابنَ آدَمَ! لَعَلّي إِنْ أَعطَيتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيرَهَا. فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ! وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسأَلَهُ غَيرَهَا. وَرَبُّهُ يَعذِرُهُ. لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيهِ. فَيُدْنِيهِ مِنهَا، فَيَستَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشرَبُ مِنْ مَائِهَا. ثُمّ تُرفَعُ لَهُ شَجرَةٌ هِيَ أَحسَنُ مِنَ الأُولَى. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ لأَشرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَستَظِلَّ بِظِلِّهَا. لاَ أَسأَلُكَ غَيرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسأَلَنِي غَيرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلّي إِنْ أَدْنَيتُكَ مِنهَا تَسأَلُنِي غَيرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسأَلُهُ غَيرَهَا. وَرَبُّهُ يَعذِرُهُ. لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيهِ فَيُدْنِيهِ مِنهَا. فَيَستَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشرَبُ مِنْ مَائِهَا.

ثُمّ تُرفَعُ لَهُ شَجرَةٌ عِندَ بَابِ الْجَنّةِ هِيَ أَحسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ لأَستَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشرَبُ مِنْ مَائِهَا. لاَ أَسأَلُكَ غَيرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدنِي أَنْ لاَ تَسأَلَنِي غَيرَهَا؟ قَالَ: بَلَى. يَارَبِّ! هٰذِهِ لاَ أَسأَلُكَ غَيرَهَا. وَرَبُّهُ يَعذِرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيهَا. فَيُدْنِيهِ مِنهَا.

فَإذَا أَدْنَاهُ مِنهَا، فَيَسمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابنَ آدَمَ! مَا

يَصْرِينِي مِنكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ! أَتَسْتَهْزِىءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هٰكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِىءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِىءُ مِنكَ، وَلٰكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»**.

٣٩٢ ـ ومن حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الجَنَّةِ. وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى هٰذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا»**. وساقَ الحديثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابنِ مَسْعُودٍ. وَلَمْ يَذْكُرْ: **«يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِينِي مِنكَ»** إلى آخرِ الحديثِ.

وَزَادَ فِيهِ: **«وَيُذَكِّرُهُ اللَّهُ سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»** قَالَ: **«ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الحُورِ العِينِ، فَتَقُولاَنِ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ»** قَالَ: **«فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ»**.

ومعنى **قوله جَلَّ وعلا: «يا ابن آدم ما يصريني منك»** هو بفتح الياء وإسكان الصاد المهملة، ومعناه: ما يقطع مسألتك مني. **والصري**: بفتح الصاد وإسكان الراء، هو القطع، قال النووي: والمعنى: أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك.

١٥ ـ باب في فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم يوم العرض على الله جل وعلا وكرامتها عليه

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

٣٩٣ ـ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ، قَامَتْ ثُلَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسُدُّونَ الأُفُقَ، نُورُهُمْ كَالشَّمْسِ. فَيُقَالُ: النَّبِيُّ الأُمِّيُّ، فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ. فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخْرَىٰ تَسُدُّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ، نُورُهُمْ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَيُقَالُ: النَّبِيُّ الأُمِّيُّ. فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخْرَىٰ تَسُدُّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ، نُورُهُمْ مِثْلَ**

---

٣٩٢ ـ [رواه مسلم (١٨٨)].

٣٩٣ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (٨/٧٧٨٠) وفي «مسند الشاميين» (١٩٩٥) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٨٧٠٤) وعزاه للطبراني، وقال: ورجاله وثقوا].

كَوْكَبٍ في السَّمَاءِ، فَيُقَالُ: النَّبِيُّ الأُمِّيُّ فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ، فَيُقَالُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. ثُمَّ يَحْثِي حَثْيَتَيْنِ، فَيَقُولُ: هٰذَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَهٰذَا مِنِّي لَكَ يَا مُحَمَّدُ، ثُمَّ يُوضَعُ المِيزَانُ وَيُؤْخَذُ في الحِسَابِ». (رواه الطبراني).

الشرح: قوله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، قامت ثلة من الناس يسدون الأفق» الثُّلَّة ـ بالضم ـ: الجماعة من الناس.

وقوله ﷺ: «فيتحسس لها كل نبي» أي يستشرفها ويتصدى لها، ظناً منه بأنها أمته. **«فيقال: محمد وأمته»**. أي متقول الملائكة: هذا محمد ﷺ ومعه بعضاً من أمته.

وفي «الصحيحين» واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دريٍّ في السماء إضاءةً، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة الألنجوج عود الطيب، وأزواجهم الحور العين، على خَلْقِ رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء»**[(١)].

وقوله ﷺ: «ثم يحثي حثيتين. . » **الحثية**: غرفة اليد، والحديث كناية عن المبالغة في الكثرة، وإلاَّ فلا كفَّ ثمَّ ولا حَثَى، جَلَّ الله عَنْ ذٰلك وعزَّ. قاله ابن الأثير. وفي «مسند الإمام أحمد» بإسناد لا يخلو من مقال، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«سألت ربي عزَّ وجلَّ فوعدني أن يُدخل من أمتي سبعين ألفاً ـ الجنة ـ على صورة القمرِ ليلةَ البَدْرِ، فاستزدتُ، فزادني مع كل ألفٍ سَبعينَ ألفاً. فقلت: أي رب، إن لم يكن هؤلاء مُهاجِري أمتي؟! قال: إذن أكملهم لك من الأعرابِ»**[(٢)].

١٦ ـ باب في شفاعته ﷺ لكل من شهد بشهادة الحق

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٣٩٤ ـ عن أنس رضي الله عنه، قال: حدثني نبيُّ اللّهِ ﷺ: **«إنّي لَقائِمٌ أنتَظِرُ أُمّتِي تَعْبُرُ الصِّراطَ، إذْ جَاءَني عيسى، فقالَ: هٰذه الأنبياءُ قد جاءتْكَ يا محمدُ يسألُونَ ـ أو قال: يَجْتمعونَ إليكَ ـ، ويدعونَ الله، أنْ يُفرِّقَ بين جَمْعِ الأُمَمِ إلى حَيثُ يَشاءُ اللّهُ لِغَمِّ ما هُمْ فيه، فالخَلْقُ مُلْجَمُونَ في العَرَقِ، فأمَّا المُؤمِنُ فهو عليهِ كالزُّكْمَةِ، وأمَّا الكافِرُ فَيَتَغشَّاهُ الموتُ»**.

قال: قال: **«عِيسى، انتَظِرْ حتَّى أَرْجِعَ إليك»** قال: **«فَذَهَبَ نبيُّ اللّهِ حتى قام تحتَ العَرْشِ،**

---

(١) رواه البخاري (٣٣٢٧).

(٢) رواه أحمد (٣/٨٧٠٧).

٣٩٤ ـ [رواه أحمد (٤/١٢٨٢٤) وابن خزيمة في التوحيد (٢/٦١٦ ـ ٦١٧) ورجاله رجال الصحيح، غير أن في متنه غرابة، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٨٥٠٦) وعزاه لأحمد، وقال: ورجاله رجال الصحيح].

فلَقِيَ ما لم يَلْقَ مَلَكٌ مُصطَفىً، ولا نبيٌّ مُرسَل، فأوحى اللَّهُ إلى جبريلَ: أن اذهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ له: ارفَعْ رأسَكَ، سَلْ تُعطَ، واشفَعْ تُشَفَّعْ» قال: «فَشَفَعْتُ في أُمَّتي: أنْ أُخرِجَ مِن كلِّ تِسعَةٍ وتِسعِينَ إنساناً، واحِداً».

قال: «فما زِلْتُ أَتَرَدَّدُ على رَبِّي، فلا أَقُومُ مُقاماً إلا شَفَعْتُ، حتى أَعْطانِي اللَّهُ مِن ذٰلكَ أنْ قالَ: يا مُحَمَّدُ، أدْخِلْ مِن أُمَّتِكَ مِن خَلْقِ اللَّهِ مَن شَهِدَ أنَّه لا إله إلا الله يوماً واحِداً مُخلِصاً، وماتَ على ذٰلكَ». (رواه أحمد).

٣٩٥ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ القِبْلَةِ النَّارَ مَنْ لا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إلاَّ اللَّهُ بِمَا عَصَوا اللَّهَ وَاجْتَرَؤُوا عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَخَالَفُوا طَاعَتَهُ. فَيُؤْذَنُ لي في الشَّفَاعَةِ. فَأُثْني عَلَى اللَّهِ سَاجِداً، كَمَا أُثْني عَلَيْهِ قَائِماً. فَيُقَالُ لي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ». (رواه الطبراني).

١٧ ـ باب عظيم رحمة النبي ﷺ بامته وشفقته عليها، واختياره الشفاعة لها، فيما خيره ربه جل وعلا

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٣٩٦ ـ عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، قَالَ: عَرَّسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذات ليلة فافترش كل رجل منا ذراع راحلته، قال: فانتهيتُ إلى بعض اللَّيْلِ فإذَا نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ قدَّامَهَا أحدٌ، قَالَ: فَانطَلَقتُ أَطلبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فإذا معاذُ بن جبلٍ وَعَبْد اللَّهِ بن قَيْسٍ قَائمانِ، قُلْتُ: أيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالاَ: مَا نَدْري غَيْرَ أنَا سَمِعْنَا صَوْتاً بِأَعْلى الوَادِي، فَإذا مِثْلُ هَزِيزِ الرَّحْلِ، قَالَ: امْكُثوا يَسِيراً ثُمَّ جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إنَّهُ أتاني الليلةَ آتٍ مِنْ رَبِّي فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أنْ يَدْخُلَ نِصفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ» فقلنا: ننشدك الله والصُّحْبَةَ لَمَا جَعَلْتَنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتَكَ؟ قال: «فَإِنَّكُمْ مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِي» قَالَ: فَأَقْبلنا مَعَانيق إلَى النَّاس فَإذَا هُمْ قَدْ فَزِعُوا وَفَقَدُوا نَبِيَّهُم، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّهُ أتاني الليلةَ مِنْ رَبِّي آتٍ فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أنْ يَدْخُلَ نِصفُ أُمَّتي الجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَإنِّي اخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ».

---

٣٩٥ ـ [رواه الطبراني في «الصغير» (١٠٣). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٥١١/ ١٠) وعزاه للطبراني في «الكبير» و«الصغير» وقال: وإسناده حسن].

٣٩٦ ـ [رواه أحمد (٢٤٠٣٢ ـ ٢٤٠٥٧/ ٩) والترمذي (٢٤٤١) وابن ماجه (٤٣١٧) والحاكم (٢٢١ ـ ٢٢٥/ ١) والطيالسي (٩٩٨) وعبد الرزاق (٢٠٨٩٥) وابن حبان (٢١١ و٦٤٦٣) والطبراني في «الكبير» برقم (١٠٧ و١٢٦ و١٣٣ و١٣٤ و١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ و١٣٨/ ١٨) من طرق بألفاظ متقاربة، وهو حديث صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٤٩٣ - ١٨٤٩٤ - ١٨٤٩٥/ ١٠)، وقال: روى الترمذي وابن ماجه طرفاً منه، ورواه بتمامه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات].

قالوا: يَا رَسُولَ اللّهِ نَنْشُدُكَ اللّهُ والصُّحبة، لَمَا جَعَلْتَنا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ. قَالَ: فَلَمَّا أَضبُّوا عَلَيْهِ قَال: «**فَأَنَا أُشْهِدُكُم أَنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ لاَ يُشرِكُ باللّهِ شَيْئاً مِنْ أُمَّتي**». (رواه أحمد).

ورواه ابن ماجه من غير أن يذكر قصة عوف بلفظ: قَالَ رَسُول اللّهِ ﷺ: **أَتَدْرُونَ مَا خَيَّرنِي رَبّي اللَّيلَةَ**»؟ قُلْنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ خَيَّرني بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفُ أُمّتي الجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ. فاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ، ادْعُ اللّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «**هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

وفي لفظ لأحمد أيضاً، وفيه بعد أن ذكر القصة مع الحديث: فَقُلْنَا: نُذَكِّرُكَ اللّهَ والصُّحْبَةَ أَلاَ جَعَلْتَنا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ! قَالَ: «**أَنْتُم مِنْهُمْ**».

ثُمَّ قَضَيْنَا، فَجيءَ الرَّجلَ والرَّجُلانِ فَيُخبرهُمْ بِالَّذِي أَخْبَرَنَا بِهِ فَيُذَكِّرونَهُ اللّهَ والصُّحْبَةَ، إلاَّ جَعَلَهُمْ مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ، فَيَقُولُ: «**فَإِنَّكُم مِنْهُمْ**» حَتَّى انْتهىٰ النَّاس، فَأَضَبُّوا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: اجْعَلْنَا مِنْهُمْ. قَال: «**فَإِنِّي أُشْهِدُكُم أَنَّها لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتي لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً**».

وفي لفظ عند ابن حبان: فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللّهِ، نَنْشُدُكَ بِاللّهِ وَالصُّحْبَةِ لَمَا جَعَلْتَنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ. قَالَ: «**فَأَنْتُم مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِي**» قَالَ: فَلَمَّا رَكِبُوا، قَالَ: «**فَإِنِّي أُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً مِنْ أُمَّتي**».

وفي رواية عند الطبراني في «الكبير» ولكن فيه ذكر أبو عبيدة بن الجراح، بَدلاً من عبد اللّه بن قيس رَضي اللّهُ عَنْهُمَا، وَفيهِ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «**أَلاَ أُخْبِرَكُم بِمَا خَيَّرَني رَبِّي آنِفاً**»؟ قُلْنَا: بَلىٰ يَا رَسُولَ اللّهِ، قَالَ: «**خَيَّرني بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ ثُلُثَ أُمَّتي الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ. وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ**».

قُلْنَا: يَا رَسُولُ اللّهِ، مَا الَّذِي اخْتَرْتَ؟ قَالَ: «**اخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ**» قُلْنا جَمِيعاً: يَا رَسُولَ اللّهِ، اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ فَقَالَ لَنَا: «**إِنَّ شَفَاعَتِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

٣٩٧ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسىٰ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ قَالَ: فعرَّسَ بِنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَانتهيتُ بَعْضَ اللَّيْلِ إلى مَنَاخِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ أَطْلُبُهُ فَلَمْ أَجِدْهُ قَالَ: فَخَرَجْتُ بَارِزاً أَطْلُبُهُ وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ يَطْلُبُ مَا أَطْلُبُ. قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ

---

٣٩٧ ـ [رواه أحمد (١٩٦٣٧ ـ ١٩٧٤٥/ ٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٦٧) وابن منده في «الإيمان» (٨٧٠/ ٢) والطبراني في «الصغير» (٧٨٥) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٤٩٠ ـ ١٨٤٩١/ ١٠) وعزاه لأحمد والطبراني في «الكبير» و «الصغير» وقال: وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات اهـ. وفي الباب عن أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما، عند أحمد (٢٢٠٨٦/ ٨) والبزار (٣٤٦٣) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٨٤٨٨/ ١٠)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عند ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٦٠)].

كَذٰلِكَ إذ اتَّجهَ إلينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّه، أَنْتَ بِأَرْضِ حَرْبٍ وَلا نَأْمَنُ عَلَيْكَ، فَلَوْلاَ إذْ بَدَتْ لَكَ الحَاجَةِ قُلْتَ لِبَعْضِ أَصْحَابِكَ فَقَامَ مَعَكَ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«إنّي سَمِعْتُ هزيزاً كَهَزيزِ الرَّحَى، أوْ حَنِيناً كَحَنِينِ النَّحْلِ، وأتاني آتٍ مِنْ رَبّي عَزَّ وَجَلّ»** قال: **«فخيَّرَني أنْ يُدخِلَ شَطْرَ أُمّتي الجَنَّةَ، وَبَيْنَ شفاعتي لَهُمْ، فاختَرْتُ شَفاعَتِي لَهُمْ، وَعَلِمْتُ أنّها أَوْسَعُ لَهُمْ، فَخيَّرني بأنْ يُدخِلَ ثُلُثَ أُمّتِي الجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفاعَةِ لَهُمْ، فاختَرْتُ لهم شَفاعَتي وَعَلِمْتُ أنّها أَوْسَعُ لَهُمْ»**.

فَقَالاَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، ادْعُ اللّهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ. قَالَ: فَدَعَا لَهُمَا. ثُمّ إنَّهُمَا نَبَّها أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَأَخْبَراهُمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. قَالَ: فَجَعَلُوا يَأْتُونَهُ وَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، ادْعُ اللّهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ، فَيَدْعُو لَهُمْ. قَالَ: فَلَمّا أَضَبَّ عَلَيْهِ القَوْمُ، وَكَثُرُوا. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«إنّها لِمَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللّهُ»**. (رواه أحمد).

قال أهل اللغة: أضبَّ على الشيء: لزمه ولم يفارقه. وأصل الضَّبِّ: اللصوق في الأرض ويقال: وأَضَبَّ على المطلوب: أشرف عليه أن يظفر به.

وفي رواية لأحمد أيضاً، قَالَ أَبُو مُوسىٰ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَحْرُسُهُ أَصْحَابُهُ، فقمتُ ذاتَ لَيْلَةٍ فَلَمْ أَرَهُ في مَنَامِهِ، فَأَخَذني مَا قدم ومَا حَدَثَ. فذهبتُ أنظرُ، فَإذَا أَنَا بِمعَاذٍ قَدْ لَقِيَ الَّذِي لَقِيتُ فَسمعنَا صَوْتاً مِثْلَ هَزِيزُ الرَّحى. فوقَفَا عَلَى مَكَانِهِمَا، فَجَاءَ النَّبي ﷺ من قِبَلِ الصَّوْتِ، فَقَالَ: **«هَلْ تَدْرُونَ أَيْنَ كُنْتَ؟ وَفِيمَ كُنْتَ؟ أَتاني آتٍ مِنْ رَبّي عَزَّ وَجَلَّ فَخيَّرني بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمّتي الجَنّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ»**.

فَقَالاَ: يَا رَسُولَ اللّهِ ادْعُ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنا في شَفَاعَتِكَ، فَقَالَ: **«أَنْتُمْ وَمَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً في شَفَاعَتي»**.

والرحى: حجر الطاحون.

٣٩٨ ـ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رسولَ اللّهِ ﷺ عام غَزْوةِ تَبُوك قَامَ مِنَ اللّيْلِ يُصلي، فاجْتمعَ وَرَاءَهُ رِجَالٌ من أصْحَابِهِ يَحْرسُونه، حتَّى إذا صَلىٰ وانْصَرفَ إليهِمْ فَقَال لَهم: **«لَقَدْ أُعْطِيتُ اللّيْلَةَ خَمْساً، ما أُعْطِيَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلي: أمّا أنا فَأُرْسِلْتُ إلىٰ النَّاسِ كُلّهم عامةً، وَكَانَ مَنْ قَبْلي إنّمَا يُرْسَلُ إلى قَوْمِهِ، ونُصِرْتُ عَلَى العَدوّ بِالرُّعب، وَلَوْ كَانَ بيني وَبينَهم مَسِيرةُ شَهْرٍ لَمُلِىءَ**

---

٣٩٨ ـ [رواه أحمد (٢/٧٠٦٨) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٨٤٨٦) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، وهو كما قال: وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٤٣٣ ـ ٤٣٢) وقال: رواه أحمد بإسناد صحيح. وذكره ابن كثير في «تفسيره» في سورة الأعراف الآية (١٥٨) وقال: إسناده جيد قوي، ولم يخرجوه].

منه رُعباً، وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ آكُلُها، وكان مَنْ قبلي يُعَظِّمونَ أَكْلَها، كانوا يَحرِقُونها، وجُعلت لي الأرْضُ مساجِدَ وَطَهُوراً، أينما أَدْرَكتني الصلاة تَمَسَّحْتُ وصَلَّيت، وكان مَنْ قبلي يُعَظِّمونَ ذلك، إنَّما كانوا يُصَلُّونَ في كنائسهم وبِيَعِهِمْ.

والخامسة هي ما هي، قيلَ لي: سَلْ، فإنْ كان نبيّ قد سَأَلَ، فأَخَّرْتُ مَسْأَلَتي إلى يوم القِيامَةِ، فهِيَ لَكُمْ وَلِمَنْ شَهِدَ أنْ لا إلٰه إلاّ الله». (رواه أحمد).

١٨ ـ باب ما خُصَّ به نبينا محمد ﷺ من المقام المحمود يوم العرض على الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

٣٩٩ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ في قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قَالَ: «يُجْمَعُ النَّاسُ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَسْمَعُهُمْ الدَّاعي وَيُنْفِذُهُمْ البَصَرُ، حُفَاةً عُرَاةً كَما خلِقُوا، سُكُوتاً لاَ تَتَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاّ بِإذْنِهِ. قَالَ: فَيُنَادِي: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ في يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إلَيْكَ. المَهْدِي مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَكَ وَإلَيْكَ. لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إلاَّ إلَيْكَ. تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ. سُبحَانَ رَبِّ البَيْتِ».

فَذٰلِكَ المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾. (رواه الحاكم).

فائدة في المقام المحمود: روى الإمام أحمد في «المسند» بإسناد صحيح على شرط مسلم، من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتي عَلَى تَلٍّ، وَيَكْسُوني رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعالىٰ حُلَّةً خَضراءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذٰاكَ المَقَامُ المَحْمُودُ»[1].

وروى البخاري والنسائي في «الكبرى» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: إن النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثاً، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّها، يَقُولُونَ: يَا فُلانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهي الشَّفَاعَةُ إلى النَّبيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُه اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ[2]. لفظ البخاري.

وقوله: **(جثا)**: جمع جاثٍ. وهو الذي يجلس على ركبتيه.

* * *

---

٣٩٩ ـ [رواه الحاكم (٣٣٨٤/ ٢) والنسائي في «الكبرى» (١١٢٩٤/ ٦) وإسناده صحيح. وأورده الحافظ في «الفتح» (٣١٦ ـ ٣١٧/ ٩) وصرّح بصحة إسناده، واللفظ للحاكم].

(١) رواه أحمد (١٥٧٨٣/ ٥).

(٢) رواه البخاري (٤٧١٨) والنسائي (١١٢٩٥/ ٦).

٢٥ ـ كتاب الرقاق

١ ـ باب تحريش الشيطان بابن آدم، وبعثه سراياه لفتنة الناس

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

٤٠٠ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُم مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً. يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً**».

قَالَ: «**ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ**» قَالَ: «**فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**».

قَالَ الأَعْمَشُ ـ وهو أحد رواة الحديث ـ: أُرَاهُ قَالَ: «**فَيَلْتَزِمُهُ**». (رواه مسلم).

ورواه أحمد بنحوه، غير أنه قال: «**وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ**» قَالَ: «**فَيُدْنِيهِ مِنْهُ ـ أَوْ قَالَ ـ فَيَلْتَزِمُهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**».

٤٠١ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِماً، أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ. قَالَ: فَيَخْرُجُ هٰذا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امرأَتَهُ. فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَيَجِيءُ هٰذا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَبَرَّ.**

وَيَجِيءُ هٰذا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى زَنى، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هٰذا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلبِسُهُ التَّاجَ». [رواه ابن حبان].

---

٤٠٠ ـ [رواه أحمد (١٤٣٨٤ ـ ١٤٩٤٤ ـ ١٥١٢١/ ٥)، ومسلم (٢٨١٣/ ٦٧)].

٤٠١ ـ [رواه ابن حبان (٦١٨٩) والحاكم (٨٠٢٧/ ٤) وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٤٦/ ١) وعزاه للطبراني في «الكبير» وقال: فيه عطاء بن السائب اختلط. وبقية رجاله ثقات اهـ.
أقول: رواه عنه سفيان الثوري قبل الاختلاط].

الشرح: قوله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء» العرش: هو سرير الملك، ومعناه: أن مركزه البحر، ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض. والبَلَسُ ـ محركة ـ: من لا خير عنده. وأبلس الرجل من رحمة الله تعالى: يئس. والإبلاس لغة: القنوط وقطع الرجاء من رحمة الله تعالى. وأما أصل العرش: الرفع. ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]، أي: منها ما هو مرفوع على ساق وهي الشجر، ومنها: ما ليس كذلك، وهو النجم.

وأما قوله ﷺ: «ثم يبعث سراياه» أي جنوده **«فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة»** أي أقربهم منه مكانة، أشدهم شراً، وإيقاعاً بين الخلق. وقد جاء في بعض طرق الحديث: **«إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة»**[(١)] لفظ مسلم. وقد جاء عند أحمد بلفظ: **«عرش إبليس في البحر يبعث سراياه في كل يوم يفتنون الناس، فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس»**[(٢)]. وقد روى مسلم وغيره من حديث جابر أيضاً، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»**[(٣)].

وقوله ﷺ: «فيدنيه منه، ويقول: نِعْمَ أنت» أي يقربه منه ويعانقه، ويمدحه بـ«نعم» ـ بكسر النون وإسكان العين ـ وهي ـ نِعْم ـ الموضوعة للمدحة. فيمدحه لإعجابه بصنعه وبلوغه الغاية التي أرادها، من التفريق بين الأهل والأزواج، ولما يترتب على ذلك من المفسدة والتي لا يعلم ضررها وخطرها على الفرد والجماعة، إلا الله تعالى. أعاذنا الله منها ومن كل فتنة.

٢ ـ باب الصبر، وفضل من احتسب أجره على الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

٤٠٢ ـ عَنْ أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ابْنَ آدَمَ، إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولىٰ، لَمْ أَرْضَ ثَوَاباً دُونَ الجَنَّةِ»**. (رواه ابن ماجه).

الشرح: قوله جل وعلا: «ابن آدم، إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرض ثواباً دون الجنة». أما الاحتساب: فهو طلب الأجر من الله تعالى. والصدمة الأولى: هي المرة من

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٣). (٢) رواه أحمد (١٤٨٢٠).

(٣) رواه مسلم (٢٨١٢).

٤٠٢ ـ [رواه ابن ماجه في «الجنائز» (١٥٩٧) وإسناده صحيح. وقال البوصيري: إسناد حديث أبي أمامة صحيح، ورجاله ثقات].

الصدم، وهو ضرب الشيء الصلب بمثله. ثم استعمل في كل مكروه حصل بغتة. والمراد بالصبر الذي يُحمد عليه صاحبه، ويثاب عليه فاعله، ما كان منه عند مفاجأة المصيبة. بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على مدى الأيام يسلو، أو ينسى. وفي «الصحيح» من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«الصبر عند الصدمة الأولى»**.

٣ ـ باب فضل من فقد بصره، وصبر على ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤ـ٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٤٠٣ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ»** يُرِيدُ عَيْنَيْهِ. (رواه البخاري).

ورواه الترمذي بلفظ: **«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلاَّ الجَنَّةَ»**.

وقد جاء في لفظٍ عند أحمد: **«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتُلِيَ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ ثُمَّ صَبَرَ، عَوَّضْتُه مِنْهُما الجَنَّةَ»**.

وفي لفظ آخر لأحمد: **«قَالَ اللَّهُ: إِذَا أَخَذْتُ بَصَرَ عَبْدِي، فَصَبَرَ عَلَيْهِ وَاحْتَسَبَ، فَعِوَضُهُ عِنْدِي الجَنَّةُ»**.

وفي رِوَايةٍ لأحمد بلفظ: **«قَالَ رَبُّكُم عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَذْهَبْتُ كَرِيمَتَيْهِ، ثُمَّ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ، كَانَ ثَوابُهُ الجَنَّةَ»**.

٤٠٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ رَفَعَهُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَاباً دُونَ الجَنَّةِ»**. (رواه الترمذي).

ورواه أحمد بلفظ: **«يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ اذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، لَمْ أَرْضَ لَهُ بِثَوابٍ دُونَ الجَنَّةِ»**.

---

٤٠٣ ـ [رواه أحمد (١٢٤٦٨ ـ ١٢٥٩٥ ـ ١٤٠٢٣/ ٤) والبخاري في «صحيحه» (٥٦٥٣) وفي «الأدب المفرد» (٥٣٤) وأبو يعلى (٣٧١١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٥٨) وفي «الكبرى» (٣٧٥/ ٣) والبغوي في «شرح السنة» (١٤٢٦) وغيرهم.

تنبيه: الرواية المذكورة بلفظ الترمذي إنما هي من طريق أبي ظلال القسملي وهو متكلم فيه. ومن طريقه أخرجه أبو يعلى (٤٢١١) والطبراني في «الأوسط» (٨٨٥٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٦٠)].

٤٠٤ ـ [رواه أحمد (٧٦٠٠/ ٣) والترمذي (٢٤٠١) والدارمي (٢٧٩٥) وإسناده صحيح].

٤٠٥ ـ وَعَنْ ابْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَاباً دُونَ الجَنَّةِ**». (رواه أبو يعلى).

٤٠٦ ـ وَعَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ـ يَعْنِي عَنْ رَبِّهِ ـ قَالَ: «**إِذَا سَلَبْتُ مِنْ عَبْدِي كَرِيمَتَيْهِ وَهُوَ بِهِمَا ضَنِينٌ، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَاباً دُونَ الجَنَّةِ، إِذَا حَمِدَنِي عَلَيْهِمَا**». (رواه ابن حبان).

٤٠٧ ـ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْكَ، فَصَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَىٰ، لَمْ أَرْضَ لَكَ بِثَوَابٍ دُونَ الجَنَّةِ**». (رواه أحمد).

٤٠٨ ـ وَعَنْ السيدةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ أَوْحىٰ إِلَيَّ؛ أَنَّهُ مَنْ سَلَكَ مَسْلكاً فِي طَلَبِ العِلْمِ، سَهلْتُ لَهُ طَرِيقَ الجَنَّةِ، وَمَنْ سَلبتُ كَرِيمَتَيْهِ أُثِيبَ عَلَيْهِمَا الجَنَّةَ. وَقَصْدٌ فِي عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ فَضْلٍ فِي عِبَادَةٍ. وَمَلاكُ الدِّينِ الوَرَعُ**». (رواه البيهقي).

الشرح: قوله جل وعلا: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه» أي عينيه، كما جاء مُصرحاً بذلك في آخر الحديث. والمراد بالحبيبتين، المحبوبتان، لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به، أو شر، فيجتنبه. قاله في «الفتح».

وقوله جل وعلا: «فصبر» وفي رواية أحمد **«فاصبر عليه واحتسب»** وكذا هو من رواية أبي هريرة عند الترمذي. والمراد؛ أنه يصبر مستحضراً ما وعد الله به الصابر من الثواب، لا أن يصبر مجرداً عن ذلك، لأن الأعمال بالنيات، وابتلاء الله عبده في الدنيا، ليس من سخطه عليه، بل؛ إما لدفع مكروه، أو لكفارة ذنوب، أو لرفع منزلة، فإذا تلقى ذلك بالرضى، تم له المراد. وإلا يصير كما جاء في حديث سلمان الفارسي، حيث إنه عاد مريضاً في كندة، فلما دخل عليه. قال: أبشر، فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتباً. وإن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله، ثم أرسلوه. فلا يدري لم عقل ولم أرسل[1]. رواه البخاري في «الأدب المفرد».

---

٤٠٥ ـ [رواه أبو يعلى (٢٣٦٥) والطبراني في «الكبير» (١٢٤٥٢/ ١٢) وابن حبان (٢٩٣٠) وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٨٣٩/ ٣) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في «الكبير» و «الأوسط» ورجال أبي يعلى ثقات. وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٢٤٢٨) وعزاه لأبي يعلى].

٤٠٦ ـ [رواه ابن حبان (٢٩٣١) والبزار (٧٧١) وإسناده حسن].

٤٠٧ ـ [رواه أحمد (٢٢٢٩١/ ٨) والطبراني في «الأوسط» (١٧٧) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٨٣٧/ ٣) وعزاه لأحمد والطبراني في «الكبير» وقال: وفيه إسماعيل بن عياش، وفيه كلام اهـ.].

٤٠٨ ـ [رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٥١/ ٥) وهو حديث صحيح بشواهده].

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٣).

وقوله جل وعلا: «عوضته منهما الجنة» وهذا أعظم العوض، لأن التلذذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا، والالتذاذ بالجنة باق ببقائها. وهو شامل لكل ما وقع له ذلك بشرط الصبر والرضى والاحتساب. والله تعالى أعلم. وقد روى أحمد وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: يا ابن آدم، إذا أخذت كريمتيك فصبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرض لك بثواب دون الجنة»(١) ففيه إشارة إلى الصبر النافع هو ما يكون في أول وقوع البلاء، فيفوض ويسلم، وإلا فمتى تضجر وتقلق في أول وهلة ثم يئس فيصبر، لا يكون حصل المقصود. وقد تقدم في الباب السابق من حديث أبي أمامة أيضاً، قوله جل وعلا: «ابن آدم، إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرض ثواباً دون الجنة». والله تعالى أعلم. ذكره الحافظ في «الفتح».

٤ ـ باب في النهي عن التالي على الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٤٠٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا سَجَدَ، أَتَاهُ رَجُلٌ فَوَطِىءَ عَلَى رَقَبَتِهِ. فَقَالَ الَّذِي تَحْتَهُ: وَاللَّهِ لاَ يُغْفَرُ لَهُ أَبَداً! فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَأَلَّى عَلَيَّ عَبْدِي أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِعَبْدِي!! فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ». (رواه الطبراني).

ورواه أيضاً موقوفاً، من طريق أبي عبيدة عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلاً مَرَّ بِرَجُلٍ وَهُوَ سَاجِدٍ، فَوَطِىءَ عَلَى رَقَبَتِهِ، فَقَالَ: أَتَطَأُ عَلَى رَقَبَتِي وَأَنَا سَاجِدٌ؟ وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَداً! فَقَالَ اللَّهُ: «أَتَتَأَلَّى عَلَيَّ؟ أَمَا إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ».

ورواه عبد الرزاق بنحوه، بلفظ: «أَنَّ رَجُلاً مَرَّ بِرَجُلٍ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَوطىءَ عَلَى رَقَبَتِهِ. فَقَالَ: أَتَطَؤُ عَلَى رَقَبَتِي وَأَنَا سَاجِدٌ! لاَ وَاللَّهِ، لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ هٰذا أَبداً». قَالَ: «فَقَالَ اللَّهُ: أَتَتَأَلَّى عَلَيَّ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ».

فائدة: روى عبد الرزاق من طريق معمر، عن قتادة ـ أو الحسن البصري، أو كليهما ـ قال: الظلم ثلاثة: ظلم لا يُغفر، وظُلم لا يُترك، وظلم يُغفر.

فأما الظلم الذي لا يُغفر؛ فالشرك باللَّهِ.

وأما الظلم الذي لا يترك؛ فظلم الناس بعضهم بعضاً.

وأما الظلم الذي يُغفر؛ فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه(٢).

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢٩١/٨).

٤٠٩ ـ [رواه عبد الرزاق (٢٠٢٧٥/١١) والطبراني في «الكبير» (٨٧٩٥/٩) و (١٠٠٨٦/١٠)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٤٨٥/١٠) وقال: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح].

(٢) مصنف عبد الرزاق (٢٠٢٧٦/١١).

٥ ـ باب فيمن دخلت النار بسبب قتلها لهرة

٤٩٠ ـ عن نَافع بْن عُمر، قالَ: حَدثني ابْن أَبي مُلَيْكَةَ عن أسماء بنتِ أبي بكرٍ: أَنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى صلاةَ الكُسوفِ، فقامَ فأطالَ القِيامَ، ثمَّ ركعَ فأطالَ الرُّكوعَ، ثمَّ قام فأطالَ القيامَ، ثم ركعَ فأطالَ الرُّكوعَ، ثمَّ رفعَ، ثمَّ سَجدَ فأطالَ السجودَ، ثمَّ رفعَ، ثمَّ سجدَ فأطالَ السُّجودَ، ثمَّ قامَ فأطالَ القِيامَ، ثمَّ ركعَ فأطالَ الرُّكوعِ، ثمَّ رفعَ فأطالَ القيامَ، ثمَّ ركعَ فأطالَ الرُّكوعِ، ثمَّ رفعَ فسجدَ فأطالَ السُّجودَ، ثمَّ رفعَ، ثمَّ سجدَ فأطالَ السُّجودَ، ثمَّ انصرفَ فقال: **«قد دَنَتْ مني الجنةُ حَتَّى لَو اجتَرَأْتُ عَلَيهَا لجئتُكم بقِطافٍ مِن قِطافِها. ودَنَتْ مني النَارُ حتى قلتُ: أيْ ربِّ أو أنا معهم؟ فإذا امرأةٌ ـ حَسِبتُ أنَهُ قالَ ـ تخدِشُها هِرَةٌ، قلتُ: ما شأنُ هٰذِه؟ قالوا: حَبَسَتْها حتى ماتَتْ جُوعاً، لا أطعَمَتْها، ولا أرسَلَتها تأكلُ»** ـ قال نافع: حَسِبْتُ أنه قال ـ: من خَشيشٍ أو خِشاشٍ. (رواه البخاري).

وخشاش الأرض أو خشيشها: هوامُّها وحشراتها.

وفي رواية له أيضاً بلفظ: **«دَنَتْ مِنِي النَّارُ، حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ، وَأَنَا مَعَهُمْ؟ فَإِذَا امْرأَةٌ ـ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ ـ تَخدِشُهَا هِرَّةٌ» قَالَ: «مَا شَأْنُ هٰذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعاً»**.

٤٩١ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«عُذِّبَتِ امرأةٌ في هِرَّةٍ حَبَسَتهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعاً، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ»** قَالَ: فَقَالَ ـ واللَّهُ أَعْلَمَ ـ: **«لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا ولا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِهَا، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»**. (متفق عليه).

الشرح: قوله ﷺ: «فإذا امرأة تخدشها هرة! قلت: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعاً، لا أطعمتها، ولا أرسلتها تأكل» قال نافع: حسبت أنه قال: **«من خشيش أو خشاش»**. وفي حديث عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما عند مسلم، أن رسول الله ﷺ قال: **«عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»**[(١)].

وفي لفظ له أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: **«عُذِّبت امرأة في هرة أوثقتها، فلم تطعمها ولم تسقها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»**[(٢)]. وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«دخلت امرأة النار من جراء هرة لها ـ أو ـ هر. ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها ترمرم من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلاً»**[(٣)].

---

٤٩٠ ـ [رواه البخاري (٧٤٥ و٢٣٦٤)].

٤٩١ ـ [أخرجه البخاري (٢٣٦٥) ومسلم (٢٢٤٢) والدارمي (٢٨١٤) وابن حبان (٥٤٦) والبيهقي (٥/ ٢١٤) و(٨/١٣) وغيرهم بألفاظ متقاربة، واللفظ للبخاري].

(١) رواه مسلم (٢٢٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٢٤٣).

(٣) رواه مسلم (٢٦١٩).

قال الإمام النووي: وفي الحديث دليل لتحريم قتل الهرة، وتحريم حبسها بغير طعام أو شراب. وأما دخولها النار بسببها، فظاهر الحديث أنها كانت مسلمة. وإنما دخلت النار بسبب الهرة. وقال: وهذه المعصية ليست صغيرة، بل صارت بإصرارها كبيرة. وليس في الحديث أنها تخلد في النار. وفيه نفقة الحيوان على مالكه. اهـ، مختصراً.

خاتمة: روى البخاري ومسلم وغيرهما، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشتدَّ عليه العطشُ، فنزلَ بِئراً فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خرجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرىٰ مِنَ العَطَشِ. فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هٰذا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي.**

فَملأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَىٰ الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا في البَهَائِمِ أَجْراً؟ قَالَ ﷺ: **«في كُلِّ كَبِدٍ رَطِبَةٍ أَجْرٍ»**[1] لفظ البخاري.

والثرى: التراب الندي.

ورواه ابن حبان بلفظ: **«دَنَا رَجُلٌ إلى بِئْرٍ، فَنَزَلَ فَشَرِبَ مِنها وَعَلَى البِئْرِ كَلْبٌ يَلْهَثُ، فَرَحِمَهُ، فَنَزَعَ إِحدىٰ خُفَّيهِ، فَغَرَفَ لَهُ فَسَقَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ»**[2].

قال القرطبي رحمه الله تعالى: معنى قوله ﷺ: **«فشكر الله له»** أي أظهر ما جازه به عند ملائكته.

وفي «الصحيحين» من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أيضاً ـ قالَ: قالَ النَّبي ﷺ: **«إِنَّ امرأَةً بَغِياً رَأَتْ كَلْباً في يَوْمٍ حَارٍّ يَطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ العَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِموقِهَا، فَغُفِرَ لَهَا»**.

وفي لفظ لمسلم أيضاً: **«بَيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»**[3].

والبغي: الزانية، **والموق**: الخف.

وروى الإمام أحمد وغيره بإسناد حسن، من حديثِ عبد اللّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عهدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ، وقُمنا معهُ، فأَطالَ القِيامَ، حَتَّى ظَنَنا أَنَّهُ لَيْسَ بِراكِعٍ، ثُمَ رَكَعَ فلم يَكَدْ يرفعُ رأسَه، ثم رفع، فلم يكَدْ يسجد، ثم سجد، فلم يكد يرفع رأسه، ثم جلس، فلم يكد يسجد، ثم سجد، فلم يكد يرفع رأسه، ثم فعل في الركعة الثانية كما فعل في الأولى، وجعل ينفخ في الأرض ويبكي وهو ساجد في الركعة الثانية، وجعل يقول: **«رَبِّ، لِمَ تُعَذِّبُهُمْ وأنا فِيهِمْ؟ رَبِّ، لَمْ تُعَذِّبُنا ونحنُ نَسْتَغْفِرَكَ؟»**، فرفع رأسه وقد تَجلَّت الشَّمْسُ، وقضى

---

(١) رواه البخاري (٢٣٦٣) ومسلم (٢٢٤٤).

(٢) رواه ابن حبان (٢/٥٤٣).

(٣) رواه البخاري (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥) وغيرهما، واللفظ لمسلم.

صلاتَه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، «إنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتانِ مِنْ آياتِ اللّه ـ عز وجل ـ، فإذا كَسَفَ أحَدُهما فافزعوا إلى المساجد.

فوالذي نفسي بيده، لقد عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنّةُ، حتى لو أشاءُ لتعاطيتُ بَعضَ أغْصانها، وعُرِضتْ عليَّ النارُ، حتى إنّي لأُطفِئُها خشيةَ أنْ تغشاكم، وَرَأَيتُ فيها امرأةً مِن حِمْيَرَ، سوداء طُوَالَةً، تُعَذَّبُ بهرةٍ لها، تَرْبِطُها، فلم تُطْعِمْها ولم تَسْقِها، ولا تَدَعُها تأكل من خَشَاشِ الأرْضِ، كُلّما أقبَلَتْ نَهَشَتْها، وكُلّما أدْبَرَتْ نَهَشَتْها.

وَرَأَيتُ فِيها أخا بَني دَعْدَع، وَرَأَيتُ صاحِبَ المِحْجَنِ مُتّكِئاً في النّارِ على محجنِهِ، كان يسرق الحاجَّ بِمِحْجَنِهِ، فإذا عَلِمُوا بِهِ قالَ: لستُ أنا أسْرِقُكُمْ، إنّما تَعَلَّقَ بِمِحْجَني!»(١).

والمحجن: عصا معكوفة.

٦ ـ باب معاتبة الله تعالى لنبي من أنبيائه، لإحراقه جماعة من النمل

قال الله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٧ ـ ١٩].

٤١٢ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، وَأَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ في النّارِ» قَالَ: «فَأَوْحَىٰ اللّهُ إِلَيهِ: فَهَلّا نَمْلَةً وَاحِدَةً». (متفق عليه).

وفي رواية عند البخاري بلفظ: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ. فَأَوْحَىٰ اللّهُ إِلَيهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ اللّهَ».

وفي لفظ للبخاري أيضاً: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ، فَأَوْحَىٰ اللّهُ إِلَيهِ: فَهَلّا نَمْلَةً وَاحِدَةً».

الشرح: قوله ﷺ: «نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها» أي فأمر بمتاعه فأخرج من تحت الشجرة، تمهيداً لإحراق بيت النمل، أو قرية النمل كما جاء في الرواية الأخرى. وقرية النمل موضع اجتماعهن، والعرب تُفرق في الأوطان، فيقولون لمسكن الإنسان: وطن. ولمسكن الإبل: عطن، وللأسد: عرين وغابة. وللظبي: كُناس، وللضب: وجار. وللطائر: عش. وللزنبور: كور، ولليربوع: نافق. وللنمل قرية. قاله في «الفتح».

---

(١) رواه أحمد (٢/٦٤٩٣).

٤١٢ ـ [رواه أحمد (٣/٩٢٤٠) والبخاري (٣٠١٩ و ٣٣١٩) ومسلم (٢٢٤١) وأبو داود (٥٢٦٦) والنسائي في «الكبرى» (٣/٤٨٧٠) وابن ماجه (٣٢٢٥) وابن حبان (٥٦١٤) والبيهقي (٥/٢١٣) وغيرهم بألفاظ متقاربة، واللفظ الأول لمسلم].

قال الإمام النووي ـ قال العلماء: وهذا الحديث محمول على أن شرع ذلك النبي ﷺ كان فيه جواز قتل النمل وجواز الإحراق بالنار. ولم يعتب عليه في أصل القتل والإحراق، بل في الزيادة على نملة واحدة.

وقوله جل وعلا: **«فهلا نملة واحدة»** أي: فهلا عاقبت نملة واحدة. هي التي قرصتك، لأنها الجانية، وأما غيرها فليس لها جناية وأما في شرعنا فلا يجوز الإحراق بالنار للحيوان، إلا إذا أحرق إنساناً فمات بالإحراق، فلوليه الاقتصاص بإحراق الجاني. اهـ.

وقد روى أبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرَةً معها فَرخَانِ فأخذنا فَرْخَيْهَا، فجاءت الحُمَّرةُ، فجعلت تفرشُ. فجاء النبي ﷺ فقال: **«من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»** ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال **«من حرق هذه؟»** قلنا: نحن، قال: **«إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»**(١) **والحُمَّرة**: طائر صغير كالعصفور.

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب؛ النملة، والنحلة، والهدهد، والصُّرَد(٢). رواه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين، **والصرد**: نوع من الغربان يقال له الواق، ونوع يسميه أهل العراق، العقعق، وفي بلاد الشام يسمى: **الصُّرُبُ**. وهو من سباعِ الطير، يتغذى بصغار العصافير.

وقال الإمام القرطبي ـ في **«المفهم»**: وظاهر هذا الحديث: أنَّ هذا النبي إنما عاتبه الله تعالى، حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمعٍ آذاه واحدٌ منه، وكان الأولى به الصبر، والصفح. لكن وقع للنبي، أن هذا النوع مؤذ لبني آدم، وحرمة بني آدم أعظم من حرمة غيره من الحيوان غير الناطق، فلو انفرد له هذا النظر، ولم ينضم إليه التشفِّي الطبيعي لم يعاتب، والله تعالى أعلم. لكن لما انضاف إليه التشفِّي الذي دل عليه سياق الحديث، عوتب عليه. والذي يؤيد ما ذكرنا: التمسك بأصل عصمة الأنبياء، وأنهم أعلم الناس بالله وبأحكامه، وأشدهم له خشية.

وقوله جل وعلا: **«أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله»** مقتضى هذا أنه تسبيح مقال ونطق، كما قد أخبر الله تعالى عن النمل، أن لها منطقاً، وفهمه سليمان عليه السلام، معجزة له. وقد أخبر الله تعالى عن النملة التي سمعها سليمان أنها قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٨ ـ ١٩]، فهذا كله يدل دلالة واضحة أن للنمل نطقاً وقولاً. انتهى مختصراً.

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٦٨).

(٢) رواه أحمد (٣٠٦٦/ ٢) وأبو داود (٥٢٦٧).

٧ ـ باب قصة المقداد ابن الأسود رضي الله عنه، مع رسول الله ﷺ في لبن أهل الصُفَّةِ

٤١٣ ـ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بن أَبِي لَيْلَىٰ، عَنِ المِقْدَادِ. قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي. وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ. فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا. فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنا إِلَىٰ أَهْلِهِ. فَإِذَا ثَلاَثَةُ أَعْنُزٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«احْتَلِبُوا هٰذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا»**. قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ. وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ. قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيماً لاَ يُوقِظُ نَائِماً. وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ. قَالَ ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي. ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ.

فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ. مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَىٰ هٰذِهِ الْجُرْعَةِ. فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا. فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ. قَالَ نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ. فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا صَنَعْتَ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ؟ فَيَجِيءُ فَلاَ يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ. فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ. وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ. إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَىٰ قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ. وَجَعَلَ لاَ يَجِيئُنِي النَّوْمُ. وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ.

قَالَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى. ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئاً. فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ. فَقُلْتُ: الآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ. فَقَالَ **«اللّٰهُمَّ! أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي. وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي»** قَالَ فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ. وأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ. فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ وَإِذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ. فَعَمَدْتُ إِلَىٰ إِنَاءٍ لآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ. قَالَ فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّىٰ عَلَتْهُ رِغْوَةٌ.

فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فَقَالَ: **«أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ؟»** قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! إِشْرَبْ. فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! إِشْرَبْ. فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي. فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ، وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حَتَّىٰ أُلْقِيتُ إِلَى الأَرْضِ.

قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِحْدَى سَوْآتِكَ يَا مِقْدَادُ»** فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا. وَفَعَلْتُ كَذَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا هٰذِهِ إِلاَّ رَحْمَةٌ مِنَ اللّٰهِ. أَفَلاَ كُنْتَ آذَنْتَنِي، فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا»** قَالَ فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ، مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ. (رواه مسلم).

---

٤١٣ ـ [رواه أحمد (٩/٢٣٨٧٣) ومسلم (٢٠٥٥) والترمذي (٢٧١٩) والنسائي في «الكبرى» (٦/١٠١٥٥) وفي «عمل اليوم والليلة» (٣٢٥) واللفظ لمسلم].

وأما قوله: «فليس أحد منهم يقبلنا» هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به. وقوله: «فإذا هي حافلة» أي سمينة وممتلئة.

٨ ـ باب قول الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠ ـ ٨١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

٤١٤ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»**. (متفق عليه).

وفي لفظ للبخاري أيضاً: **«قَالَ اللَّهُ: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»**.

وفي لفظ عند مسلم: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»**.

وفي رواية عند أحمد بلفظ: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»**.

٤١٥ ـ وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيم، قال: أخبرنا سُفيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيةِ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، هُوَ الَّذِي يُهْلِكُنَا وَيُمِيتُنَا وَيُحْيِينَا، قَالَ اللَّهُ ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

قَالَ الزُهريُّ، عَنْ سَعيدِ بن المُسيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«يَقُولُ اللَّهُ: يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»**. (رواه ابن حبان).

٤١٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:**

---

٤١٤ ـ [رواه أحمد (٧٢٤٩ ـ ٧٧٢٠/٣) والبخاري (٤٨٢٦ و٦١٨١ و٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦) وأبو داود (٥٢٧٤) والحميدي (١٠٩٦) وابن حبان (٥٧١٤) والحاكم (٣٦٩٢/ ٢) والبيهقي (٣٦٥/ ٣) والبغوي في «شرح السنة» (٣٣٨٩) واللفظ الأول للبخاري].

٤١٥ ـ [رواه ابن حبان (٥٧١٥) والحاكم (٣٦٩٠/ ٢) بلفظ قريب، وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

٤١٦ ـ [رواه أحمد (٧٩٩٤ ـ ١٠٥٨٣/٣) وأبو يعلى (٦٤٦٦/ ١١) وابن خزيمة (٢٤٧٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٣٥) والحاكم (١٥٢٦/ ١) وإسناده حسن].

اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُقْرِضْنِي، وَسَبَّنِي عَبْدِي وَلاَ يَدْرِي، يَقُولُ: وَادَهْرَاهُ، وَادَهْرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ».
(رواه أحمد).

ورواه أبو يعلى بلفظ: «**اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُقْرِضْنِي، وَشَتَمَنِي عَبْدِي وَهُوَ لاَ يَدْرِي، يَقُولُ: وَادَهْرَاهُ، وَادَهْرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ**».

الشرح: قوله جل وعلا: «يؤذني ابن آدم» قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى ـ في «المفهم»: المعنى: أي يخاطبني من القول بما يتأذى به من يصح في حقه التأذي، لا أن الله تعالى يتأذى، لأن التأذي ضرر، وألم، والله تعالى منزه عن ذلك. وهذا يجري مجرى ما جاء من محاربة الله ومخادعته، وهذه كلها توسعات يُفهم منها؛ أن من يُعامل الله تعالى بتلك المعاملات تعرَّض لعقاب ـ أو لعذاب ـ الله تعالى، ولمؤاخذته الشديدة، فليحذر ذلك.

ويُراد بابن آدم هنا؛ أهل الجاهلية، ومن جرى مجراهم، ممن يُطْلِقُ هذا اللفظ، ولا يتحرز منه، فإن الغالب من أحوال بني آدم إطلاق نسبة الأفعال إلى الدهر، فيذمونه، ويُسفِّهونه إذا لم تحصل لهم أغراضهم، ويمدحونه إذا حصلت لهم.

وأكثر ما يوجد ذلك في كلام الشعراء والفصحاء. ولا شك في كفر من نَسَبَ تلك الأفعال، أو شيئاً منها للدهر حقيقة، واعتقد ذلك. وأما جرت هذه الألفاظ على لسانه ولا يعتقد صحة تلك، فليس بكافرٍ، ولكنه قد تشبَّه بأهل الكفر، وبالجاهلية في الإطلاق، وقد ارتكب ما نهاه رسول الله ﷺ عنه، فليتُب، وليستغفر الله تعالى. والدهر، والزمان، والأبد، كلها بمعنى واحدٍ، وهو راجع إلى حركات الفلك، وهي الليل والنهار.

قوله جل وعلا: «يسب الدهر» وفي لفظ: **«لا يقل ابن آدم: يا خيبة الدهر»** رواه البغوي في «شرح السنة» وقال: معناه: أن العرب كان من شأنها ذمُّ الدهر، وسبه عند النوازل، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابهم قوارعُ الدهر، وأبادهم الدهر، وذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه عنهم، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] وإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد، سَبُّوا فاعلها، فكان مرجع سبهم إلى الله عز وجل، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يضيفونها إلى الدهر. فنهوا عن سبِّ الدهر. اهـ.

وقوله جل وعلا: «وأنا الدهر» قال الخطابي: معناه: أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سبَّ الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان، جعل ظرفاً لمواقع الأمور. وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر، فقالوا: بؤساً للدهر، وتباً للدهر. اهـ.

واتفق أهل العلم على أن الدهر ليس اسماً من أسماء الله تعالى، وإنما هو اسم زمان. ولا يجوز استعماله على أنه من أسماء الله تعالى. والله تعالى. قال القاضي عياض: وظن من لا تحقيق

عنده أن الدهر من أسماء الله تعالى، وذلك جهل وذريعة لقول المعطلة، وإنما المعنى بقوله: «هو الدهر» أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل لما ينسبونه إلى الدهر. كما يقال: أنا الموت. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ ثم قال: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ [آل عمران: ١٤٣]، أي رأيتم سببه. والدهر: هو مدة الزمان، وقيل: مفعولات الله تعالى.

وقوله جل وعلا: «أقلب الليل والنهار» وفي الرواية الثانية: **«بيدي الليل والنهار»** قال القرطبي: أي: أنا الذي أفعل ما ينسبونه للدهر، لا للدهر، فإنه ليل ونهار، وأنا أقلبهما، أي أتصرف فيهما بالإطالة، والإقصار، والإضاءة، والإظلام. وفيه تنبيه، على أن ما يُفعل ويُتصرَّف فيه، لا يصلح لأن يَفعَلَ. وهذا المعنى هو الذي عبَّر عنه الحكماء بقولهم: ما له طبيعة عدميَّة، يستحيل أن يفعل فعلاً حقيقياً.

٩ ـ باب في زرع الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١ ـ ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

٤١٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْماً يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ: **«أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ. فَقَالَ: أَوْ لَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحبُّ أَنْ أَزْرَعَ.**

فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الجِبَالِ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ».

فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَجِدُ هٰذَا إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ. فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. (رواه البخاري).

الشرح: قوله ﷺ: «أن رجلاً من أهل الجنة، استأذن ربه في الزرع» أي في أن يباشر الزراعة.

وقوله ﷺ: «فأسرع وبذر» أي ألقى البذر فنبت في الحال. وفي السياق حذف، تقديره: فأذن له فبذر **«فتبادر الطرف»** بفتح الطاء وسكون الراء ـ هو امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه، ويطلق أيضاً على حركة جفن العين، وكأنه المراد هنا.

وقوله ﷺ: «واستواؤه» أي نضجه **«واستحصاؤه وتكويره»** وفي ما جاء في رواية البخاري في الزراعة بلفظ: **«واستحصاده»** أي حصده والمراد بتكويره: جمعه. وأصل الكور: الجماعة الكثيرة

---

٤١٧ ـ [رواه البخاري في «التوحيد» (٧٥١٩) وطرفه في (٢٣٤٨)].

من الإبل. والمراد: أنه لما بذر، لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع ونجازه أمره كله من القلع والحصد والتذرية والجمع والتكويم، إلا قدر لمحة البصر.

وأما قوله جل وعلا: «دونك» بالنصب على الإغراء. أي خذه. وفي هذا الحديث من الفوائد؛ أن كل ما اشتهي في الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها. وفيه وصف الناس بغالب عادتهم، وفيه أن النفوس جبلت على الاستكثار من الدنيا. وفيه إشارة إلى فضل القناعة، وذم الشر. وفيه الإخبار عن الأمر المحقق الآتي بلفظ الماضي. قاله في «الفتح» والله تعالى أعلم.

فصل في الجنة ونعيمها وأحوال الفائزين فيها وما أعده الله تعالى لعباده الصالحين فيها من كرامة ونعيم مقيم

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

وقال تعالى: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

١٠ ـ باب في خلق الجنة والنار

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١ ـ ١٣٣].

٤١٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الجَنَّةَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ فَقَالَ: يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، فَحَفَّهَا بِالمَكَارِهِ. ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ.**

فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيهَا. فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهواتِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيهَا. فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا». (رواه ابن حبان).

---

٤١٨ ـ [رواه أحمد (٨٤٠٦ ـ ٣/٨٨٧٠) وأبو داود (٤٧٤٤) والترمذي (٢٥٦٠) والنسائي في «المجتبى» ٣٧٧٠) وفي «الكبرى» (٣/٤٧٠٢) وابن حبان (٧٣٩٤) وأبو يعلى (٥٩٤٠) والآجري في «الشريعة» ٣ ـ ٣٩٠) والبيهقي في «البعث» (١٦٦ و١٦٧) وإسناده جيد. رجال إسناده رجال مسلم، غير بن عمرو الليثي وهو صدوق روى له البخاري مقروناً، ومسلم متابعة].

ورواه النسائي بلفظ: «**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَى الجَنَّةِ. فَقَالَ: انظُرْ إِلَيهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا. فَنَظَرَ إِلَيهَا فَرَجَعَ فَقَالَ:**

وَعِزَّتِكَ، لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا. فَنَظَرَ إِلَيهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ. فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ.

قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَى النَّارِ، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا. فَنَظَرَ إِلَيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً. فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لاَ يَدْخُلُهَا أَحَدٌ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَانْظُرْ إِلَيهَا. فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَرَجَعَ وَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا».

الشرح: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي احذروا واجتنبوا نار جهنم التي هيئت للكافرين ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي أطيعوا الله ورسوله لتكونوا من الأبرار الذين تنالهم رحمة الله ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي بادروا إلى ما يوجب المغفرة بطاعة الله وامتثال أوامره ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي وإلى جنة واسعة عرضها كعرض السماء والأرض ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي هيئت للطائعين الصالحين من عباد الله تعالى. وفيه أن الجنة والنار مخلوقتان مهيئتان معدتان. وهذا معتقد أهل السُّنَّة والجماعة.

وقوله ﷺ: «. . فحفها بالمكاره. . . وفحفها بالشهوات» هو نحو قوله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» وفي لفظ آخر: **«حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره»** من حديث أبي هريرة عند الشيخان. قال العلماء: وقوله عليه الصلاة والسلام: **«حفت. .» و«حجبت. .»** وكلاهما صحيح. هو من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات، وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات، وإن كرهتها النفوس وشق عليها.

قالوا: والمراد بالمكاره هنا؛ ما أُمر به المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركاً. كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها، واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً. وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه. ومن جملتها الصبر على المصيبة والتسليم لأمر الله تعالى فيها.

والمراد بالشهوات؛ ما يستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه، إما بالأصالة، وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات. ويلتحق بذلك الشبهات والإكثار مما أبيح، خشية أن يوقع في المحرم.

فكأنه ﷺ قال لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات، المعبر عنها بالمكروهات، ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات. وهما محجوبتان. فمن هتك الحجاب اقتحم.

١١ ـ باب في بيان أن الجنة خلقت رحمة من الله تعالى لعباده الطائعين، وأن النار خلقت عذاباً للمذنبين

٤١٩ ـ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ والنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِىءُ، حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِىءُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَداً وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِىءُ لَهَا خَلْقاً**». (متفق عليه).

وفي رواية بلفظ: «**اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يَدْخُلُني الجَبَّارُونَ وَالمتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَدْخُلُني ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَأَسْقَاطُهُم. فَقَالَ اللَّهُ للنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَقَالَ لِلجَنَّةِ: أَنْتِ رَحمتي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**».

وفي لفظ: «**احتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتْ الجَنَّةُ: مَا بَالِي يَدْخُلُني الفُقَرَاءُ وَالضُّعَفَاءُ؟ وَقَالَتِ النَّارُ: مَا بَالي يَدْخُلُني الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ؟ فَقَالَ اللَّهُ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مِلْؤُهَا**».

٤٢٠ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ**» قَالَ: «**فَقَضَى بَيْنَهُمَا، إِنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَإِنَّكِ النَّارُ، عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلاَكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا**». (رواه أحمد).

ورواه ابن حبان بلفظ: «**افْتَخرتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يَدْخُلُني الجَبَّارُونَ وَالمُلُوكُ وَالأَشْرَافُ. وَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَدْخُلُني الفُقَرَاءُ والمَسَاكِينُ. فَقَالَ اللَّهُ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَقَالَ: لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي وَسِعَتِ كُلَّ شَيْءٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**».

وقد جاء في رواية عند أحمد بلفظ: «**افْتَخَرَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ يَدْخُلُني الجَبَابِرَةُ وَالمُتَكَبِّرونَ وَالمُلُوكُ وَالأَشْرَافُ. وَقَالَتِ الجَنَّةُ: أَيْ رَبِّ يَدْخُلُني الضُّعَفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالمَسَاكِينُ**.

---

٤١٩ ـ [رواه أحمد (٨١٧٠ ـ ٢٨٢٣ ـ ٧٧٢٢/ ٣) والبخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) والترمذي (٢٥٦١) والنسائي في «الكبرى» (٧٧٤٠/ ٤) و (١١٥٢٢/ ٦) وعبد الرزاق (٢٠٨٩٤) وابن حبان (٧٤٤٧ و٧٤٧٦ و٧٤٧٧) وغيرهم، واللفظ الأول للبخاري].

٤٢٠ ـ [رواه أحمد (١١٧٥٤ ـ ١١٠٩٩/ ٤) ومسلم (٢٨٤٧) وابن حبان (٧٤٥٤) وأبو يعلى (١١٧٢ و١٣١٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٨) والبيهقي في «البعث والنشور» (١٧٠) وغيرهم].

فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَقَالَ لِلجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا.

فَيُلْقِي فِي النَّارِ أَهْلُهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ! قَالَ: وَيُلْقِي فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ! وَيُلْقِي فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَى يَأْتِيهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَزْوِي فَتَقُولُ: قَدْنِي، قَدْنِي.

وَأَمَّا الجَنَّةِ، فَيَبْقَىٰ فِيهَا أَهْلُهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْقَىٰ، فَيُنْشِىءُ اللَّهُ لَهَا خَلْقاً مَا يَشَاءُ».

الشرح: قوله ﷺ: **«تحاجت الجنة والنار»** وفي رواية **«اختصمت»** وفي رواية **«احتجت»** وفي رواية **«افتخرت»** إلى آخر ما جاء في الروايات، وهو على ظاهره. وأن الله تعالى جعل لهما تمييزاً تدركان به فتحاجتا. ومعنى **تحاجت»** أي اختصمت.

وقوله ﷺ: **«وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم»** وعند مسلم بزيادة: **«وعجزهم»** أما سقطهم ـ بفتح السين والقاف ـ، أي: ضعفاؤهم. والمحتقرون منهم، الساقطون من أعينهم. وهذا بالنسبة إلى ما عند كثير من الناس. وبالنسبة إلى ما عند الله تعالى فهم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له، في غاية التواضع لله والذلة في عباده، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح. قاله في «الفتح». وأما عجزهم ـ بفتح العين والجيم ـ جمع عاجز، أي العاجزون عن طلب الدنيا، والتمكن فيها، والثروة، والشوكة قاله النووي.

وأما قوله ﷺ: **«فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله»** وفي رواية: **«حتى يضع قدمه»** وفي الرواية الأخيرة: **«فيضع قدمه عليها فتزوي»** هذا من أحاديث الصفات، وقد تقدم القول فيها وأن الصواب فيها أن لا يتكلم في تأويلها، بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله جل وعلا، ولها معنى يليق بها. وظاهرها غير مراد، وأن طريق السلف أن تمر كما جاءت مع الاعتقاد باستحالة ما يوهم النقص على الله تعالى.

وأما معنى قوله ﷺ: **«ويزوي بعضها إلى بعض»** أي تنضم، فتتجمع، وتلتقي على من فيها. وأما قول جهنم **«هل من مزيد»** دليل على سعتها وكبر حجمها. ومعنى **«قط»** أي يكفيني هذا. وهو معنى **«قدني، قدني»** أي حسبي حسبي.

وقوله ﷺ: **«وأما الجنة، فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً»** قال النووي: هذا دليل لأهل السنة، أن الثواب ليس متوقفاً على الأعمال، فإن هؤلاء يخلقون حينئذ، ويُعطون في الجنة ما يعطون بغير عمل، ومثله أمر الأطفال، والمجانين الذين لم يعملوا طاعة قط. فكلهم في الجنة برحمة الله تعالى وفضله.

وفي هذا الحديث دليل على عظم سعة الجنة، فقد تقدم آنفاً أن أقل واحد من أهل الجنة له مثل الدنيا وعشرة أمثالها. ثم يبقى فيها شيء لخلق ينشئهم الله تعالى.

فائدة: قال الإمام السندي: قوله ﷺ: «فقالت النار...» إلخ، كأنها افتخرت بأنها عقوبة لأعداء الله تعالى، والجنة افتخرت، بأنها راحة لأولياء الله تعالى. فقطع الله تعالى افتخارهما بإضافة العذاب والرحمة إليه. اهـ.

١٢ ـ باب ما جاء في صفة الجنة وما أعده الله تعالى لعباده الصالحين فيها

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

٤٢١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾». (متفق عليه).

وفي رواية عند مسلم بلفظ: «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْراً، بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ**».

ثم قرأ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

ورواه البخاري بلفظ: «**ذُخْراً بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ**».

ورواه ابن حبان بلفظ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَمِصْدَاقُ ذٰلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

ورواه الترمذي من طريق محمد بن عمرو، قال حدثنا أبو سلمة عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ، مَالاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُم** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

«**وَفِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا، وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُم** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1].

---

٤٢١ ـ [رواه أحمد (٣/١٠٠٢٤) والبخاري (٣٢٤٤ و٤٧٧٩ و٤٧٨٠ و٧٤٩٨) ومسلم (٢٨٢٤) والترمذي (٣١٩٧) والحميدي (١١٣٣) وابن ماجه (٤٣٢٨) والدارمي (٢٨٢٨) وابن حبان (٣٦٩) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٢٨) وغيرهم. واللفظ الأول للبخاري].

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٢).

٤٢٢ ـ وَعَنِ المُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أَيُّ أَهْلِ الجَنَّةِ أَدْنى مَنْزِلَةً؟ قَالَ: رَجُلٌ يَأْتِي بَعدمَا يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: كَيْفَ أَدْخُلُ وَقَدْ نَزَلُوا مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟»

قَالَ: «فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ قَدْ رَضِيتُ. فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ هٰذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيْ رَبِّ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ هٰذَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهِ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيْ رَبِّ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَعَ هٰذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ» (رواه الترمذي).

زاد مسلم في روايته: «فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ ـ أي موسى ـ: رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ. غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]

وقد جاء في رواية ابن حبان بعد أن ذكر نحواً من رواية الترمذي، بلفظ: «وَسَأَلَ رَبَّهُ ـ أَيْ موسىٰ ـ أَيُّ أَهْلِ الجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: سَأُحَدِّثُكَ عنهم. غَرَسْتُ كَرَامَتَهُم بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَمِصْدَاقُ ذٰلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَىٰ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

الشرح: قوله جل وعلا: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]» قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأمر في هذا أجلّ وأعظم من أن يُعرف تفسيره. وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: أخفى القوم أعمالاً، فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.
أقول: وهو من باب، الجزاء من جنس العمل وقد ختم المولى سبحانه وتعالى الآية الكريمة بقوله: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وفي «صحيح مسلم» وغيره، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة. حتى انتهى. ثم قال في آخر حديثه: «**فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» ثم اقرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] [السجدة: ١٦ ـ ١٧].

وأما قوله جل وعلا: «ذخراً» أي جعلت ذلك النعيم المقيم والكرامة الأبدية، مدخراً لهم

---

٤٢٢ ـ [رواه مسلم (١٨٩) والترمذي (٣١٩٨) والحميدي (٧٦١) وابن حبان (٦٢١٦) والطبراني في «الكبير» (٢٨٩/ ٢٠) وابن منده في «الإيمان» (٨٤٥) وغيرهم].

(١) رواه مسلم (٢٨٢٥).

عندي. يقال: ذخرت الشيء، أذخره، وادَّخرته أدَّخرَهُ، ادِّخاراً. قال القرطبي: ومعنى هذا الكلام: أن الله تعالى، ادَّخر في الجنة من النعيم والخيرات، واللذات ما لم يطلع عليه أحدٌ من الخلق، لا بالإخبار عنه، ولا بالفكرة فيه. وقد تعرَّض بعض الناس لتعيينه، وهو تكلُّف ينفيه الخبر نفسه، إذ قد نفى علمه والشعور به عن كل أحد، ويشهد له ويحقِّقه قوله جل وعلا: «بله، ما أطلعكم الله عليه» أي: دَعْ. ما أطلعكم عليه. يعني أن المعدَّ المذكور غير الذي أطلع عليه أحداً من الخلق. وبله: اسم من أسماء الأفعال. بمعنى: دع. هذا هو المشهور فيها. وقيل: هي بمعنى ـ غير ـ وهذا تفسير معنىً.

١٣ ـ باب في كرامة فقراء المسلمين الصالحين على الله تعالى، ودخولهم الجنة قبل الأغنياء وذوي الجاه والسلطان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

٤٢٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: أَيْنَ فُقَرَاءُ هٰذِهِ الأمة وَمَسَاكِينُها؟ قَالَ: فَيَقُومُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا عَمِلْتُم؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا ابْتَلَيْتَنَا فَصَبَرْنَا، وَآتيتَ الأَمْوالَ وَالسُّلْطَانَ غَيرنَا.**

فَيقُولُ اللَّهُ: صَدَقْتُمْ، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ، وَيَبْقَىٰ شِدَّةُ الحِسَابِ عَلَى ذَوِي الأَمْوالِ وَالسُّلطَانِ».

قَالُوا: فَأَيْنَ المُؤْمِنونَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **«يُوضَعُ لَهُمْ كَراسيُّ مِنْ نُورٍ، وَتُظَلَّلُ عَلَيْهِم الغَمَامُ، يَكُونُ ذٰلِكَ اليومُ أَقْصرَ عَلَى المُؤْمنينَ مِنْ سَاعةٍ مِنْ نَهَارٍ».** (رواه ابن حبان).

١٤ ـ باب آخر أهل الجنة دخولاً، وأدناهم منزلة

٤٢٤ ـ عن الشعبيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ المُغِيرةَ بن شُعْبةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَلَى المِنْبَرِ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ: **«أنَّ مُوسىٰ قَالَ: رَبِّ، أَيُّ أَهْلِ الجَنَّةِ أَدْنىٰ مَنزِلَةً؟ فَقَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ، فَيُقَالُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: كَيفَ أَدْخُلُ، وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟**

فَيُقَالُ لَهُ: تَرْضىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الجَنَّةِ مِثْلُ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلوكِ الدُّنْيا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ فَيُقَالُ: لَكَ هٰذَا وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ رَضِيتُ. فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ لَكَ هٰذا وَعَشَرةَ أَمْثَالِهِ مَعَهُ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ رَضِيتُ، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ مَعَ هذا مَا اشتهت نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ». (رواه ابن حبان).

---

٤٢٣ ـ [رواه ابن حبان (٧٤١٩) وابن المبارك في «الزهد» (٦٤٣) وإسناده حسن. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٣٥٠/ ١٠) وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير أبي كثير الزبيدي، وهو ثقة].

٤٢٤ ـ [رواه ابن حبان (٧٤٢٦) وإسناده صحيح على شرط مسلم، وقد تقدم من رواية مسلم (١٨٩) والترمذي (٣١٩٨) والحميدي (٧٦١) وغيرهم بأطول منه وأتم في باب: ما جاء في صفة الجنة وما أعده الله تعالى لعباده الصالحين فيها].

٤٢٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُم مِنَ الجَنَّةِ، أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، وَيَتَمَنَّى. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيَقُولُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». (رواه أحمد).

٤٢٦ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنها، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً رَجُلٌ يَخرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْواً، فَيَقُولُ الله: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيأْتِيها فَيُخَيَّلُ إِلَيهِ أَنَّها مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُها مَلأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيُخَيَّلُ إِلَيهِ أَنَّها مَلأَى فَيأْتِيها فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُها مَلأَى فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيا وَعَشَرة أَمْثالِها أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثالِ الدُّنيا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي ـ أَوْ ـ تَضْحَكُ مِنِّي، وَأَنْتَ المَلِكُ»؟

فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. وَكَانَ يُقَالُ: ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً. (متفق عليه).

٤٢٧ ـ وعن أنس بن مالك عن عبد اللّه بن مسعود، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن آخر مَن يدخل الجنة رَجُلٌ يَمْشي على الصراطِ، فينكبُ مَرَّةً ويمشي مرةً، وتَسْفَعُه النارُ مرةً، فإذا جَاوزَ الصراطَ التفتَ إليها فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجاني منكِ، لقد أعطاني الله ما لم يُعطِ أحداً من الأوّلين والآخرين، قال: فَتُرفَع لَهُ شجرةٌ، فينظرُ إليها، فيقولُ: يا رَبِّ، أدنني من هٰذه الشَجرةِ فأستَظِلَّ بظلها وأشربَ من مَائِها، فيقولُ: أيْ عَبْدِي، فلعلي إنْ أدنيتُك مِنهَا سَأَلتَني غيرَها، فيقول: لاَ يا رَبِّ، ويعاهدُ اللّهَ أن لا يَسْأَلهُ غيرَها، والربُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَعْلَمُ أنهُ سَيَسْأَلُه، لأنه يَرَى ما لا صَبْرَ له، يعني عليه.

فيدنيه منها، ثم تُرْفَعُ له شجرةٌ، وهي أحسنُ منها، فيقول: يا رب، أدنني من هذه الشجرة فأستظلَّ بظلها وأشربَ من مائها، فيقول: أيْ عبدي، ألم تعاهدني؟ يعني أنك لا تسألني غيرَها؟! فيقولُ: يا رَبِّ، هٰذِهِ الشجرة، لا أسألكَ غيرَها، ويُعَاهدهُ، والرَّبّ يَعْلَمُ أنه سَيسألهُ غيرَها، لأنه يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَيَسْمَعَ أَصْواتَ أَهْلِ الجَنَّة، فيقولُ: يَا رَبِّ، الجَنَّةَ الجنَّةَ، فَيقُولُ: عَبْدِي، أَلَمْ تُعَاهِدْني أنكَ لا تَسْأَلني غَيْرَهَا؟! فيقولُ: يا رَبِّ أَدْخِلني الجَنَّة، قالَ: فيقول ـ

---

٤٢٥ ـ [رواه أحمد (٨١٧٤) ومسلم (١٨٢/ ٣٠١) وابن منده في «الإيمان» (٨٠٨) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٧٠) وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

٤٢٦ ـ [رواه أحمد (٣٥٩٥/ ٢) والبخاري (٦٥٧١) ومسلم (١٨٦) والترمذي (٢٦٠٤) وغيرهم، واللفظ للبخاري].

٤٢٧ ـ [رواه أحمد (٣٧١٤/ ٤) وأبو يعلى (٥٢٩٠) والشاشي (٢٦٨) والطبراني في «الكبير» (٩٧٧٥) وابن حبان (٧٤٣٠) وابن منده في «الإيمان» (٨٤١) وغيرهم، وإسناده صحيح على شرط مسلم، واللفظ لأحمد].

عَزَّ وَجَلَّ ـ: ما يَصْرِينِي منك أيْ عَبْدي؟ أيُرضيكَ أَنْ أُعطيكَ من الجَنَّةِ الدُّنْيَا ومثلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: فيقولُ: أتَهزَأُ بي وأنتَ ربُّ العِزَّةِ؟».

قال: فضَحِكَ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُه، ثُمَّ قَالَ: ألا تَسْألوني لِمَ ضَحِكتُ؟ قالوا لَهُ: لِمَ ضَحِكتُ؟ قال: لِضَحِكِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لَنا رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«ألا تَسْألُوني لِمَ ضَحَكتُ؟»** قالوا: لِمَ ضَحكتَ يا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: **«لِضَحِكِ الرَّبِّ حِينَ قَالَ: أتهزأُ بي وأنتَ رَبُّ العِزَّةِ»**. (رواه أحمد).

٤٢٨ ـ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: إنَّ مِنْ آخِرِ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخولاً، رَجُلاً مَرَّ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ لَهُ: **«قُمْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ»** فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَابِساً، فَقَالَ: وَهَلْ أَبْقَيْتَ لي شَيْئاً؟ قَالَ: **«نَعَمْ، لَكَ مِثْلُ مَا طَلعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ، أوْ غَرَبَتْ»**. (رواه الطبراني).

الشرح: قوله ﷺ: «فينكب مرة ويمشي مرة» ينكب ـ بتشديد الباء ـ أي يسقط على وجهه.

وقوله ﷺ: **«وتسفعه النار مرة»** أي تضرب وجهه، وتسوده، أو تؤثر فيه أثراً.

وقوله جل وعلا: **«ما يصريني منك»** أي ما يقطع مسألتك مني. وقيل المعنى: أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك.

وقد تقدم القول في ضحك الرب تعالى، وأن مذهب أهل السنة والجماعة عدم الخوض في تأويل الصفات. بل نمررها كما جاءت والله منزه عن الانفعالات التي تعتري مخلوقاته.

فائدة في قصاص المظالم عند قنطرة الجنة:

روى الإمام أحمد والإمامُ البخاريِّ وَغَيْرهمَا مِنْ حَديثِ أبي سَعيدِ الخُدْريِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، عَن رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«إذا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا بِقَنطَرةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُم في الدُّنْيَا. حَتَّى إذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ. فَوَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لأَحَدُهُم بِمَسْكَنِهِ في الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ في الدُّنْيَا»**[1] لفظ البخاري.

قال الإمام القرطبي: هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله تعالى، أن القصاص لا يستنفد حسناتهم. اهـ. وقال الحافظ في «الفتح»: ولعل أصحاب الأعراف، منهم على القول المرجح. وخرج من هذا صنفان من المؤمنين؛ من دخل الجنة بغير حساب. ومن أوبقه عمله.

ومعنى قوله ﷺ: **«فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا»** المراد به تتبع ما بينهم من المظالم وإسقاط بعضها ببعض. وقد جاء في لفظ أحمد: **«يَخلصُ المُؤمِنُون يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ النَّار فَيُحْبَسُونَ**

---

٤٢٨ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (٩١٨٩/٩) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٦٧٣/١٠) وعزاه للطبراني، وقال: ورجاله رجال الصحيح غير هبيرة بن يريم، وهو ثقة].

(١) رواه أحمد (١١٠٩٥/٤) والبخاري (٢٤٠٠).

على قَنطَرةٍ بَينَ الجَنَّةِ والنَّار، فَيُقتَصُّ لِبعْضِهِمْ مِنْ بَعضٍ مظالِمُ كانَتْ بَيْنهمْ في الدُّنيا. حَتَّى إذا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ في دُخُولِ الجَنَّةِ. فَوالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأحَدُهُمْ أهدَى لِمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ في الدُّنيا»(١).

ومعنى قوله ﷺ **«نقوا»** من التنقية، أي خلصوا من التبعات. و**«هُذبوا»** أي خلصوا من الآثام بمقاصصة بعضها ببعض **«أذن لهم بدخول الجنة»** وعندئذ يتجلى فيهم قول الله تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

قال الحافظ: وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح، من مرسل الحسن، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: **«يُحبس أهل الجنة بعدما يجوزون الصراط، حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلاماتهم في الدنيا ويدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل»**. والله تعالى أعلم.

نصيحة: روى البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليست ثَمَّ دينار ولا درهم. من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»**(٢).

١٥ ـ باب قول الله جل وعلا ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

٤٢٩ ـ عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ؟ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟**

قَالَ: **فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»**. (رواه مسلم).

زادَ في رِوَايَةٍ لَهُ: ثُمَّ تَلاَ هٰذِهِ الآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

ورواه أحمد بلفظ: **«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، نُودُوا: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ مَوْعِداً عِنْدَ اللَّهِ لَمْ تَرَوْهُ! فَقَالُوا: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَتُزَحْزِحْنَا عنِ النَّارِ، وَتُدْخِلْنَا الجَنَّةَ؟»**.

قَالَ: **«فَيَكْشِفُ الحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ»**.

---

(١) رواه أحمد (١١٠٩٥).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٤).

٤٢٩ ـ [رواه أحمد (١٨٩٥٧ ـ ١٨٩٥٨ ـ ١٨٩٦٣/٦) و (٢٣٩٨٠/٩) والطيالسي (١٣٥١) ومسلم (١٨١) والترمذي (٢٥٥٢) والنسائي في «الكبرى» (١١٢٣٤/٦) وابن ماجه (١٨٧) وابن منده (٧٨٢) وأبو عوانة (١٥٦/١) وابن حبان (٧٤٤١) والطبراني في «الكبير» (٧٣١٤) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٧٨) والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٤٦) وفي «الاعتقاد» (ص/١٢٤) وفي «الأسماء والصفات» (ص/ ٣٠٧) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٩٣) وغيرهم].

ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وفي لفظ لأحمد أيضاً: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نُودُوا: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِداً. فَقَالُوا: أَلَمْ يُثْقِلْ مَوَازِينَنَا وَيُعْطِينَا كُتُبَنَا بِأَيْمَانِنَا، وَيُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَيُنَجِّينَا مِنَ النَّارِ؟ فَيُكْشَفُ الحِجَابُ».

قَالَ: «فَيَتَجلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ ـ قَالَ ـ فَما أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ».

وفي روايةٍ لهُ أيضاً: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَلاَ هٰذِهِ الآيَة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ. نَادَىٰ مُنَادِياً أَهْلَ الجَنَّةَ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِداً يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ. فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ».

قَالَ: «فَيُكْشَفُ لَهُمُ الحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ» قَالَ: «فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ، مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَلاَ أَقَرَّ بِأَعْيُنِهِمْ».

١٦ ـ باب كلام الرب جل وعلا مع أهل الجنة، وإحلال رضوانه عليهم من غير أن يسخط عليهم أبداً

قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧ ـ ٨].

٤٣٠ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرَ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَىٰ يَا رَبِّ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ.

فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُم رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُم بَعْدَهُ أَبَداً». (متفق عليه).

---

٤٣٠ ـ [رواه أحمد (٤/١١٨٣٥) والبخاري (٦٥٤٩ و ٧٥١٨) ومسلم (٢٨٢٩) والترمذي (٢٥٥٥) والنسائي في «الكبرى» (٧٧٤٩) وابن حبان (٧٤٤٠) وابن منده في «الإيمان» (٨١٩) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٩٤) وغيرهم].

وفي لفظ عند البخاري: **«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ. قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيكُم رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيكُم بَعْدَهُ أَبَداً»**.

٤٣١ ـ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ اللَّهُ: أَتَشْتَهُونَ شَيْئاً فَأَزِيدَكُم؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، وَمَا فَوْقَ مَا أَعْطَيتَنَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى رِضَايَ أَكْثَرُ»**. (رواه ابن حبان).

ورواه الحاكم بلفظ: **«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئاً فَأَزِيدَكُم؟ فَيَقُولُونَ؟ رَبَّنَا، وَمَا فَوْقَ مَا أَعْطَيتَنَا؟ قَالَ: يَقُولُ: رِضْوَانِي أَكْبَرُ»**.

وفي لفظ للحاكم أيضاً: **«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرَ مِنْ هٰذا؟ قَالُوا: بَلَى، وَمَا أَكْبَرُ مِنْ هٰذا؟ قَالَ: الرِّضْوَانُ»**.

الشرح: قوله جل وعلا: «يا أهل الجنة» أي يا أصحاب الجنة. فإن أهل الجنة أصحابها على الدوام وإلى الأبد. قال الشيخ ابن أبي جمرة: في هذا الحديث جواز إضافة المنزل لساكنه، وإن لم يكن في الأصل له. فإن الجنة ملك لله عز وجل، وقد أضافها لساكنها بقوله: **«يا أهل الجنة»**.

قوله ﷺ: «فيقولون: لبيك ربنا وسعديك» قال الأزهري: فأما لبيك، فهو مأخوذ من: لَبَّ بالمكان، وألبَّ، أي أقام به، لباً وإلباباً، كأنه يقول: أنا مقيم على طاعتك إقامة بعد إقامة، ومجيب لك بعد إجابة. وحكى عن ابن السكيت في قوله: **«لبيك وسعديك»** تأويله: إلباباً لك بعد الباب، أي لزوماً لطاعتك بعد لزوم، وإسعاداً بعد إسعاد. وقال الفراء: وأصل الإسعاد والمساعدة، متابعة العبد أمر ربه ورضاه.

وقال أبو طالب النحوي: معنى قوله: **«لبيك وسعديك»** أي أسعدني الله إسعاداً بعد إسعاد. قال الأزهري: والقول ما قاله ابن السكيت، وأبو العباس: لأن العبد يخاطب ربه، ويذكر طاعته له، ولزومه أمره، فيقول: سعديك، كما يقول لبيك، أي مساعدة لأمرك بعد مساعدة. وإذا قيل: أسعد الله العبد، وسعده، فمعناه: وفقه الله لما يرضيه عنه، فيسعد بذلك سعادة.

وقوله جل وعلا: «هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك» قال السندي: فيه أن الإنسان في تلك الدار، لا يبقى على هذا الحرص في هذه الدار، بل يظهر فيه آثار الغنى ويزول حال الفقر، وإلا فقد جاء: أنه لو كان له واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً.

وقال الحافظ ابن حجر: وفيه دليل على رضا كل من أهل الجنة بحاله مع اختلاف منازلهم

---

٤٣١ ـ [أخرجه ابن حبان (٧٤٣٩) والحاكم (٢٧٦ ـ ٧/٢٧٧) وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٨٣) وإسناده قوي].

وتنويع درجاتهم، لأن الكل أجابوا بلفظ واحد، وهو: **«أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك»**.

وقوله جل وعلا: «أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً» وفي حديث جابر: **«ألا أنبئكم بأكبر من هذا؟ قالوا: بلى، وما أكبر من هذا؟ قال الرضوان»** وفي الرواية الثانية: **«قال: يقول: رضواني أكبر»** وفيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]. ذلك أن رضى الله تعالى سبب كل فوز وسعادة، وكل من علم أن سيده راض عنه، كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم. وفي هذا الحديث، أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: والحكمة في ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار، أنه لو أخبر به قبل الاستقرار، لكان خبراً من باب علم اليقين. فأخبر به بعد الاستقرار، ليكون من باب عين اليقين. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

قال: ويستفاد من هذا، أنه لا ينبغي أن يخاطب أحد بشيء حتى يكون عنده ما يستدل به عليه ولو على بعضه. وكذا ينبغي للمرء أن لا يأخذ من الأمور إلا قدر ما يحمله. وفيه من الأدب في السؤال، لقولهم: وأي شيء أفضل من ذلك. لأنهم لم يعلموا شيئاً أفضل مما هم فيه فاستفهموا عما لا علم لهم به، وفيه أن الخير كله والفضل والاغتباط إنما هو في رضا الله سبحانه وتعالى، وكل شيء ما عداه، وإن اختلفت أنواعه فهو من أثره والله تعالى أعلم. ذكره الحافظ في «الفتح».

١٧ ـ باب المناداة على أهل الجنة، بالصحة والدوام والشباب والنعيم المقيم، الدائم

قال الله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

٤٣٢ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُم أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُم أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُم أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُم أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَداً»**.

فَذٰلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، (رواه مسلم).

زاد أحمد في روايته: **«يَتَنَادَوْنَ بِهٰؤُلاءِ الأَرْبَعِ»**. ولم يذكر الآية.

ورواه النسائي في «الكبرى» مختصراً، عن النبي ﷺ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ قَالَ: **«نُودُوا: أَنْ صِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا، وَانْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا، وَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا»**.

---

٤٣٢ ـ [رواه أحمد (٤/١١٣٣٢) ومسلم (٢٨٣٧) والنسائي في «الكبرى» (٦/١١١٨٤) والدارمي (٢٨٢٤) وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٩٠) والترمذي (٣٢٤٦) واللفظ الأول لمسلم].

ورواه الدارمي بنحوه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ قَالَ: «نُودُوا: صِحُّوا وَلاَ تَسْقَمُوا، وَانْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا وَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا، وَاخْلُدُوا فَلا تَمُوتُوا».

الشرح: قوله ﷺ: «ينادي مناد» أي إذا دخل أهل الجنة الجنة: **«إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً»** والسقم: المرض **«وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً»** وهو معنى قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ **«وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً»** أي تحيون شباباً لا شيخوخة فيها أبداً. **«وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»** أي لا يصيبكم بأس، وهو: شدة الحال. والبأس، والبؤس، والبأساء، بمعنى واحد. وينعم، وتنعم ـ بفتح أوله والعين ـ أي يدوم لكم النعيم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: **«من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»**.

كرامة: روى البخاري وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة يتراؤون أَهلَ الغُرفِ من فَوْقِهِم كما يَتَراؤَوْنَ الكَوكبَ الدُرِيّ الغَابرَ في الأفقِ من المشرقِ أو المغربِ، لِتَفَاضلِ مَا بَيْنَهُمْ»**.

قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ: تِلكَ مَنَازِلُ الأنبياءِ لا يبلغها غيرهم؟ قال: **«بَلىٰ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمنُوا بالله وصدَّقوا المُرْسَلِينَ»**[1].

١٨ ـ باب ما جاء في فضل يوم الجمعة في الآخرة، وإنه يوم المزيد عند أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣١ ـ ٣٥].

٤٣٣ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ بِمِثْلِ المِرْآةِ البَيْضَاءِ فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هٰذِهِ؟ قَالَ: هٰذِهِ الجُمُعَةُ. جَعَلَهَا اللَّهُ عِيداً لَكَ وَلأُمَّتِكَ، فَأَنْتُمْ قَبْلَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فِيهَا سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْراً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»**. قَالَ: **«قُلْتُ: مَا هٰذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ؟ قَالَ: هٰذَا يَوْمُ القِيَامَةِ تَقُومُ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ عِنْدَنَا المَزِيدَ»**.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥٦).

٤٣٣ ـ [رواه أبو يعلى (٤٢٢٨/ ٢) والطبراني في «الأوسط» (٢٠٨٤/ ٢) و (٦٧١٧/ ٧) والبزار (٣٥١٩) وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩٥) وإسناده جيد، وأورده ابن حجر في «المطالب العالية» رقم (٥٧٧ ـ ٥٧٨ ـ ٥٧٩ ـ ٥٨٠/ ١) وجوّد إسناد أبو يعلى أكثر من غيره. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٩٩٦ ـ ٢٩٩٧/ ٢) مختصراً، وعزاه للطبراني في «الأوسط» وقال: ورجاله ثقات، وقال في الثانية: ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخ الطبراني، وهو ثقة. وأورده أيضاً (١٨٧٧١/ ١٠) من رواية البزار الأخيرة. وقال: رواه البزار والطبراني في «الأوسط» بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وقد وثقه غير واحد، وضعفه غيرهم، وإسناد البزار فيه خلاف].

قَالَ: «قُلْتُ مَا يَوْمُ المَزِيدِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ في الجَنَّةِ وَادِياً أَفْيَحَ، وَجَعَلَ فِيهِ كُثْبَاناً مِنَ المِسْكِ الأَبْيَضِ، فَإِذَا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ. فَوُضِعَتْ فِيهِ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ للأَنْبِيَاءِ، وَكَرَاسِيُّ مِنْ دُرٍّ لِلشُّهَدَاءِ، وَيَنْزِلْنَ الحُورُ العِينُ مِنَ الغُرَفِ فَحَمِدُوا اللَّهَ وَمَجَّدُوهُ».

قَالَ: «ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: اكْسُوا عِبَادِي، فَيُكْسَوْنَ. وَيَقُولُ: أَطْعِمُوا عِبَادِي فَيُطْعَمُونَ. وَيَقُولُ: اسْقُوا عِبَادِي، فَيُسْقَوْنَ. وَيَقُولُ: طَيِّبُوا عِبَادِي، فَيُطَيَّبُونَ. ثُمَّ يَقُولُ: مَاذَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رِضْوَانَكَ».

قَالَ: «يَقُولُ: رَضِيتُ عَنْكُم، ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ فَيَنْطَلِقُونَ، وَتَصْعَدُ الحُورُ العِينُ الغُرَفَ، وَهِيَ مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَمِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ». (رواه أبو يعلى).

ورواه الطبراني بلفظ: عُرِضَتِ الجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَاءَ جِبْرِيلُ في كَفِّهِ كالمِرْآةِ البَيْضَاءِ في وَسَطِها كَالنُّكْتَةِ السَّوْداءِ، فَقَالَ: «مَا هٰذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟ قال: هذه الجُمُعَةُ يَعْرِضُها عليكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لكَ عِيْداً ولِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، ولكمْ فيها خَيْرٌ تكونُ أنتَ الأوَّلَ، ويكونُ اليهودُ والنَّصارَى مِنْ بَعْدِكَ، وفيها ساعةٌ لا يَدْعُو أَحَدٌ رَبَّهُ بخَيْرٍ هو له قَسْمٌ إلا أعطاه، أو يَتَعَوَّذُ مِنْ شَرٍّ إلا دَفَعَ عنه ما هو أَعْظَمُ منه، ونحن نَدْعُوهُ في الآخرةِ يومَ المَزِيدِ، وذلك أَنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ في الجنةِ وادياً أَفْيَحَ من مِسْكٍ أَبْيَضَ.

فإذا كان يومُ الجُمُعَةِ نَزَلَ من عِلِّيِّينَ، فَجَلَسَ على كُرْسِيِّه، وَحَفَّ الكُرْسِيَّ بمنابِرَ من ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بالجَوَاهِرِ، وجاء الصِّدِّيقونَ والشُّهداءُ فَجَلَسوا عليها، وجاءَ أَهْلُ الغُرَفِ من غُرَفِهِمْ حتَّى يَجْلِسوا على الكَثِيبِ، وهو كَثِيبٌ أبيضُ من مِسْكٍ أَذْفَرَ، ثمَّ يَتَجَلَّى لهم فيقول:

أَنا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي، وَأَتْمَمْتُ عليكُمْ نِعْمَتِي، وهذا مَحَلُّ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فيقول: رِضَايَ أَحَلَّكُمْ دَارِي، وأنالَكُمْ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، [فَيشهدُ عَلَيهِمْ عَلَى الرِّضَا].

ثمَّ يَفْتَحُ لهم ما لم تَرَ عَيْنٌ، ولم يَخطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ، إلى مِقْدارِ مُنْصَرَفِهِمْ من الجُمُعَةِ، وهي زَبَرْجَدَةٌ خَضرَاءُ أو يَاقُوتَةٌ حَمراءُ، مُطَّرِدَةٌ فيها أَنهارُهَا، مُتَدَلِّيَةٌ، فيها ثِمَارُها، فيها أَزْواجُها وَخَدَمُها، فليس هم في الجنةِ بأَشْوَقَ منهم إلى يوم الجُمُعَةِ لِيَزْدادُوا نَظَراً إلى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وَكَرامَتِهِ وَلِذَلك دُعِيَ يوم المَزِيدِ».

وفي رواية له أيضاً بلفظ: «أَتاني جِبْرِيلُ وفي يَدِهِ كَهَيْئَةِ المِرْآةِ البَيْضَاءِ، فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْداءُ، فقلتُ: ما هٰذِهِ يا جِبْرِيلُ؟ قال: هذهِ الجُمعةُ، بَعَثَ بها رَبُّكَ إِلَيكَ تكونُ عِيداً لك ولأُمَّتِكَ بعدَكَ، فقلت: ما لنا فيها؟ فقال: لكم خيرٌ كثيرٌ، أَنْتُمُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يومَ القيامةِ، وفيها ساعةٌ لا يُوَافِقُهَا عبدٌ مسلمٌ يُصَلِّي يسألُ اللَّهَ فيها شيئاً إلا أعطاهُ إِيَّاهُ، فقُلْتُ: ما هٰذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْداءُ؟ قال: هٰذِهِ السَّاعةُ، تَقُومُ يومَ الجمعةِ، وهو سَيِّدُ الأَيَّامِ، ونحن نُسَمِّيهِ يومَ المَزِيدِ، قلت: يا جبريلُ: ما المزيدُ؟

قال: ذلك أنَّ ربَّك اتَّخذَ في الجنةِ وَادِياً أَفْيَحَ من مِسْكٍ أَبيَضَ، فإذا كَانَ يومُ الجُمعةِ مِنْ أيَّامِ الآخِرَةِ يَهبِطُ الرَّبُ تَبارَكَ وتعالى عن عَرْشِهِ إلى كُرْسِيِّهِ، وحُفَّ الكُرسِيُّ بِمَنَابِرَ من نُورٍ فَجَلَس عليها النَّبِيُّونَ، وحُفَّتِ المَنَابِرُ بكراسِيَّ من ذَهَبٍ فجلَسَ عليها الشُّهدَاءُ، ويَهبِطُ أهلُ الغُرفِ من غُرَفِهم، فَيَجلِسُونَ علَى كُثبَانِ المِسْكِ، لا يَرَوْنَ لأهْلِ الكراسيِّ والمَنَابِرِ عَلَيهم فَضلاً في المجْلِسِ، ويَبْدُو لهم ذو الجَلالِ والإكْرَامِ، فَيَقولُ:

سَلُونِي، فَيَقُولُونَ: نَسألُكَ الرِّضَا يَا رَبِّ، فَيَقولُ: رِضَائِي أَحَلَّكُمْ دَارِي، وأَنَالكُم كَرَامَتِي، ثُمَّ يقولُ: سَلُوني، فيقُولُونَ بِأَجْمَعِهِم: نَسأَلُكَ الرِّضَا، فيُشهِدُهُم عَلَى الرِّضَا، ثُمَّ يقول: سَلُوني، فَيَسألُونَهُ حتَّى يَنتَهِي كُلُّ عبدٍ مِنهُم، ثُمَّ [. . .] عَلَيهِمْ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ».

ورواه البزار من طريق عثمان بن عمير، عن أنس بن مالكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أتَاني جِبْريلُ ﷺ وفي يَدِهِ مِرْآةٌ بَيضَاءُ فيها نُكتَةٌ سَوْدَاءُ، فَقُلْتُ: مَا هٰذِهِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هٰذِهِ الجُمعةُ يَعرِضُها عَلَيكَ رَبُّكَ لِتَكونَ لَكَ عِيداً وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، تَكُونُ أَنتَ الأَوَّلَ، وَتَكُونُ اليهودُ والنَّصَارَىٰ مِن بَعْدِكَ، قَالَ: مَا لَنَا فِيهَا، قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، لَكُمْ فِيهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا رَبَّهُ فِيهَا بخيرٍ هُو لَهُ قَسَمٌ[1] إلاَّ أَعطَاهُ إِيَّاهُ، أَوْ لَيسَ لَهُ بِقَسَمٍ إلاَّ ادُّخَرَ لَهُ مَا هُوَ أَعظَمُ مِنْهُ، أَوْ تعوَّذَ فيها من شرٍّ هُوَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إلاَّ أَعَاذَهُ مِنْ أعظَمِ مِنْهُ. قُلْتُ: مَا هٰذِهِ النُّكتَةُ السَّوداءُ فيها: قالَ: هي السَّاعةُ تَقومُ يومَ الجُمعةِ، وَهُو سيِّدُ الأيامِ عِنْدَنا، وَنَحنُ نَدعُوهُ في الآخرةِ يومَ المزيدِ.

قَالَ: قلتُ: لِمَ تَدْعُونَهُ يومَ المزيدِ؟ قَالَ: إنَّ ربَّكَ عَزَّ وَجَلَّ اتخذَ في الجنَّةِ وَادياً أَفْيَحَ مِن مِسْكٍ أبيضَ، فإِذَا كَانَ يومُ الجمعةِ نزلَ تَبارَكَ وتَعالىٰ مِنْ عِلِّيِّينَ على كُرسيِّهِ ثُمَّ حُفَّ الكُرسيُّ بمنابرَ مِنْ نورٍ، وجَاءَ النَّبيُّونَ حتَّى يَجلِسُوا عَلَيهَا، ثُمَّ حُفَّ المنابرُ بكَراسيَّ في ذهبٍ، ثُمَّ جَاءَ الصِّدِّيقُونَ والشهداءُ حتى يجلِسُوا عليها ثُمَّ يَجيءُ أَهْلُ الجَنَّةِ حتى يَجْلِسُوا على الكَثيبِ.

فَيَتجلَّىٰ لَهُمْ رَبُّهُمْ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ حَتَّى يَنظروا إلى وجهِهِ، وَهُو يقولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُم وَعدِي، وَأَتممتُ عَليكُم نِعْمتي، هٰذا نُحلُ[2] كَرامتي فَسَلُوني، فَيَسأَلُونَهُ الرِّضىٰ، فيقولُ عَزَّ وَجَلَّ: رِضَائي أَحلَّكُم دَاري، وَأَنَا لكُم كَرَامتي، فَسَلُوني فَيَسأَلونَهُ حتَّى تَنْتَهي رغبَتُهُم.

فَيفْتَحُ لَهُمْ عِندَ ذٰلِكَ مَا لاَ عَينٌ رأَتْ، وَلاَ أُذنٌ سَمِعتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشرٍ إلى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ يَومَ الجُمعَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ تَبارَكَ وَتَعَالىٰ عَلَى كُرسيِّه، فَيَصْعَدُ معهُ الشُّهداءُ والصِّدِّيقونَ ـ أَحسبُهُ قَالَ ـ: وَيَرْجِعُ أَهلُ الغُرَفِ إلى غُرَفِهِمْ، دُرَّةٌ بَيضَاءُ لاَ قَصْمَ فيها ولا فَصْمَ، أَوْ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ، أَوْ زَبَرْجَدةٌ خَضرَاءُ مِنها غُرَفُهَا وأَبْوَابُهَا، مُطَّرِدَةٌ فِيهَا أَنهارُهَا، مُتَدلِّيةٌ فيها ثِمَارُهَا، فِيهَا أَزواجُها

---

(١) أي: مقسوم، أو هو له نصيب.

(٢) النحل: العطية والهبة.

وَخَدمُها فَلْيَسُوا إلى شيءٍ أَحْوَجَ مِنهم إِلَى يَوْمِ الجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا فِيهِ كَرَامَةً، وَلِيَزْدَادُوا فِيهِ نَظَراً إِلَى وَجْهِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِذَٰلِكَ دُعِيَ يَوْمَ المَزِيدِ».

فائدة في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال:

روى مسلم وغيره، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقاً، يَأْتُونَها كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ. فَتَحْثُوا فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ، لَقَدْ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمالاً. فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ، لَقَدْ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمالاً»[1].

قال القاضي عياض: وخصَّ ريح الجنة بالشمال، لأنها ريح المطر عند العرب كانت تهب من جهة الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحابة الشامية. وجاءت في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة ـ أي المحركة ـ لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة، وغيره من نعيمها اهـ.

فصل في جهنم وما جاء في صفة أهلها وعذابها أعاذنا الله منها وأن نكون من أهلها

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٨ ـ ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

١٩ ـ باب دنو الشمس يوم العرض ـ على الله تعالى ـ من رؤوس أهل العذاب ووصف ما يلاقون من حرّها. وصفة حشرهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ الآية [الإسراء: ٩٧ ـ ٩٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: ١٠٢ ـ ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

٤٣٤ ـ عن سَلمانَ الفَارِسيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: **تُعطِي الشَّمسُ يومَ القيامَةِ حَرَّ عَشرَ سِنينَ، ثُمَّ تَدْني مِنْ جماجمِ النَّاسِ. . فذكر الحديث.**

قال: **فَيَأْتُونَ النَّبيَّ ﷺ فيقولونَ: يَا نبيَّ اللَّه، أنتَ الَّذي فَتَحَ اللَّهُ بِكَ، وغفرَ لكَ ما تقدمَ من ذَنْبكَ وما تَأَخرَ، وقد تَرىٰ ما نحنُ فيهِ، فاشفعْ لَنَا إلى رَبِّنَا، فَيَقُولُ: «أَنَا صَاحِبُكُم».**

فيخرجُ يحوشُ النَّاسَ حَتَّى يَنْتهي إلى بَابِ الجَنَّةِ، فَيَأْخُذُ بِحَلْقَةٍ في البابِ من ذَهَبٍ، فيقرعُ البابَ فَيُقَالُ: مَنْ هٰذا؟ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ. فَيُفْتَحُ لَهُ. فَيَجِيءُ، حَتَّى يَقُومُ بَيْنَ يَدِيْ اللَّهِ، فيسجدُ فَيُنَادي: ارفعْ رأسكَ، سَلْ تُعطَهْ، واشفَعْ تُشَفَّعْ، فَذَلِكَ المقامُ المحمودُ. (رواه الطبراني ـ وقد تقدم).

ورواه عبد الرزاق بإسناد صحيح، أيضاً بلفظ: تَدْنو الشَّمسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رُؤُوسِ النَّاسِ قَابَ قَوْسٍ ـ أَوْ قَالَ ـ قَابَ قَوْسَيْنِ ـ وَتُعطىٰ حَرَّ عَشرَ سِنينَ. وَلَيسَ عَلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ يَوْمئذٍ طُخْرُبَةٌ. وَلاَ تَرىٰ يَوْمَئذٍ عَوْرَة مُؤمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ، وَلاَ يَضُرُّ حَرُّهَا يَوْمَئذٍ مُؤْمِناً وَلاَ مُؤْمِنَةً. وَتَطْبخُ الكَافر ضَبْخاً حَتَّى يَقُولُ جَوْفُ أحدهُم؛ غِقْ غِقْ[1].

والطحربة: الخرقة. **وغق غق** ـ بالكسر ـ حكاية صوت الغليان.

فائدة في صفة غرق الناس بعرقهم: روى مسلم وغيره من طريق سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«تُدْنَى الشَّمسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنهُم كَمِقْدَارِ مِيلٍ»**[2].

قَالَ سَليم بن عامر: فَوَاللَّهِ، مَا أَدْرِي مَا يعني بِالميلِ؟ أَمَسَافَةَ الأرضِ، أَمْ الميلَ الَّذِي تُكْتَحلُ بِهِ العَينُ.

قال ﷺ: **«فيكونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهُم في العَرَقِ. فَمنهُمْ من يكونُ إلى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُم مَنْ يَكُونَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْجِمْهُ العَرَقُ إِلْجَاماً»** قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلى فِيهِ.

وروى الشيخان وغيرهما، واللفظ للبخاري من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: **«﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُم في رَشْحِهِ إِلى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»**[3].

وفي «الصحيحين» أيضاً واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبُ عَرَقُهُم في الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً، وَيَلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانِهُمْ»**[4].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن الذي يلجمه

---

٤٣٤ ـ [رواه الطبراني في «الكبير» (٦/٦١١٧) وإسناده صحيح].

(١) رواه عبد الرزاق (٢٠٨٥٠).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٤).

(٣) رواه البخاري (٤٩٣٨).

(٤) رواه البخاري (٦٥٣٢).

العرق الكافر أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عنه قال: «**يشتد كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق، قيل له: فأين المؤمنون؟ قال على الكراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام**»[١] وبسند قوي عن أبي موسى قال: «**الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم**» وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال: «**تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة ثم ترتفع حتى يغرغر الرجل**» زاد ابن المبارك في روايته «**ولا يضر حرها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة**».

قال القرطبي: المراد من يكون كامل الإِيمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم، وفي حديث ابن مسعود عند الطبراني والبيهقي «إن الرجل ليفيض عرقاً حتى يسيح في الأرض قامة، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه» وفي رواية عنه عند أبي يعلى وصححها ابن حبان «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار» وللحاكم والبزار من حديث جابر نحوه، وهو كالصريح في أن ذلك كله في الموقف، وقد ورد أن التفصيل الذي في حديث عقبة والمقداد يقع مثله لمن يدخل النار، فأخرج مسلم أيضاً من حديث سمرة رفعه «إن منهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته وفي رواية إلى حقويه ومنهم من تأخذه إلى عنقه» وهذا يحتمل أن يكون النار فيه مجازاً عن شدة الكرب الناشىء عن العرق فيتحد الموردان، ويمكن أن يكون ورد في حق من يدخل النار من الموحدين، فإن أحوالهم في التعذيب تختلف بحسب أعمالهم، وأما الكفار فإنهم في الغمرات.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: ظاهر الحديث تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله، فأشدهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار كما تقدم تقريره في حديث بعث النار.

قال: والظاهر أن المراد بالذراع في الحديث المتعارف، وقيل: هو الذراع الملكي، ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف وتدنى الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض وماذا يرويها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعاً مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه، فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه، إن هذا لما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة أن ليس للعقل فيها مجال، ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإِيمان بالغيب، ومن توقف في ذلك دل على خسرانه وحرمانه.

وفائدة الإِخبار بذلك: أن يتنبه السامع فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال،

---

(١) رواه ابن حجر (٢٠٨ ـ ٢٠٩/١٣).

ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه. اهـ.

٢٠ ـ باب في صفة جهنم، وكيف انه يحطم بعضها بعضاً

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١١ ـ ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

٤٣٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ. فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ، غَيْرَ فَزِعٍ وَلاَ مَشْعُوفٍ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الإِسْلَامِ. فَيُقَالُ لَهُ: مَا هٰذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ. فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ؛ فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ. فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً. فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ. ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ. فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا. فَيُقَالُ لَهُ: هٰذَا مَقْعَدُكَ. وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ. وَعَلَيْهِ مُتَّ. وَعَلَيْهِ تبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَزِعاً مَشْعُوفاً. فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي. فَيُقَالُ لَهُ: مَا هٰذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلاً فَقُلْتُهُ.**

فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ. فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا. فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ. ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ. فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا. يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً. فَيُقَالُ لَهُ: هٰذَا مَقْعَدُكَ. عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ. وَعَلَيْهِ مُتَّ. وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى». (رواه ابن ماجه).

الشرح: قوله ﷺ: **«غير فزع ولا مشعوف»** الشعف: شدة الفزع حتى يذهب بالقلب وقد يطلب عليه: الهلع.

وقوله ﷺ: **«فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً»** وذلك لشدة حرّها وعظم نارها، وشديد ازدحامها. والله أعلم.

وقوله ﷺ: **«فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنت»** الشك، هو خلاف اليقين. وهو أنه كان شاكاً بلقاء الله تعالى، وبأحوال الآخرة.

---

٤٣٥ ـ [رواه ابن ماجه في «الزهد» (٤٢٦٨) وإسناده صحيح، ورواه البخاري (٦٥٦٩) مختصراً من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار، لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة، لو أحسن ليكون عليه حسرة».]

خاتمة: روى البخاري وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضاً. فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف. فأشد ما تجدون في الحرّ. وأشد ما تجدون في الزمهرير»(١).

٢١ ـ باب في خروج أهل التوحيد من النار ضبائر ضبائر

٤٣٦ ـ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ، وَلكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ ـ أَوْ قَالَ ـ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحماً، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ. فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهارِ الجَنَّةِ.

ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ».

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالبَادِيَةِ. (رواه مسلم).

ورواه أحمد في إحدى رِوَاياته بلفظ: «أَمَا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا لاَ يَمُوتُونَ وَلاَ يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا أناسٌ يريدُ الله بهم الرَّحْمَةَ فَيُمِيتُهُمْ في النَّارِ فَيَدْخُلُ عَلَيهِمُ الشُّفَعَاءُ، فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ أَنْصَارَهُ فَيَبُثُّهُمْ ـ أَوْ قَالَ: فَيَنْبُتونَ ـ عَلَى نَهرِ الْحَيَاءِ ـ أَوْ قَالَ: الْحَيَوَانِ، أَوْ قَالَ: الْحَيَاةِ، أَوْ قَالَ: نَهرِ الجَنَّةِ ـ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» قال: فقالَ رسول الله ﷺ: «أما تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خَضرَاءَ ثُمَّ تَكُونُ صَفرَاءَ ـ أَوْ قَالَ: ـ تَكُونُ صَفرَاءَ ثُم تَكُونُ خَضرَاءَ». قَالَ: فَقَالَ بعضُهم. كَأَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ بِالبَادِيَةِ.

٤٣٧ ـ وَعَنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يُسْأَلُ عَنِ الوُرُودِ. فَقَالَ: «نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ – كذا وكذا (انظر) أي ذٰلِكَ فَوْقَ النَّاسِ –».

قَالَ: «فَتُدْعَىٰ الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذٰلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُم، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ.

قَالَ: «فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ. وَيُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنهُم، مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ، نُوراً. ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ الله. ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ المُنَافِقِينَ. ثُمَّ يَنْجُو المُؤْمِنُونَ.

فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُم كَالْقَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ سَبْعُونَ أَلفاً لاَ يُحَاسَبُونَ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ

---

(١) رواه البخاري (٣٢٦٠).

٤٣٦ ـ [رواه أحمد (١١٠١٦ ـ ١١٠٧٧/ ٤) ومسلم (١٨٥) والدارمي (٢٨١٧) وابن ماجه (٢٣٠٩) وأبو يعلى (١٠٩٧ و ١٣٧٠) وابن حبان (١٨٤ و٧٤٨٥) وابن منده في «الإيمان» (٨٢٩) والآجري في «الشريعة» (ص ٣٤٥) وأبو عوانة (١/١٨٦) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٢٨٣) وغيرهم، واللفظ الأول لمسلم].

٤٣٧ ـ [رواه مسلم في «الإيمان» (١٩١) وقد انفرد به بهذا اللفظ].

نَجم في السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذٰلِكَ. ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً.

فَيُجعَلُونَ بِفِنَاءِ الجَنَّةِ. وَيَجعَلُ أَهْلُ الجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيهِمْ المَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ في السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ. ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا» (رواه مسلم).

الشرح: قوله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون» المراد بأهل النار: أهل الكفر ممن استوجب العذاب المؤبد. فلا هم يموتون فينتهي عذابهم بموتهم، ولا هم يحيون حياة ينتفعون بها ويسترحون معها. وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦ ـ ٣٧]. ونحو قوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠ ـ ١٣].

قوله ﷺ: «ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال ـ بخطاياهم، فأماتهم إماتة» وذلك بإحراقهم بالنار، وبما يلقونه من هولها وشدتها وعذابها ـ أجارنا الله منها ـ وفي رواية أحمد **«وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار»** قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: قيل هو موت حقيقة كي لا يحسون النار وعقوبتهم، حسبهم فيها عن دخول الجنة. فهم فيها كالمسجونين. وقيل: هو كناية عن عدم إحساسهم بالألم، ويجوز أن يكون ألمهم أخف، كالنوم. لأنه سبحانه وتعالى قد سمى النوم موتاً في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] الآية.

لكن قوله ﷺ: **«حتى إذا كانوا فحماً»** يدل أن النار تعمل في أجسادهم. وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«إذا دخل الموحدون النار أماتهم فيها فإذا أراد أن يخرجهم أمسهم العذاب تلك الساعة»** وفي حديث أنه **«تنزوي عنهم وتقول: ما لي ولأهل بسم الله»**. اهـ.

وقوله ﷺ: «ضبائر ضبائر» أي جماعات جماعات. قال أهل اللغة: الضبائر جماعات في تفرقة.

وقوله ﷺ: «حميل السيل» الحميل: بمعنى المحمول. وهو الغثاء الذي يحتمله السيل. وقد تقدم.

وقوله ﷺ: «فبثوا على أنهار الجنة» أي فُرِّقوا.

وأما قوله في الحديث الآخر: (نجيء نحن يوم القيامة عن - كذا وكذا (انظر) أي ذلك فوق الناس ـ) قال القاضي عياض كذا لفظ الحديث في كل النسخ. وفيه تغيير كثير وتصحيف. وصوابه: **«نحن يوم القيامة على كوم»** وكذا رواه بعض أهل الحديث. وفي كتاب ابن أبي خيثمة عن كعب: **«يحشر الناس يوم القيامة على تل وأمتي على تل»** وفي تفسير الطبري عن ابن عمر: **«فيرقى هو ـ**

يعني محمد ﷺ ـ **على كوم وأمته على كوم فوق الناس**» وذكر من حديث كعب: «**يحشر الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل**». فهذا كله يبين ما تغير من الحديث، وأنه كان امتحى هذا الحرف وأظلم على الراوي، فعبر عنه: بكذا وكذا، وفسره بقوله: أي فوق الناس. وكتب عليه: ـ انظر ـ فكتب النَّقَلة الجميع ونسقوه بمتن الحديث اهـ.

وقوله ﷺ: «**ويذهب حراقه**» أي أثر النار. والضمير يرجع على المُخرَجِ من النار. والله أعلم.

خاتمة الكتاب

تمَّ بعون الله تعالى وفضله الفراغ من كتاب «**الأحاديث القدسية**»، ظهر يوم الخميس الموافق الخامس من شهر رجب من العام ١٤٢٠هـ، والموافق ١٤/ تشرين الأول/ ١٩٩٩.

ولله الحمد والمنة أولاً وآخراً. وأسأله أن يتقبله مني عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون زاداً ليوم لا ريب فيه.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عرفان

بيروت: ١٤/ تشرين أول/ ١٩٩٩م

فهرس المحتويات

